دراسات
في القاموس المحيط

الدكتور محمد مصطفى رضوان

منشورات الجامعة الليبية
كلية الآداب

دراسات في القاموس المحيط

الطبعه الاولى
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

الدكتور محمّد مصطفى رضوان

دراسات في القاموس المحيط

منشورات الجامعة الليبية
كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للعالم الجليل الاستاذ : عبد السلام محمد هارون
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ظفر القاموس المحيط ، منذ القدم ، بشهرة علمية واسعة عريضة ، وكان موضع ثقة العلماء والأدباء . ولا سيما الراسخون في العلم ، الذين أَسْرفَ بعضهم إسرافاً شديداً في توثيقه ، فزعموا أن اللفظة لا ترد في أثنائه جديرة بأَن تُطَّرحَ ، وأَن تُنْفَى وأن يُقْضَى عليها .

وفي الحق أن هذا المعجم قد تَهَيَّأَ له من الأَسباب الكثيرة المتضافرة ما أَحَلَّهُ هذا المحل الرفيع . هذه الأسباب كان بعضها ظاهرا كل الظهور ، وبعضها كان خفياً مستورا ، وهو ما استطاع الزميل المؤلف بكتابه « دراسات في القاموس المحيط » أن يزيح الستار عنه ، بما أوتي من صبر شديد ، ودأب متواصل ، وأمانة علمية صادقة .

حقاً إن في القاموس بعض المآخذ والهَنَات . منها ما يلمع أمام عين الناقد ، ومنها ما يستشفُّه الباحث الجاد في بحثه ، وقد يسر الله كل أولئك للزميل المؤلف الذي بدا جهده واضحا في تعقُّب تلك المآخذ مستعيناً بابتداعه الشخصي حيناً . وبنظرات غيره إلى ذلك المعجم أحياناً ، وهو عندما استعان بنظرات غيره لم يكن راوياً أو ناقلاً فحسب ، بل كان باحثاً ناقداً لتلك النظرات حاكما عليها بالدليل والحجة ، وهو ما يرتفع بكتابه إلى درجة عالية .

إن مما يسترعي النظر أن الأستاذ المؤلف الباحث كان ينقل خطاه في بيداء موحشة ، ولكنه استطاع بصبره وجلده أَن يصل إلى واحة مثمرة مزهرة عريضة الظلال ، استطاع أن يشق لنفسه طريقاً وسط ذلك البحث العلمي الجاف ، وكان أسلوبه البياني الممتع في أداء بحثه أسلوب حادي القافلة ، يُهَوِّن على الرفاق وعثاء السفر ووحشة الطريق .

هذا الكتاب (دراسات في القاموس المحيط) فاذٌّ في بابه ، مفخرة في ميدانه . فقد أضفى إليه صاحبه من حسن الذوق ، ودقة التصوير ، وروح الأديب ما جعله يبعد عن جفوة المباحث اللغوية ، ويقرب من نفوس الدارسين ، سدنة اللسان العربي والتراث الإسلامي الخالد .

المكتبة العربية غنية بنفسها ، قوية بمجدها ، وقد زال عن قلب الباحثين من أبناء العرب ذلك الفزع الذي بثه في نفوسهم دعاة الاستعمار الذين زعموا للباحثين أن العلم لا يكون علما حتى يباركه الغربيون ، أو تهب عليه أنسام الغرب . فلا تنقل قدم إلى قدم إلاَّ باستئذانهم وإشرافهم في دقيق الأمور وجليلها .

لقد وجدنا في النابهين العرب من سَمَوْا ببحثهم سموًّا عظيماً ، وأبدعوا في فنهم إبداعاً رائعاً ، سَامَتَ إبداع الغربيين ، إنْ لم يكن قد فاقه ، لم يركنوا إلى ثقافة الغرب إلاَّ بالقدر الذي يقتضيه استكمال البحث ، أو تحتمه الضرورة العلمية ، بل قد وجدنا فيهم من صنع علما قائما بنفسه لم يستعن في صنعه إلاَّ بهذه المكتبة العربية الخالدة ، لم يطرق باب مستشرق ولا تطفَّلَ على مائدة غربي .

عندما نظرتُ إلى هذا الإحصاء الدقيق لمواد القاموس الذي قام به الأستاذ رضوان وجدتني أمام رجل يزن الأمور بأحدث الموازين العلمية ، ميزان الإحصاء ، ولغة الأرقام .

وعندما أَلقيتُ بصري على أبواب الكتاب ومراجعه الأصيلة وما بَلَغَهُ الأستاذ ، من رشد وإتقان في إقامة بحثه وتنسيق كتابه ، أَعجبني ذلك الطريق الذي سلكه فوصل به إلى الهدف ، وأسرع به إلى المراد .

وإني لأسجل باعتزاز أن هذا الكتاب النفيس ملأ فراغا في مجاله ، وأسدى إلى الثقافة العربية يداً بيضاء ناصعة في جبين التاريخ .

وأَختتم كلمتي هذه بتهنئة الأستاذ المؤلف الباحث والدعاء له بالسداد والتوفيق .

والله ولينا ، ونعم النصير

مصر الجديدة في ـ ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ هـ

٥ فبراير ١٩٧٢ م

عبد السلام محمد هارون

مقدّمة المؤلف

حينما خطر لي من سنوات أن أكتب عن القاموس المحيط كتابة تحليلية ، أتناول بالدراسة الفاحصة تاريخه وخصائصه ونقده ومكانته بين معاجم اللغة العربية . راعني هذا الخاطر ، وهالني أمره ، وكدت أنصرف عنه ، لوعورة الطريق الى هذا البحث ، وضخامة الجهد الذي يتطلبه ، وطول الزمن الذي قد يستغرقه .

لكني استخرت الله ، وشرعت في الدراسة والبحث ، فوجدتني منذ البدء غارقا في خضم من المراجع . وأمام حَشْد كبير من المسائل اللغوية بالقاموس ، احتدمت عندها الآراء ، واستوجبت منصفا يقضي بينها ، وباحثا مدققا يوضحها ، أويوجهها ، أويرى فيها رأيا سديدا ، وتلك مهمة شاقة ، أدعو الله أن يكون قد هداني في معالجتها الى الحق والصواب .

ولعل في مقدمة ما حفزني الى تناول هذا الموضوع أنه تبادر الى ذهني أن القاموس الذي طبقت شهرته الآفاق ، ما زال يتطلب من رجال اللغة في هذا العصر أن يلقوا عليه أضواء ، ويزنوه بميزان علمي حديث ، ليضعوه في موضعه ، ويكشفوا عن أثره وقيمته ، فألقيت دلوي في الدلاء ، وأسهمت بما قدمت في كتابي هذا من

دراسات نقدية تحليلية . تنتظم المعجم الذي يعتبر من أهم المعاجم الخالدة .

وأسميت كتابي الآنف الذكر (دراسات في القاموس المحيط) عرضت فيه لما كان قد خطرلي من قبل عن مجالات الدراسة النقدية التحليلية للقاموس المحيط الذي صنفه العلامة الكبير مجد الدين الفيروز ابادي في مستهل القرن التاسع الهجري .

وإني إذْ أقوم بهذا العمل المتواضع ، خدمة للغة وللثقافة أرجو أن أكون قد أديت بعض الواجب لدعم النهضة الفكرية المعاصرة التي أود أن تبلغ ما بلغته حين كانت أمتنا المجيدة ، في عصورها المزدهرة العتيدة .

والحمد لله الذي هدانا لهذا . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، عليه توكلنا .

محمد مصطفى ابراهيم رضوان
أستاذ بكلية الآداب بالجامعة الليبية
ورئيس قسم اللغة العربية بها

القاهرة (المعادي) في ٢ رجب ١٣٩١ هـ
٢٧ أغسطس ١٩٧١ م

الدكتور محمد مصطفى رضوان

البَابُ الأول

المؤلفُ والمعَاجم

الفصل الأول : حياة الفيروزابادي .

الفصل الثاني : معجم اللغة العربية وتطوره إلى عصر الفيروزابادي .

الفصل الأول

حياة الفيروزابادي

أ ـ عصره

عاش مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزابادي مؤلف القاموس المحيط في غضون العصر المغولي الذي يبدأ بسقوط بغداد في قبضة التتار على يد هولاكو[1] سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وينتهي بدخول العثمانيين مصر في عهد السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ .

وهو عصر اضطراب سياسي ، وانقلاب تاريخي ، قضى على عهد كان مبعث فخر المسلمين وزهوهم ، وأصاب اللغة والأدب والمدنية الزاهية بجرح أليم : سقطت فيه بغداد ، والتجأت الخلافة إلى مصر[2] ، حيث أقامت كسيرة الجناح ، مهيضة الجانب ، ووقع العالم الإسلامي إلاّ أقله تحت سيطرة الفاتحين من سلالة جنكيزخان ، ورفرف العلم المغولي المنتصر في سماء المشرق ، من صحراء المغول الى ما وراء البحر الأسود وسواحل بحر الروم ، وأعلن حكمه على بلاد العراق وفارس وخراسان والهند والسند وما وراء النهر .

لكن الفرس استطاعت أن تحكم نفسها أعواما قليلة ، وكانت مصر والشام لسلاطين المماليك ، وآسيا الصغرى للسلاجقة ثم العثمانيين ، وبقيت سيادة العرب في اليمن والحجاز والمغرب والأندلس أزمانا .

---

(١) الدولة العباسية ٢٤١ .

(٢) المستعصم بالله آخر خلفاء العباسيين بالمشرق ، والمستنصر بالله أبو القاسم أحمد أول خليفة عباسي لجأ إلى مصر أيام السلطان بيبرس ، والمتوكل على الله أبو عبد الله آخر خلفاء بني العباس في مصر تنازل عن حقوقه في الخلافة للسلطان سليم سنة ٩٢٦ هـ (الدولة العباسية ٢٤٢ - ٢٤٤) .

الثقافة الإسلامية في هذا العصر

١ - المشرق :

انحل أمر العرب ، بتغلب الأعاجم على دولتهم ، فقد اكتسح التتار بقيادة جنكيزخان ، ثم حفيده هولاكو ، دول الشرق ، وخربوا البلاد وقتلوا العباد ، في معارك دامية ، وحرقوا الكتب ، وقذفوا بكثير منها في نهر دجلة ، وقوضوا عرش الخلافة العباسية ، عنوان العرب والعربية فأخذت اللغة وآدابها تضمحل وتتقهقر من المشرق الى المغرب ، ثاكلةً أعاظم رجالها ، ونفائس كتبها [١] .

وقامت لغات العجم تثأر لنفسها ، وتسترد حياتها ، وتطارد لغة العرب من بلادها حتى كادت تظفر بها ، لولا أنها لغة الكتاب والسنة ينبوع الدين الحنيف .

على أن المصريين استطاعوا بمساعدة عرب مصر وبادية الشام أن يصدوا الغزاة عن بلاد فلسطين الى ضفاف الفرات وأصبحت مصر والشام المثابة الأخيرة للعربية وعلومها ، وشاركهما في بعض ذلك اليمنُ والحجازُ وشمالُ إفريقية والأندلسُ [٢] .

ولكن التتار افترقوا بعد ذلك الى ممالك بآسيا وشرقي أوربة ، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم وترغيبهم في التأليف ، ولا سيما الشيعة والمشتغلين منهم بالعلوم العقلية والطبيعية والحربية ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن كانت العجمة قد أضرت باللغة نفسها وبقيت العربية لغة التأليف في كثير من الكتب ، وقلت في لسان التخاطب بين عامة الناس ، لغلبة المغولية والتركية والفارسية عليها فيما عدا العراق وأعالي الفرات .

ولما آل الأمر الى تيمورلنك سليل التتار في شوال سنة ٧٩٥ هـ ـ أمعن في الفتك والقتل والتخريب [٣] ، لكنه لم يلبث أن شارك في العلوم واصطفى العلماء ، فحفظوا ما بقي من آثار العرب والعربية في الشرق ، وكان لابنيه (شاه رخ) و(أولوغ بك) اللذين خلفاه ، شأن يذكر في معاضدة العلوم الرياضية والفلكية .

---

(١) الدولة العباسية ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) العقود اللؤلؤية ٢ : ٢٦١

(٣) العقود اللؤلؤية ٢ : ٢٦١ .

٢ ــ دولة المماليك :

أما بلاد مصر والشام[1] فقد عرف سلاطينها من المماليك أنهم صاروا موئل الاسلام والعربية ، وأدركوا أنه لا يستقر لهم نظام ، ولا تقام لدولتهم أركان ، إلاَّ بمدد من الخلافة ، فبايعوا أحد أبناء العباسيين الفارين من وجوه التتار ، وأنشأوا بمصر خلافة عباسية صورية ينوبون عنها في الحكم ، وليس لخلفائها من الأمر شيء[2] ، وعملوا على إنشاء المدارس والمساجد والأربطة والسبل بالقاهرة وغيرها من المدن الكبيرة ، ورغبوا العلماء والأدباء في تأليف الكتب بأسمائهم تخليدا لمآثرهم ، بعد أن تلاشت مظاهر الخلافة ، وامحت نزعة تأييدها من الأذهان ، وكان هذا عملا جليلا لحفظ التراث العربي ، فقد بقيت اللغة العربية بمصر والشام تستعمل في أكثر الأغراض التي كانت تستعمل فيها أواخر الدولة العباسية ، لكنها فقدت كثيرا من بلاغتها وجزالتها ، لغلبة الصناعة على أسلوب كتابها ، وامتزاج ألفاظها بكثير من الألفاظ التركية والفارسية.

٣ ــ الدول المعاصرة للمماليك :

عاصر دَوْلَةَ المماليكِ بنو الأحمر بالأندلس ، وسلالة الموحدين بالمغرب ، وآلُ رسول باليمن ، وإمارةُ دِهْلَى بالهند ، وكانت العناصر العربية فيها جميعاً وبخاصة في الأندلس حافظة صبغتها إلى أخريات هذا العصر .

أ ــ دولة بني الأحمر :

هي آخر دولة عربية جلست على عرش الأندلس ويعرف سلاطينها ببني نصر وينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وحاضرتها غرناطة ، ومن آثارها قصر الحمراء الشهير ، واستمر حكمها حتى تغلب الأسبانيون على العرب وأحرقوا كتبهم ، وضيقوا آثارهم ، وأخرجوهم من البلاد في أواخر القرن التاسع الهجري وبذلك قضى الله أن يمحى ظل الإسلام من هذه الجزيرة[3] .

---

(١) كانتا دولة واحدة عاصمتها القاهرة من سنة ٦٤٨ هـ إلى سنة ٩٢٣ هـ .

(٢) بايعوا الخليفة المستنصر بالله أيام السلطان بيبرس (الدولة العباسية ٢٤٢ – ٢٤٣) .

(٣) انتهى حكم العرب بالأندلس في سنة ٨٩٧ هـ وظل بها بنو الأحمر أكثر من قرنين (٦٦٩ – ٨٩٧ هـ)

وقد أعادت هذه الدولة للغة بعض مجدها ، وخطت بها قدماً ، لتعيد لها سيرتها الأولى ، ونهضت بالفنون والآداب ، لكن ذلك لم يطل ، فقد وهنت اللغة ، وانطفأ سراجها بزوال سلطان العرب من تلك البلاد .

ب ـ دول المغرب :

تشمل دول المغرب البلاد التي بين برقة والمحيط الأطلنطي من شمال إفريقية ، وقد قامت بها ثلاث دول بربرية ، تفرعت كلها من الموحدين وهي[1] :

١ ـ دولة بني مرين (٥٩٢–٩٥٧ هـ) في المغرب الأقصى (مراكش) .
٢ ـ دولة بني حفص أو الدولة الحفصية (٦٢٥–٩٨١ هـ) في المغرب الأدنى (طرابلس وتونس)
٣ ـ دولة بني زيان (٦٣٣–٩٦٢ هـ) في المغرب الأوسط (بلاد الجزائر) .

وحكام هذه الدول كانوا يتكلمون البربرية ، وقد صعب عليهم تحصيل الملكة اللغوية ، والاصطباغ بالصبغة العربية ، لرسوخهم في العجمة ، ولم يشجعوا العلماء كمماليك مصر ، فعوق هذا نهوض اللغة وعلومها في كنفهم ، لكن الآداب العربية أشرقت بهذه البلاد على يد رجال الأندلس والمشرق الوافدين إليها ، والحاملين بها لواء نهضة مشكورة بعد استيطانهم إياها ، وقد يكون لأهل البلاد الأصليين فضل فيها ، فالعلماء والأدباء والمؤلفون كانوا أندلسيين أو مشرقيين غالباً ، اللهم إلا فئة قليلة كابن رشيق وابن شرف وأبي اسحق الحصري وأبي الحسن الحصري ، وكانت القيروان التي أنشأها العرب وعمروها كعبة العلماء والأدباء منهم جميعاً .

وإنْ تعجب فعجب أن يكون الإمام ابن خلدون ممن نبغوا بهذه البلاد غير أن مثله لا يعد صنيعة البيئة وإنما هو من الذين لا يجود بهم الزمان إلاَّ نادراً ، وكثيراً ما يكونون من الأمم الخاملة :

وإن الورد يقطف من قتـــاد وإن النار تقبس من رمـــاد

(١) تاريخ ملوك وأمراء الدول الإسلامية ص ٢١٤ .

جـ ـ إمارة دِهْلَى بالهند :

للعرب صلة بالهند من زمن جاهليتهم ، ولما فتحها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين بعد فارس والعراق ، واستنارت بنور الإسلام ، أخذت الحركة العلمية بها تنتعش شيئا فشيئا ، تقوى بقوة الدين الجديد ، وتعز بعزة الحكم الاسلامي الرشيد ، واستمرت سنين تتبادل مع العرب العلم والعلماء حتى كان لكل منهما في صاحبه أثر ظاهر ، وفي هذا العصر انكمش الحكم الاسلامي بالهند واتخذ له بالجانب الغربي منها اقليما متواضعا عاصمته دِهْلَى [1] واستقرت بها امارته الجديدة ، تسوس الأمور ، وترعى الرعية ، ناهضة بها ما استطاعت . وقد نزح اليها بعض علماء المشرق فرارا من المغول حين عصفوا ببلادهم ، وأقاموا بها آمنين ، مؤتلفين بعلمائها الأصليين ، وبخاصة المسلمين منهم ، وحملوا لواء الثقافة هناك ، وأحيوا نهضة لها طابعها بحكم البيئة والائتلاف ، وقد عطف السلاطين عليهم يشجعونهم ويصطفون منهم الأنصار حتى نبغ من بينهم من خدم اللغة والدين خدمة جليلة[2] ، وقد زارها الفيروزابادي وأقام بها أعواما .[3]

د ـ الدولة الرسولية :

قامت الدولة الرسولية باليمن[4] سنة ٦٢٦ هـ على أنقاض الحكم الأيوبي وامتد نفوذها الى الحجاز ، فأظله في فترات طويلة ، وأول سلاطينها السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، ومن أشهرهم السلطان الملك الأشرف اسماعيل ، وابنه السلطان الملك الناصر احمد ، وآخرهم السلطان الملك المؤيد حسين بن الظاهر الذي انتهى عصره في سنة ٨٥٨ هـ ، وأسماؤهم مجموعة في قصيدة ذكرها صاحب القاموس في خطبته[5] .

---

(١) دهلى ذكرها صاحب القاموس فقال : « ودِهْلَى بالكسر أعظم مدن الهند »

(٢) الدولة الإسلامية ٢٣٣ – ٢٣٨ .

(٣) ص ٢٨ من هذا الكتاب .

(٤) العقود اللؤلؤية ١:٢٦ وما بعدها .

(٥) ص ٧٩ من هذا الكتاب .

وقد شرعت هذه الدولة منذ توليها مقاليد الأمر ، تخط تاريخها المجيد فنشرت لواء العدل وأقرت الأمن ، وأنشأت المدارس والمساجد ، وعملت على نشر العلم ، وصيانة الدين ، وشجعت على التأليف ، وكان سلاطينها يحبون العلماء والأدباء ، يجالسونهم ، ويأمرون الولاة باجلالهم ورعايتهم ويأخذون عنهم الدين واللغة والعلم ، وكان لهم ذوق سليم في نقد الشعر وتقديره ، فقد كتب الأديب شائق الدين يوسف بن محمد العنسي [1] قصيدة بديعة يهنئ بها السلطان الملك المؤيد بالخلافة ، منها :

إنَّ الخلافة ما قرت ولا هـدأت حتىٰ رمت نفسها في كف حاميها

إنَّ الرعية في أمن وفي دعـة وفي بلهنية إذْ أنت راعيهـا

فأجازه السلطان .

ولم يكونوا يشاركون العلماء في التأليف فحسب ، بل كانوا يمنحونهم مكافآت سخية عن مؤلفاتهم ، فنشط التأليف ، ومن أشهر العلماء الفقيه جمال الدين الريمي ، والقاضي ابن عجيل ، والعلامة الفيروزابادي . ولم ينس هؤلاء السلاطين الطب ، فقد يسروا تعليمه ، وشجعوا على قراءته ، وأنشأوا لذلك مكتبة خاصة حافلة بمؤلفات الطب والحكمة ، لهم فيها كتب ألفوها ككتاب الجامع في الطب لعمر الأشرف ، وكتاب المعتمد ليوسف بن عمر بن رسول وغيرهما . وقد اعتزوا بطبهم ، ودرايتهم بفنونه . رُويَ أن السلطان الملك المظفر كان له في علم الطب يَدٌ طُولىَ ، فقد طلب الى الظاهر بيبرس صاحب مصر أن يرسل اليه طبيبا لمدينة ظفار ، وقال له « ..... ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا ، فإنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا به من أيام الشبيبة اشتغالا كثيرا ، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب ، وله كتاب الجامع ، ليس لأحد مثله [2] . » . وحثوا على ارتياد المكتبة ، وانعام النظر فيما حوت من كنوز ، فنشأت ثقافة طبية واسعة ، شملت البلاد .

وبذلك كانت في اليمن نهضة طبية الى جانب النهضة العلمية الأدبية تأثر بها الفيروزابادي الذي أقام هناك ما يقرب من عشرين عاما .

---

(١) العقود اللؤلؤية ١ : ٢٩٩ . (٢) العقود اللؤلؤية ١ : ٢٧٧ – ٢٧٨ .

مراكز الثقافة الإسلامية :

في هذا العصر تزعزعت مراكز الثقافة الإسلامية في دول الشرق ، وجرت أذيالها هاربة من عسف الغزاة الى مصر حيث طابت لها الاقامة ، وعرجت أحيانا على اليمن والحجاز ، أو تخلفت بدِهْلي ، يكلؤها هنا وهناك عناية سلطانية ظاهرة ، وقد وجد المشارقة بمصر حرم أمن وعزة وكرامة ، وصادفوا وطنا جديداً للخلافة ، ومكاناً تزهو به لغة القرآن ، وسلاطين قد وطأوا لهم الأكناف ، وأغدقوا عليهم الصلات ، فأخذوا يؤلفون وينظمون ويكتبون ، وانتقلت بهم مراكز العلم والأدب من بغداد وبخارى ونيسابور والري وقرطبة وأشبيلية وغيرها من المدائن العامرة أيام بني العباس ، الى القاهرة والاسكندرية وأسيوط والفيوم ودمشق وحمص وحلب وحماة وغيرها . وبذلك صارت مصر في عهد المماليك مقصد العلم ، ومحط الثقافة ، وصاحبة الفضل الاكبر على النهضة الادبية والعلمية بدافع من غيرة العلماء ، وحرصهم على اعادة مجد الاسلام الذي عبثت به أيدي التتار ، ثم لعناية الملوك والأمراء ورجال الدولة بهم ، ومساعدتهم على البحث والانتاج .

ويبدو أن هجرة علماء الشرق من بغداد الى مصر تشبه الى حد ما هجرة علماء اليونان من القسطنطينية الى إيطاليا [1] فقد نشرت هذه ثقافة جديدة نبهت الى العزة والكرامة ، وحركت في الانسان أحاسيس الارادة والقدرة والاعتزاز فنشأ انقلاب في الأديان والنظم والأخلاق والعادات كان أساساً للمدنية الحديثة التي تعيش في ظلها أوربا اليوم ، وكانت تلك الهجرة مبدأ لنهضة احياء العلوم وحدا فاصلا بين القرون الوسطى والعصر الحديث .

أما هجرة العلماء الى مصر فقد أخذت وجهة علمية محضة ، لم تؤثر في النظم الاجتماعية والسياسية ، لأن فكرة الاصلاح والتجديد لم تكن نبتت في الاذهان بعد ، ولأن حكم المماليك كان يفضل حكم كثير من الملوك حولهم ، ولأن مصر كانت في عزة ورخاء يدفعان النفوس الى الرضا بالواقع والقناعة بالموجود .

---

(١) غزا القسطنطينية محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ ففر منها علماء اليونان إلى إيطاليا ، وأحيوا بها دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية .

أثر المغول في الثقافة الإسلامية :

ما لبث المغول [1] أن اختلطوا بالمسلمين في الشرق ، وامتزجوا بهم ، وطبعوهم بطابعهم ، فنشأ جيل جديد خليط من العرب وغيرهم من المسلمين اختلف في تفكيره واتجاهه عن أسلافه ، وجدد في الحياة العقلية وغير مجرى الثقافة الاسلامية ، تبعا لمنطقه واستعداده ، فأضعف المنافسة في مضمار الادب ، وأخمل المباراة في الشعر والنحو وغيرهما من العلوم ، حتى فقدت اللغة مكانتها التي كانت تتمتع بها قبله ، وتقلص ظلها ، وكادت دولتها تدول ، لولا ضرورات سياسية في معظم الممالك ، وتجلات دينية ، بل حاجات علمية وأدبية في الامصار كلها ، أدت الى بقائها حية ذات شعر وأدب .

ولكن لم يكن الغزو المغولي غرما كله على المسلمين ، فقد أصابوا منه خيراً كثيرا اذ غصت بلادهم بالموظفين والتراجمة وغيرهم ممن صحبوا الفاتحين الى ملكهم الجديد ، وأثروا بطريق مباشر أو غير مباشر ، في الحياة العقلية بالبلاد التي نزحوا إليها ، وأقاموا بها ، فغنم المسلمون منهم ثقافة جديدة وأفادوا مما جاءوهم به من أنظمة وحضارة لا عهد لهم بها من قبل .

واذا كان هذا الغزو قد أحدث ركوداً علميا وأدبيا في المشرق ، فانما كان ذلك الركود موقوتاً ، إذ لم يلبث أن عاد النشاط إلى هذين الميدانين بعد أن بدأ المغول يستقرون في البلاد التي فتحوها ، فإنهم ما كادوا يهيمنون على بلاد الاسلام ، ويمسكون بزمام الأمر فيها ، ويصفو لهم الحال ، حتى رغبوا تدريجيا في اعتناق المدنية الاسلامية ، وأخذوا يتقبلون آراء المسلمين وأفكارهم ، ويشجعون علماءهم وأدباءهم ، ويرغبونهم في البحث ، ويعملون على إبراز ما أبقى الزمان من مؤلفاتهم ، والاستفادة بها ، وكان قد نجا بعضهم اتفاقا حين دهمهم الفتح . ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض أمراء المغول وحكامهم قد اعتنقوا الدين الاسلامي ، وأخلصوا في الدفاع عنه بعد أن هجروا عقائدهم القديمة ، كالاميرين بركة خان ، وأحمد تكودار [2] ، ـ وبذلك دأبت على الانتشار

---

(١) كتاب الدولة الخوارزمية والمغول ص ٢٦٢ وما بعدها .

(٢) كتاب الدولة الإسلامية ٢٣٣ – ٢٣٨ .

بفضلهم حركة ناهضة في عالم الادب والفن والعلم ، لمع في سمائها علماء لا تجحد آثارهم ، كرشيد الدين الهمذاني[1] ، ونصر الدين الطوسي .

التأليف :

يبدو أن التأليف أجل ظاهرة يفخر بها العلم والأدب في هذا العصر[2] فقد أقبل عليه العلماء بحال جعلتهم ينشغلون به عن شئون الحياة ، ويتجهون بنفوسهم الى سد كل حاجة دينية أوفنية أوكونية بمؤلف أومؤلفات ، متسابقين في الاجادة والاكثار ، ولا غرو فقد حفلت مصر والشام بالعلماء والطلاب ، واكتظتا بمن وفد إليهما من جاليات الاندلس والمغرب . وألف كثير من علماء المشرق والأعاجم الممالئين للتتار أو الناشئين في ظلهم بعد إسلامهم كتباً جليلة في العلوم الإسلامية تدل على رسوخ قدمهم فيها ، كنصر الدين الطوسي ، وتلميذه قطب الدين الشيرازي . لكن تأثير بيئتهم العجمية ، جعل كتبهم صعبة التناول ، معقدة الاسلوب ، قليلة الفائدة ، ولم يكن لها في تقدم اللسان العربي وآدابه شأن يضاهي عظمتها في ذاتها .

ثم سلك التأليف طريقاً جديدة ، إذ اتجه كثير من العلماء إلى الجمع والاختصار أو الشرح والتوضيح أو ضبط حوادث التاريخ ووقائعه أو ما شاكل ذلك واعتمدوا فيما يؤلفون على ما نقلوه عن أسلافهم وعلى جهودهم الخاصة .

وقد عد بعض النقاد اعتمادهم هذا قصوراً ، وعملهم ضياعاً ، لا فائدة فيه ولا غناء ، وهاجموا العصر كله بسببهم ، فقالوا ان التأليف فيه خلو من الابتكار ، ليس إلا جمعاً من أشتات الكتب ، أو تقليداً ، لا أثر فيه للاجتهاد ، فقد ضاق المجال على العلماء بعد أن نضجت العلوم ، وتفرعت الصناعات والفنون ، وألفت فيها كتب كثيرة في العصر السابق .

والظاهر أن هذا القول فيه مبالغة ، فهو ان ساغ في بعض الكتب فلن يصح فيها كلها ، فقد ألف كثير من العلماء تآليف جمة يتضاءل أمامها كثير مما ألف

---

(١) هو رشيد الدين بن فضل الله الهمذاني مؤرخ المغول .

(٢) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص ١١٤ – ١٢٨ .

قبلها فعوضت على أهل العربية بعض ما أباده التتار والصليبيون من الكتب النفيسة ، وبقيت كنزا يرجع اليه كل راغب في احياء الآداب العربية الى وقتنا .

على أن التأليف قد امتاز بالمبسوطات أو الكتب الجامعة أو الموسوعات[1] وسبق أدباء القاهرة غيرهم في هذا المضمار كالنويري والعمري والقلقشندي ، وكان لكبار اللغويين الوافدين على مصر والشام من الاندلس والمغرب كابن مالك والشاطبي وابن مكرم الافريقي ، فضل مشكور ، في تنشئة من تتلمذ عليهم من العلماء الاعلام الذين ظهروا في العصور المتأخرة كابن هشام والسيوطي والدماميني الذين عاصروا طائفة من المشارقة كان لها أثرها معهم في المحافظة على تراث العلم والأدب بعد نكبة التتار كالسيد الجرجاني والتفتازاني ورضي الدين الاسترابادي وغيرهم ، ومن أشهر مؤلفات هذا العصر لسان العرب ، والقاموس المحيط ، ووفيات الاعيان وعيون الانباء في طبقات الاطباء ، وفوات الوفيات ، والوافي بالوفيات ونهاية الأرب ، وصبح الاعشى ، ومسالك الابصار ، وتاريخ أبي الفداء ، والذهبي وابن خلدون .

ولست أرى دافعا لظهور هذه الموسوعات سوى أنها جاءت أثرا لاعتداد العلماء بأنفسهم وثقتهم بها ، وسبيلا الى تباهيهم بالاحاطة الادبية ، وعلو كعبهم ، في كل ناحية علمية ، أو تلبية لرغبة سلطانية كما كان يحصل مع سلاطين المماليك وآل رسول ، والذي ساعد العلماء على اقتحام هذا الميدان والصمود فيه إنما هو جلدهم ، وسعة اطلاعهم ، وقوة نزعتهم إلى الجمع والاختصار أو الشرح والإيضاح . أما نشاط حركة التأليف فيرجع إلى أسباب هي :

١ ــ الرغبة في احياء التراث الذي عبثت به كوارث الغزو ، فانه عندما سقطت بغداد وأحرق التتار كثيرا من الكتب ، حفز العلماء شعور ديني دافق الى بذل الجهد لاعادة ذلك التراث المبعثر ، وتجديد ذلك المجد المندثر ، فهبوا يؤلفون ودأبوا في حركتهم حتى آتت أكلها .

٢ ــ تشجيع السلاطين في مصر والشام واليمن للعلماء ، فقد شدوا أزرهم وبعثوا فيهم حب التوثب ، وشجعوهم على الانتاج ، بما أغدقوا عليهم من

---

(١) تاريخ آداب اللغة ٣ : ٢٢٥ .

موصول العطاء .

٣ ـ التنافس العلمي بين مصر والشام ، فقد كان اتصال هذين القطرين مستمرا وبلغ تنافس العلماء فيهما أشده ، حتى رسخ في الاذهان ان العالم أو الأديب لا ينبغي أن يكرم بهذا اللقب إلا إذا أبرز أثراً علمياً أو أدبياً يستحق معه التكريم .

الشعر والنثر الفني :

بدت على الشعر في الجملة آثار التقهقر والاضمحلال ، وتغلغلت مظاهر الضعف في معانيه وأغراضه وأخيلته وفي ألفاظه وأساليبه ، فلم يعد يصدر عن الطبع والسليقة ، وقلّ ما كان له من روعة وقوة تأثير ، بسبب عدم تقدير السلاطين له . نرى ذلك واضحا في شعر عمر بن الوردي ، وصلاح الدين الصفدي وغيرهما .

أما النثر فقد اصبح كتابه يشغفون بتزيين الألفاظ وتجميلها وتنميق المعاني وتنسيقها بضروب المحسنات اللفظية والمعنوية ، وينصرفون عن العناية بالمعاني والأفكار الجوهرية واختيار الأساليب الملائمة لها ، حتى كان الكاتب يفكر في الألفاظ المزخرفة أولا ليؤلف منها المعاني ثانيا ، فجاء الكلام متكلفا خائرا لأنه جاء على نمط فيه مناهضة لأصل الفطرة وقد قيل عن أسلوبه إنه سيف من خشب في غمد من ذهب .

في هذا العصر الذي اتسم بهذه الاحداث السياسية والظواهر الثقافية والاجتماعية عاش الفيروزابادي .

ب ـ ترجمته

اسمه : الفيروزابادي مؤلف القاموس ، هو الإمام العلامة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي اسحاق إبراهيم الشيرازي المشهور بمولانا الشيخ مجد الدين الفيروزابادي الشيرازي اللغوي الشافعي الصديقي قاضي القضاة .

نسبته : ينسب إلى كارزين مسقط رأسه ، أو إلى فيروزاباد بلد أبيه وجده أو إلى شيراز عاصمة إقليمه وأول موطن لتعليمه ، أو إلى اثنتين من الثلاث ، أو اليها جميعا فيقال : الكارزيني ، أوالفيروزابادي ، أوالشيرازي ، أوالفيروزابادي الشيرازي ، أوالفيروزابادي الشيرازي الكارزيني . والاشهر نسبته الى فيروزاباذ[1] .

أسرته : الظاهر أن الفيروزابادي نشأ من أسرة متواضعة ، كانت بفيروزاباذ[2] ثم انتقلت إلى كارزين التي فيها ولد وعاش حتى التحق بوالده شيخ الإسلام سراج الدين يعقوب الذي كان يقيم بشيراز كثيراً طلباً للرزق ، على أن التاريخ لم يسجل لهذه الأسرة أية شهرة تذكر بها ، اللهم إلاَّ أن عميدها سراج الدين يعقوب كان شيخ الإسلام[3] .

نسبه : كان الفيروزابادي يذكر أنه من ذرية الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي صاحب التنبيه ، وأن جده الأعلى فضل الله هو ابن الشيخ أبي اسحاق .

لكن هذا النسب (كما نعلم) مطعون فيه ، فقد ثبت أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي لم يعقب ، واشتهر بأنه لم يتزوج[4] .

ولما تولى الفيروزابادي قضاء اليمن ، أذاع في الناس أنه من نسل أبي بكر الصديق[5] (رضي الله عنه) وبالغ في ذلك حتى كتب بخطه في عدد من كتبه لبعض نوابه (محمد الصديقي) .

وهذا ادعاء يحتاج الى ما يؤيد صحته ، وقد انتهى بنا البحث إلى أنه ليس له دليل يستند إليه ، فقد ذكر كثير من العلماء أن الشيخ مجد الدين ارتقى درجة ،

---

(١) الفيروزاباذي بالذال المعجمة نسبة إلى فيروزاباذ ، ولكن كثيرين ينطقونه بالدال المهملة كالزبيدي والسخاوي وغيرهما وقد رجعنا في ترجمته إلى مراجع كثيرة أهمها : الضوء اللامع ١٠ : ٧٩ – ٨٦ ومقدمة تاج العروس ص ١٤ – ١٥ والبدر الطالع ٢ : ٢٨٠ – ٢٨٤ وأزهار الرياض ٣ : ٣٨ ، ٤٠ . ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ والشقائق النعمانية ١ : ٩٢ ، ٩٣ – ودائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١١٣ ، وري الصادي .

(٢) ديباجة القاموس للهوريني ص ٣

(٣) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ٢٨ .

(٤) الضوء اللامع ١٠ : ٨٥ وأزهار الرياض ٣ : ٤٩ وديباجة القاموس للهوريني ص ٤ .

(٥) مقدمة تاج العروس ص ١٤ .

فادعى بعد أن ولي قضاء اليمن بمدة طويلة ، أنه من ذرية أبي بكر الصديق وزاد إلى أن كتب بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه : (محمد الصديقي) ولم يكن مدفوعا عن معرفة إلاَّ أن النفس تأبى قبول ذلك [1] .

مولده : يكاد يكون من المجمع عليه أن الفيروزابادي ولد في جمادى الأولى سنة ٧٢٩ هجرية ، فقد ذكر بعض الرواة أنه وجد بخط والده ما نصه : « ولد الشيخ الصالح المسعود بالطالع المرفود ، قرة العين المشهود ، وقوة الظهر المشدود مجد الملة والدين محمد بن يعقوب ، ضحوة يوم السبت العشرين من جمادى الأولى وقت طلوع برج السنبلة من جانب الشرق ، قرب الزوال ، سنة ٧٢٩ هـ » . [2]

هذه هي الرواية ، ونحن نشك في نسبتها إلى والد الفيروزابادي لعدة أسباب :

الأول : أنه قال : « ولد الشيخ الصالح المسعود » وليس من المقبول أن يلقب طفل صغير أو صبي لا تتجاوز سنه العاشرة بلقب من الالقاب مثل (الشيخ الصالح المسعود) لأن ذلك ينبئ على حسب الظاهر أن له ولداً يسمى الشيخ الصالح ، مع انه توفي وابنه صغير .

الثاني : أنه ورد في العبارة « مجد الملة والدين محمد بن يعقوب » وقد جرت العادة اذا أراد الوالد أن يتحدث عن ولادة ابنه أن يقول : « ولد ابني فلان في يوم كذا ساعة كذا » .

الثالث : أن وقت الولادة محدد تحديداً فلكياً مضبوطاً ، فهل كان الوالد عالما بالفلك ؟ أم أنه عرف هذا من بعض زملائه العلماء العارفين بتفاصيل هذا العلم ؟

الرابع : أنه ذكر في هذه العبارة « وقت طلوع برج السنبلة » ويخيل إليَّ أن هذا تعبير غير دقيق فلكيا ، فان البرج لا يطلع ، وانما ينتقل النجم اليه ، فيقال مثلا الشمس في برج السنبلة ، أو القمر في برج الحمل .

والمعقول أن بعض من عرفوا يوم ولادة الفيروزابادي أو سمع به ذكر هذه

---

(١) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ٢٩ وري الصادي ص ٦ .

(٢) سنة ٧٢٩ هـ تعادل سنة ١٣٢٧ م (انظر شرح خطبة القاموس للهوريني ص ٢٩) .

العبارة ثم نسبت فيما بعد الى والده لتصطبغ بصبغة يقينية ، ومهما يكن في نسبة هذه العبارة اليه من صواب أوخطأ ، فليس لدينا من الأدلة ما يجعلنا ننكر أو نشك في تاريخ ميلاد الفيروزابادي المذكور آنفاً .

وكانت ولادته بكارزين من أعمال شيراز ببلاد فارس ، بعد وفاة ابن منظور بثماني عشرة سنة ، حيث قال في القاموس : «كارزين[1] د بفارس منه محمد بن الحسن مقرئ الحرم ، وبه ولدت » .

نشأته وأطوار حياته :

١ ـ **في كارزين وشيراز** : بدأ يشم نسيم الحياة ويرد مناهل العلم بكارزين مسقط رأسه ووطنه الأول ، فالتحق بمدرستها ، وسجل نبوغاً عظيماً ، اذ يقال انه حفظ بها القرآن وجوّد الخط ، وهوابن سبع سنين[2] . ثم انتقل إلى شيراز ، ولما يتجاوز عمره ثماني سنوات ، وأخذ يتعلم الأدب واللغة عن والده .

لكني أشك في أنه حفظ القرآن كله ، وجوّد الخط ، وهو ابن سبع سنين اذ انه من البعيد أن يتقن صبي ، مهما يبلغ من النبوغ ، الكتابة والقراءة ويحفظ القرآن في هذه السن ، فان الطفل لا يستطيع أن يتعلم الكتابة في الأحوال العادية إلا بعد أن يتم الرابعة على أقل تقدير ، فكيف يستطيع طفل ، أي طفل ، أن يجيد القراءة والكتابة ويحفظ القرآن كله في ثلاث سنوات ؟

واغلب الظن أن هذا نوع من المبالغة والغلو في التقدير الذي يضفيه الرواة على العظماء ، وينسبونه اليهم في ايام صباهم ، يريدون بذلك أن نبوغهم لازم حياتهم وكان خارقا للعادة ، حتى في سني حياتهم الأولى .

ويظهر أنه كان ذكياً سريع الحفظ ، لم يقنع بما كان يتلقى عن أبيه ، فبادر الى الأخذ من غيره من مشاهير العلماء في شيراز ، أمثال القوام عبد الله بن محمود بن النجم ، والشمس أبي عبد الله محمد بن يوسف الانصاري الزرندي المدني الذي

---

(١) « كارزين بكسر الراء كما هو المشهور ومثله في الصغاني ، وضبطه السمعاني بفتحها » انظر أزهار الرياض ٣ : ٣٩ ، ٤٩ .

(٢) مقدمة تاج العروس ص ١٤ ، وري الصادي ص ٦ .

سمع منه صحيح البخاري ، وقرأ عليه جامع الترمذي بتروّ وإمعان وأظهر تفوقاً وإقبالا عظيمين .

٢ ـ **في العراق** : كان محباً للسفر ، ميالا إلى الرحلة في طلب العلم ، لا يثنيه بعد الشقة ولا تقف في سبيله عقبة ، فما كاد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى ترك شيرازوهاجر إلى العراق في غضون سنة ٧٤٥ هـ ، لانها كانت حينئذ ملتقى الثقافات ، ومعرض الآداب ، ومحك الآراء ، فدخل واسط ، وقرأ بها القراءات العشر ، على الشيخ شهاب الدين احمد بن علي الديواني ، ثم دخل بغداد ، وأخذ عن الشرف عبد الله بن بكتاش قاضيها ، ومدرس المدرسة النظامية بها ، وعمل عنده معيدا بهذه المدرسة سنين .

٣ ـ **في الشام** : وتاقت نفسه الى الشام فارتحل إليها في سنة ٧٥٥ هـ وكانت تعج بنوابغ العلماء ، ولعله كان حريصاً على الاغتراف من ثقافتها والتزود بألوان نهضتها فأسرع إلى الشيخ تقي الدين السبكي يستمع إليه فيها ، والى غيره من المشاهير أمثال ابن الخباز ، وابن القيم ، ومحمد بن اسماعيل بن الحموي ، واحمد ابن عبد الرحمن المرداوي ، واحمد بن مظفر النابلسي ، ويحيى بن علي بن مجلي ابن الحداد الحنفي بدمشق وبعلبك وحماة وحلب .

وأقام بالقدس ما يقرب من عشر سنين ، وانتفع هناك بما تلقاه عن العلائي والبياني ، والشمس العودي ، وغيرهم من علماء ذلك العصر .

ويبدو أنه كان في هذه الفترة قد نضج علمه ، وحان له أن يتصدر مجالس العلم ، ويتولى التدريس ، فهب يحاضر جمهور الطلاب والقصاد ، وظهرت فضائله وكثر الآخذون عنه ، وكان الصلاح الصفدي في مقدمة من تلقوا عليه العلم ، وحج من القدس الى مكة مرات .

٤ ـ **في القاهرة** : كان طموحاً يسعى دائما إلى الاستزادة من العلوم والفنون ، ولا يقف عند حد في طلبهما ، أو إذاعتهما في الناس ، فها هو ذا قد بلغ مرتبة العلماء ولكنه هرع إلى القاهرة وأخذ الحديث والتفسير والفقه وعلوم اللغة عن أشهر علمائها كالقلانسي ، والعز بن جماعة ، والمظفر العطار ، وناصر الدين

التونسي ، وابن هشام ، والعرضي ، وابن نباتة ، وقيل [1] انه قرأ البخاري بالازهر علي ناصرالدين محمد بن أبي القاسم الفارقي ، وكانت رحلته الى أولئك العلماء موفقة ، فقد استفاد بعلمهم وافادكثيرين هنالك بعلمه ، حيث أخذ عنه البهاء ابن عقيل والجمال الأسنوي ، أما ابن هشام فقد تلقى عليه الحديث ، كما أخذ هو عنه النحو .

٥ ـ **في مكة والهند** : رجع الفيروزابادي الى بيت المقدس ، وأقام به مدة يسيرة ، قصد بعدها إلى مكة المكرمة في سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ، ومكث فيها أربعة عشر عاما يدرس ويحاضر ، حتى سافر منها الى بلاد الهند تلازمه مآثره ، وأقام بِدهْلِيَ خمس سنين ، أكرمه فيها ملكها ، ورتب له الرواتب وجعله شيخ الحظيرة [2] وربط على بابه خمسة فيلة .

ثم عاد إلى مكة ، وأقام بها وبالطائف سنين ، واستمر فيها حتى طلبه السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد ، فقد بعث إليه يستدعيه من مكة بكتاب جاء فيه :

القائـل القول لوفـاه الزّمانُ بـه كانت لياليه أياماً بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغراء لو مزجت بالنار لم يك ما بالنار من حمم

وفي سنة ٧٩٤ هـ (سنة ١٣٩٢ م) لبّى دعوة السلطان ورحل إلى بغداد مع الركب العراقي بعد أن أدى فريضة الحج فأكرمه صاحبها وأقامه في كنفه وقتاً طويلاً .

ومن هناك ذهب إلى شيراز ثم إلى فارس ، واستقبل تيمورلنك [3] الذي احتفى به ، ولكن لما كان قد خرب المغول موطنه الأصلي ، لم يستطع أن يبقى ، وأسرع في العودة عن طريق هرمز إلى جنوب بلاد العرب حيث وصل الى بلاد اليمن وصار بمنأى عن مجرى الحوادث التاريخية العنيفة ، وتهيأت له الراحة والاطمئنان وتوفر له نشاط العلماء .

---

(١) الضوء اللامع ١٠ : ٨٠ .

(٢) حظيرة الفيلة لأن أمراء الهند كانوا يتنافسون في اقتناء الفيلة والعناية بها .

(٣) كان تيمورلنك قد فتح شيراز في سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٣ م) (العقود اللؤلؤية ٢ : ٢٦١) .

٦ ــ **في اليمن** : دخل الفيروزابادي (رَحَب) باليمن في شهر ربيع الأول سنة ٧٩٦ وأقام بها ، فلما علم به السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس ملك اليمن استدعاه إلى مدينة تعز ، وكتب الى ناظر عدن يومئذ بأن يجهزه بألف دينار ، فجهزه بها وشيعه إلى (تعز) فوصلها في ١٤ رمضان سنة ٧٩٦ هـ ، وتلقاه السلطان بالقبول [١] وأنزله منزلا كريما ، وصرف له ألف دينار ضيافة ، وتوالى إحسانه إليه ، وأقامه على الإعزاز والإكرام ينشر العلم ، فكثر الانتفاع به ، وقصده العلماء والطلبة واستفادوا منه ، وأقام في (تعز) عاما وبعض عام ، ثم ولاه السلطان القضاء الأكبر في أقطار المملكة اليمنية كلها في ٦ من ذي الحجة سنة ٧٩٧ هـ بعد ابن عجيل ، فاستقر بزَبيد لولاية القضاء ، ثم ندبه السلطان اماما شافعياً لمسجد الأشاعر بزبيد في ٢٣ من رجب سنة ٧٩٩ هـ ، وكانت كلمته مسموعة ، وشفاعته مقبولة ، وحكمه نافذاً في الأقطار اليمنية [٢] .

مصاهرة السلطان : ذكر جمهور المؤرخين أن السلطان الأشرف إسماعيل تزوج ابنة الفيروزابادي لفرط جمالها ، وروعة حسنها [٣] وأسبغ عليه نعمته ، ووثق به كل الثقة ، وذهب بعضهم كالاستاذ بركلمان إلى أن الفيروزابادي هو الذي تزوج ابنة السلطان [٤] . لكني أرجح أن هذا غير صحيح لسببين :

أولهما : أن السلاطين في ذلك العصر ، لم تسمح لهم أنفتهم أن يزوجوا بناتهم من شباب الرعية ، مع أنهم أباحوا لأنفسهم أن يتزوجوا من بناتها ، وبخاصة إذا ما رغبوا في كسب محبة الشعب .

والآخر : أن الفيروزابادي دخل اليمن شيخاً يناهز السبعين ، قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا ، فلم يبق فيه مطمع لفتاة ، وبخاصة اذا كانت أميرة وابنة سلطان .

واذن فالمعقول أن الأشرف هو الذي بنى بابنته كما ذهب الجمهور .

رغبته في سكنى الحجاز : في عام ٧٩٩ هـ ، رغب الفيروزابادي في الذهاب

---

(١) العقود اللؤلؤية ٢ : ٢٦٤ (٢) ري الصادي ص ١١ .

(٣) ري الصادي ص ١١ ومقدمة تاج العروس ص ١٤ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١١٣ .

الى البلاد الحجازية للزيارة والحج ، فكتب إلى السلطان الرسالة الآتية يستأذنه [1] :

كتابه إلى السلطان الأشرف : ومما ننهيه إلى العلوم الشريفة ، ضعف العبد ، ورقة جسمه ، ودقة بنيته ، وعلوسنه ، وقد آل أمره إلى أن صار كالمسافر الذي تحزم وانْتعل ، اذ وهن العظم ، والرأس اشتعل ، وتضعضع السن ، وتقعقع الشَّنُّ ، فما هوإلا عظام في جراب ، وبنيان قد أشرف على الخراب ، وقد ناهز العشر التي تسميها العرب دقاقة الرقاب ، وقد مر على المسامع الشريفة غير مرة في صحيح البخاري ، قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « اذا بلغ المرء ستين سنة ، فقد أعذر الله إليه » ، فكيف من ينيف على السبعين وأشرف على الثمانين ؟ ولا يجمل بالمؤمن أن يمضي عليه أربع سنين ، ولا يتجدد له شوق وعزم إلى بيت رب العالمين ، وزيارة سيد المرسلين ، وقد ثبت في الحديث النبوي ذلك ، والعبد له ست سنين بعيد عن تلك المسالك ، وقد غلب عليه الشوق ، حتى جل عمره عن الطوق ، ومن أقصى امنيته ، أن يجدد العهد بتلك المعاهد ، ويفوز مرة أخرى بتلك المشاهد ، وسؤاله من المراحم العلية الصدقة عليه بتجهيزه في هذا العام ، قبل اشتداد الحر ، وغلبة الأوام ، فان الفصل أطيب ، والريح أزيب ، وأيضاً كان من عادة الخلفاء سلفا وخلفا ، أنهم كانوا يبردون البريد لتبليغ سلامهم لحضرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، فاجعلني ، (جعلني الله فداك) ذاك البريد فلا أتمنى سواه ولا أريد :

شوقي إلى الكعبةِ الغراءِ قد زادا	فاستحمل القُلُصَ الوَخَّادةَ الزَادا
واستأذن الملكَ المنعامَ زيدَ عُلىً	واستودع اللهَ أصحابا وأولادا

رد السلطان : فلما وصل كتابه إلى السلطان ، كتب على طرته ما مثاله [2] : إن هذا الشيئ ما ينطق به لساني ، ولا يجري به قلمي ، فقد كانت اليمن عمياء فاستنارت ، فكيف يمكن أن نتقدم وأنت تعلم أن الله تعالى قد أحيا بك ما كان ميتاً من العلم ؟ فبالله عليك الا ما وهبت لنا بقية هذا العمر . والله يا مجد الدين ، يميناً بارة ، إني أرى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقك ، أنت اليمن وأهله ،

---

(١) الضوء اللامع ١٠ : ٨٣ – ٨٤ وأزهار الرياض ٣ : ٤٥ – ٤٦ ، وري الصادي ص ١٢ – ١٤ .

(٢) نفس المكان السابق .

فبحياتك إلا رجعت عن ذلك [1] .

ولعل في هذا دليلا على أن الفيروزابادي كان يتمتع بمنزلة رفيعة لدى السلطان .

وفي سنة ٨٠٢ هـ عاد يستأذنه في الحج والزيارة ، فأذن له فسافر في غرة رمضان الى مكة ، فحج ، وجاور بها نحو عام ، أشرف فيه على مدرستيه اللتين افتتحهما في المدينة ومكة باسم الأشرف ، ثم عاد إلى اليمن فوجد الأشرف مات قبل وصوله إليه [2] . واستمر مع الناصر أحمد ، كما كان مع أبيه ، وألف له كتباً أيضاً . وفي سنة ٨٠٥ هـ قدم إلى الحجاز ، وحج ، وأشرف على مدارسه في مكة والمدينة ، ثم رجع إلى اليمن وأقام بزبيد وبتعز يدرس في مدارسهما ، حتى تخرج عليه في اليمن والحجاز كثير من العلماء .

وكان يجب الانتساب إلى مكة ، ويكتب بخطه (الملتجئ إلى حرم الله تعالى) .

هذه هي حياته الحافلة التي قضاها متنقلا بين الأقطار والأمصار ، في آسية وإفريقية متخذاً له من تلك الرقعة الواسعة ، وطناً واحداً ، وفق فيه إلى الأخذ عن جهابذة العلماء ، ، والافادة بعلمه وتجاربه .

شيوخه : ألمعنا فيما سلف إلى اساتذة الفيروزابادي ، ونستطيع ان نقرر هنا ان ثقافتهم جميعا كانت عربية اسلامية دينية ، اعتمدت على علوم الشريعة المحمدية واللغة العربية ، وأنهم كانوا من فطاحل العلماء الذين يعتبرون غرة في جبين الزمن ، وليس من الإطالة أن أشير إلى بعضهم على سبيل التمثيل :

---

(١) تقعقع : اضطرب وتحرك .
الشَّنّ : القربة الخلق الصغيرة .
أزيب : يبعث القوة والنشاط .
الأُوام : العطش أو حَرّه أو دوار الرأس .
الطوق : الوسع والطاقة.
تضعضع : ذلَّ وافتقر .
السِّنُّ : مقدار العمر ، أي كاد العمر ينتهي .
القُلص الوخادة : القلص جمع قلُوص وهي الناقة الطويلة الشابة . والوخادة : السريعة .

(٢) توفي السلطان الأشرف إسماعيل في ١٨ صفر سنة ٨٠٣ هـ ، كما في كتاب العقود اللؤلؤية ٢ : ٣١٦

١ – الشمس أبو عبد الله محمد بن يوسف الأنصاري الزرندي المدني : درس الفقه والحديث واللغة على خيرة العلماء ، وعاش أول حياته بالمدينة ، ولما بلغ أشده ، وظهر بين العلماء فضله ، اختير فولي القضاء بشيراز ، وقد أرخ مولده في سنة ٦٩٣ هـ وقيل مات سنة ٧٤٧ هـ ، وله مؤلفات قيمة كبغية المرتاح [١] .

٢ – احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرداوي الحنبلي ولد سنة ٧١٢ هـ بمرو ، وقدم دمشق فتفقه ومهر في العلم واللغة وسمع من ابن الشحنة والذهبي وغيرهما ، وحدث ، ثم ولي قضاء حماه مدة ، ودرس وأفاد ، وله نظم ونثر جيدان ، ومات سنة ٧٨٧ هـ [٢] .

٣ – احمد بن مظفر بن أبي محمد النابلسي ثم الدمشقي : ولد سنة ٦٧٤ أو سنة ٦٧٥ هـ ، وكان عالما متفقها بشئون دينه عارفاً بتفسير الكتاب والحديث ، متقنا للغة وعلومها ، وكان نفورا يميل إلى البعد عن الناس ، والخلوة بنفسه ، ولم يتزوج طول حياته ، ومات وهو ساجد سنة ٧٥٨ هـ ، وكتب كثيراً ، وعلّق وألّف وخرّج [٣] .

٤ – يحيى بن علي بن مجلي بن الحداد الحنفي : ولد سنة ٦٦٦ هـ بدمشق ولما اكتمل علمه بالشريعة واللغة والانساب تولى التوقيع بطرابلس ثم ولي كتابة الانساب بها ، ثم عاد إلى دمشق ، فاقام هناك بطالا ومات سنة ٧٥٧ هـ [٤] .

٥ – محمد بن إسماعيل بن عمر بن الحموي : ولد سنة ٦٨٠ هـ ، وعني به أبوه فأسمعه كثيراً من الحديث والتفسير والفقه وعلوم اللغة ، ويقال إنه تفرد بسماع السنن الكبير ، وسمع من الفخر بن البخاري وغيره ، وله مسموعات في مجلدين مات سنة ٧٥٧ هـ [٥] .

٦ – القلقشندي : (شهاب الدين أبو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سليمان بن إسماعيل القلقشندي المصري الشافعي الشهير بابن أبي غدة) كما في صدر كتابه « قلائد الجمان في التعريف بقبائل العربان » ، وولد بقلقشندة قرية بجوار قليوب ونسب اليها ، وتفقه بالادب ، وكان قوي الحافظة ، وعى

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٢٩٥ . (٢) الدرر الكامنة ١ : ١٦٨ . (٣) الدرر الكامنة ١ : ٣١٧

(٤) الدرر الكامنة ٤ : ٤٢٢ . (٥) الدرر الكامنة ٣ : ٣٨٩ .

اهم علوم عصره ، وتولى كتابة الانشاء سنة ٧٩١ هـ في دولة المماليك بمصر ، وألف كتابه (صبح الأعشى) وتوفي سنة ٨٢١ هـ [١] .

تلاميذه : تخرج على الفيروزابادي علماء ، لهم مكانتهم وآثارهم ، كابن حجر ، والصلاح الصفدي ، والبهاء بن عقيل ، والجمال الاسنوي .

١ ــ ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني الكناني) ولد في مصر العتيقة سنة ٧٧٣ هـ وأصل والده من عسقلان ، أحب الشعر ، وعكف على العلم وتعاطى التجارة بمصر ، وسافر إلى الصعيد وفلسطين ثم اليمن حيث تعرف إلى الفيروزابادي في زبيد ، وأخذ عنه ، وعاد إلى القاهرة ، ثم تعددت رحلاته إلى اليمن وغيرها ، ووجه عنايته إلى الحديث والفقه وتولى الافتاء والتدريس ، وكثر تلاميذه ، وعينه الملك الأشرف برسباي قاضي قضاة مصر كلها سنة ٨٢٧ هـ ، وكان حجة واسع العلم كثير المؤلفات ، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ [٢] .

٢ ــ الجمال الاسنوي (الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن ابن علي بن عمر بن ابراهيم الأرموي الأسنوي نزيل القاهرة) ولد سنة ٧٠٤ هـ وقدم القاهرة سنة ٧٢١ هـ ، وأخذ العلم واللغة والحديث عن أفاضل العلماء ، وفي مقدمتهم الفيروزابادي ، ثم لازم التدريس والتصنيف وولي وكالة بيت المال والحسبة ، وكان واسع العلم عظيم النفع توفي سنة ٧٧٢ هـ [٣]

ومما هو جدير بالذكر أن السلطان الملك الأشرف إسماعيل [٤] ملك اليمن وابنه الناصر أحمد كانا من تلاميذ الفيروزابادي فقد تلقيا عنه علوم الشريعة والعربية ، كما أن السلطان بايزيد بن السلطان مراد العثماني قرأ عليه الأدب واللغة وأكسبه مالا وجاها [٥] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ١٣٣ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ١٦٥ .
(٣) البدر الطالع ١ : ٣٥٢ .
(٤) البدر الطالع ٢ : ٢٨١ وري الصادي ص ١٠ ومقدمة تاج العروس ص ١٤ .
(٥) مقدمة ابن الطيب الفاسي ١ : ٥ (إضاءة الراموس) .

ثقافته : كان الفيروزابادي يحب التنقل ، فسافر إلى بلاد كثيرة وأخذ عن أشهر علمائها ، لكن أشياخه في الجملة كانت ثقافتهم عربية دينية ، أخذها عنهم ، وأضافها إلى ثقافة فارسية موروثة ، وثقافة طبية معاصرة ، فتكون له من هذه الثقافات لون ثقافي جامع بينها .

ويبدو أنه كان ملتقى لثقافات البلاد التي طاف بها ، والأمصار التي أقام فيها حيث كانت واضحة الأثر في معجمه الذي سنتحدث عنه .

أخلاقه وصفاته : لعل اتصال الفيروزابادي بخيرة العلماء ، فوق طبيعته الخيرة ، كان سبباً فيما تحلى به من كريم الأخلاق والصفات ، فقد عرف عنه الصبر والحزم والاناة مع الهيبة ، والوقار ، واشتهر بالتقوى والورع والصلاح ، حج بيت الله مراراً ، وطابت له مجاورة الرسول أعواماً ، ولَذَّ له نشر الدين والعلم ، وكان عادلاً نزيهاً ، براً بالفقراء ، نقي السريرة ، طيب السيرة ، متمسكاً بتعاليم الشريعة الغراء .

غير أنه تحدث عن الأمور الجنسية ، بأكثر مما يجب ، وعني بها عناية ظاهرة ، تدل على تقدير شخصي لها ، وربما كان هذا ميلاً نما عنده أيام الشباب وحين كان يتمتع بموفور الصحة والعافية ، فضلاً عما كان لديه من غريزة الاستيعاب في التأليف .

ولا أظن ذلك أخرجه عن الحلال ، فالمعروف عنه أنه دين مستقيم ، أما من الناحية المالية فقد كان مسرفاً ، حتى أنه كان يملق أحياناً بسبب تبذيره فيضطر لبيع كتبه[1] .

صلته بالسياسة : يستطيع الباحث أن يقرر أن الحركة العلمية لا تسير جنبا لجنب مع التطورات السياسية ، فقد تسوء السياسة إلى حد ما ، وتزدهر بجانبها العلوم والفنون والآداب .

نعم ، تَحْسُنُ السياسة ، فينتشر العدل والرخاء واليسر ، ويكفهر جوها فيضطرب الناس ، وتسوء حالهم ، ولكن لا يتأثر العلم بهذا وذاك ، مادام العلماء في عزلة

---

(١) ص ٣٦ من هذا الكتاب .

عن السياسة ، وما تجره أحياناً من التنكيل بمن يدخل في أمورها ، ويتغلغل في شؤونها .

كان الفيروزابادي من الذين عاشوا في واد ، والسياسة في واد آخر ، لا شأن له بالفتح والفاتحين ، ولا هم له إلاَّ بالعلم والأدب ، ولا تشغله إلا علوم اللغة والدين . وقد عرف بذلك ، فأحبه الحكام والرؤساء[1] ، وأجلته الرعية فصار موضع إكرام الجميع وتوقيرهم .

على أن هذا قد مكنه من البحث العلمي الهادئ ، وأَمَّنَهُ ضد العدوان السياسي الغاشم ، وقد قضى حياته بهذه الحال يقول ما قال الفارابي :

أَخي خَلِّ حَيِّزَ ذي باطل ... وكُنْ للحَقيقة في حَيِّز
فما الدار دار مُقَامٍ لنا ... وما المرء في الأرض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على ... أقل من الكلم المُوجَزِ
محيط السموات أَوْلَى بنا ... فماذا التنافس في مركزِ

أدبه وعلمه : اشتغل الفيروزابادي بالعلم صغيراً ، ورحل في طلبه كبيراً ، وطاف البلاد فاتسعت مداركه ، وكثرت معارفه ، وذاعت مآثره ، وصار إماماً في علوم اللغة والشريعة ، واعترف له الجميع بالفضل ، فلم يدخل بلداً إلا أكرمه متوليه ، وبالغ في تعظيمه ، مثل شاه منصور بن شجاع صاحب تبريز ، والأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، وأحمد بن أويس صاحب بغداد ، والسلطان بايزيد بن السلطان مراد متولي بلاد الروم ، وأعطاه الأمير تيمورلنك أكثر من خمسة آلاف دينار[2] .

كان من أئمة اللغة الفارسية كما برع في الفنون العلمية ولا سيما اللغة العربية ، و « كان عديم النظير في زمانه نظما ونثرا بالفارسي والعربي »[3]

ومن شعره مما كتبه عنه الصلاح الصفدي (رحمهما الله) :

احبتنا الأماجدَ ان رَحَلْتم ... ولم تَرْعَوْا لنا عَهْداً وإلاَّ
نُوَدِّعْكُمْ ونودعْكم قلوباً ... لعلَّ الله يجمعنا وإلَّا

---

(١) البدر الطالع ٢ : ٢٨١ وديباجة القاموس للهوريني ص ٣ .

(٢) مقدمة تاج العروس ص ١٤ .

(٣) الضوء اللامع ١٠ : ٨٣ .

وقرأ بدمشق بين بابي النصر والفرج ، تجاه بغل النبي (صلى الله عليه وسلم) على (ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهبل) صحيح مسلم في ثلاثة أيام ، فقال :

قرأتُ بحمد الله جامع مُسْلِم بجوف دمشق الشام جوفا لإسلام
على (ناصر الدين الامام بن جهبل) بحضرة حُفَّاظٍ مشاهيرَ أعلام
وَتَّم بتوفيق الإله بفضله قراءة ضبط في ثلاثة أيام

وكان قدوة يحتذى ، ولا زالت آثاره في اللغة والدين والعلم موضع تقدير وإعجاب ، وفي الحق أنه :

علامة العلماء واللُّجُّ الذي لا ينتهي ولكل بحر ساحلُ

كتبه ومؤلفاته : اقتنى الفيروزابادي كتباً كثيرة نفيسة ، اشتراها بخمسين ألف مثقال ذهبا كما أثر عنه ، كان يصطحبها أو يصطحب أكثرها في ترحاله وحله ، ويخرجها في كل منزل ، وينظر فيها ، ويعيدها إذا رحل ، وكان اذا أملق باعها [1] .

وقد أقبل على التصنيف ، فألف كتباً نافعة تربى على الأربعين ، ككتاب (الإصعاد) الذي أهداه للأشرف إسماعيل ، وكتاب (تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول) الذي أهداه لابنه الناصر أحمد [2] .

شرح الجامع الصحيح للبخاري شرحا ممتعا ، وروى الكتب الستة ، وسُنَنَ البَيْهَقي ، ومُسْنَد أحمد ، وصحيح ابن حِبَّان ، ومُصَنَّفَ ابن أبي شيبة وغيرها ، ومن تصانيفه القيمة :

في التفسير : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (في مجلدين) . تنوير المقباس في تفسير ابن عَبَّاس (في أربعة مجلدات) . تيسير فاتحة الإهاب في تفسير فاتحة الكتاب (في مجلد كبير) . الدر النظيم والمرشد إلى مقاصد القرآن العظيم . حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص . شرح قطبة

---

(١) البدر الطالع ٢ : ٢٨١ وري الصادي ص ١٧ . (٢) ري الصادي ص ١٥ .

الخشاف في شرح خطبة الكشاف .

في الحديث والتاريخ : شوارق الأسرار العلمية في شرح مشارق الأنوار النبوية (في أربعة مجلدات) . منح الباري بالسيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري . عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام (في مجلدين) . امتضاض السهاد في افتراض الجهاد (في مجلد واحد) . الاسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد (في ثلاثة مجلدات) . المرقاة الوفية في طبقات الحنفية . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة . الفضل الوفي في العدل الأشرفي . نزهة الأذهان في تاريخ اصبهان . تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول . الاحاديث الضعيفة . الدر الغالي في الأحاديث العوالى . سفر السعادة . المتفق وضعاً والمختلف صنعاً . النفحة العنبرية في مولد خير البرية . الصِّلاَت والبُشَر في الصلاة علي خير البشر . الوصل والمنى في فضل منى . المغانم المُطَابَةْ في معالم طَابَةْ . مُهَيِّج الغرام إلى البلد الحرام . روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر . المرقاة الارفعية في طبقات الشافعية . تعيين الغرفات للمعين على عَين عرفات . منية السُّول في دعوات الرسول . التجاريح في فوائد متعلقة باحاديث المصابيح . تحفة القماعيل فيمن يُسَمَّى من الملائكة والناس اسماعيل . اسماء السَّراح في اسماء النكاح . الجليس الأنيس في اسماء الخندريس (في مجلد) . ترقيق الأَسَل في تصفيق العسل (في كراسين) . التحف الظَّرائف في النُّكَت الشرائف . أَحَاسن اللطائف في محاسن الطائف . إثارة الحَجُون لزيارة الحَجُون . فَضْل الدرة من الخَرَزَةْ في فضْل السَّلامة على الخبَزَةْ[1] .

في اللغة : اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب[2] . القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط (في مجلدين). مقصود ذوي الالباب من علم الأعراب (في مجلد) . تحبير المُوَشِّين فيما يقال بالسين والشين . المثلث الكبير (في خمسة مجلدات) . المثلث الصغير . الروض المسلوف فيما له اسمان إلى أُلوف . أنواء الغيث في أسماء الليث . زاد المعاد في وزن بانت سعاد (وشرحه في مجلدين) . أسماء العادة في اسماء الغادة .

---

(١) هما قريتان بالطائف . (٢) انظر هامش ص ٧١ من هذا الكتاب .

تاريخ وفاته : كان الفيروزابادي يرجو وفاته بمكة المشرفة ، لكن الله قدر له أن يتوفى في مدينة زبيد ، وقد ناهز على التسعين [1] ، ولم يزل متمتعاً بسمعه وبصره ، متوقد الذهن ، حاضر العقل ، مهيبا ، معظما في النفوس ، إلى أن مات (رحمه الله) قبيل نصف ليلة الثلاثاء العشرين من شوال سنة ٨١٧ هـ (١٤١٥ م) على الأصح [2] وهو قاضي قضاة المملكة اليمنية ودفن بتربة الشيخ إسماعيل الجبرتي [3] .

والفيروزابادي آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن فاق فيه أقرانه في القرن التاسع الهجري ، وهم : الشيخ سراج الدين البلقيني في الفقه على مذهب الشافعي والشيخ زين الدين العراقي في الحديث ، والشيخ سراج الدين بن الملقن في كثرة التصانيف في الفقه والحديث ، والشيخ شمس الدين الفناري في الاطلاع على العلوم العقلية والنقلية والعربية ، والشيخ أبو عبد الله ابن عرفة في فقه المالكية بالمغرب ، وولي الدين بن خلدون في التاريخ وطبائع العالم ، والشيخ مجد الدين الفيروزابادي الشيرازي في اللغة . رحمهم الله تعالى أجمعين .

---

(١) قيل مات وله من العمر بضع وثمانون سنة (مقدمة تاج العروس ص ١٥) .

(٢) وقيل مات سنة ٨١٦ هـ .

(٣) الشيخ الجبرتي (٧٢٢ – ٨٠٦ هـ) كانت له أحوال ، ولأهل زَبيد فيه اعتقاد كبير ، وكان يلازم قراءة سورةيس ، ويأمر بها ويزعم أن قراءتها لقضاء كل حاجة ، بشر بانتصار السلطان الأشرف في حرب ، وصدق فأحبه وأكرمه . (البدر الطالع ١ : ١٣٩) .

الفصل الثاني

المعجم وتطوره

فكرة المعجم :

يبدو أن فكرة المعجم كانت ترافق الزمن من أقدم العصور ، وتحتل المكان الأكبر من عناية الأمم الغابرة ، تعزيزاً لقوميتها ، وابرازاً لشخصيتها ، لكنها بدأت تظهر لدى الصينيين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، اذ ألف علامتهم باوتشي معجماً لغوياً يحوي أربعين ألف كلمة .

على أنها جعلت تتغلغل في نفوس الشعوب الأوروبية ، حتى بدت في آفاقها نامية واضحة ، فألف وارو المتوفى سنة ٢٨ ق . م ، أقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية [١] وألف بعده بقليل أبولونيوس الغراماطيقي الاسكندري معجما للغة هوميروس في عصر أوغسطس .

ثم تهيأت الأذهان على توالي السنين ، وشغف بعض علماء اليونان بهذا الضرب من الأسفار ، فألف يوليوس بولكس معجما كاملا للغة اليونانية سنة ١٧٧ م . [٢]

ولست اذكر في الأمم الحديثة أمة أسبق من العرب إلى تأليف معجم اللغة ، فهم الذين بادروا إليه ، ووضعوا فنه ، وابتكروا طريقته ، وعنهم أخذ الغربيون .

أما كلمة (معجم) في لغة العرب ، فهي اسم من أعجم الحروف ، بمعنى

---

(١) اسم هذا المعجم Lingua Latina

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٣٠٦ (بتصرف) .

أزال عجمتها وإبهامها أي نقّطها ، والحروف الهجائية نوعان : معجمة أي منقوطة . ومهملة أي غير منقوطة ، وسميت الحروف الهجائية كلها بحروف المعجم ، واصطلح العلماء على تسمية كل كتاب مرتب على الحروف الهجائية ، باسم المعجم ، كما في معجم الأدباء ، ومعجم البلدان ، ومعجم الجوهري ، وغيرها ، ثم صار لفظ (المعجم) علما بالغلبة على متن اللغة المرتب على الحروف الهجائية ، ثم توسعوا فأطلقوه على متن اللغة المرتب على حسب المعاني ، كما في فقه اللغة للثعالبي ، والمخصص لابن سيده .

نشأة معجم اللغة العربية وتطوره :

ولد معجم اللغة العربية في العصر العباسي الأول ، وأخذ ينمو تدريجياً حتى نضج ، واكتمل نموه في القرن الرابع الهجري ، ونبغ فيه طائفة كبيرة من العلماء ، ويمكن أن نبين المراحل التي مر بها فيما يلي :

١ - رسائل فطرية :

كان المثقفون في العهد الأول ، وصدر من الدولة العباسية ، لا يلتفتون لجمع اللغة ، لأنها تؤخذ من أفواه العرب ، ومن شاء أن يتعلمها ، فليأخذها من بادية البصرة والكوفة في العراق ، أو من بادية العرب في الشام ، فلما جاءت موجة التدوين وتخصصت كل فرقة لعلم ، اشرأب قوم لجمع اللغة ، وأخذوها من مصادر متعددة :

المصدر الأول : كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : فقد وجدوا فيه مادة غزيرة ، اجتهدوا في تحديد معناها ، وعنوا بلهجات العرب لتفهم قراءاته ، وبالمعرب والأصيل لما فيه منهما ، وتذاكروا اشتقاق ألفاظه ، ووازنوا بين كلماته المختلفة ذوات المبنى الواحد لتمييز معانيها ، ووجوه الشبه بينها .

المصدر الثاني : أحاديث الرسول (عليه السلام) التي ثبتت صحتها ، فقد أثر عنه أنه قال : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، وأني نشأت في بني سعد

ابن بكر» .

المصدر الثالث : ما ورد من الآثار العربية في العصر الجاهلي والعصور الاسلامية الأولى ، بما فيه من الشعر الموثوق بصحته والمعترف بعربية قائله ، أو شعر الاحتجاج .

المصدر الرابع : لغة البدو : ذلك أن العلماء لم يكتفوا بالمصادر الثلاثة السابقة ، بل ساحوا في جزيرة العرب بين القبائل يجمعون ما يستطيعون ، وضربوا أكباد الابل إلى البادية بمدادهم وصحفهم يقضون فيها بين ظهراني الأعراب الأشهر بل السنين الطوال ، يعاشرونهم ، ويصغون إليهم في أحاديثهم الطبيعية ، ويدونون ما يسمعون ، وكانوا شديدي الحيطة إلى حد الافراط ، يتحاشون الأخذ عمن تشوب عربيته أية شائبة [1] ، وأودعوا كل ذلك كتبهم التي كانت نواة لمعاجم اللغة .

المصدر الخامس : الكتب والصحف : كان الأخذ من الكتب والصحف التي تركها الأقدمون دون كل ذلك .

من هذه المصادر كان الرعيل الأول من العلماء يستقي اللغة ، أما من جاء بعد ذلك ، فقد اعتمدوا على من قبلهم ، وأخذوها عنهم ، بالاملاء أو بالسماع ، وما كادت تنقضي هذه الحركة حتى أخلفت للناطقين بالضاد ، ذخيرة قيمة من رسائل جمعت فيها كلمات لا تخضع لأي ضرب من ضروب الترتيب ، ودونت بها ألفاظ حيثما اتفق من غير نظر لاتحاد الموضوع ، اذ كان أول هم للعلماء أن يدونوا أكثر ما يستطاع من الألفاظ ، من غير ترتيب الا ترتيب السماع ، وهذه هي الرسائل الفطرية التي كانت اللبنة الأولى في بناء المعجم .

٢ – معجمات خاصة :

خطا المعجم خطوة جديدة ، اذ خطر لعلماء اللغة أن يضبطوا مفرداتها بشكل مفصل مبوب ، فوضعوا في كل موضوع من الموضوعات التي تناولها الأدباء

(١) فقه اللغة ص ١٠٨ .

والشعراء والكتاب رسائل تجمع الألفاظ الخاصة بها ، مستعينين بما خلف السابقون ، وصارت كل رسالة موحدة الموضوع ، جامعة لكلماته ، وسموها كتابا ، فقالوا : كتاب الخيل ، وكتاب الابل ، وكتاب النخل والكرم[1] ، وسميت هذه الكتب بالمعجمات الخاصة ، وكانت قد بدأت منذ أشرقت شمس بني العباس ، ثم أخذت تنهمر انهمار الغيث أوله قطرة .

وكان أول من فكر في هذا النوع من التأليف أبو زيد والأصمعي ، ومما أَلِّفَ منه : كتب الأصمعي في الدارات ، والسلاح ، والابل ، والخيل ، والنبات ، والشجر ، وكتب ابن دريد في صفات السرج ، واللجام ، والسحاب ، والغيث . وكتب أبي زيد في المطر ، واللبن ، والغرائز . وكتب أبي حنيفة في الأنواء ، والنبات . وكتب ابن قتيبة في الرحل ، والمنزل . وكتب أبي حاتم في الأزمنة ، والحشرات ، والطير . وكتب يعقوب في النبات ، والأصوات ، . وكتاب الفيروزابادي في المترادف[2] ، وكتابا ابن خالويه في أسماء الأسد ، وأسماء الحية . وكتاب أبي هلال العسكري في الألفاظ التي تطلق على بقايا الأشياء . والكتب التي ألفت في الأضداد لقطرب ، وابن السكيت ، وأبي بكر بن الأنباري ، وعبد الله بن محمد التوزي ، وابن الدهان ، وابن درستويه . والمعجمات الفلسفية والعلمية وما اليها ككتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي والتعريفات للجرجاني ، وكان لهذه الكتب وأمثالها أثر كبير فيما بلغه المعجم بعد ذلك .

٣ – معجمات جامعة :

أما الخطوة الثالثة ، فهي وضع معجم يشمل الكلم العربي على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة . وقد عدها الباحثون انتقالا إلى الأمام بكتب متن اللغة . وللعلماء في تأليف هذه المعاجم نظامان : أحدهما ترتيبها على الحروف الهجائية ، والآخر مراعاة المعاني .

---

(١) ضحى الإسلام ٢ : ٢٦٣ – ٦٤ .

(٢) الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف .

١ – معجمات المعاني :

وهي معجمات جامعة تحصي المفردات الموضوعة لمختلف المعاني بعد ترتيبها بطريقة خاصة ، وتذكر الألفاظ التي تقال للتعبير عن كل معنى منها ، ومن أشهرها خمسة كتب : أحدها كتاب الألفاظ لابن السكيت (١٨٦ – ٢٤٤ هـ) ، وثانيها الألفاظ الكتابية للهمذاني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، وثالثها مبادئ اللغة للاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، ورابعها فقه اللغة للثعالبي (٣٥٠ – ٤٢٩ هـ) ، وخامسها المخصص لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ[١] .

والمخصص معجم معنوي شامل ، لإرشاد من يدرك المعنى ولا يعرف اللفظ الدال عليه ، ذكر فيه مؤلفه ما للمسمى من أسماء ، وما للموصوف من صفات ، مراعيا في وضعه تقديم الأعم ، فالأعم على الأخص ، فالأخص ، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات ، والابتداء بالجواهر ، والتقفية بالأعراض ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل . مثال ذلك ما في صدر الكتاب من القول عن (خلق الإنسان) فقد بدأ بتنقله وتكونه ، ثم أردف بكلية جوهره ، ثم بطوائفه ، وهي الجواهر التي تأتلف منها كليته ، ثم ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان إلى ما يتبعها من الأعراض والخصال ، وقد رتبه على حسب المعاني لا الحروف ، وقسمه إلى كتب ، وكل كتاب إلى أبواب ، وكل باب تحته عنوانات شبيهة بالفصول ، كما فعل في كتاب خلق الإنسان ، وكتاب الغرائز ، وكتاب اللباس ـ مسميا الموضوع كتابا ، وجامعا له كلماته مرتبة منظمة .

ويبدو أنه استقصى المترادف والمتضاد والمشترك ، وعالج قوانين الصرف كالقلب والابدال ، وتحدث عن المقصور والممدود والجموع وغيرها في فصول خاصة ، أواخر الكتاب ، واعتمد في تأليفه على كتب الأصمعي وأبي زيد والفراء والخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي النحوي وغيرهم[٢] ، وهو كفقه اللغة للثعالبي لكنه أوسع مادة ، وأحسن تنسيقا ، ويعتبر أوفى كتاب في موضوعه[٣].

---

(١) ضحى الإسلام ٢ : ٢٦٤ – ٦٥ وفقه اللغة ص ١٨٨ – ٨٩ .

(٢) مقدمة المخصص ص ٩ وما بعدها (بتصرف) .

(٣) المخصص سبعة عشر جزءاً ، ويسمي المؤلف الجزء منه سفراً وهو مطبوع .

٢ - معجمات الألفاظ :

وتسمى **المعجمات العامة** ، ويدعوها ابن سيده **الكتب المعجمة** :

وهي معجمات جامعة ترمي إلى شرح معاني المفردات بعد ترتيبها ترتيبا خاصا يسهل على من يريد الوقوف على معنى كلمة أن يرجع إليها في مواطنها ـ وهي مرتبة على حسب الحروف الهجائية لتدل الباحث على مطلوبه بسهولة كالصحاح وأساس البلاغة .

وبذلك تدرج المعجم ، من رسائل فطرية ، إلى رسائل ذات موضوع واحد ، ثم إلى كتب جامعة للغة في صورة تامة تميزت باطلاق اسم المعجم عليها ، ومبتكرها الخليل بن أحمد .

وكانت كل مرحلة من مراحل هذا التدرج تسلم إلى ما بعدها ، ولا يعكر على فكرة هذا الترتيب الا أن الخليل وهو صاحب الحلقة الثالثة كان أسبق زمنا من الأصمعي وأبي زيد الأنصاري واضعي الثانية. ولكن يمكن الرد على هذا :

١ - بأن الثلاثة عاشوا معا ، وتعاصروا زمنا طويلا ، فالخليل عاش (من ١٠٠ - ١٧٥ هـ) والأصمعي (من ١٢٢ - ٢١٣ هـ) ، وأبوزيد (توفي سنة ٢١٥ هـ) عن بضعة وتسعين عاماً ، وربما سبق الأصمعي وأبا زيد بالتأليف في المفردات .

٢ - وبأن الخليل (على ما عليه أكثر المحققين) وضع الفكرة فقط ، ولم يستطع أن يملأها وينفذها من قاربه في الزمن مثل الاصمعي وأبي زيد ، لأن فكرة الخليل كانت طفرة في التفكير ، وكانت قبل زمانها ، وانما الذي استطاع أن يملأها وينفذها من أتى بعده وبعد الأصمعي وأبي زيد .

لهذا لا تزال فكرة التسلسل صحيحة معقولة . ومع هذا فلا الخليل ولا غيره ممن أتى بعده من أصحاب المعاجم ، استطاعوا أن يجمعوا الألفاظ العربية كلها ، ولا أن يستقصوا معاني الألفاظ التي جمعوها . وآية ذلك أن كلمات كثيرة وردت في الشعر الجاهلي والاسلامي تستعمل استعمالا ، لا يتفق وما في

هذه المعاجم[1] .

مدارس المعجمات اللفظية

تنوعت طرائق هذه المعجمات ، وظهرت لها مدارس أربع :

١ – مدرسة الخليل بن أحمد (١٠٠ – ١٧٥ هـ) :

والخليل هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي البصري ، أول من ضبط اللغة ، ووضع فيها كتاباً سماه (العين) كان أصلا لكل المعاجم التي ألفت بعده ، وأول من أخرج علم العروض إلى الوجود ، وضبط أوزان الشعر ، ووقعها على المقاطع والحركات ، وأول من استقصى أنواع الألحان في أغاني العرب ، وزم أصناف النغم ، ووضع في ذلك كتاب الموسيقى ، وعنه أخذ سيبويه النحو . كان فقيراً ، لكنه ما كان يبالي بالدنيا ، حتى أن سليمان بن علي لما طلبه إلى الأهواز لتأديب ولده ، لم يجب طلبه ، وآثر البقاء مع تلاميذه الذين يأنس بمحاورتهم ، ومجالستهم كسيبويه ، والنضر بن شميل ، ومؤرج السدوسي ، وعلي بن نصر الجهضمي . وكانت صوفيته في العلم وزهده وعفته وبعده عما في أيدي الناس مضرب المثل[2] .

وللخليل فضل على رجال العربية إلى اليوم ، فهو زعيم الدراسة المعجمية ، وصاحب فكرتها ، وقد سمى معجمه (العين) ، جريا على عادة العرب ، لأنهم كانوا يسمون الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ككتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ، أو بأول أجزائه ككتاب الحماسة لأبي تمام ، فإنها أول باب من أبوابه العشرة . وقد جعل باب العين أول أبواب الكتاب لأن العين أبعد الحروف مخرجا . لكن وجه اليه أن العين ليست أقصى الحروف مخرجا ، وانما أقصاها الهمزة ثم الهاء . وروي عنه أنه قال : « لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ،

---

(١) ضحى الإسلام ٢ : ٢٧٠ – ٢٧١ (بتصرف) .
(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢١٦ .

ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ، فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به . [1] » وقد سجل الخليل منهجه في هذا الكتاب فرتب حروف اللغة العربية حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين[2]، وبدأ بحرف العين ، وجعل حروف العلة وهي الحروف الهوائية في الآخر ، وهاك ترتيبه : ع . ح . هـ . خ . غ . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . د . ت . ظ . ذ . ث . ر . ل . ن . ف . ب . م . و . ا . ي .

ويقال انه حذا حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية[3] ، ولكني أرجح أنه سابق اليه .

وقد نسق مواد كتابه حسب ترتيب هذه الحروف ، فبدأ بالكلمات التي تبدأ بحرف العين ثم التي تبدأ بحرف الحاء إلى آخر الحروف ، وعنون كل نوع من هذه المواد باسم الحرف الذي تبدأ به ، ثم قسم كلمات كل حرف إلى أبواب : الثنائي الصحيح ، فالثلاثي الصحيح ، فالثنائي المعتل ، فالثلاثي المعتل واللفيف ، فالرباعي والخماسي والسداسي وملحقاتها ، معتبراً حروفها الأصلية في ترتيبها ، وراعى الثاني فالثالث بعد الأول منها ، بحيث لا يسبق الحرف الثالث الثاني في ترتيبه الهجائي السالف ، ولا يسبق الثاني الأول كذلك ، وبشرط أن تكون حروف الكلمة كلها متآلفة ، فلا يجمع فيها بين حروف لا تتآلف . وشرح الكلمة ومقلوباتها المستعملة المؤتلفة مستشهدا بالقرآن والحديث والشعر .

نسبة العين الى الخليل : وقد شك في هذا الكتاب كثير من الثقات وخاصة بعض المستشرقين ، واختلفوا في صحة نسبته الى الخليل ، فمنهم من قال انه من تأليفه كأبي العباس المبرد وابن درستويه وأبي إسحاق الزجّاج . ومنهم من أنكر ذلك كأبي الطيب اللغوي في كتابه (مراتب اللغويين) حيث ذكر أنه رتب أبوابه وتوفي من قبل أن يحشوه ، وكالنووي الذي ذكر أنه من جمع الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني عن الخليل ، وكبعض المستشرقين .

---

(١) المزهر ١ : ٥٦ .   (٢) انظر ص ١٣٩ من هذا الكتاب .
(٣) تاريخ آداب اللغة (٢ : ١٢٢) .

ومن الممكن الجمع بين الروايتين في ضوء ما أجمع عليه الثقات من الرواة وهو أن الخليل صاحب فكرة جمع اللغة على هذا النحو ، وهو راسم خطة كتاب العين ، وواضع بنائه ، وقد حشاه جماعة من تلاميذه ، وأكملوه [1] ، يغلب أن يكون منهم الليث .

والعين [2] هو المعجم الأول الذي تناول مفردات اللغة ، فكشف عن معانيها وبين عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، على أن تصحيفا كبيراً وقع فيه لعدم نقط حروفه مع تقاربها في الشكل ، وأن صعوبتين شديدتين تقفان في وجه طالبي الانتفاع به : احداهما من ناحية ترتيبه وخلطه بين الثلاثي المضاعف والرباعي المضاعف ، والأخرى من ناحية ذكره الكلمة ومقلوبها ، فيصعب عند البحث معرفة الأصل من مقلوبه .

وقد اختصره الامام أبوبكر الزُّبَيْدِيّ المتوفى سنة ٣٧٩ هـ من علماء الاندلس ، وسمى مختصره (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين [3]) .

١ – كتاب البارع في اللغة لأبي علي القالي (٢٨٨ – ٣٥٦ هـ) :

وممن نحا منحى الخليل ، أبو علي القالي ، وهو أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي ، ولد بمنازجرد من دياربكر سنة ٢٨٨ هـ ، ونشأ بها ، وتلقى العلم في بغداد ، وقرأ النحو والعربية والأدب على خيرة العلماء ، ودخل قرطبة ، فاحتفل به عبد الرحمن الناصر صاحبها ، وجعله مؤدب ابنه الحكم واشتهر أمر القالي في الأندلس ، وقرأ عليه الطلاب كتب اللغة والأخبار ، وصنف بها الكتب النفيسة كالأمالي ، وكان أعلم الناس بنحو البصريين ، وأحفظ معاصريه للغة ، وأرواهم للشعر الجاهلي ، وينسب إلى قاليقلا وهي قرية منازجرد [4] . وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ .

---

(١) ضحى الإسلام (٢ : ٢٦٨) والمزهر (١ : ٤٧ – ٤٨) .

(٢) حقق الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش (الأستاذ بكلية دار العلوم) جزءاً منه سنة ١٩٦٧ م وهناك قطعة من الجزء الأول تنتهي إلى مادة (جمع) بدار الكتب المصرية طبعها في بغداد الأب أنستاس ماري الكرملي سنة ١٩١٤ م .

(٣) فقه اللغة ص ١٩١ .

(٤) وفيات الأعيان ١ : ٩٢ .

أما المعجم الذي سلك فيه مسلك الخليل فهو البارع ، ألفه في قرطبة وزاد فيه على ما جاء بكتاب العين ، حتى قيل[1] انه كان في ألف صفحة ، ولم يتمه ، وربما كان عدم اتمامه هو الذي أدى إلى ضياع أغلبه[2] ، وكان من أصح المعاجم العربية .

٢ - تهذيب اللغة للأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) :

وينتمي إلى مدرسة الخليل أيضاً الأزهري ، فقد نهج منهجه في كتابه المسمى (تهذيب اللغة) ، والأزهري هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر طلحة بن نوح بن أزهر الأزهري الهروي اللغوي ، ولد في هراة سنة ٢٨٢ هـ ورحل إلى العراق ، وقرأ على ثعلب وابن دريد ، وطاف في أرض العرب يجمع اللغة منهم ، ووفق إلى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية ، يتكلمون بطباعهم ، وليس في منطقهم لحن أو خطأ ، فبقي في أسرهم دهراً حتى استفاد ، توفي بهراة سنة ٣٧٠ هـ بعد أن غلبت عليه اللغة ، فاشتهر بها ، وصار حجة فيها[3] .

أما كتابه المذكور فقد ألفه في عشرة مجلدات ، وصدره بمقدمة قيمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم وأسماء الذين أساءوا التأليف في اللغة ، وعقد فصلا في ألقاب الحروف ومدارجها مع نصوص من كتاب العين الذي سلك مسلكه في شرح المواد وترتيبها وجمع فروعها .[4]

والتهذيب من الكتب التي فرغها ابن منظور في كتابه لسان العرب الذي قال في مقدمته : « ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور الازهري ،

---

(١) تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٠٥ .

(٢) ظهر منه قطعة مصورة بالزنكوغراف في أوربا في مجلد واحد ، منها نسخ بدار الكتب المصرية .

(٣) وفيات الأعيان ١ : ٦٣٥ .

(٤) منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية في ستة عشر مجلداً صغيراً كل مجلد جزء . وقد طبعته المؤسسة العامة للطباعة والنشر بالقاهرة محققاً في أربعة عشر مجلداً ، وقام بتحقيقه نخبة من الأساتذة منهم الأستاذ عبد السلام هارون والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الله درويش والشيخ محمد النجار والأستاذ إبراهيم الإبياري وعبد الكريم العزباوي .

ولا أكمل من المحكم لابن سيده ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق [1] .

٣ - المحيط في اللغة للصاحب ابن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ ﻫ) :

وهو المعجم الثالث ، من المعاجم التي حاكى أصحابها الخليل ، ومؤلفه الصاحب ابن عباد هو أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد ابن أحمد بن إدريس الطالقاني ، ولد سنة ٣٢٦ ﻫ باصطخر وقيل بالطالقان من أعمال قزوين . أخذ اللغة عن ابن فارس وغيره ، وكان نادرة في مكارمه ، ورث الوزارة عن آبائه ، وكان أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب ابن العميد ، فقيل له صاحب ابن العميد . تولى الوزارة لمؤيد الدولة بن بويه الديلمي بعد ابن العميد ثم لأخيه من بعده ، وقضى بأصفهان حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وتوفي سنة ٣٨٥ ﻫ [2].

أما معجمه المسمى المحيط [3] في اللغة ، فقد اتبع فيه طريقة الخليل ، فرتبه على حروف الهجاء الخليلي ، وجعل مواد كل حرف أبواباً كأبواب العين ، وتكلم في كل باب عن المادة وتقليباتها ، واستشهد في شرحه بالقرآن وغيره ، ولكن على قلة ، فجاء محيطه غزير المادة ، كثير اللفظ ، قليل الشواهد ، مشتملا على جزء متوفر من اللغة .

٤ - المحكم لابن سيده الأندلسي (٣٧٨ - ٤٥٨ ﻫ) :وحديثنا عنه مفصل فيما بعد [4] .

٢ - مدرسة ابن دريد الأَزْدي (٢٢٣ - ٣٢١ ﻫ) :

ابن دريد (هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري الشافعي)

---

(١) مقدمة لسان العرب ص ٢ .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٩٣ ومعجم الأدباء ٦ : ١٦٨ - ٣١٧ .

(٣) هو في سبعة مجلدات ، كل جزء في مجلد ، كلها مخطوطة ، (فقه اللغة ص ١٩١) والموجود منه بدار الكتب المصرية الجزء الثالث في مجلد ضخم (لغة خط ٤٢).

(٤) ص ١٣٥ من هذا الكتاب .

ولد في البصرة سنة ٢٢٣ هـ وتعلم بها ، ونبغ في الأدب واللغة والشعر ، وانتقل إلى عمان عند ظهور الزنج ، ومكث بها اثنتي عشرة سنة ، ثم عاد إلى البصرة ، ثم ذهب إلى فارس ، وصحب ابني ميكال ، وكانا واليين على فارس ، وألف لوالدهما الجمهرة ، فقلداه الديوان ، ثم ارتحل إلى بغداد بعد عَزْل ابني ميكال عن فارس ، فقرر له الخليفة المقتدر خمسين دينارا في الشهر ، وظل ببغداد إلى أن مات سنة ٣٢١ هـ .

وكان من أكبر علماء العربية ، وعنه يروي أبو علي القالي في أماليه قصصاً أدبية رائعة ، هي أشبه أن تكون من وضع ابن دريد ، ويعدها الحصري أساسا لمقامات بديع الزمان .[١]

ويغلب على الظن أن ابن دريد الأزدي البصري هو أول من فكر في ضرورة ترتيب المعجم على نسق جديد مراعى فيه أوائل الكلمات المجردة ، وترتيب حروف الهجاء المألوفة ، حتى يسهل النفع به ، فكان هذا العلامة الأزدي أول من وضع لبنة في بناء المدرسة الحديثة التي رفع رايتها الهروي وابن فارس .

لكن ابن دريد (فيما نعلم) كان متأثراً بالمذهب الخليلي الذي تخرج عليه وانتمى إلى صاحبه بصلة القرابة ، فجمع بين ما أخذه منه ، وبين ما تهيأ له من تفكير ، في مذهب جديد ، هو منهجه الخاص الذي توفرت فيه مبادئ المدرستين ، واتبعه في معجمه ، فقد اختار له « الجمهور من كلام العرب » وقسمه أبواباً رئيسة هي :

الثنائي وما يلحق به ، فالثلاثي وما يلحق به ، ثم الرباعي وما يلحق به ، فالخماسي وما يلحق به ، وقد ألحق بهذه الأبواب أبواباً للفيف فأبواباً للنوادر ، وقسم كل باب إلى أبواب مرتبة حسب أوائل كلماتها المجردة على النظام المشرقي : باب الهمزة فباب الباء فباب التاء إلى آخر الحروف وهو الياء ، ورتب مواد كل باب باعتبار الحرف الثاني ثم الذي يليه مع ضرورة تأخير الحرف التالي عن سابقه رتبة في حروف الهجاء المشرقي . ويذكر للمادة المرتبة جميع مقلوباتها

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٦٢٩ .

المستعملة على طريقة الخليل شارحا اياها[1] ، ولكنه أورد التقاليب جميعاً في موضع واحد مما أرغمه على وضع كثير من الألفاظ في غير مكانها والتحرر من منهجه أحياناً .

٣ - مدرسة الجوهري الفارابي . (٣٢٣ - ٣٩٨ هـ) :

ما كاد القرن الرابع الهجري ينتهي حتى تمخض عن مذهب جديد في وضع المعجم ابتكره العلامة أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المولود في مدينة فاراب ببلاد الترك ، وهو امام في علم اللغة والأدب ، يضرب به المثل في جودة الخط . أخذ علم العربية عن أشهر علماء العراق ، ثم سافر إلى الحجاز يأخذ اللغة عن أهلها بالسماع والمشافهة ، وطوف في بلاد ربيعة ومضر ، وحقق ما يشك فيه مما يرويه العلماء ، فلما استكمل دراسته ومشافهته ، عاد إلى خراسان ، وأقام بنيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط ، ووضع في اللغة كتابه الصحاح ، وكان له فوق اجتهاده في تصحيح الألفاظ وضبطها الفضل في اختراع طريقة كتابه ، متأثراً بطريقة خاله الفارابي اللغوي (أبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ أو سنة ٣٧٠ هـ) في معجمه ديوان الأدب ، وحذا حذو الجوهري في طريقته أصحاب القاموس ولسان العرب والعباب والتكملة ، ومات في نحو سنة ٤٠٠ هـ (أي في حدود الاربعمائة)[2].

أما منهجه الجديد فهو ما سلكه في كتابه الصحاح ، حيث رتب مواده ترتيب حروف الهجاء المشرقي ، مراعيا آخر المادة وأولها بعد تجريدها من الزوائد ، جاعلا آخرها بابا وأولها فصلا ، وقسمه إلى ثمانية وعشرين بابا : باب الهمزة فباب الباء فباب التاء إلى آخر الحروف ، والباب الأخير هو باب الألف اللينة .

وقسم كل باب إلى فصول مرتبة على الحروف ، وجمع في كل فصل منها كلماته التي تبتدئ به ، مع مراعاة الحرف الثاني فالثالث وما بعدهما ، في

---

(١) مقدمة الجمهرة ص ٣ .

(٢) معجم الأدباء ١ : ١٥١ - ١٦٥ . ويتيمة الدهر ٤ : ٣٧٣ .

ترتيبها ، واذا حصل في الكلمة اعلال بالقلب أو الابدال أو نحوهما نظر إلى حروفها الأصلية قبل ذلك في الترتيب .

وقد استوعب الجوهري الألفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسماع من عرب البادية هناك ، وانتقى لكتابه مما صح عنده منها أربعين ألف مادة ، تلقى معظمها من أفواه العرب مشافهة ، في بطن الجزيرة ، وسماه (تاج اللغة وصحاح العربية) [1] لأنه يحتوي ما صح لديه من كلام العرب ، ولم يتعرض لجمع التراكيب المختلفة للمادة في موضع واحد كما فعل الخليل ، بل شرح كل تركيب على حدة في موضعه ، مع ايراد الشواهد .

وقد اختصره الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي سنة ٧٦٠ هـ في كتاب سماه مختار الصحاح الذي غيرت وزارة التربية والتعليم المصرية وضعه في أوائل القرن العشرين على يدي الاستاذين محمود خاطر وحمزة فتح الله ، فرتبته حسب أوائل الكلمات مع الاكتفاء بما يناسب النَّشْءَ .

ولعل السِّرَّ في ذيوع طريقة الجوهري راجع إلى أنها سهلة بالنسبة إلى طريقة الخليل التي اتسمت بالتعقيد والوعورة .

١ - ٢ العباب والتكملة للصغاني (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ) :

كان في مقدمة من نهج منهج الجوهري الامام الصغاني في معجميه العباب والتكملة .

١ - **العباب الزاخر واللباب الفاخر في اللغة** : وحديثنا عنه مفصل فيما بعد [2] .

٢ - **التكملة والذيل والصلة في اللغة** : وأما التكملة [3] فقد ألفها ليسد بها

(١) جعله في جزأين ينتهي أولهما بباب العين المهملة ، ويبتدىء الآخر بباب الغين المعجمة ، وهو مطبوع .
(٢) ص ١٣٩ من هذا الكتاب .
(٣) التكملة ستة أجزاء ، كل جزء في مجلد ، كلها محفوظة بدار الكتب المصرية (لغة خط ٣٧) ويقوم مجمع اللغة العربية بالقاهرة بطبع هذا المعجم محققاً وظهر منه الجزء الأول عام ١٩٧١ م .

النقص الذي بدا له في الصحاح ، وليجمع فيها ما فات الجوهري في كتابه ، فجاءت أكبر منه حجماً ، وقد جمعها من نحو ألف كتاب في غريب القرآن والحديث واللغة والنحو وأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وغير ذلك كما ذكر في مقدمته ، ونبه فيها عن المواد التي أهمل الجوهري ذكرها ، سالكاً مسلكه في ترتيبها وشرحها . وفرغ من تأليفها بمكة في صفر سنة ٦٣٥ هـ .

٣ - **لسان العرب لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١)** : كان ابن منظور ثاني من حاكوا طريقة الجوهري في صحاحه ، وابن منظور هو الامام اللغوي العلامة جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم بن نجيب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الأنصاري الافريقي المصري الخزرجي ، المعروف بابن منظور ، ولد سنة ٦٣٠ هـ ، ونشأ في بيئة علمية صالحة ، حببت إليه لغة العرب وآدابهم فاستقاها من اعذب مصادرها ، ولما ذاعت شهرته انتفع به أولو الأمر في ديوان الإنشاء ، فبرزت مواهبه ، وخدم اللغة طيلة عمره ، كما كان صدراً رئيسا ، وولي قضاء طرابلس حينا ، ومات في سنة ٧١١ هـ بالقاهرة[1] .

أما معجمه لسان العرب ، فهو معجم كبير ، وموسوعة جامعة في اللغة والتفسير والحديث والأدب ، جمع فيه ما ورد في معظم المعجمات التي ظهرت قبله ، وذكر أنه استقى مادته من التهذيب والمحكم والصحاح وحواشي الصحاح ، والجمهرة ، والنهاية ، وأمالي ابن بري ، وأتمه تأليفا في ذي الحجة سنة ٦٨٩ هـ ، وقد بلغ عدد مواده زهاء ثمانين ألف مادة ، وهو عدد لم يجتمع مثله في أي معجم آخر من قبله ولا من بعده ، توسع في شرحها ، واستشهد بالآيات والأحاديث وأشعار العرب وأمثالهم وحكمهم حتى كبر حجمه وصار أشبه بدائرة

---

(١) لسان العرب ١ : ١ .

معارف فوق أنه معجم لغوي جامع [1] .

وتبدو عليه الدقة غالبا ، كما يظهر في بعض مواده شيء من الاضطراب والتناقض أحياناً .

٤ - القاموس المحيط للفيروزابادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) :

ومن أبرز من اتبع طريقة الجوهري الامام القاضي مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط .

٤ - المدرسة الحديثة :

في عصر أبي نصر الجوهري ظهرت مدرسة أخرى ، يحمل لواءها العالمان اللغويان أبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وأبو عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٠١ هـ . ووضعت مبدأ جديداً لتنظيم معاجمها ، عولت فيه على أول حرف من الحروف الأصلية للكلمة في ترتيب موادها ، ثم راعت الحرف الثاني فالثالث وما بعدهما في كل طائفة من المواد اتحدت في حرفها الأول ، وجعلت ترتيب الحروف الهجائية عند المشارقة أساسا لما تفعل .

وكانت هذه المدرسة ومدرسة الجوهري توأمين ولدتا في عصر واحد ، ومن أصل واحد ، هو المدرسة الخليلية ، وقد آثرت أن أسميها المدرسة الحديثة لأنها سهلة ، تنسجم مع طبائع الأشياء ، وتبدو عليها دلائل الرقي ، وهي لا زالت تغزو ميدان التأليف عند محبي تصنيف المعاجم .

وأرجح أن التفكير فيها قد سبق ظهورها بوقت غير قصير ، فقد اتبع ابن

---

(١) كان تأليفه في ثلاثين جزءاً ، لكنه متداول الآن في عشرين : يبدأ الثاني بصأب والثالث بلبث ، والرابع بصبح ، والخامس بأخذ ، والسادس بسأر ، والسابع بمأر ، والثامن بعبس والتاسع بخرض ، والعاشر بربع ، والحادي عشر بدأف ، والثاني عشر بزبق ، والثالث عشر بأبل والرابع عشر بفتل ، والخامس عشر بحبرم ، والسادس عشر بلأم ، والسابع عشر بدبن ، والثامن عشر بأبي ، والتاسع عشر برأي ، والعشرون بفأي (المقدمة ص ٨) .

دريد قاعدة من قواعدها في جمهرته هي التزامه الترتيب المشرقي لحروف الهجاء ، إلى جانب قواعد المدرسة الخليلية ، ولا نعلم أحداً تقدمه إلى شيءٍ من مبادئها ، حتى جاء قادتها بعد ذلك ، فاستكملوا منهجها .

على أن بعض رجالها قد تأثروا بالخليل ، فأخذوا منه أسبقية حرف الكلمة المتقدم على تاليه في الرتبة بين حروف الهجاء ، إلى مبادئهم ، وربما كان أول من فعل ذلك منهم أحمد بن فارس في معجميه (المجمل والمقاييس) .

وتشعبت هذه المدرسة شعبتين : الأولى شعبة أحمد بن فارس ، والثانية شعبة الهروي ومن تبعه . وهاك شيئاً من التفصيل عن كل منهما :

١ – شعبة أحمد بن فارس :

ابن فارس ، هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي القزويني ، أصله من همذان ، ورحل إلى قزوين ، واستوطن بالحرة ، وسبب ذلك أنه حمل إليها من همذان ليقرأ عليه مجد الدولة أبو طالب ابن فخر الدولة البويهي صاحب الري ، فسكنها ، وعاش بها ، مربيا للأمير ، وبلغ بأدبه وعلمه مبلغا مشهوراً . أخذ اللغة والأدب والفقه عن أبيه وغير أبيه من المشاهير ، وصار من أئمة عصره ، منه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك الأسلوب الذي يجمع بين اللغة والمسائل الفقهية . وكان كريم النفس ، جواداً ، توفي بالري قصبة بلاد الجبال في صفر سنة ٣٩٥ هـ على الأصح[١] . ولم يعرف تاريخ ولادته .

ويخيل إليّ أن ابن فارس الذي أسهم في بناء المدرسة الحديثة قد تخلى عنها إلى الهروي والزمخشري وأتباعهما ، وعكف وحده ، فألف مذهبا خاصا به ، قوي الصلة بها ، من حيث أنه اعتبر فيه الترتيب المشرقي والحرف الأول فالثاني وما بعدهما من الكلمات المجردة أساسا لتنسيق مواد كتابيه ، في كل باب من

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٤٣ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٨٠ – ٩٨ .

أبوابهما التي تفرعت إليها كتبهما ، لكنه كان مبتكرا لما عدا ذلك من أوصاف مذهبه .

ولست أرى ما يرى بعض النقاد من أن هذا المذهب داخل في نطاق المدرسة الحديثة ، دون تجديد أو ابتكار ، بل يبدو أن ابن فارس (وان كان من أعلام هذه المدرسة) قد جدد في طريقتها ، وعدل في نظامها ، حتى استقل بمذهب لم يسبق إليه ، ومن الانصاف أن نعتبره من ذوي الطرائق المعجمية ، كما اعتبرنا ابن دريد والجوهري وأضرابهما ، ومذهب ابن فارس هذا ، هو الذي سلكه في معجميه ، (المجمل والمقاييس) فقد سار في وضعهما على طريقة جديدة ، اذ لم يصطنع في ترتيب موادهما طريقة ابن دريد في جمهرته ، ولا طريقة الجوهري في صحاحه ، ولا طريقة الزمخشري في أساسه ، وإنما سلك مسلكا خاصا به ، واتبع نظاما فريدا ، : فقد قسم مواد اللغة إلى كتب ، تبدأ بكتاب الهمزة ، وتنتهي بكتاب الياء ، ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة : أولها باب الثنائي المضعف والمطابق ، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد ، وثالثها ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية . والتزم في كل من القسمين الأولين ألاّ يبدأ بعد الحرف الأول الاّ بالذي يليه ، ويستكمل الكلمات حسب التالي إلى آخر حروف الهجاء ، ثم يعود فيذكر الكلمات التي حروفها التالية قبل الحرف الأول هجاء مرتبة حسب تاليها في آخر الباب ، فمثلا في باب الثاء من المضاعف يبدأ بالثاء والجيم (ثجّ) ثم بالثاء والراء (ثرّ) إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يعود في آخر الباب إلى ذكر الثاء والهمزة (ثأ) ثم الثاء والباء (ثبّ) ... وفي باب الثاء من الثلاثي يبدأ بالثاء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف ، ثم يعود إلى ذكر ما ترك في آخر الباب مراعيا الترتيب الهجائي فيما بعد الحرف الأول من الكلمات[1] .

ويظهر أن طريقة ابن فارس ظهرت في الوقت الذي ظهرت فيه طريقة الجوهري وطريقة ابن دريد وطريقة الهروي ، اذ صنّفوا كتبهم جميعاً في القرن الرابع .

---

(١) مقاييس اللغة (مقدمة الناشر) ص ٤١ – ٤٢ .

المجمل : أشهركتب ابن فارس ، زاحم في الشهرة العين والجمهرة والصحاح ، وهو على اختصاره ذخيرة لغوية ثمينة ، جمع شيئاً كثيرا ، واقتصر على الصحيح من اللغات ، والهام المستعمل من الألفاظ ، حيث قال مؤلفه في أوله : « قد ذكرنا الواضح من كلام العرب ، والصحيح منه ، دون الوحشي والمستنكر ... [1] » .
وقال : « قد توخيت فيه الاختصار ، وآثرت فيه الإيجاز ، واقتصرت على ما صح عندي سماعا ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ، ولولا توخي مالم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . [2] » واختصر الشواهد وأجمل الكلام ، وسماه لذلك المجمل .

ويعتبره اللغويون من أحسن ما صنف في اللغة ، ويبدو أنه أسبق إلى الظهور من صنوه (المقاييس) فان النضج اللغوي البادي على الأخير ، مع خمول ذكره بين المؤلفين والعلماء يدل على ذلك ، كما أن المؤلف كان فيه قويا ضليعا متمكنا ناقدا ، بينما نراه في الأول يترك مسائل اللغة على علاتها ، واذا حاول الكلام في الاشتقاق ضعف واضطرب والتوى عليه الأمر .

المقاييس : أما المقاييس [3] فلم يسترع انتباه العلماء إلا من عهد قريب ، ألفه بعد المجمل وسماه (المقاييس) وإن كان لا يقول باطراد القياس في جميع مواد اللغة ، بل نبه على كثير من المواد التي لا يطرد فيها ، وذهب إلى أن أسماء الأصوات وكثيراً من أسماء البلدان لا تخضع له ، وأراد بكلمة المقاييس ما دعاه بعض اللغويين بالاشتقاق الكبير ، وحرص في مقاييسه على ايراد الصحيح من اللغات ، وتَحَرَّج من إثبات ما لم يصح .

واعتمد في وضعه على خمسة كتب : غريب الحديث ، ومصنف الغريب ،

---

(١) للمجمل نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وقد طبع الجزء الأول منه بالقاهرة سنة ١٣٣١ ﻫ غير محقق ، وذكر منه بروكلمان نحو عشرين مخطوطة في مكتبات شهيرة أوربية .

(٢) المزهر ١ : ٦١ ، ومقدمة المجمل ص ٤ .

(٣) مقاييس اللغة (مقدمة الناشر) ص ٣٩ .

للقاسم بن سلام ، والمنطق لابن السكيت ، والجمهرة والعين . وبلغ فيه مبلغا عظيما في حذق اللغة ، وإدراك أسرارها ، وفهم أصولها ، إذ يرجع مفردات كل مادة إلى أصولها المعنوية المشتركة ، فلا يكاد يخطئه التوفيق . لكن الذي أوحى إليه بهذه الفكرة العبقرية هو ابن دريد حين حاول في كتابه الاشتقاق أن يرد أسماء قبائل العرب وعمائرها وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها وحكامها إلى أصول لغوية اشتقت منها .

والمقاييس[1] فذ في بابه ، ومفخرة من مفاخر التأليف العربي ، أضفى عليه صاحبه من حسن الذوق ، وجمال الأسلوب ، وروح الأديب ، ما يبعد به عن جفوة الكتب اللغوية ووعورتها ، ويقربه من نفس الباحث ، ويقفه على سر جمال لغته .

٢ - شعبة الهروي :

ومن أشهر رجال هذه الشعبة : الراغب الاصفهاني ، والزمخشري ،.وابن الاثير ، والفيومي .

أما زعيمها فهو الامام أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني الهروي[2] صاحب كتاب (الغريبين غريبي القرآن والحديث[3]) أخذ اللغة عن أبي منصور الأزهري وكان يفخر به ، ويعتمد عليه ، وقرأ على جماعة منهم أبو سليمان الخطابي ، وتوفي في رجب سنة ٤٠١ هـ[4] .

ومعجمه هذا هو رواية أبي سعيد أحمد بن محمد بن أحمد عبد الله بن حفص

---

(١) منه نسخة بالمدرسة المروية بالبلاد الفارسية ، وعن هذه النسخة أخذت صورتان لدار الكتب المصرية ، وصورة لمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأخرى للمكتبة التيمورية ورابعة للمحقق الكبير المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي . وقد طبعته دار احياء الكتب العربية بالقاهرة طبعة حديثة سنة ١٣٦٦ هـ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون في ستة مجلدات وملحق بالسادس فهرس عام للكتاب .

(٢) اسم المؤلف هذا كما ورد بمعجمه (الغريبين) .

(٣) الكتاب ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلدات مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٤) وفيات الأعيان ١ : ٣٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ - ٢٦١ ، وبغية الوعاة ص ١٦١ .

ابن الخليل ، وقد قسمه الهروي إلى كتب حسب الحرف الأول من المادة : كتاب الهمزة ، فكتاب الباء ، فكتاب التاء إلى كتاب الياء . ثم قسم كل كتاب إلى أبواب حسب الحرف الثاني: باب الهمزة مع الباء ، فباب الهمزة مع التاء ، فباب الهمزة مع الثاء إلى آخر الحروف الهجائية . ورتب مواد كل باب حسب الحرف الأول والثاني وما بعدهما باسطا الشرح دون تعرض للاشتقاق الكبير .

١ – **المفردات في غريب القرآن** : للراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ :

أما الراغب الاصفهاني الذي ألف هذا المعجم فهوأبوالقاسم الحسين بن محمد ابن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، كان واسع العلم فقيها تقيا ، قرنه الامام فخر الدين الرازي بالغزالي ، لكن حياته يكتنفها الغموض . توفي سنة ٥٠٢ هـ.

وقد ألف معجمه [١] لتفسير الألفاظ القرآنية ، التي هي كما قال : « لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم » . فبتفسيرها ينجلي المراد من الكتاب الذي يهدي أولى الألباب ، فإنه :

كالبدر من حيث التفت رأيته   يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها   يغشى البلاد مشارقا ومغاربا [٢]

واعتبر ترتيب الأحرف الهجائية عند المشارقة أساساً لترتيب ألفاظ معجمه ، كما فعل من قبله الهروي ، ومن بعده ابن الأثير والزمخشري ، وجعل لكل حرف باباً من الألف ، إلى آخر الحروف الهجائية وهو الياء .

وراعى في ترتيب كلمات كل باب ، الحرف الأول ، ثم الحرف الثاني ، وما بعدهما ، مع اعتبار المضعف مركبا من حرفين ، فقدم مثلا شَكَّ على شَكَر ، وصَلَّ على صلب ، إلا أنه خلط في الكلمات التي ثانيها همزة أوهاء ، أوحرف علة ، فلم يراع فيها الترتيب الهجائي المذكوربالنسبة لحرفها الثاني ، فقدم بعضها ،

(١) المفردات ص ٨٧٥ .   (٢) مقدمة المفردات ص ٣ .

وهو يستحق التأخير ، قدم ما ثانيه ياء مثلا على ما ثانيه واو ، والعكس هو الصحيح .

وفسر المعنى المراد للألفاظ القرآنية الغريبة بعبارة سهلة موجزة ، ذاكراً الآيات التي ورد فيها اللفظ كلها أو أغلبها ، مبينا أصل معناه في كل آية ، واشتقاقه ، مشيراً إلى المناسبة التي بين المستعار منه والمشتق ، بقدر ما يتسع له المجال ، ويستشهد في شرحه بالشعر والحديث وغيرهما غالبا ، وقد يتعرض لبيان الحسن في مواقع المعاني القرآنية ، ومبلغ روعتها . قال في مقدمة معجمه : « وقد استخرت الله تعالى في املاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي ، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء ، على ترتيب الحروف للمعجم ، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد ، والاشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب[1] . »

وهو معجم[2] قيم جزيل الفائدة ، يدل على سعة اطلاع صاحبه ، وقدرته على التحقيق والبحث .

٢ – أساس البلاغة للزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) :

كان جار الله الزمخشري من أشهر أعلام هذه المدرسة ، وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري ، ولد في زمخشر من بلاد خوارزم سنة ٤٦٧ هـ وانتقل إلى بغداد ، وسافر لكثير من البلاد ، يتلقى العلم عن الفطاحل ، حتى صار امام عصره في اللغة والشريعة ، وذاع صيته ، فكانت تشد إليه الرحال .

وهو معتزلي العقيدة ، يقول بخلق القرآن ، وسمي (جار الله) لأنه جاور مكة زمنا . وتوفي بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ – وقد خلف مؤلفات كثيرة في موضوعات شتى[3] .

وقد حاكى في ترتيب مواد معجمه من سبقه من المدرسة الحديثة ، ذلك أنه

---

(١) مقدمة المفردات ص ٤ . (٢) هو جزءان في مجلد واحد ضخم ، مطبوع .
(٣) معجم الأدباء ١٩ : ١٢٦ – ١٣٥ .

اتخذ الحرف الأول من الكلمة أساساً لمعرفة وضعها بين غيرها من الكلمات ، متبعا في ترتيب حروف الهجاء ، النظام المشرقي ، كما ذكرنا عند الكلام على مفردات الراغب ، مع مراعاة هذا النظام نفسه ، بالنسبة للحرف الثاني فالثالث وما بعدهما .

ويمتاز الأساس بأنه في كثير من المواد يفرق بين الاستعمال الحقيقي للكلمة ، والاستعمال المجازي ، فيبدأ المادة بذكر معانيها الحقيقية ، ويختتمها ببيان الشائع من معانيها المجازية ، كأن يقول : ومن باب المجازكذا ، وأنه في أغلب الأحيان لا يقتصر على ذكر معاني الكلمة مجردة ، بل يبين استعمالها في جمل بليغة منتقاة غالبا ، وقد لا يفسر الكلمة ، وانما يشير إلى مواطن استعمالها بذكرها في عبارات مؤلفة أو مأثورة من فصيح الكلام العربي شعره ونثره ، ويترك للقارئ استخلاص معانيها المختلفة بنفسه من سياق العبارات التي ترد فيها .

كما يمتاز بالدقة ، وجمال التنسيق ، والجمع بين متن اللغة وأدبها . لكنه أغفل بعض المواد ، ولم يفرق بين معانيها الحقيقية والمجازية أحياناً ، ولم يشرح كثيراً من الكلمات الغريبة الواردة في عبارته وشواهده ، مما أدى إلى غموض في معنى بعض المواد المشروحة .

وهو[1] من أشهر المراجع اللغوية ، وأكثرها تداولا في العصر الحاضر .

٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) :

اشتهر ابن الأثير بمعجمه هذا . وابن الأثير هو الشيخ الامام العالم العلامة أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب مجد الدين ، ولد بجزيرة ابن عمر في أحد الربيعين سنة ٥٤٤ هـ ونشأ بها ، وتثقف على خيرة أدبائها ، وعلا شأنه ، حتى تقلد بالموصل الوزارات ، وتنقل في مراتب السيادات ، فكان أشهر العلماء ذكرا ، وأكبر النبلاء قدراً ، قضى أيامه في خدمة اللغة العربية والشريعة الاسلامية ،

(١) هو جزءان ، وكل جزء في مجلد ـ طبعه أخيراً محمد نديم في مجلد واحد سنة ١٩٥٤ م .

وتوفي بالموصل في ذي الحجة سنة ٦٠٦ هـ .[1]

ألف معجمه الكبير[2] ، وجمع فيه ما في كتابي (الغريبين للهروي) و(الاستدراك على الغريبين للحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر بن عيسى المديني الاصفهاني المتوفى سنة ٥٨١ هـ) من غريب الحديث مجرداً من غريب القرآن ، وأضاف اليه أيضاً ما فات هذين الكتابين مما عثر عليه من الكلمات الغريبة في أحاديث الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم . ووضع كل كلمة مما احتواه معجمه مع اختها في بابها تسهيلا للفائدة . وجميع ما فيه من غريب الحديث والآثار الا قليلا لا تعرف حقيقته نبه عليه في موضعه .

وسلك طريق الكتابين في الترتيب والوضع ، فجعل معجمه مقفى على حروف الهجاء عند المشارقة ، ملتزما في كل مادة الحرف الأول والثاني ثم الثالث من حروفها الأصلية على غرار الزمخشري في الأساس . غير أنه أثبت كثيرا من الكلمات التي أوائلها حروف زائدة في باب الحرف الذي هو في أولها ، وان لم يكن أصليا ونبه عند ذكره على زيادته حيث قال : « سلكت طريق الكتابين في الترتيب الذي اشتملا عليه والوضع الذي حوياه ، من التقفية على حروف المعجم بالتزام الحرف الأول والثاني من كل كلمة وإتباعهما بالحرف الثالث منها على سياق الحروف إلا أني وجدت في الحديث كلمات كثيرة في أوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها وكان يلتبس موضعها الأصلي على طالبها لا سيما وأكثر طلبة غريب الحديث لا يكادون يفرقون بين الأصلي والزائد ، فرأيت أن أثبتها في باب الحرف الذي هو في أولها ، وإن لم يكن أصليا ، ونبهت عند ذكره على زيادته . »[3]

---

(١) هو أحد الاخوة الثلاثة أبناء الأثير الذين اشتهر كل منهم بفن من الفنون وهم (١) مجد الدين المحدث المذكور (٢) وعز الدين المؤرخ صاحب الكامل ، توفي سنة ٦٣٠ هـ (٣) وضياء الدين اللغوي الأديب صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، توفي سنة ٦٣٧ هـ .وهناك ابن أثير رابع اسمه عماد الدين توفي سنة ٦٩٩ هـ جاء ذكره بين شراح قصيدة ابن زيدون (وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٥٧ والنهاية جـ ١ ص ١) .

(٢) وهو مطبوع في أربعة مجلدات ، كل منها جزء .

(٣) النهاية ١ : ٨ – ٩ .

وميز بين ما جمعه في معجمه ، فرمز لما فيه من كتاب الهروي بحرف الهاء بالحمرة ، ولما فيه من كتاب أبي موسى بحرف السين ، وجعل ما أضافه من غيرهما مهملا بغير علامة .

وقسم مواده التي أولها حرف واحد أبواباً باعتبار حرفيها الأول والثاني ، فمن حرف الهمزة مثلا باب الهمزة مع الباء ثم باب الهمزة مع التاء ثم باب الهمزة مع الثاء إلى آخر الحروف . ومن حرف الباء ، باب الباء مع الهمزة ثم باب الباء مع الباء ثم باب الباء مع التاء إلى آخر الحروف وهكذا .

٤ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : للفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ :

الفيومي صاحب المصباح المنير (العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي) كان فاضلا عارفا باللغة وعلومها ، ملماً بالفقه ، ممتازاً بسعة اطلاعه ، ودقة تحقيقه . عاش بالفيوم ، ثم انتقل إلى حماه ، وقضى بقية أيامه خطيباً لجامعها ، وتوفي سنة ٧٧٠ هـ .

وقد ألف كتابه [١] لتفسير الكلمات الواردة في كتاب الشرح الكبير للامام الرافعي (وهوشرح لكتاب « الوجيز » في فروع الفقه على مذهب الشافعي لحجة الاسلام الامام الغزالي) وفرغ من تأليفه سنة ٧٣٤ هـ لكنه لم يقتصر فيه على ذلك بل أضاف إليه « زيادات من لغة غيره ، ومن الألفاظ المشتبهات والمتماثلات ، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها ، مما تدعو إليه حاجة الأديب الماهر . » [٢]

ورتب كلماته حسب أوائلها ، فقسمه إلى سبعة وعشرين كتاباً آخرها كتاب الواو ، وزاد عليها بابين أحدهما « باب لا » وثانيهما « باب الياء » وذيله بخاتمة درس فيها بعض قواعد صرفية نافعة .

ولا نغالي إذا قلنا: إن هذا المعجم آثر المصطلحات الفقهية ، واختصها بالقسط الأوفى من عنايته . ولعله لا يلام على ذلك ، لأنه في الأصل معجم للكلمات

---

(١) المصباح وهو جزءان في مجلد واحد مطبوع .

(٢) مقدمة المصباح (٠ – ص) .

الواردة في كتاب فقهي . وإنما نشأ عن منهجه هذا أنه أغفل عدداً كبيراً من المواد اللغوية ، وقصر في دراسة بعضها . لكنه أفاض في شرح المفردات التي جاءت به .

البَابُ الثاني

تاريخ القـاموس المحيط

الفصل الأول

نشأته

القاموس المحيط :

١ – قال مجد الدين الفيروزابادي : « ألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد مطروح الزوائد ، معرباً عن الفُصَحِ والشوارد ، وجعلت بتوفيق الله تعالى زُفَراً في زِفْر »[1] .

وقال : « ضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم ، وأضفت إليه زيادات مَنَّ الله تعالى بها وأنعم ، ورزقنيها عند غوصي عليها في بطون الكتب الفاخرة الدأماء الغطمطم »[2].

٢ – وقال الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن الحسن به عبد الله بن نصر الواسطي :

ألا ما لهذا في اللغات مشابه فما هو إلاَّ كاسمه زاخر بحر
أحاط بما يحوي سواه وفاقه بمبدع لفظ مع لغات بها كثر
جزى الله خيراً من تصدى لجمعه وآتاه فضلاً زاد ما اتصل الدهر[3]

---

(١) الفصح : جمع فصيح كقضيب وقضب ، الشوارد : اللغات الحوشية الغريبة الشاذة . زفر كصرد : البحر . في زفر بالكسر : القربة ، أي بحراً متلاطماً في قربة صغيرة وهو كناية عن شدة الإيجاز (خطبة القاموس ص ٣) .

(٢) الدأماء : البحر . الغطمطم : العظيم الواسع المنبسط (خطبة القاموس ص ٣) .

(٣) إضاءة الراموس ١ : ٤٤ . وأزهار الرياض ٣ : ٤٨ .

٣ — وقال المغفور له الأستاذ مصطفى عناني :

« إن القاموس المحيط لقاضي القضاة مجد الدين الفيروزابادي ، من أوسع كتب اللغة نطاقاً ، وأدقها تعبيراً ، وأكثرها تهذيباً ، وأمتعها أسلوباً ، وأجمعها للفوائد ، وأحفلها بالشوارد مع جودة الاختصار ، وحسن الترتيب ، وقد عرف له تلك المزايا لفيف من الأدباء والفضلاء فعولوا عليه ، ورجعوا عند المشكلات إليه »[1]

٤ — وقيل : « القاموس هو كتاب كأنه نشأ من وحي الناموس قد صنفه الفاضل العلامة ذو الأيادي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي »[2].

في ضوء هذه النصوص نستطيع أن نقول إن القاموس المحيط معجم ، من أمهات معاجم اللغة العربية ، وضعه العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، في سفرين ، ملخصاً فيهما كتابي المحكم والعباب مع إضافات قيمة نافعة ، وراعى في تأليفه شرح المواد في أسلوب مركز موجز دقيق .

ولا ريب أن أبيات التقي الواسطي ـ على ما فيها من مبالغة ـ تنطوي على جانب كبير من الحق ، فإن القاموس المحيط في مقدمة معاجم اللغة العربية التي تشفي غلة الباحث ، وتمد الأديب والعالم والمؤرخ والطبيب بفوائد قيمة جديرة بالتقدير ، كما سيتبين لنا من دراسة مزايا هذا المعجم .

ولئن أقامه صاحبه أثراً خالداً ، وأرسله للعربية كنزاً باقياً ، لقد قدره رجال اللغة قدره ، وذكروا بالفخر فضله ، وكان المرجع الأمين .

وكفى الفيروزابادي شرفاً أن يورث الأجيال بعده هذا المصنف القيم الذي يفيض بثروة لغوية خالدة ، وكفى الضاد زهواً أن يكون لها منه خير حافظ لتراثها ، وأفضل مظهر لمجدها . جزاه الله عنها خير الجزاء .

---

(١) القاموس ٤ : ٤٢٠ .

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢ : ١٣٠٦ .

تسميته :

سمى الفيروزابادي كتابه (القاموس المحيط) أي البحر الأعظم ، حيث قال : « وأسميته القاموس المحيط »[1].

وهذه التسمية فيها شيء غير قليل من الفن والإبداع ، على طريقته التي اعتادها من التنميق في تسمية مؤلفاته[2].

وهو إذ أبدع هنا في اختيار اسم كتابه هذا ، فذلك لأنه أراد أن يجعل اسمه دالاً على أنه محيط بلغة العرب إحاطة البحر للمعمور من الأرض ، على حد قوله : « وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم »[3].

وكتب اسمه الآنف ذكره في كثير من النسخ الصحيحة ، بأول الكتاب ، وأورد في آخره أن اسمه (القاموس المحيط والقابوس الوسيط) وذلك حيث قال : « هذا آخر القاموس المحيط والقابوس الوسيط »[4].

وربما كان في هذا الاسم اختصار ما ، فقد جاء في نسخ من الكتاب أن اسمه (القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من لغة العرب شماطيط) وفي نسخ (القاموس المحيط والقابوس الوسيط في جمع لغات العرب التي ذهبت شماطيط) وفي نسخ أخرى (القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط) .

وإذن : فهذا المعجم له خمسة أسماء :

١ – الأول (القاموس المحيط) وهو الاسم الذي اشتهر به ، ونجده دائماً على الصفحة الأولى من النسخ المطبوعة ، وبعض المخطوطة[5].

٢ – والثاني (القاموس المحيط والقابوس الوسيط) ونراه في آخر النسخ التي كتب على أولها الاسم الأول ، وجاء على الصفحة الأولى في نسخ

---

(١) خطبة القاموس ص ٣ .
(٢) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٦ .
(٣) خطبة القاموس ص ٣ .
(٤) القاموس ٤ : ٤١٥ .
(٥) لغة خط أرقام ٤٠ ، ٤١ ، ١٠٣ دار الكتب المصرية .

أخرى كالنسخة الرسولية ، وذكره بعض العلماء ،[1] وهو يلي الأول في الشهرة[2] .

٣ – والثالث (القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط) وهذا الاسم له الرتبة الثالثة في الشهرة ونراه مدوناً على الصفحة الأولى من بعض نسخ المعجم المذكور[3] .

٤ – والرابع (القاموس المحيط والقابوس الوسيط في جمع لغات العرب التي ذهبت شماطيط) وهو عنوان للكتاب في الصفحة الأولى من بعض النسخ المخطوطة[4] .

٥ – والخامس (القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما ذهب من لغة العرب شماطيط) وهو عنوان له أيضاً في الصفحة الأولى من بعض النسخ المخطوطة[5] ، ويظهر أن هذا وسابقه في الشهرة سواء .

وقد ذكر العلامة نصر الهوريني أن التسمية الصحيحة الغالبة هي (القاموس المحيط) ، وأما التسمية التي أوردها المؤلف في آخر الكتاب وهي (القاموس المحيط والقابوس الوسيط) فإنها في بعض نسخ المقلدين ، وأما التسميات الأخرى فليست في النسخ الصحيحة[6] .

ويؤخذ من كلام الفيروزابادي ، أنه اختار لمعجمه اسم (القاموس المحيط) ليشعر القارئ أنه قصد أن يكون كتابه جامعاً للأصول اللغوية ومعانيها ، محيطاً بها كما يحيط الماء بالأرض اليابسة ، محتوياً على ما فيها من أثمن الألفاظ ، وأغلى المعاني ، كما يشتمل البحر المحيط على الدرر واللآلئ .

ويخيل إلي أنه أراد أن يحاكي الصغاني ، في تسمية معجمه بالعباب ، فسمى

---

(١) الجاسوس ص ٩٣ وأزهار الرياض ٣ : ٤٤ وري الصادي ص ١٨ .

(٢) لغة خط أرقام ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٧٢ دار الكتب المصرية .

(٣) البدر الطالع ٢ : ٢٨٣ – والنسخ التي بالأرقام لغة خط ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ بدار الكتب المصرية (٤) انظر آخر مادة (وجد) بالقاموس (٥) إضاءة الراموس لابن الطيب ١ : ٤٣ (٦) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٦

مؤلفه بالقاموس المحيط ، إشارة منه أن كتابه أغزر مادة ، وأوسع مدى ، من العباب .

وأراد بإطلاق اسم (القابوس) عليه ، أن يصفه بجمال الترتيب ، وحسن التنظيم والتنسيق . ذلك أن القابوس ، كما فسره المؤلف هو الرجل الجميل الوجه .

ولعله أراد بقوله (في لغة العرب التي ذهبت شماطيط)[1] أن يسجل ميزة من مزايا معجمه ، وهي أنه جمع ما تفرق من شواردها ، وضم ما تبعثر من نوادرها ، كما استقاه من المحكم والعباب ، وزيادات امتلأ بها الوطاب[2] .

تأليفه :

يقول الفيروزابادي (رحمه الله) : « كنت برهة من الدهر ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً ، ولما أعياني الطلاب ، شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب[3] ، فهما غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب ، ونيرا براقع الفضل والآداب ، وضممت إليهما زيادات امتلأ بها الوطاب ، واعتلى منها الخطاب ، ففاق كل مؤلف في هذا الفن هذا الكتاب ، غير أني خمنته في ستين سفراً[4] ، يعجز تحصيله الطلاب ، وسئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام ، وعمل مفرغ في قالب الإيجاز والاحكام ، مع التزام اتمام المعاني ، وإبرام المباني ، فصرفت صوب هذا القصد

---

(١) شماطيط : قوم شماطيط متفرقة وثوب شماطيط خلق متشقق وجاءت الخيل شماطيط متفرقة ارسالاً ، وشماطيط رجل (قاموس) - (وانظر ص١٢٥ من هذا الكتاب) .

(٢) الوطاب : سقاء اللبن . (قاموس) .

(٣) مادة (فكه) قاموس .

(٤) هذا نص ما ورد في الخطبة ، لكن ذكر بعض العلماء أنه كان يقدر اتمامه في مائة مجلد كل منها يقرب من صحاح الجوهري ، أكمل منه خمسة مجلدات (انظر البدر الطالع ٢ : ٢٨٢ وشرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٤ وأزهار الرياض ٣ : ٤٣ - ٤٤ ومقدمة تاج العروس ص ١٥).

عناني وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معرباً عن الفصح والشوارد ، وجعلت بتوفيق الله تعالى زفراً في زفر ، ولخصت كل ثلاثين سفراً في سفر »[1] .

ومعنى هذا النص ، بعبارة أخرى ، أن مجد الدين قد دفعه شغفه باللغة ، والتوسع في الاطلاع على موادها ، إلى أن يبحث فيما ألف من المعاجم ، عن معجم يشفي غلته ويفي بغرضه ، فلم يجد إلا كتباً متفرقة ، لا يغني أحدها عن غيره ، فشعر بحاجة طلاب العربية إلى معجم مفصل ، يجمع بين ما تفرق في تلك المعاجم المختصرة ، وعقد العزم على أن يسد هذا الفراغ ، فتوجهت همته بادئ ذي بدء إلى أن يضع معجماً مطولاً ، يضم شتات اللغة ، ويجمع بين شواردها مع الاستشهاد على ما يقول بكلام العرب شعره ونثره ، غير أنه لما قطع مرحلة كبيرة في تأليف كتابه الذي كان قد سماه قبل أن يكمله (اللامع المعلم العجاب ، الجامع بين المحكم والعباب)[2] وجد نفسه أمام مشكلة ، كان من الضروري ، أن يفكر في حلها ، تلك هي أن الكتاب ـ على فرض اتمامه على النحو الذي أراده في تفصيل واسهاب ـ سيجيء ، لا محالة ، مؤلفاً ضخماً ، في ستين سفراً ، يصعب على الطلاب اقتناؤه ، والرجوع إليه ، والافادة منه ، فعدل عن هذه الطريقة ، ورأى أن يتبع طريقة أخرى ، قوامها الإيجاز في الشرح والاستدلال حتى يكون معجمه مختصراً ، وفي الوقت نفسه جامعاً لما أراد أن يجمع من مواد اللغة ، ومعانيها ، فوضعه في سفرين مضمناً كل سفر ما كان يريد أن يجعله في ثلاثين سفراً .

وقد شجعه على أن يسلك مسلك الإيجاز في الشرح والاستشهاد ، ما أبداه بعض طلابه وأصدقائه ، من رغبة في أن يقدم لهم كتاباً وجيزاً وافياً بالغرض .

---

(١) خطبة القاموس ص ٣ .

(٢) ذكر صاحب ري الصادي أن اسمه (اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وزيادات امتلأ بها الوطاب) (انظر ري الصادي ص ٢٠) .

هذا هو ما يمكن فهمه من النص السابق ، وخلاصته أن الذي حمل مجد الدين على وضع معجمه أمران :

الأول : هو دافع نفسي نحو تأليف معجم يفي بغرضه من البحث والاطلاع على مواد اللغة .

والثاني : هو الاستجابة إلى رغبة طلابه وأصدقائه من عشاق اللغة العربية .

غير أنه يبدو لنا أن هذا وذاك لم يكونا الدافعين الحقيقيين لتأليف القاموس ، وإنما كان هناك دافع شخصي قوي جعله يقدم على تأليف معجمه مفصلاً ، ولما أعياه أن يتم الكتاب كما كان قد أراد ، عمد إلى اتباع أسلوب الإيجاز على النحو الذي شرحناه .

أما الدافع القوي الذي أشرنا إليه ، فإنا ندع مجد الدين نفسه يتحدث عنه ، وذلك حيث يقول : ولما رأيت اقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه قد فاته نصف اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادة ، أردت أن يظهر للناظر بادئ بدء فضل كتابي هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه ، وفي سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه إليه ، ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر بل إذاعة لقول الشاعر كم ترك الأول للآخر . »[1]

هذا في نظري ، هو السبب الرئيسي في وضع القاموس ، غير أنه ليس هناك ما يمنع أن تكون هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة هي التي جعلت مجد الدين يضع القاموس المحيط .

وما دعاني أن أرجح أن حب الشهرة هو الدافع الأساسي في تأليف القاموس

---

(١) لقول أبي تمام حبيب بن أوس الطّائي الشاعر المعروف وهو :

لا زلت من شكري في حلة لابسها ذو سلب فاخر
يقول من تقرع أسماعه (كم ترك الأول للآخر)

وهذا الشطر الأخير جار في الأمثال المتداولة المشهورة حتى قال الحافظ :

ما علم الناس سوى قولهم كم ترك الأول للآخر

(انظر خطبة القاموس ص ٣ وشرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٧) .

إلا ما أكاد ألمسه من روح التنافس البادية في عبارة مجد الدين .

أما الموازنة بين القاموس والصحاح فلها موضع آخر من الكتاب [1] .

تاريخه وإهداؤه :

لا نعرف على سبيل التعيين ، متى بدأ الفيروزابادي يصنف القاموس المحيط ، ولا متى فرغ منه ، ولا أين كان تأليفه .

لكن ، وجدت في هذا المعجم في آخر مادة (وجد) عقب قوله : « وإنما يقال أوجده الله . » ما نصه : « هذا آخر الجزء الأول من نسخة المصنف الثانية من كتاب القاموس المحيط والقابوس الوسيط في جمع لغات العرب التي ذهبت شماطيط فرغ منه مؤلفه محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وسبعمائة .. »

وبحثت في تاج العروس عمن حرر هذه العبارة ، فرأيت السيد مرتضى الزبيدي يذكر عن شيخه ابن الطيب الفاسي أنها بخط المؤلف (رحمه الله) . [2]

ويمكن أن يكون هذا الذي كتبه المؤلف إشارة منه إلى أوائل الوقت الذي كان يصنف فيه معجمه ، ودليلاً على أنه جمع منه قدراً لا يقل عن جزئه الأول الذي انتهى في مادة (وجد) قبل ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ .

وعدت إلى المؤلف نفسه ، فوجدته يقول في آخر كتابه : « وقد يسر الله تعالى إتمامه بمنزلي على الصفا بمكة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة زادها الله تعالى تعظيماً وشرفاً . » [3]

ولكن ، متى كان المؤلف بمكة المشرفة حين يسر الله تعالى له اتمام كتابه بمنزله على الصفا تجاه الكعبة المعظمة ؟

إن التاريخ أنبأنا أنه كان يحيا بمكة حياة هادئة مطمئنة من سنة ٧٧٠هـ إلى سنة ٧٨٥هـ ، وانه تركها إلى الهند ، ثم عاد إليها سنة ٧٩٠هـ ، ومكث بها عامين

---

(١) ص ٣٤٩ (٢) تاج العروس ٢ : ٥٢٨ (من القسم الثاني) (٣) القاموس ٤ : ٤١٥ .

قبل أن يلبّي دعوة الأمير أحمد بن أويس لزيارة بغداد وشيراز في سنة ٧٩٢هـ. [١]

وإذن ، قد أتم المؤلف قاموسه بمكة في هذه الفترة من الزمان كما فرغ من جزئه الأول في الوقت الآنف الذكر ، حيث كان يقوم بقسط موفور في خدمة الدين واللغة ، ونشر الثقافة العربية .

أما الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فقد ذكر أنه : « استقر قدمه بزبيد ، وأقام بها إلى أن مات ، وفي هذه المدة قدم مكة مراراً ، وأقام بها وبالطائف ، ثم رجع وصنف القاموس المحيط . » [٢]

وقال العلامة نصر الهوريني : « استقر به الأشرف في منصبه ، وبالغ في إكرامه ، فألقى عصا التسيار في زبيد ، وصار مَنْ بها له كالعبيد ، وصنع هذا الكتاب . » [٣]

ويبدو أن المقصود بقولهما هذا أن الفيروزبادي أتم القاموس تهذيباً وتزويداً بالفوائد في زبيد ، بحيث جعله كاملاً في صورته الأخيرة .

ولعل الإمام المناوي كان يرمي إلى ذلك حين ذكر أن المؤلف طاف البلاد الشرقية والشامية والحجازية ودخل الهند وما والاها ثم رجع إلى اليمن فتلقاه الملك الأشرف إسماعيل من زبيد فبالغ في إكرامه فألقى عصا التسيار فيها ، ووضع هذا الكتاب . [٤]

وقد صرح كثير من العلماء بما ذهبنا إليه ، كصاحب الفلك الذي يقول : « إن المجد رحمه الله ألّف قاموسه قبل خروجه إلى اليمن ، وذكر أنه أكمله بمنزله على الصفا بمكة المشرفة ، تجاه الكعبة المعظمة ، ثم خرج به إلى اليمن ، فاستقر بزبيد يهذب القاموس ، وزاد فيه فوائد جمة » [٥]

ونقل عنه بعضهم ذلك بالنص بما يفيد متابعتهم له ، كصاحب القول المأنوس

---

(١) ص ٢٨ من هذا الكتاب . (٢) أزهار الرياض ٣ : ٤٩ والدرر الكامنة ١ : ٢١١ .

(٣) شرح خطبة القاموس ص ٢٩ .

(٤) شرح خطبة القاموس للمناوي ص ٢٦ والجاسوس ص ٧٢ .

(٥) فلك القاموس ص ٢١ ومؤلفه هو الشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني .

الهندي[1] ، وصاحب البلغة في أصول اللغة .[2]

ويخيل إليّ أن التقي الكرماني لا يعني تعيين الوقت الذي أُلّف فيه القاموس ، إذ قال : « جاور بمكة عشر سنين وصنف بها القاموس ، في مجلدات ، فأمره والدي باختصاره ، فاختصره في مجلد ضخم ، وفيه فوائد عظيمة ، واعتراضات على الجوهري . »[3]

فهذا ، على ما أرجح ، إشارة منه إلى أواخر الوقت الذي أُلف فيه ، والبلد الذي حصل فيه ذلك ، أما تهذيبه وتنقيحه ، فقد تم في زبيد بعد سنة ٧٩٦هـ .

ومن البعيد ، عندي ، أنه يريد أن الفيروزابادي صنف القاموس كله بمكة في عشر سنين ، لأنه لم يكن بلغ مكة في سنة ٧٦٨هـ ، حين أتم الجزء الأول منه .

ولست أظن ، أن والد التقي الكرماني أمر الفيروزابادي باختصار القاموس ، فأذعن ، واختصره في مجلد ضخم بعد أن صنفه في مجلدات ، لأن المؤلف ذكر في خطبة كتابه[4] أنه لم يؤلف قاموسه أولاً في مجلدات ، وإنما شرع بادئ الأمر في تأليف كتاب آخر اسمه (اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب) في مجلدات قدّر أن يكون ستين سفراً ضخماً ، وأتم منه فعلاً خمسة مجلدات كما بينا[5] ثم اختصره في مجلدين اثنين (لا مجلد ضخم كما يقول التقي الكرماني) يحويان خلاصة المجلدات الستين ، وسماه القاموس المحيط ، وقام بهذا الاختصار تلبية لمطلب جماعة من عارفيه ، ومقدري فضله وأدبه ، لا يبعد أن يكون منهم والد التقي الكرماني ، ولم يختصره تنفيذاً لأمره وحده .

ومما سبق نستطيع أن نرجح :

١ – أن الفيروزابادي ألف القاموس قبل دخوله اليمن ، ثم هذبه بعد أن دخلها وزاد عليه فوائد كثيرة .

٢ – أنه أكمله في حياة الأشرف إسماعيل ، ولو أتمه بعده ، لأهداه إلى

---

(١) القول المأنوس ص ٥٦ والجاسوس ص ١٢٥ . (٢) البلغة ص ١٥٠ .

(٣) أزهار الرياض ٣ : ص ٤٤ . (٤) ص ٣ (٥) ص ٧١ من هذا الكتاب .

خلفه السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل ، ولما أهداه إليه ، ذلك أنه كان بالحجاز يوم وفاة السلطان الأشرف إسماعيل للتدريس وتفقد حال مدارسه هناك ، وكان يسميها باسمه ولاء ، وما كاد يصله خبر الوفاة حتى أسرع إلى تغيير أسماء المدارس ، وتسميتها باسم خلفه السلطان الملك الناصر أحمد ، إرضاء له ، والذي يفعل هذا لا ينتظر منه بأي حال أن يؤلف كتاباً في عهد الناصر ويهديه إلى سلفه .[1]

٣ – أنه بدأ يؤلف كتابه قبل سنة ٧٦٨هـ .[2]

والظاهر أن الفيروزابادي فكر في القاموس المحيط منذ عهد الشباب ، وشرع يصنفه قبل ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ بوقت يسمح ، على الأقل ، بتأليف جزئه الأول الذي ينتهي بمادة (وجد) ، وكتابة نسخة ثانية منه ، وظل يعمل لإتمامه حتى أكمله بمنزله على الصفا تجاه الكعبة المعظمة قبيل دخول اليمن ، فلما ارتحل إليها في سنة ٧٩٦هـ ، زاد عليه زيادات وفوائد جمة ، ثم أخرجه كاملاً مهذباً بعد أن أنفق من عمره قرابة ثلاثين عاماً ، وهي مدة معقولة لأن تأليف كتاب ضخم كالقاموس يحتاج إلى متسع من الوقت ، يلائم تصنيفه ، ويتناسب مع ضخامته ، وتحري الدقة في جمع مواده وشرحها ، والتزام الصدق في تدوينه ، فضلاً عما يقتضيه من الجهد المضني ، والصبر والجلد ، وطول الأناة .

ولعل المؤلف نَوَّرَ الطريق أمامنا ، لمعرفة المدة التي استغرقها في تأليفه على وجه التقريب ، حين كتب بخطه عقب مادة (وجد) أنه فرغ من نسخته الثانية من الجزء الأول في ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ وحين ذكر في ختام كتابه أنه أتمه بمنزله على الصفا بمكة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة .

---

(١) ري الصادي ص ١٥ .

(٢) ذكر السيد مرتضى الزبيدي أن الفيروزابادي صَنَّفَ القاموس بمكة المشرفة أي أتمه ، ولما رأى إكرام السلطان الأشرف إسماعيل ملك اليمن له ، ازمع إهداءه إليه ، فزاد في الديباجة ذكره ، وأثبت فيه اسمه ، وأضاف إليه فوائد وزيادات قيمة حين دخل البلاد اليمنية ، فلما أتم ذلك قدمه إليه هدية ، يقصد بها ترغيبه في العلم وأهله أو ما يقرب من ذلك من المقاصد الحسنة (تاج العروس جـ ١ ص ٤١ من القسم الأول) .

وقد عرفنا أنه كان في ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ على أهبة الرحيل من بيت المقدس إلى مكة المكرمة التي انتقل إليها سنة ٧٧٠هـ ، وثوى بها أعواماً (٧٧٠ – ٧٨٥هـ) ثم ذهب إلى الهند ومضى هناك سنين (٧٨٥ – ٧٩٠هـ) وعاد إلى مكة ثانية ، فمكث بها عامين (٧٩٠ – ٧٩٢هـ) بعدهما لبى دعوة الأمير أحمد بن أويس لزيارة بغداد ثم شيراز ، وتوجه إلى اليمن عن طريق هرمز ، فوصلها في سنة ٧٩٦هـ حيث تلقاها السلطان الأشرف إسماعيل وأكرمه ثم بنى بابنته بعد أن توثقت بينهما العلائق واستقر به المقام .

وفي غالب الظن أن الفيروزابادي لم يعجل بإهداء القاموس المحيط إلى السلطان الملك الأشرف إسماعيل حتى ينتهي من تهذيبه ، لكنه أهداه كتاب الإصعاد ، فقد ذكر الخزرجي أنه أهداه إليه في شعبان سنة ٨٠٠هـ حيث قال : « وفي ١٥ شعبان سنة ٨٠٠هـ أفرغ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي كتابه المسمى بالإصعاد ، وحمل إلى باب السلطان مرفوعاً بالطبول والمغاني ، وحضر سائر الفقهاء والقضاة والطلبة وساروا أمام الكتاب إلى باب السلطان ، وهو ثلاثة مجلدات يحمله ثلاثة رجال على رءوسهم ، فلما دخل على السلطان وتصفحه أجاز مصنفه المذكور بثلاثة آلاف دينار . » [1]

على أن الفيروزابادي كان مواظباً على تهذيب القاموس وتزويده بالفوائد الكثيرة ، فلما فرغ من ذلك كله ، وأخذ الكتاب حلته الكاملة ، وازَّيَّن بها ، قدمه هدية جديرة بالتقدير ، إلى السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن عباس مولى البلاد اليمنية في الدولة الرسولية . [2]

ويمكن ، بعد كل هذا ، أن أقرر أن الفيروزابادي ألف قاموسه في المدة التي تبتدئ من قبل ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ وتنتهي قبل ١٨ صفر سنة ٨٠٣هـ

---

(١) العقود اللؤلؤية ٢ : ٢٩٧ .

(٢) توفي السلطان الملك الأشرف إسماعيل في ١٨ صفر سنة ٨٠٣ هـ كما في العقود اللؤلؤية جـ٢ ص ٣١٦ ومن هذا يظهر خطأ محمد صديق الذي قال في البلغة ١٤٥ : إن المجد كتب القاموس المحيط عام ٨١٣ هـ .

في البلاد التي استوطنها أثناءها ، كما أرجح أنه فرغ من تهذيبه باليمن بعد ١٥ شعبان سنة ٨٠٠هـ ، ثم أهداه إلى السلطان الملك الأشرف إسماعيل في أوائل القرن التاسع الهجري كما يتضح مما جاء في مقدمة البستان التي ورد فيها : « وفي القرن التاسع الهجري وضع مجد الدين محمد الفيروزابادي القاموس معتمداً فيه على المحكم والعباب »[١]

وقد صرح الفيروزابادي بهذا الإهداء حيث يقول : « فاتحفت مجلسه العالي بهذا الكتاب الذي سما إلى السماء لما تسامى ، وانا في حمله إلى حضرته ، وإن دعي بالقاموس كحامل القطر إلى الدأماء والمهدي إلى خضارة أقل ما يكون من أنداء الماء » .[٢]

وكانت الهدية جزاء وفاقاً ، لما غمره به السلطان من التجلة والحفاوة والاكرام، فقد أسبغ عليه نعمه ، وشمله بعطفه وبره وفضله وأسند إليه أكبر منصب في المملكة ، وهو منصب قاضي قضاة اليمن كله .

كان القاموس المحيط من خير ما أهدي إليه ، فقد رفعه إلى مقامه السامي ، ومدحه بأبيات تحدى بها أبيات الزمخشري ، جاء فيها :[٣]

مولَى مُلوكِ الأرضِ مَنْ في وَجهِهِ	مقياسُ نورٍ أيَّما مِقيـاس
بَدْرٌ مُحَيَّا وَجْههِ الأَسْنَى لَنـــا	مُغْنٍ عَنِ القَمَـرَيْنِ والنِّبْراسِ
مِنْ أُسْرَةٍ شَرُفَتْ وَجَلَّتْ فَاعْتَلَتْ	عَنْ أَنْ يُقَاسَ عَلاؤُهَا بِقِيَـاسِ
رَوَوُا الخلافَةَ كابراً عن كـابِرٍ	بِصَحِيحِ اسنادٍ بِـلا الْبَـاسِ
فَرَوَى عَلِيٌّ عَنْ رَسُولٍ مِثْـلَ مَا	يَرْوِيهِ يُوسُفُ عَنْ عُمَرْ ذِي الْبَاسِ
وَرَوَاهُ دَاوُدُ صَحِيحاً عن عُمَرْ	وَرَوَى عَلِيٌّ عنـه لِلْجُلاَّسِ
وَرَوَاهُ عَبَّاسٌ كذلك عَنْ عَلِي	وَرَوَاهُ اسْمَاعِيلُ عَنْ عَبَّـاسِ

---

(١) مقدمة البستان ص ٣٧ . (٢) خطبة القاموس ص ٦ – خضارة : علم للبحر .

(٣) خطبة القاموس ص ٦ : (إسماعيل هو الملك الأشرف الممدوح وهو إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول) – كما هو وارد بهذا الشعر = انظر العقود اللؤلؤية جـ ٢ : ص ١٦٣ .

ويظهر أنه كان يجل السلطان ، ويفتن بعلمه الجم ، وفضله الغزير ، فزف إليه كثيراً من كتبه هدايا حازت منه القبول ، [1] ونالت جزيل العطاء ، ثم قدم إليه القاموس هدية ، وعتها الأجيال ، وسجلها التاريخ ، مفخرة ورمز وفاء .

توثيقه

لا جدال في أن القاموس المحيط هو من تصنيف القاضي مجد الدين الفيروزابادي . وقد ذكر السيد مرتضى الزبيدي طريقين هامين لأسانيده المتصلة إلى المؤلف :

أولهما : **أن صاحب تاج العروس أخذ هذا المعجم قراءة وسماعاً بمدينة زبيد عن شيخه الإمام اللغوي رضي الدين عبد الخالق بن أبي بكر الزين ابن النمري المزجاجي الحنفي الزبيدي ، عن الفقيه عبد الفتاح بن إسماعيل بن عبد الفتاح الخاص السراج الحنفي الزبيدي ، عن الإمام أبي الفداء إسماعيل بن عبد الفتاح الخاص ، عن والده فخر الدين عبد الفتاح بن الصديق بن محمد الخاص ، عن الإمام شرف الدين أبي الفداء إسماعيل بن محمد الخاص ، عن الإمام رضى الدين أبي محمد الصديق ، عن والده الحافظ المعمر شيخ الإسلام جمال الدين محمد بن الصديق بن إبراهيم الخاص السراج الحنفي الزبيدي ، عن العلامة شرف الدين أبي القاسم ابن عبد العليم بن إقبال الحنفي ، عن الإمام زين الدين أبي العباس أحمد ابن عبد اللطيف الشرجي الحنفي الزبيدي ، عن المؤلف .**

والآخر : **أن صاحب تاج العروس أخذ هذا المعجم أيضاً قراءة وسماعاً عن شيخه الإمام اللغوي رضى الدين عبد الخالق بن أبي بكر ، عن الشريف عماد الدين يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني الحرار الزبيدي ، عن المحدث اللغوي حسن بن علي بن يحيى الحنفي**

---

(١) ري الصادي ص ١١ .

المكي ، عن الشيخ عبد الرحيم ابن الصديق الخاص ، عن الفقيه أبي عبد محمد بن الشيخ علاء بن عبد الباقي المزجاجي ، عن والده ، عن أخيه عفيف الدين عبد الله ، عن العلامة الهادي بن عبد الجبار ابن موسى بن جنيد القرشي ، عن العلامة برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن جعمان، عن الشريف الطاهر بن حسين الأهدل ، عن الحجة وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني الزبيدي ، عن المحدث الأصولي اللغوي نادرة العصر أبي عبد الله محمد بن محمد بن موسى الشرفي الفاسي ، عن الإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن أحمد المناوي ، عن الشيخ المسند أبي عبد الله محمد الصغير بن الشيخ الحافظ أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام سيدي عبد القادر الفاسي ، عن الإمام محمد بن أحمد الفاسي ، عن الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم الغرناطي القيسي ، عن الإمام أبي عبد الله محمد البستيني ، عن العلامة أبي عبد الله محمد بن غازي المكناسي ، عن الحافظ أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، عن الإمام يحيى بن مكرم بن محب الدين محمد بن محمد بن أحمد الطبري الحسيني ، عن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، عن التقي محمد بن فهد وآخرين ، عن المؤلف . وأخذه ابن غازي أيضاً عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري هو والسخاوي وابن فهد عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني عن المؤلف[1] .

(١) تاج العروس ١ : ١٥ – ١٦ (قسم أول) .

الفصل الثاني

مادته

التعريف بمادة القاموس :

يبدو أن مجد الدين الفيروزابادي لم يعرفنا بمادة القاموس المحيط تعريفاً كافياً ، فقد قال : « المادة الزيادة المتصلة »

ولم يكن ابن سيده الأندلسي أكثر منه تحديداً للمراد بها في كتابه المحكم ، إذ قال : « مادة الشيء ما يمده ، دخلت فيه الهاء للمبالغة . »

ولعل الإمام المُناويَّ ، كان أوضح منهما تعريفاً لها ، حيث يقول : « المادة حروف اللفظ الدالة على المعنى » .

وذكر أحمد فارس الشدياق أن المقصود بها في اللغة التي ترجم إليها القاموس : الجرم ، أو الأصل ، أو ما يركب منه الشيء ، أو ما يبنى عليه الكلام ؛ أو الأمر المهم ، أو الأمر مطلقاً ، أو ما يكون عنه نسبة خاصة . » [1]

وهذه التعريفات ، في جملتها ، وبخاصة الأربعة الأولى ، قريبة الشبه بما عَرَّفَ به الإمام المُناوي .

ثم قال علماء اللغة ان الصحاح اشتمل على أربعين ألف مادة ، زانها الحسن والصحة والبيان ، وأن صاحب القاموس توسع فجمع فيه ستين ألف مادة ، ولسان العرب اشتمل على ثمانين ألف مادة [2] .

---

(١) الجاسوس ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(٢) مقدمة تاج العروس ص ٢٣ .

لكن ، ماذا يعنون بالمادة ؟ وعلى أي شيء اصطلحوا ، بالنسبة لها ، فيما قالوا ؟

إنهم لم يعرضوا لها إلا تعريفات لغوية ضيقة ، لا تؤدي الغرض ، ولا توضح المراد .

وعالج الأب انستاس ماري الكرملي ، الأمر ، فذكر أن فريقاً من علماء اللغة ، قال إن الكلمة ، وضعت في أول أمرها ، على هجاء واحد : متحرك ، فساكن ، محاكاة لأصوات الطبيعة ، ثم زيد فيها حرف أو أكثر ، في الصدر أو القلب أو الطرف ، تبعاً لتصرف الناطقين بها في مختلف البلاد والبيئات والقبائل ، وكان لكل صيغة أو زيادة أو حذف أو قلب أو إبدال ، مَعْنَاة أو غاية أو فكرة خاصة أقرها الاستعمال مع الزمن ، بوحي من الطبيعة ، أو انسياق للتتبع الدقيق .

وأن فريقاً آخر ، ذهب إلى أن الكلمة ، وضعت في أول نشأتها على ثلاثة أحرف ، بهجاء واحد أو بهجاءين ، ثم تطورت على لسان المتكلمين بها ، فاتسعت لهم الآفاق ، وظهرت الفروق ، وكثرت اللغات ، واختلفت اللثغات .

وقد مال إلى الرأي الأول بعض حذاق اللغة ، وكان الأصبهاني صاحب كتاب غريب القرآن ، في طليعة من قالوا به ، فإنه بنى معجمه على اعتبار المضاعف هجاء واحداً ، ولم يبال تكرار حرفه الأخير ، لأنه عنده من وضع الخيال ، فهو إذا أراد أن يذكر (مد يمد مداً) مثلاً في سفره ، ذكرها كأنها مركبة من مادة (مَدْ) أي ميم ودال ساكنة ، ولا يلتفت أبداً ، إلى أنها من ثلاثة حروف ، أي (م د د) ، كما يفعل غيره من اللغويين ، ولهذا السبب يذكر (مد) قبل (مدح) مثلاً ، خلافاً لمعظم المعاجم ، كالقاموس ، ولسان العرب ، وأساس البلاغة ، وتاج العروس ، وغيرها .

وأحب المستشرقون هذه الطريقة ، ووضعوا معاجمهم ، مقتفين أثر الأصبهاني ، ولم يبتكروا الطريقة من عندهم ، بخلاف ما يزعمه بعض الناس .

وانتهى الأب انستاس ماري الكرملي إلى أن قال : « ويسمى الحرفان اللذان

ينشأ منهما معنى ، أو إن شئت ، فقل ، ويسمى الهجاء الواحد ، إذا أفاد معنى ، (مادة) ، أو (تركيباً) ، أو (أصلاً) أو (ترجمة) . ويلازم كلاً من هذه الأسماء الأربعة ، هذا الاصطلاح وإن تعدد الهجاء ، فكان اثنين أو ثلاثة أو أكثر .

وقد استقلت كل مادة بمعنى ، فاشتهرت به ، وإذا تقاربت أحرف بمخارجها من أحرف مخارج كلم أخرى ، تدانت أيضاً معانيها بعضها من بعض ، وتلازمت ، وتضامنت ، وظهرت القربى بينهما كل الظهور ، كما في لدم ولثم ولكم ولتم ولطم ولحم ولخم ، فكل حروفها متقاربة المخرج ، ومتقاربة المعنى الذي هو الضرب[1] .

فالمادة إذن (في رأيه) : هي اللفظ الذي أفاد معنى ، أياً كان عدد حروفه ، وتسمى تركيباً ، أو أصلاً ، أو ترجمة .

ولكل مادة معنى مستقل ، اشتهرت به ، وقد تتدانى معاني المواد وتظهر القربى بينها ، إذا تقاربت أحرفها في المخارج ، على نحو ما سبق .

وهذا التعريف أشد قرباً ، وأبلغ وصفاً ، في تعيين المراد بالمادة ، مما ذكره كثير من العلماء .

لكنه (في نظري) يحتاج إلى إيضاح ، لأنه يُجَوِّزُ لنا أن نطلق هذه التسمية على كل لفظ من هذه الألفاظ : (كتب . كتابة . كاتب . مكتوب . كتاب . مكتب .) الخ .

وما أظن الفيروزابادي ، ولا العلماء الذين أحصوا مواد كتابه ، يريدون هذا المعنى ، لأن القاموس فيه من ذلك ملايين الكلمات ، ويبعد كذلك ، أنهم يريدون الكلمات الأصلية الحروف فحسب ، مثل : (كتب . قرأ . مدح . رحم . وفد . خرج) لأن ما فيه منها لا يزيد كثيراً على عشرة آلاف .

إنهم ، حتماً ، يريدون غير هذا وذاك .

---

(١) نشوء اللغة العربية ص ١ – ٣ .

وقد وقف موقف الحيرة فيما نحن بصدده ، بعض الباحثين السابقين ، كأحمد فارس الشدياق الذي قال : « إن قول المحشي [1] وغيره ان القاموس جمع ستين ألف مادة ، فيه نظر ، لأنهم إن أرادوا بالمواد مثل كأب وكبب وكتب وكثب ، فهذا المقدار ، أي الستين ألفاً كثير ، فإني تتبعت القاموس ، من أول حرف الهمزة إلى آخر الظاء ، وهو نصف حجمه تقريباً ، فلم أجد سوى خمسة آلاف وأربعمائة وإحدى وخمسين مادة ، من جملتها ، المواد الزائدة على الصحاح ، ولا شك أن الباقي أقل ، وذلك لطول المواد فيه ، فربما ملأت المادة الواحدة منها صفحتين ، وإن أرادوا المادة وما يشتق منها ، فذلك فوق العدد فربما أناف على مليون . » [2]

كل هذا ، جعلني أنعم النظر في القاموس المحيط ، وأوازن بين مواده من حيث الحروف ، أصالة وزيادة ، وعدداً وشكلاً ونوعاً ، ومن حيث معاني الكلمات ومدلولها ، بل من حيث كون الكلمة عربية أو غير عربية ، رجاء أن أقف على ما كانوا يقصدون بقولهم (مادة) ، وعرجت على طائفة كبيرة من صفحاته ، فاخترتها من مواضع شتى منه ، ودرستها دراسة فاحصة ، دلتني على أن كل كلمة ، وضعها الفيروزابادي بالقاموس في سجل كلماته المرتبة [3] ، أصل في الغالب لكلمات أخرى ، وقد تؤخذ منها أصول تحسب معها ، ويتفرع كل منها إلى كلمات أيضاً ، وربما كانت الكلمة المرتبة في هذا السجل فرعاً لأصل روعي في الترتيب ، يتشعب أحياناً إلى أصول أخر ذات فروع غالباً كذلك .

وهاك أمثلة توضح ما أقول :

١ – (كلأه) كمنعه من الكلمات الواردة في ترتيب القاموس ، والتي ميزها الوراقون بقوسين ، قد تصرفت إلى كلمات ، واندرج تحتها

---

(١) هو الإمام محمد بن الطيب القاسي .   (٢) الجاسوس ص ١٠٦ – ١٠٧ .
(٣) هي التي جعلها الوراقون بين قوسين أو بعد علامة خاصة .

أصول أخر ، أخذت منها ، بالتجريد أو بالزيادة ، وتصرف كل منها كذلك إلى كلمات غالباً .

والأخذ بالتجريد هو نقل الأصل المنسق إلى أصل آخر أو أكثر بتغيير في الميزان ، ينشأ عادة من تغيير حركة العين .

والأخذ بالزيادة هو توليد أصل أو أكثر من هذا الأصل الرئيسي المنسق بزيادة حرف أو أكثر من حروف الزيادة .

وكل منها يتصرف إلى كلمات .

والأصول المجردة التي جاءت من « كلأ » : (١) كَلِئَ بالكسر .

والأصول المزيدة التي جاءت منه :

(١) أكلأ (٢) استكلأ (٣) تَكَلَّأَ (٤) كَلَّأَ (٥) اكتلأ .

وهذه الأصول كلها متصرفة ، لكن لم يراع الفيروزابادي أن تكون بينها مناسبة معنوية ، وإنما الذي جعله نصب عينيه أن تكون متفقة في حروفها الأصلية.

٢ — (الشجر) :

أصوله المجردة : (١) شَجَرَ (بفتح العين) (٢) شَجِرَ كفرح

وأصوله المزيدة :

(١) شاجر (٢) شَجَّرَ (٣) اشتجر (٤) تشاجر (٥) انشجر .

٣ — (الكشف) : فعله كشف :

أخذت منه أصول مجردة هي : (١) كَشَفَ (٢) كَشِفَ كفرح

وأخذت منه أصول مزيدة هي : (١) أَكْشَفَ (٢) تَكَشَّفَ (٣) كَشَّفَ (٤) انكشف (٥) اكتشف (٦) كاشف (٧) تكاشف (٨) استكشف .

٤ — (زَرَفَ) : قَفَزَ ، وإليه تقدم ، وفي الكلام زاد .

أصوله المجردة : (١) زرف كفرح (٢) زرف كنصر .

وأصوله المزيدة : (١) زَرَّفَ (٢) أزرف (٣) انزرف .

٥ — (القَبَس) : محركة ، وفعله قَبسَ يَقْبس . ومنه القابوس : الرجل الجميل الوجه الحسن اللون .

أصوله المجردة : (١) قَبُسَ ككرم (٢) قَبِسَ كفرح

وأصوله المزيدة : (١) اقتبس (٢) اقبس (٣) قنبس كعنبر اسم (٤) قابوس ، معرب كاووس ، وأبو قابوس النعمان بن المنذر ملك العرب ، وقابوس ممنوع للعجمة والمعرفة .

ولا صلة لهذا اللفظ ، وكلمة قابوس بمعنى جميل الوجه حسن اللون ، إلا في الحروف المتشابهة .

٦ - (القر) :

الأصول المجردة التي أخذت منه :

(١) قَرَّ (بكسر العين في المضارع) (٢) قَرَّ (بفتح العين في المضارع) (٣) قَرَّ (بضم العين في المضارع) (٤) قَرْقَرَ .

والأصول المزيدة التي أخذت منه : (١) قَرَّرَ (٢) أَقَرَّ (٣) تَقَرَّرَ (٤) استَقَرَّ (٥) تَقَارَّ (٦) اقْتَرَّ (٧) قَارَّ (٨) قَرْقَارِ مبنية على الكَسْر أي استقري (٩) الْمَقَرَّةُ الحوض الصغير والجرة الصغيرة ، **يمانية** .

٧ - (الزُّحْلُوفَة)[1] من زحلفه دحرجه ، والإناءَ مَلأَهُ .

وليس منه أصل آخر مجرد . أما ما أخذ منه من أصول مزيدة فهي :

(١) تَزَحْلَفَ (٢) ازْحَلَفَّ : تَنَحَّى كازْلَحَفَّ .

٨ - الزُّرْنُوق) : النهر الصغير والزِّرْنيقُ بالكسر الزِّرْنيخ (معرب) ، فعله زرنق زرنقة ، أي سقى ومنه : (١) تَزَرْنَقَ أي تَعَيَّنَ واستقى على النهر (٢) انْزَرَقَ في الجُحْرِ : دَخَلَهُ وكَمَنَ والرمحُ نَفَذَ .

٩ - (حَذْلَقَ)[2] : أظهر الحذق ، أو ادعى أكثر مما عنده . ومنه (تحذلق)

١٠ - (بَرْشَقَ)[3] : اللحم قطعه . ومنه (ابرنشق)

---

(١) الزحلوفة : آثار تَزَلُّج الصبيان من فوق التل إلى أسفله أو مكان منحدر مملس .

(٢) وهي مادة عربية الأصل . (٣) هي مادة عربية الأصل .

١١ – (القُرْطَقُ) : لبس م معرب كرته . وفعله (قرطق) ، ومنه (تقرطق) . وَقَرْطَقَهُ فتَقَرطق : ألبسه إياه فلبسه .

١٢ – (اسحنكك) الليل أظلم ، ومنه (سُحْكُوك) و(مُسْحَنْكَكٌ) شديد السواد .

وقد يتفرع كل أصل من هذه الأصول ، مجردة أو مزيدة ، إلى كلمات أخر على نحو ما هو وارد منها بالقاموس .

وأرى أن نسمي الكلمة التي جعلها الفيروزابادي في موضعها الملائم بين كلمات كتابه المرتبة ، **مادة رئيسة أو أصلاً رئيساً** . وهي كما رأينا تمثل أصلاً واحداً من عدة أصول ، تتبعها وتحيا في كنفها وتدعى باسمها بحكم اشتراكها جميعاً في حروفها الأصلية ، وتكون المادة الرئيسة هي الأصل الأول أو فرعه ، فالمواد الرئيسة : (كلأ كمنع ، والشجر ، وزرف ، والقبس ، والقر ، وحذلق ، وبرشق ، والقرطق) أصول أولى .

والمواد الرئيسة : (الزحلوفة ، والزرنوق ، والاصْمِعْدَاد ، والطَّلافِح واسحنكك ، والكَزْمَازِك)[1] كل منها فرع لأصل أول .

وأرى أيضاً أن نطلق على هذا الأصل الذي يكون منه تصاريف الكلمات ، واشتقاقاتها ، اسم (**مادة أو أصل**) ، لا فرق في ذلك بين الأصول المجردة ، والأصول المزيدة .

والمادة الرئيسة سواء أكانت عربية ، كما في كلأ والشجر والقر ، أم معربة ، كما في الخَرْدَق[2] والقرطق والزرنوق ، تحتوي مواد أخرى تختلف كثرة

---

(١) الاصمعداد : الانطلاق السريع .

الطلافح : العِراض وبالضم المخ الرقيق ، وطَلْفَحَهُ أرقَّهُ .

الكزمازك : حب الأثل فارسية أي عفص الطرفاء .

(٢) الخردق : المَرَقَة معرب .

وقلة ، وموادُّها التي تشتمل عليها ، قد تكون **عربية** كلها ، كما في كلأ والشجر ، أو **معربة** ، كما في الخَرْبَق[1] ، **أو عربية ومعربة** ، كما في القبس التي جاء ضمن المواد التي تحتويها ، مادة القابوس معرب كاووس ، ولا صلة لها بباقي المواد العربية الأصل ، إلا الاشتراك في الحروف الأصلية ، وهي القاف والباء والسين .

على أن الباحث قد يصادف مادة رئيسة معربة[2] ، ضمت إلى جانبها مادة عربية أصيلة أو أكثر ، ولكنها في الغالب تضم معها مشتقاتها هي ، إن كان لها مشتقات[3] .

ويلوح لي أن الصلة الأساسية بين جميع المواد التي تجمعت حول مادة رئيسة واحدة ، إن هي إلا الحروف الأصلية فقط مرتبة ، فقد رأينا أنها اشتركت فيها كلها ، مهما تكن عربية أو معربة ، مجردة أو مزيدة ، تابعة أو متبوعة ، ولا عبرة بالمدلولات ، فكثيراً ما يكون البون بين معنى مادة وأخرى شاسعاً .

وإذا كانت المادة الرئيسة من أصل ثلاثي ، فإن ما يتبعها من مواد يكون مجرداً ثلاثياً ، أو مزيداً ثلاثياً ، أو معرباً ، أو مجرداً رباعياً مضعفاً ، إن كان من مضعف الثلاثي ، أما إذا كانت من أصل فوق الثلاثي ، فموادها التابعة لها تكون من مجردة ، أو مزيدة أو معربة ، كما في القرطق والحذلقة والخربق .

والمعتبر في تنسيق المواد الرئيسة ، هو أصالة الحروف لا غير وتتخذ الواحدة منها رقماً واحداً ، أو حيزاً لا تتعداه بين الكلمات المرتبة بصرف النظر عما يندرج تحتها من مواد ، فمادة (القبس) الرئيسة واحدة ، ولكنها مع ما تبعها من مواد ، تحسب في تعداد القاموس ثماني مواد ، وليست بواحدة ، كما اعتبرت

---

(١) الخربق كجعفر : نبات ورقه كلسان الحمل . (معربة نص عليها تاج العروس) .

(٢) مثل : الجاموس معرب كاوميش ، ومعه جمس عربية الأصل .

(٣) مثل : النَّواخذَة مُلاَّك سفن البحر أو وكلاؤهم معربة الواحدة ناخُذَاةٌ اشتقوا منها الفعل وقالوا تنخذ كترأس (قاموس) .

بين ما وضعه الناسخون والوراقون بين قوسين أو إثْر علامة مميزة قريبة الشبه بالنجمة .

والأصل الذي منه التصاريف ، قد يكون فعلاً أو اسماً ، وقد يكون عربياً أو معرباً [١] ، وسواء أكان فعلاً أم اسماً ، فإنه وما تصرف منه مادة قائمة بذاتها .

ويظهر أن الفيروزابادي كان مسترشداً بعلم الصرف في تعداد مواد كتابه ، أو أن العلماء الذين أحصوه كانوا هم يقتفون آثار الصرفيين ويعتمدون على قواعدهم ونظمهم ، في تحديد ما يقصد بكلمة (مادة) .

والصرفيون (كما نعلم) قد جعلوا لكل أصل تصاريفه واشتقاقاته واختلفوا فيما عسى أن يراد بهذا الأصل ، فذهب البصريون إلى أنه المصدر ، لكونه بسيطاً ، أي يدل على الحدث فقط ، بخلاف الفعل فإنه يدل على الحدث والزمن .

وذهب الكوفيون إلى أنه الفعل ، لأن المصدر يجيء بعده في التصريف .

والذي عليه الإجماع هو الأول ، ويشتق منه عشرة أشياء : الماضي ، والمضارع ، والأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، واسما الزمان والمكان ، واسم الآلة ، ويلحق بها شيئان : المنسوب ، والمصغر . [٢]

ويبدو أن علماء اللغة اعتبروا الأصل وتصاريفه واشتقاقاته وملحقاته مادة لغوية .

وسواء أكان الفيروزابادي من أنصار البصريين ، أم الكوفيين فإن كتابه

---

(١) عربياً كالفَرْز بمعنى عزل شيء من شيء ، معه الفِرْز من قطع الشطرنج معرب ، وفيروزاباذ د، وفيروزقباذ د . والنَّجْرُ من النجارة ، معه الأنجر مرساة السفينة معرب لنكر . وجَلَبَه ساقه من مكان لآخر ، معه الجلاَّب وهو ماء الورد . أو معرباً كالجاموس م معرب كاوميش ؛ معه جَمَسَ والجامس من النبات ما ذهبت غضوضته (عربية الأصل) وكالقَنْد وهو عسل قصب السكر إذا جُمِّدَ (معرب) ، ومعه : سويق مُقَنَّد ومقنود ومُقَنْدَى (عربية الأصل)حلو .

(٢) شذا العرف ص ٤٤ .

خاضع لهذا النظام .

على أنه فيما يظهر لي سائر على كلا المذهبين ، يتبع أحدهما تارة ، والآخر تارة أخرى .

وقد رتب القاموس وفق الأصول المجردة ، وجعل مع الأصل المجرد مزيده، إن كان له مزيد ، ومجرده من وزن آخر ، إن كان له ذلك ، ثم ملحقه ومعربه ومولده ، إن كان هناك ملحق أو معرب أو مولد .

والمزيد تختلف مشتقاته باختلاف أحرف الزيادة ، والمجرد تختلف تصاريفه كذلك باختلاف وزنه ، فمجرد الثلاثي غير مجرد الرباعي ، والمفتوح العين في مجرد الثلاثي غير مضمومها أو مكسورها .

كل واحد من هذه يختلف في تصاريفه واشتقاقاته عن الآخر اختلافاً بيناً ، ويسمى هذا الذي يكون منه الاشتقاق أو التصريف أصلاً لغوياً ، وهو وما أخذ منه أو التحق به ، مادة لغوية ، في حسبان عدد مواد هذا المعجم .

فالمقصود **بالمادة** في القاموس إذن هو الأصل أساسياً كان أو فرعياً ولا عبرة بما يشتق منه ، فالفعل أياً كان نوعه وجميع مشتقاته وملحقاته تعتبر كلها أصلاً واحداً ، غير أننا نصف المادة المجردة بأنها أساسية والمزيدة بأنها فرعية .

وليس المقصود بها اللفظ الذي اعتاد الناسخون حصره بين قوسين كبيرين أو على إثر علامة مميزة كالنجمة فحسب تبعاً للترتيب فهذا اللفظ يندرج تحته أصول أخرى تخالفه في صيغها ، لكنها توافقه في حروفها الأصلية ، كما ذكرنا .

وإذا أردنا أن نحصي مواد القاموس ، كان علينا أن نضع يدنا على الأصل الذي منه التصاريف والاشتقاق ، سواء أكان فعلاً أم اسماً ، ونعتبره هو وما تصرف منه أو التحق به مادة لغوية واحدة ، فهو في الواقع رأس المواد التي تفرعت عنه ، أو هيكل لف ثوبه غالباً على مواد أخرى نابتة منه أو ناشئة في حماه ، كأنما هو خلية لعديد من المواد ، أو مركز يلتف حوله أصول لغوية تتفق معه في أصالة الحروف وترتيبها .

والمواد الرئيسة في القاموس تبلغ حوالي ١٠٣٤٣ مادة .

ومن الجدول الآتي ، نستطيع أن نقف على عدد المواد في كل فصل وكل باب على حدة ، وقد أحصيت ما فيه بعد أن استوعبت الكتاب ، وبحثت عن جميع المواد .

على أني آثرت أن أقوم بتجربة عملية تؤيد ما ذهبت إليه في تعداد مواد القاموس ، فسلكت مسلك علماء الرياضة في استخراج المتوسطات الحسابية ، ورجعت إلى هذا المعجم في مواضع مختلفة ، وأخذت من المواد الرئيسة ما يعادل الربع الأول من مواد كل فصل من فصوله ، وأحصيت ما في كل منها من المواد التابعة لها ، أساسية كانت أو فرعية ، ثم قسمت مجموع هذه المواد على مجموع المواد الرئيسة ، فكان خارج القسمة ٥,٩ مادة . ثم عدت إلى المعجم نفسه ، وعملت هذا العمل بالنسبة للربع الأخير من كل فصل من الفصول فكان خارج القسمة لمجموع المواد التابعة على مجموع المواد الرئيسة ٥,٧ مادة . وبذلك يكون المتوسط بين الخارجين المذكورين ٥,٨ مادة ، وهو متوسط ما في كل مادة من المواد الرئيسة بالقاموس .

وإذا ما ضربنا هذا المتوسط في عدد مواد القاموس الرئيسة كلها [1] كان حاصل الضرب ٥٩٩٨٩,٤ مادة ، أي حوالي ستين ألف مادة تقريباً .

وبيان ذلك كالآتي :

في الربع الأول :	مجموع المواد الرئيسة	= ٢٥٨٦	مادة
	» المواد التابعة لها	= ١٥٢٥٧	مادة
	خارج القسمة	= ٥,٩[تقريباً]	مادة
في الربع الأخير :	مجموع المواد الرئيسة	= ٢٥٨٦	مادة
	» المواد التابعة لها	= ١٤٧٤٠	مادة

---

(١) انظر الجدول من هذا الكتاب .

خارج القسمة	= ٥,٧ [تقريباً]مادة	
متوسط خارجي القسمة المذكورين	= ٥,٨	مادة
	[وهو متوسط ما في كل مادة رئيسة من المواد التابعة]	
جملة المواد الرئيسة في القاموس	= ١٠٣٤٣	مادة
متوسط ما في كل مادة رئيسة من المواد التابعة لها	= ٥,٨	مادة
جميع مواد القاموس	= ٥٩٩٨٩,٤	مادة
	[أي ستين ألف مادة تقريباً]	

من هذا يتبين لنا أن رأي من يقولون إن مواد القاموس المحيط ستون ألفاً ، هو أقرب ما يكون إلى الصواب .

ويظهر من هذا الجدول أن الكلمات التي اتحدت فصلاً وباباً قلت في كثير من الأبواب وانعدمت في (باب الظاء فصل الظاء) ويكاد يكون الدخيل فيها واضحاً ، كما أن جل هذه المواد قصير محدود الألفاظ .

منهج المؤلف في ترتيب المواد :

نحا الفيروزابادي في ترتيب مواد القاموس المحيط ، منحي الجوهري في ترتيب مواد الصحاح ، الذي اعتمد فيه ، على تنسيق المشارقة لحروف الهجاء ، مع تطعيم بترتيب المغاربة أحياناً .

ويجمل بنا أن نلم إلمامةعابرة بترتيب الحروف الهجائية ، ما دام هو الأساس الذي اتبعه هذان المؤلفان في الترتيب .

حروف الهجاء العربية :

الحروف الأصلية للغة العربية ثمانية وعشرون حرفاً ، وتسمى حروف المعجم ، وحروف الهجاء ، وألف باء ، وهي الألف والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والواو والهاء والياء .

ترتيبها :

اعتاد الأقدمون من العلماء أن يذكروا الحروف الهجائية للغة العربية مرتبة ، ليسهل حفظها وسردها وقت الحاجة . ولها ثلاثة تراتيب :[1]

الأول ـ الترتيب القديم أو الترتيب الأبجدي ، وكان معروفاً لدى كثير من شعوب المعمورة ، وبخاصة الشعوب السامية كالسريانيين والعبرانيين . وهو عندالمشارقة: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ . وعند المغاربة : أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرشت ثخذ ظغش ، باختلاف قليل بينهما كما نرى ، ومنشؤه أن المغاربة كانوا يروون الترتيب عند الأمم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة .

---

(١) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ١ : ٣٥ .

أما أبجد وأخواتها ، فألفاظ لم يقصد بها سوى جمع الحروف في كلمات سهلة الحفظ ، وليست أسماء ملوك وضعوا الكتابة العربية كما قال صاحب القاموس [1] ، ولا أسماء أشخاص كما قال غيره .

والثاني ـ الترتيب الصوتي ، وهو ترتيب الحروف على حسب مخارجها ترتيباً يبتدئ من الصدر ذاهباً إلى الشفتين ، وهو هكذا :
ا و ي (أي حروف المد) ء ه ع ح غ خ ق ك ج ش ي ض ل ر ن ط د ت ص س ز ظ ذ ث ف ب م و. وقدجرى عليه الخليل بن أحمد في العين وسيبويه في الكتاب ، وابن سيده في المحكم، مع تساهل قليل . فترتيب الخليل في كتاب العين [2] هكذا : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي .

وترتيب صاحب المحكم مثله إلا أنه جعل حروف العلة هكذا : ا ي و .

وترتيب سيبويه هكذا : ء ه ع ح خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م ي ا و .

والثالث ـ الترتيب الحديث ، أو الترتيب الهجائي ، وهو الذي ما زال معمولاً به إلى اليوم في البلاد الناطقة بالضاد ، وجرى عليه أصحاب الصحاح والقاموس ولسان العرب وغيرهم .

وقد اخترعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان . والمقصود منه ضم كل حرف إلى ما يشبهه في الشكل .

قال المغفور له حفني بك ناصف: بدأ ا بالألف والباء لأنهما

---

(١) مادة (بجد) . (٢) ص ٤٦ من هذا الكتاب .

إحصاء المواد الرئيسية بالقاموس

فصل / باب	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	هـ	ي	الواو والياء	الألف اللينة	المجموع
أ	١١	١٣	١١	٤	١٠	٨	٩	١٨	٤	٢١	٧	٨	٦	٤	٦	٦	٢	٥	٢	١٤	١١	٩	٢١	٢٠	٢٣	١١	١١	٢٢	٢٥	٨	٢٩٥
ب	١٢	٨	١٩	١٦	٣٣	١٦	١٢	١٩	٤	٥٣	١٢	٣٣	١٨	١٧	٦	٢٣	٥	٢٨	١٤	٣	٣٥	٢٤	٣٩	٤٤	٣٤	١٧	١١	١٣	٢٦	١	٥٧٠
ت	٤	١٣	٨	٣	٤	٥	٥	٧	٢	٢١	٧	١١	٣	٤	١	—	—	٩	١	٦	٦	٧	١٦	١٦	١١	٩	٨	٦	١٦	١	١٩٤
ث	٨	١٣	٧	١	١١	٢	٣	١٥	—	١٤	—	—	٢	—	—	١٤	—	٧	٥	٣	٦	٢	١٩	١٦	١٣	٩	٢	٩	١٥	—	١٨١
ج	١٢	٣٧	٨	٩	٩	١٦	١٠	٢٢	١٢	٣٥	٢١	٢٢	١٨	٨	٧	١٤	١٧	١٧	٢	١٨	٢٨	٥	٤٠	٤٤	٢١	١٦	٧	١٠	١٩	—	٤٨٥
ح	٢١	٣١	١٢	١٤	٢٣	٣	—	٢٩	٩	٤٤	١٢	٢٠	١٨	١٥	٩	١٢	٧	—	—	٢٥	٢٥	١٧	٦٢	٤٠	٢٣	٢١	١	١٢	٢٣	١	٥٠٦
خ	١٢	٣٩	١١	١١	٢٣	—	٢	١١	٤	٣٩	٨	١٥	١٥	١٣	٤	٨	٢	٣٢	—	٢٩	٢٢	٤	٤٢	٣٧	١٩	١٧	—	١٦	٢٠	١	٤٣٦
د	٩	٢٨	٥	٩	٢٧	١٦	١٠	٥	٣	٤١	٦	٤٥	١٩	٢٢	٨	٦	٧	١٨	٧	١٣	٣٣	١٦	٣٥	٤٤	٢٤	١٤	٩	١٤	١٩	—	٥٠٣
ذ	٦	١١	٤	—	٧	٩	٥	٢	١	١٤	٢	٢	١	—	—	١٢	—	٥	٢	٩	٨	١	١٣	٨	١٠	٥	٢	٥	١١	٢	١٤٦
ر	١٦	٢٥	٥	٨	١٤	١٨	١٤	٢٠	٣	٢	١٣	١٩	١١	١٠	٧	١٠	١	١٨	١١	١٩	٢١	١٣	٢٨	٢٧	٣٢	٢٢	٦	١٣	٢٥	—	٤٠٦
ز	٥	٣٤	٩	١	١٨	١٢	٨	١٥	٣	٤١	٦	—	١	—	—	١٤	—	١٢	٦	٢٥	٢٧	١٦	٢٥	٢٢	١٦	١٩	٤	١١	١٤	—	٣٥٠
س	١١	٣٨	٢٢	—	٣٧	٢٢	١٣	٣١	٤	٥٤	٥	٢١	—	—	—	١٩	—	٢٥	٨	٢٤	٢٦	١٦	٤٣	٣٣	٢٥	١٢	٧	١٢	٢١	—	٥٠٨
ش	٩	٤٥	٩	١٤	١٦	١٩	١٤	٩	١٢	٥٤	١٧	١٠	٦	١٤	٣	١٣	٦	١٨	٧	٣٧	٢٩	٩	٣٣	٣١	٣١	٢٠	١٠	١٠	٢٥	—	٥٠٥
ص	٨	٢٢	١١	١	١٢	٢٥	٩	٢٢	١	٣٢	—	١	—	٤	—	٩	—	١٩	١١	١٣	١٤	٨	٢١	٢٣	١١	١٢	٤	٧	١٦	—	٣١١
ض	٨	٩	٣	٢	١٠	٤	٤	١٠	—	١٨	١٦	١١	—	—	١	١٧	—	١٣	٢	٦	٣	١٠	١٤	١٨	١٤	١٠	١	٨	١٤	—	٢١٢
ط	١٢	٢٢	٢	١٠	٨	١٣	١٣	٢	٤	٢٤	٨	٢٨	١٦	—	—	٣	—	٩	٣	١٨	٩	٤	١٩	٢٥	١٤	١٧	٣	١٠	١٨	—	٢٩٦
ظ	٦	٥	١	—	١	—	١	—	—	٤	—	—	١	—	—	٢	—	١	١	٥	—	—	١	٤	٣	٢	—	٧	٧	—	٠٤٥
ع	٢	٤٧	٧	١٢	٣٩	—	١	٤١	٤	٥٤	٢٢	٥٢	٢٣	٢٠	٩	٣٤	٣	٧	—	٢٥	٣٠	١٦	٦٢	٤٩	٢٧	٢٢	١٢	١٥	٢٣	—	٦٣٥
غ	٣	١٨	٣	٧	١٠	—	—	٩	٤	٢٢	٦	١٣	٩	٧	٥	٩	٤	—	١	١٩	١٨	٢	٢٣	٢٢	١٤	١٤	—	١٣	١٦	—	٢٥٥
ف	١٥	٦	٨	٣	٢١	٢٧	٢٠	٢٠	٧	٢٧	١٠	٢٥	١٤	٨	٦	١١	٣	٢٠	٩	٣	١٨	١٠	٣٤	٢٦	٢١	١٤	٧	١٣	٢٢	١	٤٠٧
ق	١١	٤٦	٩	١٢	٩	١٩	٥	٣٢	٧	٦٥	٢٧	٣٦	١٨	١٧	٧	٢٢	٤	٤٠	—	٢٣	٨	—	٧١	٤٨	٢١	١٨	٥	١٢	٢٣	—	٥٩٢
ك	١٤	٤٠	١٦	١٣	١٧	٢٤	٨	٢٢	٥	٣٧	١٠	٢١	١٣	٨	٢	٤	٦	١٧	١	٣٠	—	٦	٣٦	٣٩	٢١	١٤	٨	١٥	٢٠	٢	٤٣٨
ل	١٥	١٨	٩	١١	١٢	١٤	٨	١١	٤	٢	١٥	١٤	٣	٨	٣	١٣	٩	١٤	٧	١٤	١٦	١٠	٥	٣٣	١٨	١٥	٥	١٧	٢٤	٢	٣٢٥
م	٩	٣	١٠	٨	٢٣	١٧	١٢	٢١	٧	٢٣	١٤	٢١	١٦	٩	٥	١٨	٣	١٨	٨	—	١٥	١٢	٢٦	٥	٢٢	١٧	١٠	١٧	٢٢	٣	٣٧٢
ن	١٥	٢٢	١٦	٩	٢٠	١٧	١٣	١٧	٧	٣٦	١٤	٢٠	١٨	١٤	١١	١٦	٣	١٩	١٠	٢١	٢٠	١٤	٤١	٢٤	٧	١٨	١١	١٧	٢٤	—	٤٧٠
و	١٤	٢٢	٧	٦	٢٢	١٤	١٣	١٩	٦	٢١	١٢	١٣	١١	٩	٧	١٠	٥	١٧	٧	١٩	١٤	٩	٢٣	٢٣	٢٦	١	١٠	٢٠	٢٢	٢	٣٨٣
هـ	١٢	٢٦	١١	٨	٢٠	—	٣	١٤	٩	٢٨	١٢	٣٠	١٤	٨	٥	١١	—	٣٢	١٢	٢٤	١٨	١٣	٣٩	٣١	١٤	١٩	٢	١٠	٢٣	٤	٤٢٩
ي	٢	٥	٣	١	٤	١	٤	٦	—	١١	—	٣	١	٣	١	١	١	٨	—	١	٥	١	٣	٧	١٠	—	١	٣	٣	٢	٠٨٨
المجموع	٢٨١	٥٦٩	٢٤٦	٢٠٣	٤٠٦	٣٢١	٢٠٩	٤٤٩	١٢٦	٨٣٧	٢٨٢	٤٩٤	٧٧٥	٢٢٢	١٤٤	٣٣١	٨٨	٤٢٨	١٣٧	٤٣٦	٤٦٥	٢٥٤	٨٣٤	٧٥٨	٥٢٥	٣٨٧	١٥٧	٣٣٧	٥٣٦	٣٠	مادة ١٠٣٤٣

حول الجدول :

إن هذا الجدول يعطينا ظواهر هامة ، منها :

١ – أن المواد التي تتحد في الفصل والباب قليلة جداً في أغلب الفصول ، فقد انعدمت في بعضها كفصل الظاء باب الظاء ، وصارت مادة واحدة في كثير منها كفصل الثاء باب الثاء ، وفصل الذال باب الذال ، وفصل الضاد باب الضاد ، وفصل الغين باب الغين ، وفصل الواو باب الواو . ومادتين في فصل الخاء باب الخاء ، وفصل الراء باب الراء ، وفصل الهاء باب الهاء . وثلاث مواد في فصل الحاء باب الحاء ، وفصل الطاء باب الطاء ، وفصل الفاء باب الفاء ، وفصل الياء باب الياء . وأربع مواد في فصل الصاد باب الصاد . وخمس مواد في فصل الدال فصل الدال ، وفصل اللام باب اللام ، وفصل الميم باب الميم . وست مواد في فصل الزاي باب الزاي ، وفصل السين باب السين ، وفصل الكاف باب الكاف. وسبع مواد في فصل العين باب العين ، وفصل النون باب النون . وثماني مواد في فصل القاف باب القاف . وتسع مواد في فصل الجيم باب الجيم .

٢ – أن أقل الفصول مادة هو فصل الظاء من كل باب من أبواب القاموس فلم يزد في أي منها على سبع مواد وبلغ مجموع مواده من جميع الأبواب ٤٥ مادة ، وقد انعدم في بعضها كأبواب الثاء والحاء والدال والذال والزاي والسين والصاد والضاد والظاء والقاف والكاف والهاء ، وكان مادة واحدة في أبواب التاء والجيم والخاء والشين والعين والغين واللام ، ومادتين في بابي الطاء والواو ، وثلاث مواد في باب النون ، وأربع مواد في بابي الراء والميم ، وخمس مواد في بابي الباء والفاء ، وست مواد في باب الهمزة ، وسبع مواد في باب الياء .

٣ – أن فصل الياء هو الذي يلي فصل الظاء في القلة فمجموع مواده من جميع أبواب القاموس ٨٨ مادة .

٤ – أن أغزر فصول القاموس مادة هو فصل العين الذي اشتمل على ٦٣٥ مادة من جميع الأبواب عدا باب الغين . وكان باب اللام ٦٢ مادة ، وباب الراء ٥٤ مادة، وباب السين ٥٢ مادة ، وباب الميم ٤٩ مادة ، وباب الباء ٤٧ مادة ، وباب الدال ٤١ مادة .

٥ – أن أقل أبواب القاموس مادة هو باب الذال الذي جملة مواده من جميع الفصول ١٢٦ مادة ، ثم باب الغين الذي مواده ١٣٧ مادة ، ثم باب الضاد الذي مواده ١٤٤ مادة ، ثم باب الثاء الذي مواده ١٥٧ مادة .

٦ – أن أغزر أبواب القاموس مادة هو باب الراء الذي اشتمل على ٨٣٧ مادة ، ثم باب اللام الذي اشتمل على ٨٣٤ مادة ، ثم باب الميم الذي مجموعه ٧٥٨ مادة من جميع الفصول . وأن فصل القاف من هذه الأبواب الثلاثة يكاد يكون أكثر فصولها مادة فجملة مواده في باب الراء ٦٥ مادة وفي باب اللام ٧١ مادة وفي باب الميم ٤٩ مادة ، ويليه فصل العين الذي جملة مواده في باب الراء ٥٤ مادة وفي باب اللام ٦٢ مادة وفي باب الميم ٤٩ مادة .

وليس في القاموس المحيط فصل أكثر مادة من فصل القاف باب اللام الذي بلغت مواده ٧١ مادة .

٧ – المربعات الزرقاء للكثرة في المواد .
والمربعات الحمراء للقلة في المواد .

أول الحروف في ترتيب أبجد ، وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء ، ثم ذكرا الجيم من حروف أبجد ، وعقبا بالحاء والخاء للمشابهة ، ثم ذكرا الدال ، وعقبا بالذال ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الخفاء أخراها معها لآخر الحروف ، وقبل أن يذكرا الزاي ذكرا الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصفير ، ولذلك ذكرا السين بعد الزاي ، وعقبا بالشين للمشابهة ، ثم ذكرا الصاد وعقبا بالضاد ، ثم رجعا للطاء من أبجد ، وعقبا بالظاء ، وأخرا أحرف كلمن حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة وذكرا العين ، وعقبا بالغين ، ثم ذكرا الفاء ، وعقبا بالقاف ، ثم ذكرا أحرف كلمن والهاء وأحرف العلة » [1]

وهو عند المشارقة : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه ي .

وعند المغاربة : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي .

واختلف هنا ترتيب المغاربة عن ترتيب المشارقة لأنه جاء على أبجد الذي اختلف بينهما ترتيبه من قبل ، فلما ضم كل حرف إلى ما يشبهه صار الترتيب الهجائي لدى الفريقين كالنسق الآنف الذكر .

الحرف الأول : وأول حروف الهجاء الألف الذي ينطق به همزة أصلية ليست منقلبة ، وسماه بعض علماء اللغة حرف الهمزة . أما ألف المد والهمزة المنقلبة فلا اعتبار لهما في هذا النسق .

ولحرف الألف صدارة متواترة بين حروف المعجم ، ويقال إن أهل اللغات المشهورة يبتدئون به عند تعداد الحروف إلا الحبشة ، والتزم أصحاب المعاجم ذكره في العنوان ، وورد في الكتاب العزيز : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه . » وإطلاق الألف على الهمزة شائع عند المتقدمين ، فيقولون هذه ألف قطع ، وهذه

(١) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ١ : ٣٥ .

ألف وصل وهذه ألف استفهام ، وأما لفظ الهمزة فلم يطلقه أحد أصلاً على ألف المد ، وفرق بعضهم فسمى ألف المد بالألف اللينة ، والهمزة بالألف اليابسة .

والألف اللينة لا تكون أصلاً في الأسماء المتمكنة والافعال وإنما تكون فيها زائدة كألف قتال وقاتل ، أو منقلبة عن (و) أو (ياء) كألف قال وباع وغزا ورمى ، وأما الحروف كما ولا ، والأسماء المشابهة لها كذا ومهما ، والأسماء المعربة كالدانق ، فالألف فيها أصلية ، وأرباب اللغة لا يعتبرون الحرف الزائد ، وإنما يعتبرون الحرف الأصلي ، سواء انقلب أو لم ينقلب ، وقد عقد صاحبا الصحاح والقاموس للألف اللينة بابا على حدة جعلاه في آخر الكتاب اتماماًللفائدة .

ويظهر أن الفيروزابادي لا يرى تفرقة بين الألف والهمزة ، فقد اعتاد أن يعبر بالهمزة ، لكنه في باب الثاء عبر بالألف عن الفصل إشارة إلى أنهما متحدان عنده ، وإن كنا لم نره عبر في غير هذا الموضع بها ، إنما يعبر بفصل الهمزة ، على أنه يقال ان هذا حصل في بعض النسخ ، أما في النسخ الصحيحة فإنه التزم التعبير عن الألف الأصلية بالهمزة دائماً [١] .

أثر اختلاف المشارقة والمغاربة في الترتيبين الهجائي والأبجدي :

ذهب كل فريق منهما في ترتيب الكلمات في كتبه حسب ترتيبه الهجائي أو الأبجدي ، ونسقها تنسيقاً يتفق مع نهجه في أبجد أو الهجاء ، لكنهما لم ينفصلا ، بل أخذ كل من الآخر ، فالفيروزابادي رتب القاموس وفق الهجاء المشرقي إلا في الحروف الثلاثة الأخيرة (و هـ ي) فإنه كان فيها مغربياً في بعض الأحيان.

هذا وترتب على اختلاف الفريقين في ترتيب الحروف اختلاف في أعداد كثير من الحروف عند الحساب بها على الطريق المعروف بحساب الجمل [٢] ، فإن فيها تسعة أحرف للآحاد وتسعة للعشرات وتسعة للمئين وحرفاً للألْف ،

---

(١) تاج العروس (مادة أبث) وحاشية الهوريني (مادة أبث) .

(٢) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ١ : ٣٨ وما بعدها .

فعند المشارقة :

للآحاد : أ ب ج د هـ و ز ح ط

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وللعشرات : ي ك ل م ن س ع ف ص

١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠

وللمئين : ق ر ش ت ث خ ذ

١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠

ض ظ

٨٠٠ ٩٠٠

وللألف : غ

١٠٠٠

وإذا زاد عن ألف كرروا الحروف فخمسة آلاف هغ وأربعون ألفاً مغ .

وعند المغاربة :

للآحاد . : أ ب ج د هـ و ز ح ط

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وللعشرات : ي ك ل م ن ص ع

١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠

ف ض

٨٠ ٩٠

وللمئين : ق ر س ت ث خ ذ

١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠

ظ غ

٨٠٠ ٩٠٠

وللألف : ش

١٠٠٠

وقد وقع الاختلاف في ترتيب الحروف لدى الفريقين فيما بعد النصف الأول من أبجد وهو ما بعد كلمن .

بعد هذا الذي قدمنا نستطيع أن نعرض لمنهج المؤلف الذي اتبعه لتنسيق مواد القاموس المحيط فيما يلي .

تنسيق القاموس :

ذهب الفيروزابادي مذهب الجوهري في ترتيب مواد القاموس المحيط ، فرتب الكلمات [١] على النسق المشرقي باعتبار آخرها وأولها دون نظر إلى الزوائد من حروف الكلمة ، وجعل كل طائفة تتحد في حرفها الأصلي الأخير في باب واحد سماه باسم ذلك الحرف ، فالكلمات التي آخرها همزة أصلية ليست منقلبة ، في باب الهمزة والتي آخرها باء في باب الباء ، والتي آخرها تاء في باب التاء ، إلى آخر حروف الهجاء ، غير أنه جعل للكلمات المعتلة الآخر بالواو والياء باباً واحداً ، سَمَّاهُ باب الواو والياء ، والكلمات المنتهية بألف لينة في الباب الأخير وهو باب الألف اللينة .

ورتب كلمات كل باب باعتبار حرفها الأول ، فوضع المتفقات فيه في فصل واحد ، سماه باسمه ، فالكلمات التي أولها دال في فصل الدال ، والتي أولها ذال في فصل الذال ، والتي أولها راء في فصل الراء .

وإذن تكون الكلمات برى وبغى وبدا في فصل الباء من باب الواو والياء ، والكلمات برء وبدء وبطء في فصل الباء من باب الهمزة .

ذكر العلامة نصر الهوريني أنه وجد بهامش نسخة المؤلف بخطه لنفسه ما نصه :

إذا رُمْتَ في القاموس كَشْفاً لِلَفْظَةٍ ... فَآخِرُهَا للبابِ والْبَدْءُ لِلْفَصْلِ
ولا تَعْتَبِرْ في بَدْئهَا وأَخِيرهَا ... مَزِيداً وَلَكِنَّ اعْتِبَارَكَ بِالأَصْلِ [٢]

---

(١) مقدمة تاج العروس ١ : ٣ .   (٢) ديباجة القاموس للهوريني ص ٨ .

ونظر الفيروزابادي إلى الحرف الثاني من الكلمة إذا اتحدت الكلمات في أولها وآخرها (أي في الفصل والباب) وقَدَّمَ أسبقَهَا في ترتيب ثانيه فإن اتحدت في الحرف الثاني كذلك نظر إلى الحرف الثالث ، وقَدَّمَ أسبقَهَا ترتيباً فيه ، وهكذا ، فالكلمة التي ثانيها باء قبل التي ثانيها تاء ، والتي ثانيها صاد قبل التي ثانيها ضاد ، والتي ثالثها فاء قبل التي ثالثها قاف ، أي أنه يقدم مثلاً سأر على سبر ، وهي على ستر ، ويقدم خردل على خزعل ، وعبقر على عبهر . قال العلامة نصر الهوريني : « إن وسط الكلمة عنده مرتب أيضاً على حروف المعجم كالأوائل والأواخر ، فإذا قال مثلاً باب الباء ، فإنه يبدأ بفصل الهمزة ، ويأتي بحروف الوسط على الترتيب ، فالهمزة في الوسط مهملة ، فيأتي بالباء ، فيقول مثلاً الأَبُّ (أي مشددة الباء) وهو المرعى ، ثم الإِتْبُ بالفوقية ، ثم الأَثَبُ بالمثلثة [1] ، إلى آخر الحروف وهو الأَيب بالتحتية وهكذا في كل باب » [2] .

ويعتبر الفيروزابادي المادة الثلاثية مقدمة في ترتيبها على الرباعي والخماسي وما بعدهما ، ويرتب حروفها مقدماً الأول فالأول ، فيذكر عكلد بعد عكد الثلاثي ، ويذكر عكسه وهو علكد بعد علد وقد ذكر العلامة نصر الهوريني أن المؤلف يراعي : « اتقان الرباعيات والخماسيات في الضبط ، وترتيب الحروف ، وتقديم الأول فالأول ، ويعتبر ذلك بالمادة الثلاثية فيذكر عكلد بتقديم الكاف على اللام ، بعد ايراد عكد الثلاثي حتى يعرف أن اللام مؤخرة عن الكاف ، ويذكر عكسه وهو علكد بتقديم اللام على الكاف ، بعد علد الذي عينه لام وهكذا [3] وبذلك الترتيب يعرف مواضعه وضبط حروفه . » [4]

---

(١) الإِتْبُ : ثوب للمرأة من غير جيب ولا كُمَّيْنْ .
الأَثَبُ : شجر .
الأيب : كالأيبة والأوبة أي العودة .

(٢) ديباجة القاموس ص ٨ .

(٣) عُكَلِدٌ ، كعُلَبِط : خاثر .
عكد : عَكَدُ الشيء وسطه ، وعكدني الأمر يعكدني أمكنني ، وإليه لجأ .
علكد : العلكد بالكسر : العجوز الداهية والغليظ والصُّلْب الشديد .
علد : الْعَلْدُ : الصُّلْبُ الشديد والفعل كسمع .

(٤) ديباجة القاموس ص ٨ .

على أن الفيروزابادي اعتبر كذلك الحروف الأصلية في الكلمات وإن أبدلت بغيرها قياساً أو سماعاً دون نظر للزوائد والعوارض فرتب عليها المواد في فصول وأبواب ، وفق تنسيق المشارقة ، كما بينا ، لكنه في ترتيب الهاء والواو والياء كان ينهج طريق المغاربة أحياناً .[1]

والباب الأول هو باب الهمزة ، أي باب الألفاظ اللغوية التي ختامها الهمزة الأصلية التي هي لام الكلمة، أما المبدلة من واو أو ياء فتأتي في باب الواو والياء ، والبابان الأخيران هما باب الواو والياء ، ثم باب الألف اللينة .

وقد جعل الفيروزابادي كل باب ثمانية وعشرين فصلاً : الفصل الأول منها لما يكون أوله همزة ، والثاني لما يكون أوله باء ، والثالث لما يكون أوله تاء ، إلى آخره ، غير أن بعض الأبواب قد تكون فصوله أقل من ثمانية وعشرين ، وهو الأكثر كباب الثاء ، وأقل الأبواب فصولاً باب الظاء ، فإن فصوله ستة عشر .

وعلى هذا جاءت أبواب الكتاب وفصوله كما يلي :

باب الهمزة :	ثمانية وعشرون فصلاً :	فصل الهمزة فالباء فالتاء لغاية فصل الياء .
باب الباء :	ثمانية وعشرون فصلاً :	فصل الهمزة فالباء لغاية فصل الياء أيضاً .
باب التاء :	ثمانية وعشرون فصلاً :	من فصل الهمزة لغاية فصل الياء كذلك .
باب الثاء :	خمسة وعشرون فصلاً :	من فصل الألف لغاية فصل الياء ما عدا فصولاً ثلاثةً : الذال والسين والظاء .
باب الجيم :	ثمانية وعشرون فصلاً :	من فصل الهمزة لغاية فصل الياء .

---

(١) ديباجة القاموس ص ٩ .

باب الحاء	: ثلاثة وعشرون فصلاً	: من فصل الهمزة لغاية فصل الياء ، ما عدا خمسة فصول هي : فصل الخاء وفصل الظاء وفصل العين وفصل الغين وفصل الهاء .
باب الخاء	: ستة وعشرون فصلاً	: من الهمزة إلى الياء ، ما عدا فصلين : الحاء والغين .
باب الدال	: سبعة وعشرون فصلاً	: من الهمزة حتى الياء . ما عدا فصل الظاء .
باب الذال	: أربعة وعشرون فصلاً	: من الهمزة إلى الياء، ما عدا أربعة فصول هي : الثاء والضاد والظاء والياء .
باب الراء	: ثمانية وعشرون فصلاً	: من فصل الهمزة لغاية الياء .
باب الزاي	: أربعة وعشرون فصلاً	: من الهمزة إلى الياء ، ما عدا فصول :الثاء والصاد والظاء والياء.
باب السين	: خمسة وعشرون فصلاً	: من الهمزة حتى الياء ما عدا فصول الثاء والزاي والظاء .
باب الشين	: خمسة وعشرون فصلاً	: من الهمزة حتى الياء ما عدا فصول السين والصاد والضاد .
باب الصاد	: واحد وعشرون فصلاً	: من الهمزة حتى الياء ما عدا فصول : الثاء والذال والزاي والسين والضاد والطاء والظاء .
باب الضاد	: واحد وعشرون فصلاً	: من الهمزة حتى الياء ، ما عدا فصول: الثاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء والظاء .
باب الطاء	: سبعة وعشرون فصلاً	: من الهمزة لغاية الياء ماعدا، فصل التاء .

باب الظاء : ثمانية عشر فصلاً : من الهمزة حتى الياء ، ما عدا التاء والثاء والذال والزاي والسين والصاد والضاد والطاء والظاء والهاء.

باب العين : ستة وعشرون فصلاً : من الهمزة حتى الياء ما عدا فصلي الحاء والغين .

باب الغين : ثلاثة وعشرون فصلاً : من الهمزة إلى الياء ما عدا فصول الحاء والخاء والعين والقاف والياء .

باب الفاء : سبعة وعشرون فصلاً : من الهمزة لغاية الياء ما عدا فصل الميم .

باب القاف : ستة وعشرون فصلاً : من الهمزة حتى الياء ما عدا فصلي الظاء والكاف .

باب الكاف : ستة وعشرون فصلاً : من الهمزة حتى الياء ما عدا فصلي الظاء والقاف .

باب اللام : ثمانية وعشرون فصلاً : من الهمزة لغاية الياء .

باب الميم : ثمانية وعشرون فصلاً : من الهمزة حتى الياء .

باب النون : ثمانية وعشرون فصلاً : من الهمزة حتى الياء .

باب الهاء : خمسة وعشرون فصلاً : من الهمزة حتى الياء ما عدا فصول الخاء والظاء والغين .

باب الواو والياء : ثمانية وعشرون فصلاً من الهمزة حتى الياء .

باب الألف اللينة : وقد عالج فيه شرح طائفة شهيرة من الحروف والأسماء المبنية .

الخلاصة :

مما تقدم نستخلص ما يأتي :

أ – أن أبواب القاموس المحيط المستكملة الفصول تسعة هي :

١ – الهمزة	٢ – والباء	٣ – والتاء
٤ – والجيم	٥ – والراء	٦ – واللام
٧ – والميم	٨ – والنون	٩ – والواو والياء .

ب – أن الأبواب الناقصة الفصول ثمانية عشر وهي :

الباب	فصوله الناقصة
١ – ثلاثة أبواب ينقص كلاً منها فصل واحد هي :	١ الدال الظاء ٢ الطاء التاء ٣ الفاء الميم
٢ – أربعة أبواب ينقص كلاً منها فصلان هي :	١ الخاء الحاء الغين ٢ العين الحاء الغين ٣ القاف الظاء الكاف ٤ الكاف الظاء القاف
٣ – أربعة أبواب ينقص كلاً منها ثلاثة فصول هي :	١ الثاء الذال السين الظاء ٢ السين الثاء الزاي الظاء ٣ الشين السين الصاد الضاد ٤ الهاء الخاء الظاء الغين
٤ – بابان ينقص كلاً منهما أربعة فصول هما	١ الذال الثاء الضاد الظاء الياء . ٢ الزاي الثاء الصاد الظاء الياء

٥ – بابان ينقص كلاً منهما خمسة فصول هما :

١ الحاء الخاء الظاء العين الغين الهاء

٢ العين الحاء الخاء الغين القاف الياء

---

٦ – بابان ينقص كلاً منهما سبعة فصول هما :

١ الصاد الثاء الذال الزاي السين الضاد الطاء الظاء

٢ الضاد الثاء الذال الزاي السين الصاد الطاء الظاء

---

٧ – باب واحد ينقصه عشرة فصول هو :

١ الظاء التاء الثاء الذال الزاي السين الصاد الضاد الطاء الظاء الهاء

جـ – **أن الباب الثامن والعشرين** وهو باب الألف اللينة ليس مرتباً في فصول حتى نستطيع حصر الناقص منها .

النتيجة :

يمكننا بعد كل هذا أن نقرر أنه ليس في القاموس المحيط المواد الآتية :

١ – المواد التي تبتدئ بالظاء وتنتهي بالدال ، والتي تبتدئ بالتاء وتنتهي بالطاء ، والتي تبتدئ بالميم وتنتهي بالفاء .

٢ – المواد التي تبتدئ بالحاء أو الغين وتنتهي بالخاء أو العين والتي تبتدئ

بالظاء أو الكاف وتنتهي بالقاف ، والتي تبتدئ بالظاء أو القاف وتنتهي بالكاف .

٣ – المواد التي تبتدئ بالذال أو السين أو الظاء وتنتهي بالثاء والتي تبتدئ بالثاء أو الزاي أو الظاء وتنتهي بالسين ، والتي تبتدئ بالسين أو الصاد أو الضاد وتنتهي بالشين ، والتي تبتدئ بالخاء أو الظاء أو الغين وتنتهي بالهاء .

٤ – المواد التي تبتدئ بالثاء أو الضاد أو الظاء أو الياء وتنتهي بالذال ، والتي تبتدئ بالثاء أو الصاد أو الظاء أو الياء وتنتهي بالزاي .

٥ – المواد التي تبتدئ بالخاء أو الظاء أو العين أو الغين أو الهاء وتنتهي بالحاء ، والتي تبتدئ بالحاء أو الخاء أو العين أو القاف أو الياء وتنتهي بالغين .

٦ – المواد التي تبتدئ بالثاء أو الذال أو الزاي أو السين أو الضاد أو الطاء أو الظاء وتنتهي بالصاد ، والتي تبتدئ بالثاء أو الذال أو الزاي أو السين أو الصاد أو الطاء أو الظاء وتنتهي بالضاد .

٧ – المواد التي تبتدئ بالتاء أو الثاء أو الذال أو الزاي أو السين أو الصاد أو الضاد أو الطاء أو الظاء أو الهاء وتنتهي بالظاء .

وقد بحثت عن هذه المواد الناقصة في كثير من المعاجم كالجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده والأساس للزمخشري ، ولسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري فلم أجد منها إلا أربع مواد في اللسان نقل اثنتين منها عن الأزهري وهي :

١ – حرف الضاد (فصل الصاد المهملة) التهذيب قال الخليل بن أحمد الصاد مع الضاد مَعْقُوم لم يدخلا معاً في كلمة واحدة من كلام العرب إلا في كلمة وضعت مثالاً لبعض حُسَّاب الجُمَّل وهي (صعفض) هكذا تأسيسها قال وبيان ذلك أنها تفسر في الحساب على أن الصاد ستون والعين سبعون والفاء ثمانون والضاد تسعون فلما قبحت في اللفظ حولت الضاد إلى الصاد فقيل سعفص .

٢ – حرف الطاء (تحط) الأزهري قال تَحُوطُ اسم القحط ومنه قول أوس

ابن حجر :

ٱلْحَافِظُ النَّاسَ في تَحُوطَ إِذَا   لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِذٍ رُبَعَا

قال كأن التاء في تحوط تاء فعل مضارع ثم جعل اسماً معرفة للسنة ولا يُجْرَى ذكرَها في باب الحاء والطاء والتاء .

٣ – حرف الهاء (غره) غَرِهَ به كَغَرِيَ .
٤ – حرف العين (الحعحعة) زجر بالكبش .

وعندي أن هذه المواد الأربع في حكم المتروكة ، لأنها نادرة الاستعمال .

ويظهر أن الناقص من مواد القاموس هو من المهمل أو المتروك الذي لم يهيأ له وجود بين الكلمات الفصاح .

ونعني بالمهمل هنا ، ما عناه الخليل بن أحمد ، وهو أنه اللفظ الذي يمكن تركيبه من حروف الهجاء ، ولم يركب ، لا الكلمة التي استخدمها الناس زماناً ثم أهملت لسبب من الأسباب .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في مختصر كتاب العين أن عدد أبنية المستعمل والمهمل من الكلام هو ٦,٦٥٩,٤٠٠ ، المستعمل منه ٥,٦٢٠ والمهمل ٦,٦٥٣,٧٨٠[١]

أما الكلمات الحية في اللغة العربية فإنها تتركب من حروف متباعدة المقاطع وقل منها ما يكون مركباً من حروف مخارجها قريبة ، إذ أن مثل ذلك يصعب النطق به ، ويثقل وقعه على السمع ، كما في الهعخع ومستشزرات اللذين تنافرت حروفهما ، لاتحاد مخارج الحروف أو تقاربها ، ولذا عد كل لفظ منهما غير فصيح .

وأخف الحروف العربية هي حروف الذلاقة ، لسهولة النطق بها ، ولذلك

---

(١) المزهر ١ : ٤٥ – ٤٧ .

قالوا لا يخلو فعل أو اسم رباعي من حرف ذلاقي ، وقد استثنوا من ذلك عسجد ، وقالوا ان أية كلمة رباعية أو أكثر لا يكون أحد حروفها حرفاً ذلاقياً لا بد أن تكون غير عربية .[1]

طريقته في الشرح :

اتبع الفيروزابادي في تفسير أية مادة من القاموس المحيط إحدى الطرق الآتية :

الطريقة الأولى : أنه يبدأ المادة المفسرة بالاسم منها ، مبيناً معانيه المختلفة ، دون تكراره ، إلا في صيغة جديدة ، ويثني بفعلها على هذا النمط ، وفي هذه الحالة يغلب أن يبدأ بشرح معنى الثلاثي ، ثم ينتقل إلى مزيده ومشتقاته ، ثم إلى الرباعي ، فالخماسي كذلك إن وجد ، ويذكر في المادة الأعلام التي جاءت منها ، سواء في ذلك اعلام الأناسي والبلدان والأماكن والبقاع وغيرها ، ولا يلتزم في وضعها منها مكاناً خاصاً ، وذلك كأن يقول : (الوشيق) : والوشيقة لحم يُقدَّدُ حتى يَيْبَس أو يُغْلَى اغلاءة ثم يُقَدَّدُ ويُحْمَلُ في الاسفار وهو أبقى قديد ، ووشقه قدده كاتشقه ، وفلاناً طعنه ، وزيدٌ أسرع ، والواشق كصاحب القليل من اللبن والذاهب المضيء ، كالوشَّاق ولغة في الباشق وبلا لام كلب ووالد بَرْوَعَ الصحابية والتوشيق التقطيع والتفريق ، وتواشقه القوم جعلوه وشائق كاتشقوه وأوشق نشب في شيء ، والمواشيق أسنان المفتاح والوَشْق بالفتح الرِّعي المتفرق ، ووَشْقَةُ كحمزة د بالأندلس والوُشَّق الأُشَّقُ .

الطريقة الثانية : أنه يبدأ المادة بالأفعال . ثم ينتقل إلى الأسماء مستوفياً معاني كل منهما ، دون تكراره مع أي معنى منها في الغالب ، ويذكر الاعلام في أي موضع في أثناء الشرح ، كقوله : (أَثَلَ) يَأْثِلُ أُثُولاً وتَأَثَّلَ تَأَصَّلَ وأَثَّلَ ماله تأثيلا زكّاه وأَصَّلَهُ ، ومُلْكَهُ عَظَّمَهُ والأَهلَ كساهم أفضلَ كسوةٍ وأَحْسَنَ إليهم ، والرَّجُلُ كَثُرَ مَالُهُ وتَأَثَّلَ عَظُمَ ، والمالَ اكْتَسَبَهُ ، والبئرَ حَفَرَهَا ، واتَّخَذَ أَثْلَةً

---

(١) شفاء الغليل (مقدمة) ص ٤ .

أي مِيرَةً ، والشَّيْءُ تَجَمَّعَ ، والأَثْلَةُ ، ويُحَرَّكُ مَتَاعُ البيتِ ، والْأَثْلُ شَجَرٌ وَاحِدَتُهُ أَثْلَةٌ ج أَثَلاَتٌ وأُثُولٌ والأَثَالُ كسَحَابِ وغُرَابِ المَجْدُ والشَّرَفُ وكغُرَابِ جَبَلٌ وَمَاءٌ لِعَبْس أو حِصْنٌ لهم و ة بَالقاعَةِ ووادٍ يَصُبُّ فيوادي السِّتَارَةِ ومَاءٌ قُرْبَ غُمَازَةَ وع بَيْنَ الغُمَيْر وبُسْتَانِ ابن عامِرٍ وفَرَسُ ضَمْرَةَ ابن ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيِّ وابْنُ النُّعْمَانِ صَحَابِيٌّ .

الطريقة الثالثة : أنه يقتصر في المادة على تفسير فعلها أو اسمها حسب مسلكه بالنسبة لكل منهما .

وأولهما وهو تفسير الفعل فقط قليل كقوله : (حَزَكَهُ) يَحْزِكُهُ عَصَبَهُ وضَغَطَهُ ، وبِالْحَبْلِ شَدَّهُ ، واحْتَزَكَ بِالثَّوبِ احْتَزَمَ .

وثانيهما وهو تفسير الاسم فقط كثير كقوله : (الوَقُّ) صِيَاحُ الصُّرَدِ والوَقْوَاقُ الجَبَانُ وشَجَرٌ تُتَّخَذُ منه الدُّوِيُّ وَبلادٌ فَوْقَ الصِّينِ والوَقْوَقَةُ نُبَاحُ الكِلاَبِ وأَصْوَاتُ الطُّيورِ وَرَجُلٌ وَقْوَاقَةٌ مِكْثَارٌ .

ويبدو أنه كان يجمع أحياناً بين الطريقتين الأوليين في شرح المادة الواحدة ، وربما فعل ذلك ، لأنه كان يهدف غالباً إلى جمع المعاني الخاصة بها أولاً ، أما ترتيب شرحها وتنسيق معانيها ، فقد لعبت الصدفة بالنسبة لهما شوطاً بعيداً .

على أَنَّ الفيروزابادي كان يشرح الكلمة في جملة قصيرة توضح معناها ولكن على قلة ، كما في قوله : (وَثِقَ) أَخَذَ بِالوَثِيقة في أَمْرِهِ أي بالثِّقَةِ كتَوَثَّقَ ، وأَرضٌ وَثِيقَةٌ كَثِيرةُ العُشْبِ .

ويغلب أَنَّهُ كان يقرن أسماء الأماكن والبلدان عند ذكرها ، بمن ظهر فيها ، أو انتسب إليها ، من أشهر الرجال ، وأبرز الشخصيات ، أو يشير إلى ما عرفت به من أيام العرب وغزوات الرسول وفتوح الخلفاء ونحو ذلك ، كما في المواد الآتية :

(بَافٌ » ة بخُوَارَزْمَ منها عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ البُخَارِيُّ أبو محمدٍ البَافِيُّ شيخُ الشافعية بِبَغْدَادَ فقْهاً وأَدَباً .

(مَا تُريدُ) بالضم ة ببخارى منها أبو منصور المُفَسِّر .

(جبرين) كغسلين ة بناحية عَزَازَ منها أحمد بن هبة الله النحويُّ المقرئُ

(بعاث) بالعين والغين كغراب ويثلث ع بقرب المدينة ، ويومه م .

(تبت) كسكَّر بلاد بالمشرق ينسب إليها المسك الأذفر .

وربما ينص على لغة أو قراءة واردة في الكلمة كقوله :

(أَزْدَرَهُ) لغة في أَصْدَرَهُ وجاء يضرب أَزْدَرَيْهِ أي فارغاً وقرئ « يومئذ يَزْدُرُ الناسُ أَشْتَاتاً » .

(الزَّقْرُ) الصقر وزَقَرُ لغة في سَقَرَ . (سُؤْرَةٌ) من القرآن لغة في سورة .

وقد يندد برأي الجوهري أو الذهبي أو غيرهما وهو يفسر مادته حيث يقول :

(الشَّيْكَرَانُ) وتضم الكاف نبت أو الصواب بالسين ووهم الجوهري .

(علاثة) بن شَجَّار ككتان صحابي ووهم الذهبي في تخفيفه .

(المَشْعَر) الحرام وتكسر ميمه بالمزدلفة وعليه بناءٌ اليوم ووهم من ظَنَّهُ جُبَيْلاً بقرب ذلك البناء .

(السائر) الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له ، ومنه قول الأحوص :

فَجَلَتْهَا لنا لُبَانَةُ لَمَّا وَقَذَ النومُ سائر الْحُرَّاسِ

وأوهم الجوهريَّ بيتُ المسيَّب الذي قال فيه طرفة لما سمعه استنوق الجمل .

وكثيراً ما يتصدى الفيروزابادي لبعض مسائل النحو أو الصرف أو العروض في شيء من التفصيل المفيد ، كما فعل في (إذا) و(إذ) و(منذ) و(كيف) و(الأول) و(أَلَّ) و(قد) .

أما الأعلام فكان غالباً يوضح مكانتها في الحياة العربية ، كأن يذكر أن هذا الشخص خليفة أو ملك أو قيل ، صحابي أو تابعي ، محدث أو مفسر ،

فقيه أو متكلم ، شاعر تغلبي ، أو فارس جاهلي ، أو خطيب إسلامي ، أو نحو ذلك ، كما في مادة (الحب) .

ولم يفته أن يأتي إلى جانب تلك الأعلام أحياناً بمناسبة دعت لشهرتها ، أو عمل أُثِرَ عنها ، أو ما شابه ذلك حيث يقول :

« محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن البنجذيهي الزاغاولي مصنف كتاب قيد الأوابد في أربعمائة مجلد يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة . »

« غَوْرَثُ بن الحرث سَلَّ سيفَ النبي صلى الله عليه وسلم ليفتك به فرماه الله بِزُلَّخَةٍ بين كتفيه »

ثم هو يعتمد أحياناً في تفسير مادته اللغوية كغيره من أصحاب المعاجم على القرآن الكريم والحديث الشريف والأشعار والأمثال العربية ، يستشهد بها ، ويستوضحها المقاصد والأغراض ، نجد هذا ظاهراً إذا ما قرأنا شرحه لمثل : (البصر والمعاد والمهاد والمُعَنِّقَات والقد وعرفات والخمار والنَّجْرُ والطبطابة)[1] حيث يقول في مادة (المهد) : « الموضع يهيأ للصبي ويُوَطَّأ والأرضُ كالمهاد ج مُهُودٌ وبالضم النَّشَزُ من الأرض أو ما انخفض منها في سهولةواستواء كالمهدة بالضم ج مهدة وأمهاد ، ومَهَدَهُ كمنعه بسطه كَمَهَّدَهُ وكسب وعمل كامتهد والمهيد الزبد الخالص وككتاب الفراش ج أمهدة ومُهُدٌ وأَلَمْ نَجْعَل الأَرْضَ مِهَاداً أي بِسَاطاً مُمَكَّناً للسُّلُوكِ ولَبِئْسَ المِهَاد أي بِئْسَ ما مَهَّدَ لنفسه في معاده

---

(١) مادة (البصر) استشهد فيها بأربع آيات قرآنية .
(المعاد) » بآية وبيتين من الشعر .
(المعنقات) » بحديث شريف وكلمة لأبي بكر .
(القد) » بآيتين وحديث وشعر ومثل .
(عرفات) » بقرآن وبيتين من الشعر .
(الخمار) » بمثل عربي.
(النجر) » بمثل عربي وشعر .
(الطبطابة) » بمثل عربي .

ومَهْدَدُ من أسمائهن والأمهود بالضم القُرْمُوصُ للصيد وللخبز وتمهيد الأمر تسويته واصلاحه ... »

ذكر الشراح أن المؤلف استشهد بمائتين وخمسين شاهداً من الشعر ، لكنهم لم يذكروا عدد ما استشهد به من القرآن والحديث والأمثال ونحوها . ومهما يكن من شيء فإن المؤلف كان يستشهد بذلك كله في الشرح ، ولكن على قلة ، وفي بعض المواد . ونستطيع أن نفهم من قوله : (ألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد مطروح الزوائد) أنه كان يقصد حذف الشواهد من بعض المواد ، وأن استشهاده في بعضها كان قليلاً وفي قصد ، كما هو حاصل في هذا المعجم .

كما كان يتعرض في شرحه لمضرب المثل والمناسبات التي قيل فيها كقوله في مادة (ضاع) : « وفي المَثَلِ الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ بكسر التاء ولو خوطب بها المذكر والجمع لأنه خوطبت به امرأة كانت تحت موسر فكرهته فطلقها فتزوجها مملق فبعثت إلى الأَوَّلِ تستميحه فقال ذلك لها ، أو طلق الأسود بن هرمز امرأته العنود الشنيئة رغبة عنها إلى جميلة ثم جرى بينهما ما أدى إلى المفارقة فتتبعت نفسُهُ العنودَ فراسلها فأجابته بقولها :

أَتَرَكْتَنِي حتى إذا عُلِّقْتَ أَبْيَضَ كَالشَّطَنْ
أَنْشَأْتَ تَطْلُبُ وَصْلَنَا في الصَّيْفِ ضَيَّعْتَ اللَّبَنْ

وعلى هذا التاء مفتوحة . »

وفي مادة (حلم) : « وحليمةُ بِنْتُ أبي ذُؤَيْبٍ مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم وبنْتُ الحارث بن أبِي شِمْرٍ وَجَّهَ أَبُوهَا جَيْشاً إلى المنذر بن ماء السماء فأَخْرَجَتْ لهم مِرْكَناً من طيبٍ فَطَيَّبَتْهُمْ منه فقالوا ما يومُ حليمةَ بسرٍّ يُضْرَبُ لِكُلِّ أَمْرٍ مُتَعَالَمٍ مَشْهورٍ ويُضْرَبُ أيضاً للشريف النابه الذكر . »

ويَسْتَطْرِدُ الفيروزابادي أحياناً فيضمن شرحه ما يعبر عن حالة من أحوال العرب أو يمت إلى عقائدهم وعاداتهم بسبب كأنْ يُبَيِّنَ معنى (الترحير) الذي تداولته الأعراب في الجاهلية ، وهو ترئيم الناقة حين تفتقد حوارها قبل مضي شهر من ولادته بإحضار آخر في سِنِّهِ لتدر بالطريقة التي عرضها في مادة (الزحير)

حيث يقول : التزحير أن يهلك ولد الناقة فيما بين مَنْتَجِهِ وبين شَهْرٍ أقصاه فَتَجْعَلَ كُرَةً في مخلاةٍ وتُدْخِلَهَا في حيائها وتَتْرُكَهَا ليلةً وقد سَدَدْتَ أنْفَهَا ثم تَسُلَّ الكُرَةَ وقد أَعْدَدْتَ حُوَاراً آخَرَ فتريها الحُوَارَ والأنفُ مَسْدُودٌ بَعْدُ فَتَحْسِبَ أَنَّهُ وَلَدُهَا وأَنَّهَا نُتِجَتْهُ ساعتئذ فتحل أنفها وتُدْنِيهِ فَتَرْأَمُهُ وتَدُرُّ . » أو يوضح عقيدة لهم في الزعفران مثلاً وهي أنه يحفظ البيوت من كل سام أبرص كما في مادة (الزعفران) حيث يقول : « الزعفران م وإذا كان في بيت لا يدخله سامٌّ أبرص » .

طريقته بين التجديد والتقليد :

مما تقدم ، يبدو لي أن الفيروزابادي نهج في شرح القاموس المحيط غالباً منهج علماء اللغة الأقدمين ، كابن سيده والصغاني والجوهري وابن منظور ، من حيث البدء والانتهاء والاستشهاد بالقرآن العزيز والحديث الشريف والشعر والأمثال وبيان الدخيل والاعلام ونحوها .

لكنه تصرف بعض التصرف ، فأوجز في التعبير ، واختصر الشواهد واكتفى بذكر الكلمة مرة واحدة مع جميع معانيها ، وحدد استعمال كاف التشبيه و(أو) العاطفة وغيرها ، حتى بدت شخصيته واضحة في عبارته وانفرد بأسلوب مميز في الشرح والإيضاح .

اصطلاحاته :

للفيروزابادي في تصنيف القاموس المحيط اصطلاحات معينة ، هو فيها بين مبتكر ومقلد .

أ ـ المبتكرة :

أما ما ابتكره من هذه الاصطلاحات فهو الرموز الحرفية ، وإيثار القياس ، وتحديد استعمال كاف التشبيه ، و(أو) العاطفة .

١ - الرموز الحرفية :

نقصد بالرموز الحرفية ما فسر به المؤلف شهير الكلمات من حروف دالة على معناه دون الألفاظ الصريحة .

وقد اختار لذلك حروفاً خاصة يرمز بكل منها لمعنى خاص ، فاستعمل العين للدلالة على موضع ، والدال للإشارة إلى بلد ، والتاء المربوطة التي يعبر عنها بالهاء إلى قرية ، والجيم إلى الجمع ، والميم إلى معروف أي معلوم عند الناس لا لبس فيه ولا اشتباه ، حيث قال : « ... مكتفياً بكتابة ع د ة ج م عن قولي موضع وبلد (ومدينة) وقرية والجمع ومعروف »[١] ، وقال :

وما فيه من مرموز حرف فخمسة ... فميم لمعروف وعين لموضع
وجيم لجمع ثم هاء لقرية ... وللبلد الدال التي أهملت فع[٢]

وزاد بعض العلماء البيت الآتي على هذين البيتين :

وفي آخر الأبواب واو وياؤها ... إشارة واوي ويائيها اسمع[٣]

أي أنه يضع الواو أو الياء قبل الكلمة للدلالة على أن أصل آخرها واو أو ياء .

لكنه فوق ذلك رمز بالجيمين (جج) لجمع الجمع ، وبثلاث جيمات (ججج) لجمع جمع الجمع ، وقد أنشد تقي الدين الواسطي :

وما جاء في القاموس رمزاً فستة ... لموضعهم عينٌ ، ومعروفٌ الميمُ
وجج لجمع الجمع ، دالٌ لبلدة ... وقريتُهُمْ هاءٌ ، وجمعٌ له الجيمُ[٤]

وفي آخر الراء[٥] من باب الحاء المهملة رمز بالخاء (خ) للبخاري وكذلك رمز بحرف الثاء (ث) للمحدث وبحرف اللام (ل) للجبل في القطعة التي

---

(١) خطبة القاموس ص ٤ .

(٢) قيل ليس البيتان للمؤلف وذكر صاحب أزهار الرياض أنهما لعبد الرحمن بن معمر الواسطي (أزهار الرياض جـ ٣ ص ٤٧ ومقدمة تاج العروس ص ١٤) .

(٣) ديباجة القاموس ص ٨ .

(٤) أزهار الرياض جـ ٣ ص ٤٨ .

(٥) كما في مادة الروح ص ١١٦ من هذا الكتاب .

غيرت من أصل المؤلف[1] .

ثم هو يشير بوضع الحرفين (يو) قبل الكلمة إلى أن أصلها واو أو ياء .

وذكر الهوريني أن من قواعده في الجمع أنه تارة لا يرسم الجيم بل يقول وهو رديء من قوم أردياء مثلاً فيصير ذلك بدلاً عن رسم علامة الجمع [2] .

لكن من المرجح عندي ، أنه لم يفعل هذا إلا في القليل النادر .

وإذن ، لم تقتصر رموز القاموس على خمسة كما قال مؤلفه في بيتيه (على أصح الروايات) أو في خطبة كتابه ، بل جاوزت هذا العدد إلى اثني عشر وهي على وجه الإجمال :

ع « موضع » . د « بلد » . ة « قرية » . ج « الجمع ».م « معروف » . جج « جمع الجمع » . ججج « جمع جمع الجمع ».خ « البخاري » . ث « محدث » . و« أصل آخره واو » . ي « أصل آخره ياء » . يو « أصل آخره الواو أو الياء » . ل « الجبل ».

والأمثلة على هذا كثيرة نذكر منها على سبيل الاستشهاد :

(الرمادة) ع باليمن وبفلسطين وبالمغرب ود بين مكة والبصرة ومحلة بحلب و ة ببلخ و ة أو محلة بنيسابور و د بين برقة والاسكندرية ورمادان ع .

(الزبرجد) جوهر م ولقب به قيس بن حسان لجماله .

(الكرس) بالكسر أبيات من الناس مجتمعة ج أكراس جج أكارس وأكاريس.

(العذر) بالضم م ج اعذار .

(فرق) ... والفرقة بالكسر السقاء الممتلئ لا يستطاع يمخض حتى يفرق أي يذرق ، والطائفة من الناس ج فرق وجمع في الشعر على أفارق جج أفراق ججج أفاريق .

(الروح) ... وليس في الصحيحين سواه ، وحكي فيه خ بموحدة .

(الثمر) ... الواحدة ثمرة وثمرة كسمرة ج ثمار وجج ثمر وججج أثمار.

---

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٠٦ وانظر ص ١٤٩ من هذا الكتاب .

(٢) ديباجة القاموس ص ١٠ .

(العصمة) بالكسر المنع والقلادة ويضم ج كعنب جج أعصم وعصمة جججج أعصام .

٢ – **القياس :**

احتفل الفيروزابادي بالقياس احتفالاً ظاهراً ، فآثره في المصادر والجموع والصفات خلافاً لابن‌سيده في المحكم ، فإذا أورد للكلمة أكثر من مصدر فإنه يقدم المصدر المقيس أولاً ، ثم يذكر غيره في الغالب . مثال ذلك قوله : ضَبِرَ الفرس يَضْبُرُ ضَبَراًوضبراناً جمع قوائمه .

ومن غير الغالب قوله : فهق الإناء كفرح فَهْقَا ويحرك . ومثله في أفن وغبن ويقن ونفط وغيرها .

وإذا تصدى لذكر جموع الكلمة فإنه يقدم الجمع المقيس منها ، ثم يذكر بعده ما لم يكن كذلك غالباً .

وقد يهمل المقيس من الجمع أحياناً اعتماداً على الشهرة . ويأتي للكلمة بصفاتها فيقدم الصفات المقيسة ، ثم يتبعها بسواها من المبالغة أو غيرها ، ويعقبها بذكر مؤنثها ، وقد يفصل بينها فيذكر أولاً صفات المذكر ويتبعها بجموعها ، هذا هو الأكثر ، كقوله :

ضجر منه وبه كفرح فهو ضجر وفيه ضجرة بالضم . طهر كنصر وكرم فهو طاهر وطهر وطهير [1] .

٣ – **كاف التشبيه :**

جعل المؤلف التشبيه بالكاف مقصوراً على تشبيه ما قبلها مباشرة بما بعدها ، واعتبر ما يقع بعد كاف التشبيه راجعاً للمعنى الذي تليه فقط لا لكل ما سبق . وإلى ذلك يشير العلامة نصر الهوريني بقوله « ومن الفوائد التي ينبغي التفطن لها أن ما يقع بعد كاف التشبيه ، إنما يرجع للمعنى الذي يليه فقط ، لا لكل ما

---

(١) ديباجة القاموس ص ٩ – ١٠ .

سبق ، كما توهمه كثيرون ، مثلاً الإِرْبُ ذكر آخر معانيه الحاجة ، ثم قال كالأُرِبَة بالكسر والضم ، فما بعد الكاف من الألفاظ يرجع إلى المعنى الأخير خاصة »[1] وذلك حيث يقول الفيروزابادي : « الإِرْبُ بالكسر الدهاء كالاربة ويضم والنُّكْر والخُبْثُ والغائلةُ والعُضْوُ والعقلُ والدِّينُ والفَرْجُ والحاجةُ كالإربة بالكسر والضم والأَرَبُ محركة والمأربة مثلثة الراء » فما بعد الكاف من الألفاظ يرجع إلى المعنى الأخير خاصة فكأنه يقول الارب بالكسر معناه الحاجة وفيه لغات أخر زيادة على الارب وهي الاربة بالكسر والاربة بالضم والارب بالتحريك والمأربة مثلثة الراء فهي سبع لغات . وكذا قوله في تعريف الخَدَرُ : « ... خدركفرح فهو خَدِرٌ وأَخْدَرَهُ وفتورُ العينِ أو ثِقَلٌ فيها من قذى والكسلُ والمطرُ وظلمةُ الليل ويكسر والليلُ المظلمُ كالأَخْدَرِ » فالمشبه المعنى الأخير فقط وهو « الليل المظلم » والمشبه به الأخدر .

٤ – (أو) **العاطفة** :

استعمل الفيروزابادي (أَوْ) العاطفة لتنويع الخلاف ، فإنه إذا أتى في تفسير كلمة بلفظ ثم عطف عليه بأَوْ فإنها تكون للتنويع . قال الهوريني : « إنه إذا أتى في تفسير كلمة بلفظ ثم عطف عليه بأو تكون لتنويع الخلاف كقوله في تفسير الطل أو أخف المطر وأضعفه أو الندى »[2] حيث يقول : الطَّلُّ المَطرُ الضعيفُ أو أخَفُّ المطرِ وأضْعفه أو النَّدَى أو فَوْقَهُ ودونَ المَطَرِ »[3] . قال القرافي في القول المأنوس : تفسير الطل بهذه الأوجه ليس معناه أن أهل اللغة ذكروا للطل هذه الوجوه بمعنى إطلاقه عليها ، بل هذه أقوال اختلف أهل اللغة في تفسيره بها ، ولذا عبر المصنف (بأَوْ) على قاعدته التي تتبعت في كلامه أنها يشير بها إلى الخلاف . ومن ذلك قول المؤلف « والبَرَاءُ أَوَّلُ لَيْلةٍ أو يَوْمٍ من الشهرِ أَوْ آخِرُها أَوْ آخرُهُ » . فقد ذكر المُناوي « أن (أو) بمعنى وقيل كذا الخ . »

---

(١) ديباجة القاموس ص ١١ .

(٢) ديباجة القاموس ص ١١ . (٣) انظر القاموس .

ب – المقلدة :

أما ما قلد المؤلف فيه السلف من هذه الاصطلاحات فهو الضبطُ سواء أَكَانَ بالحركة أو بالوزن ، والإشارةُ إلى المنصرفِ وغيرِ المنصرفِ ، والمذكرِ والمؤنثِ ، والعَلَمِ .

١ – الضبط :

لقد آثرت الحديث عنه في الباب الثاني لأن مجد الدين أتى فيه بزيادات كثيرة وانفرد بميزات كانت موضع تقدير كثير من المحدثين كالرازي ، على نحو ما هو مفصل في مكانه من الكتاب .[1]

٢ – المنصرف وغير المنصرف :

لا ينفك الفيروزابادي ينبه في عبارته عما ينصرف من الأسماء وما لا ينصرف مقتفياً أثر بعض العلماء السابقين كالجوهري في إطلاق (غير مجرى أو غير مجراة) أو نحوهما على الممنوع من الصرف ، وفي إطلاق (مجرى أو مجراة) أو نحوهما على المنصرف[2] ، أي أنه يصف الاسم الذي لا ينصرف بأنه لا يُجْرَى بالبناء للمفعول ويصف الكلمة المنصرفة بأنها مجراة ، مثال ذلك : «وذكرته ذكرى غير مجراة». « كُتْكُت وكُتْكُتَى غير مجراتين لعبة » . « خُضَارة هو البحر معرفة لا يُجْرَى » . « قابوس ممنوع للعجمة والمعرفة (معرب كاووس) » . « سهدد جبل لا ينصرف » . « قَطَامِ علم للنساء وقد يُجْرَى » . « هذه ذفرى أسيلة غير منونة وقد تنون وتجعل الألف للالحاق بدرهم » . « صاري ممنوعة شعب وقد يُصْرَف » . « عطارد نجم من الخنس في السماء السادسة يصرف ويمنع » .

وربما قرر حال الاسم من حيث صَرْفُهُ ومنعُهُ ضِمْناً في سياق الكلام الذي اشتمل

---

(١) ص ١٨١ .

(٢) ديباجة القاموس للهوريني ص ١١ .

عليه ، كقوله : « صحر ويصرف أخت لقمان » ، « صفر الشهر بعد المحرم وقد يمنع » أي أن (صحر) علم ممنوع من الصرف ويجوز فيه التنوين ، و(صفر) منصرف ويجوز منعه من الصرف .

وقد يَزِنُ الاسمَ على (عُمَرَ) وما ماثله من الاعلام غير المجراة ، مريداً بذلك أن الموزون كالميزان في وَزْنِهِ ومَنْعِهِ من الصرف بشرط أن يكونا متجاورين إلاَّ إذا أَتبعه بما يفيد أنه مصروف كقوله« أُدَد كعمر مصروفاً » . فإن افترق الموزون عن ميزانه زالت عنه المتابعة في المنع من الصرف غالباً كقوله « هُدَدُ بنُ بدد كزفر الملك الذي أخذ كل سفينة غصباً » . فهُدَد مصروف كأُدَد ، وبُدَد ممنوع ، وكلاهما على وزن كلمة ممنوعة من الصرف .

ويبدو أن التعبير بالمُجْرَى وغير المُجْرَى لسيبويه والكوفيين في مقابلة تعبير البصريين ، ما عدا سيبويه ، بالمنصرف وغير المنصرف ، وقد استعمل الفيروزابادي كل ذلك في القاموس [1] .

٣ – العَلَم :

يستعمل المؤلف كلمة (اسم) بمعنى (عَلَم) ، وكلمتي (رجل وامرأة) بمعنى عَلَم لرجل وعلم لامرأة ، كقوله : « ارتجحت روادفها تذبذبت وكمسكن اسم كراجح » أي عَلَم . وقوله : « الاسجاح حسن العفو وكمنبر رجل وكقطام امرأة تنبأت » . أي رجل وامرأة يسميان بذلك ، فكل منهما عَلَم ، الأول لرجل ، والآخر لامرأة . وقوله « دعد لقب أم حبين واسم امرأة ويمنع » .

على أنه قد يُعَبِّرُ عن العَلَمِ بكلمة (عَلَم) نفسها كقوله : « شقرون بالضم عَلَم » . « شُكْر بالضم وكجَوْهَر من الأعلام » . « طود عَلَم رجل وعَلَم جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء » .

---

(١) مقدمة الصحاح ص ٨ .

٤ – المذكر والمؤنث :

يشير المؤلف غالباً إلى تذكير الاسم وتأنيثه بكلمة تفيد إحدى الحالين ، وتعينها في الكلام ، وتومئ إلى الأخرى ضمناً بطريق التضاد ، كأن يقول بعد اسم (ويُذَكَّر) أي أنه مؤنث في استعماله ويجوز تذكيره ، أو يقول بعده (ويؤنث) أي أنه مذكر ويجوز تأنيثه ، وذلك نحو : « (الدار) المحل يجمع البناء والعرضة كالدارة وقد تذكر » . و« (معد) حي ويؤنث وهو معدي ومنه تسمع بالمعيدي ».

ويظهر أن في القاموس ضوابط واصطلاحات أخرى قد تعرف بالممارسة والاستقراء كالتعبير بالواو بدلاً من (أَوْ) أحياناً من نحو قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، قال الهوريني : « بقي له ضوابط واصطلاحات أخر تعلم بممارسته ومعاناته واستقرائه » .[١]

لكني أرجح أن ذلك نادر جداً .

---

(١) ديباجة القاموس ص ٨ .

الفصل الثالث

مصادره

يجد الباحث في القاموس المحيط أن أثر الموارد التي استقى المؤلف منها مواده واضح ، يمكن تمييزه ، أو رده إلى أصله ، فإذا ما حاول ذلك تبين له أن هذه الموارد متعددة كثيرة الأنواع ، وأنها تعاونت على تكوين هذا المعجم ، فجاء خلاصة وافية منها جميعاً .

والذي يبدو لي أن مادة القاموس تلونت حسب الكتب التي نضحت منها : فلون عبر عما يجول بالخاطر ، وما تقع عليه النواظر ، تعبيراً لا يصطبغ بصبغة خاصة ، على طريقة علماء اللغة الأقدمين ، وهو ما استفاده من المحكم والعباب والصحاح وما ماثلها .

ولون ظهرت عليه مسحة طبية بما أتى من عقاقير وأدوية ، أو مسائل جنسية ، وهو ما نقله من كتب الطب غالباً ، أو من بعض معاجم اللغة التي ظهرت قبله .

ولون اتسم بذكر أسماء الأماكن والبقاع والبلدان وما إليها ، وهو ما تلقاه من الكتب التي ألفت عن الأمكنة والبلدان والجبال والمياه والبقاع كما في كتب الزمخشري واليعقوبي وابن حوقل وابن خلكان .[1]

---

(١) مثل كتاب الأمكنة والجبال والمياه للزمخشري ، وكتاب البلدان لليعقوبي ، وصورة الأرض لابن حوقل ، وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ، ومعجم البلدان لياقوت .

ولون عرض به أعلام الأناسي التي اشتهرت في الثقافة العربية للصحابة والتابعين والمُحَدِّثين والفقهاء والشعراء وغيرهم عرضاً موجزاً ، أخذه غالباً من أمثال ابن خلكان وياقوت [1] أو ابن سيده والصغاني والجوهري .

ولون كان صدى لكتب التاريخ الذائعة في أيامه ، وهو الذي أشار به إلى غزوات الرسول وأيام العرب ونحوها .

ولون جاءه من كتب علماء النحو والصرف والعروض والقافية ، كمؤلفات سيبويه وابن هشام وغيرها مما عالج به بعض المسائل النحوية والصرفية والعروضية في أثناء الشرح .

هذه الألوان التي ذكرنا ، تظهر في مادة القاموس المحيط ، حتى ليخيل للقارئ أن هذه المادة مزيج من ضروب متباينة ، تمثل ثقافة عربية واسعة ، ينعت ثمارها ، ودنت قطوفها ، بشتى العلوم والفنون والآداب .

وإذن ، فالمرجح عندي ، أن الفيروزابادي اعتمد في تأليف القاموس على هذه الثقافة ، فأخذ من أغلب تصانيفها ، وأصح تآليفها ، وقد أشار إلى ذلك في خطبته حيث قال [2] : « وكتابي هذا بحمد الله تعالى صريح ألفي مصنف من الكتب الفاخرة ، وسنيح ألفي قلمس من العيالم الزاخرة . » [3] كما بين أن جل اعتماده في تصنيفه كان على كتابين من كتب اللغة ، اعتبرهما غرتي الكتب المؤلفة فيها ، هما المحكم والعباب ، وذلك حيث يقول [4] :

« وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم ، وأضفت إليه زيادات مَنَّ اللهُ تعالى بها وأنعم ، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماء

---

(١) مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، ومعجم الأدباء لياقوت .

(٢) ص ٧ .

(٣) سنيح : نتيج أي نتيجة . قلمس : البحر الكثير الماء ، والرجل الخير المعطاء ، والسيد العظيم ، والرجل الداهية المنكر البعيد الغور . العيالم : جمع عيلم وهو أيضاً البحر . الزاخرة : الممتدة المرتفعة . (شرح خطبة القاموس للهوريني ص ٢٧) .

(٤) خطبة القاموس ص ٣ .

الغطمطم . »[1]

لكن ، يستفاد من هذا النص أن المؤلف أضاف إلى مختصر هذين الكتابين ، زيادات كثيرة ، أخذها من كتب الفقه والحديث والأصول والمنطق والبيان والعروض والطب والشعر ومعاجم اللغة كالصحاح ومعاجم الرواة والبلدان والأمصار والقرى والمياه والجبال والأمكنة وأسماء الرجال والقصص والسير ومن لغة العجم ومن الاصطلاحات[2] ، كما زَوَّدَهُ بما استنبطه بأفكاره السليمة عند الاطلاع ، وغير ذلك مما يدل على سعة القاموس ، في الجمع والإحاطة[3] .

وفضلاً عن ذلك ، فإن الكتب التي أخذ منها ، ليست من المختصرات بل كل واحد منها بحر من البحار الزاخرة[4] .

على أن هذا ، وإن كان فيه ضرب من المبالغة في وصف القاموس بالتفرد بالجامعية ، يدل على أن ذلك المعجم خلاصة كثير من كتب اللغة العالية الضخمة والمؤلفات الزاخرة بكثير من العلوم والفنون .[5]

ومهما يكن من شيء ، فإنا نستطيع أن نذكر هنا أن الفيروزابادي استعان على تصنيف القاموس المحيط بما يلي :

أ – كتب اللغة ، وبخاصة المحكم والعباب .

ب – كتب الطب .

ج – الكتب التي ألفت في العلوم الأخرى .

وهاك مزيداً من الإيضاح لكل من هذه المجموعات الثلاث :

أ – كتب اللغة :

أخذ الفيروزابادي من كتب اللغة أكثر مادة القاموس ، وكتب اللغة التي

---

(١) الدأماء : البحر . الغطمطم : العظيم الواسع المنبسط وهو من أسماء البحر أيضاً (شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٦) .

(٢) مقدمة تاج العروس ص ٤١ .

(٣) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٥ .

(٤) مقدمة تاج العروس ص ٤١ .

(٥) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ٢٧ .

ظهرت في عصره كانت تجل على الحصر ، ولا أظنه اقتصر في جمع اللغة على المحكم والعباب دون غيرهما من هذه الكتب .

والذي أرجحه أنه عمد إلى أشهرها ، فقطف منها ، كالعين للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والبارع لأبي علي القالي البغدادي ، والمحيط للصاحب ابن عباد ، والمجمل والمقاييس لابن فارس ، وأساس البلاغة للزمخشري ، والصحاح للجوهري ، والمفردات للراغب الأصفهاني والنهاية لابن الأثير ، والتكملة للصغاني ، والمعلم لأحمد بن أبان اللغوي ، وديوان الأدب لاسحق بن إبراهيم الفارابي ، وكتب الأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري ، والفراء ، وغيرهم .

لكن المتأمل في مادة القاموس يجد أن ما نقله الفيروزابادي من اللغة عن المحكم والعباب والصحاح يزيد على ما نقله عن غيرها زيادة واضحة وبخاصة الأولين .

على أن المعروف أن ابن سيده والصغاني والجوهري تلقوا كتبهم عمن سبقهم من علماء اللغة ، فالفيروزابادي آخذ عن كتب السابقين مركزة في المحكم والعباب والصحاح ، ناقل عن الثلاثة بطريق مباشر .

ويجدر بنا أن نعرض هنا على سبيل التمثيل مواد من القاموس مع لداتها في المحكم والعباب والصحاح لنتبين مدى ما أخذه عن كل منها .

وقد اخترت لذلك ثلاث مواد ، هي : ثرد ، وحتد ، ورثد ، وإليك نصوص كل منها في المعاجم الأربعة :

الأولى : مادة (ثرد) :

١ - في المحكم :

(الثَّرْدُ) الفتُّ ثرده يَثْرُدُهُ ثَرْداً فهو ثريد والثريدة والثرودة والثُّرْدَةُ ما ثرد من الخبز وأثرد ثريداً وأثرده اتخذه وهو مُثَّرِدٌ ومُتَّرِد قلبت الثاء تاء لأن الثاء أخت التاء في الهمس فلما تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاءً وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً كما

أنهم لما أسكنوا تاء وتد تخفيفاً أبدلوها إلى لفظ الدال بعدها فقالوا ودٌّ ، وقولُهُ أنشده ابن الاعرابي :

أَلاَ يـا خُبْزَ يـا ابْنَـةَ يَثْرُدَانٍ ... أَبى الحُلْقُومُ بَعْدَكِ أَنْ يَنَامَـا
وبَرْقٍ للعَصِيدةِ لاَحَ وَهْنـاً ... كما شَقَّقْتَ في القِدْرِ السَّنَامَا

قال يَثْرُدَانِ غُلاَمَانِ كانا يَثْرُدَانِ فَنَسَبَ الْخُبْزَةَ إليهما ولكنه نَوَّنَ وصَرَفَ للضرورة والوجه في مثل هذا أن يُحْكَى لأن قوله يثردان جملة والجُمَلُ إذا سُمِّيَ بها فحكمها أن تُحْكَى ورواه الفراء أَثْرُدَانٍ فعلى هذا ليس بفعلٍ سمي به إنما هو اسمٌ كأُسْحُلاَنٍ وأُلْعُبَانٍ فحكمه أن ينصرف في النكرة ولا ينصرفُ في المعرفة وأظن أثردان اسماً للثريد أو المُثَرِّد معرفة فإذا كان ذلك فحكمه أن لا ينصرف لكن صرفه للضرورة،وأَرَادَ أَبَى صاحبُ الحُلْقُومِ بَعْدَكِ أن يناما لأن الحلقوم ليس هو وحده هو النائم وقد يجوز أن يكون خَصَّ الحلقوم ها هنا لأن ممر الطعام إنما هو عليه فكأنه لما فقده حَنَّ إليه فلا يكون فيه على هذا القول حذف وقوله « وبَرْقٍ للعصيدة لاَحَ وَهْناً » إنما عَنَى بذلك شدة ابيضاض العصيدة فكأنما هي برقٌ وإن شئت قلت إنه كان جوعان متطلِّعاً إلى العصيدة كَتَطَلُّعِ المُجْدِبِ إلى البرق أو كتطلع العاشق إليه إذا أتاه من ناحية محبوبه وقوله : « كما شَقَّقْتَ في القدر السناما » يريد أن تلك العصيدة بيضاء تلوح كما يلوح السنام إذا شُقِّقَ يعْنِي بالسنام الشحم إذ هو كله شحم،وثَرَّدَ الذبيحة قتلها من غير أَنْ يَفْرِيَ أَوْدَاجَهَا وأَرَى ثَرَدَهُ لغة،وقال ابن الإعرابي المُثَرِّدُ الذي لا تكون حديدته حادة فهو يَفْسَخُ اللَّحْمَ وفي الحديث : ما أَفْرَى الأَوْدَاجَ غَيْرَ مُثَرِّدٍ فَكُلْ وقيل المُثَرِّدُ الذي يذبح ذبيحته بحَجَرٍ أو عَظْمٍ أو ما أشبه ذلك وقد نُهِيَ عنه ، والمِثْرَادُ اسم ذلك الحجر قال :

... فلا تَدْمُو الكَلْبَ بالمثراد ...

والثرد : المَطَرُ الضَّعيفُ عن ابن الأعرابي ، قال : وقيل لأعرابي : ما مَطَرُ أَرْضِكَ؟ قال : مُرَكَّكَةٌ فيها ضُرُوسٌ وثَرْدٌ يَذُرُّ بَقْلُهُ ولا يُقَرِّحُ أَصْلُهُ،الضُّرُوسُ سَحَائِبُ مُتَفَرِّقَةٌ وغُيُوثٌ تُفَرِّقُ بَيْنَهَا رِكَاكٌ وقَالَ مَرَّةً هي الجَوْدُ ويَذُرُّ يَطْلُعُ وَيَظْهَرُ وذلك أنه يَذُرُّ من أَدْنَى مطرٍ وإنما يَذُرُّ من مطرٍ قَدْرَ وضحِ الكفِ ولا يُقَرِّحُ البَقْلُ إلاَّ مِنْ قَدْرِ الذِّرَاعِ من المطرِ فما زَادَ وتَقْرِيحُهُ نباتُ أَصلِهِ وهو ظهورُ عُودِهِ

والثريد القُمَّحَانُ عن أبي حنيفة يَعْنِي الذي يعلو الخمرَ كأنه ذَرِيرَةٌ،واثْرَنْدَى الرجلُ كَثُرَ لَحْمُ صَدْرِهِ .[1] .

٢ – **في العباب** :

(ثرد) ابن فارس يقال إن الثَّرْدَ نبتٌ ولا أدري ما هو،وقال ابن عباد هو الفَتُّ يقال هو يأكل النعجة بثرادها ولم يذكره الدينوري في كتاب النبات والثَّرْدُ في الخصاء هو أن تُدْلَكَ الخُصْيَانُ مكانهما في صَفَنِهِمَا حتى تعودا كأَنَّهُمَا رُطْبَةٌ مثموغةٌ . ابن شميل ثوب مثرود أي مغموس في الصبغ،وعيسى بن إبراهيم بن مثرود أبو موسى الغافقي مولاهم من كبار أصحاب الحديث،وثردت الخبز ثرداً إذا كسرته فهو ثريد ومثرود وأُثْرُدَان اسم للثريد قال الفراء هو على لفظ الأمر ثم زيدت عليه ألف ونون فأشبه الأسماء،والثرودة والثريدة الثريد والاسم الثُّرْدَةُ بالضم،وأرض مثرودة أصابها ثرود من مطر ضعيف،وثرد الرجل من المعركة إذا حمل مرتثاً،والثَّرَدُ **بالتحريك** تشقق في الشفتين،والتثريد في الذبح قيل هو بالكسر وقيل التثريد هو القتل بغير ذكاة وقيل هو أن يَغْمِزَ الأَوْدَاجَ غَمْزاً من غير قطع ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما كل ما أفرى الأوداج غير مثرد،وقال أبو حازم ان ناساً انطلقوا إلى سعد بن المُسَيَّبِ يسألونه عن بعير لهم فجأه الموت فلم يجدوا ما يدركونه به إلاَّ عصاً فشقوها فنحروه بها فسألوه وأنا معهم فقال إن كانت مارت فيه موراً فكلوه وإن كنتم إنما ثردتموه فلا تأكلوه وأرض مثردة أصابها تثريدمن مطر أي لطخ،واثردت الخبز مثل ثردته وأصله اثتردت على افتعلت فلما اجتمع حرفان مخرجاهما متقاربان في كلمة واحدة وجب الادغام إلا أن الثاء لما كانت مهموسة والتاء مجهورة لم يصح ذلك فأبدلوا من الأول تاء فأدغموه في مثله وناس من العرب يبدلون من التاء ثاء فيدغمون فيقولون اثَّرد فيكون الحرف الأصلي هو الظاهر،وأثْرَنْدى الرجلُ إذا كَثُرَ لحمُ صدره قاله اللحياني وقال أبو عمرو رجل مثرند ومثرنت أي مخصب وقال ابن عباد يقال أنه لمثرند ومثرنط أي غليظ والمرأة مثرندية ورجل

---

(١) المحكم جـ ٥ ص ٢٥٥ – ٢٥٧ .

تحليل بعض المواد :

مادة (ثـــرد)

في المحكـــم	في العبـــاب	في الصحـــاح	في القامـــوس
(١) الثرد : الفتّ . (٢) ثَرَده يَثْرِده ثَرْداً ، فهو ثريد . (٣) والثّريدة والثّرودة والثّردة : ما ثُرد من الخبز . (٤) وأثرد ثريداً ، وأثرده : اتخذه وهو مثّرد ومتّرِد . قلبت الثاء تاء، لأن الثاء أخت التاء في الهمس ، فلما تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد ، فقلبوها تاءً وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً ، كما أنهم لما أسكنوا تاء وتد تخفيفاً أبدلوها إلى لفظ الدال بعدها فقالوا وَدٌّ ، وأنشده ابن الأعرابي : ألا يا خبز يابنةَ يَثْـرُدَانِ ۝ أبى الحلقومُ بعدك أن يناما وبَرْق للعَصيدة لاح وَهْناً ۝ كما شقَّقْتَ في القِدْرِ السَّناما (٥) قال يَثْرُدَانِ غلامان كانا يَثْرُدَانِ فَنَسَبَ الخُبْزَةَ إليهما ، ولكنه نَوَّنَ وصَرَفَ للضرورة . والوجه في مثل هذا أن يُحْكَى ؛ لأن قوله (يثردان) جملة ، والجمل إذا سمي بها ، فحكمها أن تُحكَى ، ورواه الفراء أَثْرُدَانِ ، فعلى هذا ليس بفعل سمي به ، إنما هو اسم كأُسْحُلَان وأُلْعُبان ، فحكمه أن ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة ، وأظن أثردان اسماً للثريد أو المُثَرَّد معرفة . فإذا كان ذلك فحكمه ألا يتصرف لكن صرفه للضرورة وأراد أَبَى صاحبُ الحلقوم بعدك أن يناما ، لأن الحلقوم ليس هو وحده هو النائم . وقد يجوز أن يكون خصَّ الحلقوم ها هنا لأنَّ مر الطعام إنما هو عليه فكأنه لما فقده حنَّ إليه فلا يكون فيه على هذا القول حذف . (١٣) وقوله وبرق للعصيدة لاح وهنا إنما عنى بذلك شدة ابيضاض العصيدة فكأنما هي برق وإن شئت قلت إنه كان جوعان متطلعاً إلى العصيدة كتطلع المجدب إلى البرق أو كتطلع العاشق إليه إذا أتاه من ناحية محبوبه وقوله: «كما شققت في القدر السناما» يريد أن تلك العصيدة بيضاء تلوح كما يلوح السنام إذا شقق يعني بالسنام الشحم ، إذ هو كله شحم . (٦) وثَرَّدَ الذبيحة قتلها من غير أن يفري أوداجها . وأرى ثَرَدَه لغة . وقال ابن الأعرابي : المُثَرِّدُ الذي لا تكون حديدته حادة . فهو يَفْسَخُ اللحمَ . وفي الحديث : ما أفرى الأوداج غير مُثَرِّد فكُلْ، وقيل المُثَرِّد الذي يذبح ذبيحته بحجر أو عَظْم أو ما أشبه ذلك وقد نُهي عنه ، والمِثْرَاد اسم ذلك الحجر . قال : فلا تَذُمُّوا الكلب بالمِثْراد (٧) والثرد المطر الضعيف عن ابن الأعرابي . قال وقيل لأعرابي ما مطر أرضك ؟ قال مركّكة فيها ضُرُوسٌ وثَرْدٌ يَذُرُّ بقلُه ولا يُقَرِّح أصلُه . (١٤) الضروس سحائب متفرقة وغيوث تُفَرِّق بينها ركاك . وقال مرة هو الجود، ويذُرّ يطلع ويظهر ، وذلك أنه يذُرّ من أدنى مطر ، وإنما يذر من مطر قَدْرَ وضح الكفّ ، ولا يُقَرِّح البقلُ إلا من قدر الذراع من المطر فما زاد وتقريحُه ثبات أصله ، وهو ظهور عوده ، والثريد القُمْحَان عن أبي حنيفة . يعني الذي يعلو الخمرَ كأنه ذريرة . (٨) واثرندى الرجل كثر لحم صدره .	(١٠) (ثرد) ابن فارس يقال إن الثَّرْدَ تبث ولا أدري ما هو ، وقال ابن عباد : (١) هو الفتّ (٩) يقال هو يأكل النعجة بثرادها ولم يذكره الدينوري في كتاب النبات . والثَّرْد في الخصاء هو أن تُدَلَّكَ الخصيانُ مكانهما في صفنها حتى تعودا كأنهما رطبة ممشوغة . ابن شميل ثوب مثرود أي مغموس في الصبغ . وعيسى ابن إبراهيم بن مثرود أبو موسى الغافقي مولاهم من كبار أصحاب الحديث . (٢) وثردت الخبز ثَرْداً ، إذا كسرته ، فهو ثريد ومثرود . (٥) وأثْرُدَان : اسم للثريد ، قال الفراء هو على لفظ الأمر ثم زيدت عليه ألف ونون فأشبه الأسماء . (٣) والثرودة والثريدة : الثريد والاسم الثردة بالضم . (٧) وأرض مثرودة : أصابها ثرود من مطر ضعيف . (١١) وثرد الرجل من المعركة ، إذا حمل مرتثا . والثرد بالتحريك : تشقق في الشفتين . (٦) والتثريد في الذبح قيل هو بالكسر ، وقيل التثريد هو القتل بغير ذكاة . وقيل هو أن يغمز الأوداج غَمْزاً من غير قطع ؛ ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما : كل ما أفرى الأوداج غير مثرد . وقال أبو حازم إن ناساً انطلقوا إلى سعد بن المسيب يسألونه عن بعير لهم فجاءه الموت فلم يجدوا ما يذكونه به إلا عصا فشقوها فنحروه بها فسألوه وأنا معهم فقال: إن كانت مارت فيه موراً فكلوه ، وإن كنتم أثردتموه فلا تأكلوه . (١٢) وأرض مثردة : أصابها تثريد من مطر أي لطخ . (٤) وأثردت الخبز مثل ثردته ، وأصله اثتردت على افتعلت فلما اجتمع حرفان مخرجاهما متقاربان في كلمة واحدة وجب الإدغام ، إلا أن الثاء كانت مهموسة والتاء مجهورة لم يصح ذلك فأبدلوا من الأول تاء فأدغموه في مثله . وناس من العرب يبدلون من التاء ثاء فيدغمون فيقولون اثّرد فيكون الحرف الأصلي هو الظاهر . (٨) واثرندى الرجل ، إذا كثر لحم صدره . (١٥) قال اللحياني وقال أبو عمرو : رجل مثرند ومثرنت ، أي مخصب . وقال ابن عباد : يقال إنه لمثرند ومثرنط ، أي غليظ . والمرأة مثرندية . ورجل مثرند : حسن الهيئة . (١٦) والتركيب يدل على فتّ الشيء .	(٤) (ثرد) ثردت الخبز ثرداً كسرته فهو ثريد ومثرود والاسم الثّردة بالضم، وكذلك أثردت الخبز وأصله اثتردت على افتعلت فلما اجتمع حرفان مخرجهما متقاربان في كلمة واحدة وجب الإدغام إلا أن الثاء لما كانت مهموسة والتاء مجهورة لم يصح ذلك فأبدلوا من الأول تاء وأدغموه في مثله . وناس من العرب يبدلون من الثاء تاء ويدغمون فيقولون اتّرد فيكون الحرف الأصلي هو الظاهر . (٦) والتثريد في الذبح هو الكسر قبل أن يبرد وهو منهي عنه . (١١) والثرد بالتحريك تشقق في الشفتين	(٤) (ثرد) الخبز : فتّه كأثّرده واثّرده بالثاء والتاء على افتعله . (٩) والثوبَ غمسه في الصبغ ، والخصيةَ دلكها مكان الخصاء . (٦) والذبيحةَ قتَلَهَا من غير أن يفري أوداجها كثَرَّدَها (٣) والمثرودة والثرودة (٥) والأثْـرُدَان كعُنْفُوَان الثريدة ، والثرد المطر الضعيف . (١٠) ونبت ، وبالتحريك (١١) تشقق في الشفتين ، وثُرِّدَ من المعركة حُمِلَ مرتثا . (٩) ومثرود جد عيسى بن إبراهيم الغافقي (١٢) وأرض مثرودة ومُثَرَّدة أصابها تثريد من مطر أي لَطْخٌ . (٦) والمُثَرِّد من يذبح بحجر أو عَظْم أو من حديدته غير حادة . واسمُ ذلك المِثْرَادُ،والثريد كالذريرة تعلو الخمر . (٨) واثرندى كثر لحم صدره (١٧) وأبو ثراد عوذ بن غالـب المصري من الصالحين .

مقابلة المادة :

بمقابلة مادة (ثرد) في كل من المحكم والعباب والصحاح على مادة القاموس المحيط يتبين :

١ – اتفاق القاموس مع المحكم والعباب في تناول كثير من الصيغ والألفاظ .
٢ – اقترابه من الصحاح إلى حد ما في بعض التفاسير .
٣ – اقتباسه من هذه المعاجم كثيراً من بحوث الأصوات والصرف والنحو . وبخاصة المحكم الذي اعتاد أن يتوسع فيها .
٤ – زيادته أو نقصه عنها في بعض الأحيان ، ويغلب أن تكون الزيادة في الأعلام ، والنقص في الترادف والاستطراد .
٥ – انفراده بشرح ألفاظ أخرى قليلة وضبطها ، وقد استقاها من مصادر أخرى .
٦ – أن الفقرات ذات الأرقام المتماثلة توضح مدى التشابه والاتفاق فيما تماثلت فيه بين المعاجم المذكورة ، كما أن الفقرات التي اختلفت أرقامها تشير إلى التباين والانفراد بين ما اختلفت فيه من مادتها .

وبذا يكاد يكون وضع القاموس واضحاً بين مراجعه المختلفة سواء أكانت كتباً لغوية أم غير لغوية ، لما هو ملموس من هذه المقابلة التي سقناها .

مثر ند حسن الهيئة،والتركيب يدل على فتٍّ الشيء .

٣ – في الصحاح :

(ثرد) ثردت الخبز ثرداً كسرته فهو ثريد ومثرود والاسم الثردة **بالضم** وكذلك أثردت الخبز وأصله اثتردت على افتعلت فلما اجتمع حرفان مخرجهما متقاربان في كلمة واحدة وجب الادغام إلاَّ أَنّ الثاء لما كانت مهموسة والتاء مجهورة لم يصح ذلك فأبدلوا من الأول تاء وأدغموه في مثله،وناس من العرب يبدلون من الثاء تاء ويدغمون فيقولون:اترد فيكون الحرف الأصلي هو الظاهر والتثريد في الذبح هو الكسر قبل أن يبرد وهو منهيّ عنه والثرد **بالتحريك** تشقق في الشفتين .

٤ – في القاموس :

(ثرد) الخبز فته كاثَّرده وأثرده بالثاء والتاء على افتعله ، والثوبَ غمسه في الصبغ ، والخصيةَ دلكها مكان الخصاء ، والذبيحةَ قتلها من غير أن يفري أوداجها كثَرَّدَهَا ، والمثرودةُ والثرودةُ والأُثْرُدَانُ كعنفوان الثريدة ، والثرد المطر الضعيف ، ونبت ، وبالتحريك تشقق في الشفتين ، وثُرِّدَ من المعركة حُمِلَ مرتثا ، ومثرودٌ جد عيسى بن إبراهيم الغافقي ، وأرضٌ مثرودة ومُثَرَّدَةٌ أصابها تثريد من مطر أي لَطْخٌ ، والمُثَرِّدُ من يذبح بحجرٍ أو عَظْمٍ أو من حديدته غير حادة ، واسمُ ذلك المِثْرَادُ والثريد كالذريرة تعلو الخمر ، واثْرَنْدَى كثر لحم صدره ، وأبو ثراد عوذ بن غالب المصري من الصالحين .

الثانية : مادة (حتد) :

١ – في المحكم :

(حَتَدَ) بالمكانِ يحتد حَتْداً أقام مُمَاتَةٌ وعَيْنٌ حُتُدٌ **كحُشُدٍ** لا ينقطع ماؤها والمحتد الأصل والطبع ورجع إلى محتده إذا فعل شيئاً من المعروف ثم رجع عنه وقول

الهذلي :

وشَقُّوا بِمَنْحُوصِ القِطَاعِ فُؤَادَهُ   لهقُتُرَاتٌ قد بُنِينَ مَحَاتِـــدُ .

قيل:أراد قديمة ورثها عن آبائه فهي له أصل .[1]

٢ - في العباب :

(حتد) حَتَدَ بالمكان يَحْتُدُ أقام به،وقال ابن فارس الحَتْدُ المُقَام وقال ابن دريد بالتحريك المُقَام لغة مرغوب عنها،والمَحْتِدُ والمَحفِدُ والمَحْقِدُ والمَحْكِدُ الأصل،يقال فلان من مَحْتِدِ صِدْقٍ وفي المثل حَبِيبٌ إلى عَبْدِ سَوْءٍ مَحْتِدُهُ ويُرْوَى مَحْكِدُهُ ويُضْرَبُ للحريص على ما يشينه ويهينه قال طرفة بن العبد :

ولكن نَفَى عنِّي الأَعاديَ جُرْأَتِي ∴ عَلَيْهِمْ وإقدامِي وصدقي ومَحْتِدِي

وقيل في قول أبي سَهْمٍ أُسَامَةَ بن الحَرث الهذلي يصف حِمَاراً :

وشقوا بمَنْحُوضِ القِطاع فؤادَه ∴ لَهُمْ قُتُراتٌ قد بُنِينَ مَحَاتِدُ

ان المحاتد القديمة كانت لآبائهم وقيل الموثقة وقال أبو عمرو بُنِيَتْ على مَحْتِدِ موردها أي على طريق موردها وقال الأصمعي:الحتد مثال كتف الخالص الأصل من كل شيء وقد حَتِدَ يَحْتَدُ حَتَداً قال الراعي يمدح يزيد بن معاوية رضي الله عنه:

حتى أُنيخَتْ لدى خير الأنام أَبَاً ∴ من آل حَرْبٍ مَحَاهُ المَنْصِبُ الحَتِدُ

وقال الأصمعي : عَيْنٌ حُتُدٌ بضمتين لا ينقطع ماؤها يعني عين الرأس ، وقال ابن الأعرابي الحُتُدُ العيون المُنْسَلِقَة واحدتها حَتَدٌ وحَتُودٌ، وقال الأزهري الحتود المَشَارع في الماء قال والحتود عَيَالم الماء، وقال ابن عَبَّاد الحُتُدُ جوهر الشيء وأصله ومَنْصِبٌ حُتُدٌ أصيل ، وقال الأصمعي حَتَّدْتُهُ تحتيداً أي اخترته لخلوصه وفَضْله، والتركيب يدل على اسْتِقْرَارِ الشيءِ وثباته .

٣ - في الصحاح :

(حتد) حتد بالمكان يحتد أقام به وثبت والمحتد الأصل،يقال فلان من محتد

---

(١) المحكم جـ ٢ ص ١٥٣ .

صدق ومحتد صدق وعين حتد بضم الحاء والتاء إذا كان لا ينقطع ماؤها من عيون الأرض .

٤ - في القاموس :

(حتد) بالمكان يحتد أقام ، وعين حُتُدٌ بضمتين ، لا ينقطع ماؤها ، وليس من عيون الأرض ، وإنما هي الجارحة ، وغلط الجوهري رحمه الله تعالى ، والمحتد الأصل والطبع ، وككتف الخالص الأصل من كل شيء ، وقد حتد كفرح وكعُنُق العيون المنسلقة الواحد حَتَدٌ محركة وحتود ، وجوهر الشيء ، وأصله ، وحَتَّدْتُهُ تحتيداً اخترته لخلوصه وفضْله ، والحُتود المَشَارع .

الثالثة : مادة (رثد) :

١ - في المحكم :

(رَثَدَ) المتاعَ يَرْثُدُهُ رثداً فهو مرثود ورثيد نضده وتركه مرتثداً أي ناضداً متاعه،والرثد ما أُرْثد منه،ورثدُ البيتِ سقطه،ورُثِدَتْ القصعةُ بالثريد جُمع بعضه إلى بعض وسُوِّيَ،وَرَثَدَتْ الدجاجةُ بيضَها جمعته عن ابن الأعرابي،والرِّثَدَةُ الجماعة من الناس يقيمون،ومرثد اسم،وأَرْثَدُ موضع قال :

ألا نسأل الخيمات من بطن أرثـدٍ إلى النخل من وُدَّانَ ما فعلتْ نُعْمُ

(٢٥٧ جـ ٥ من المحكم)

٢ - في العباب :

(رثد) رثدت المتاع أرثده رثداً نَضَدْتُهُ ووضعت بعضه على بعض وإلى جنب بعض والمتاع رثيد ومرثود،قال ثعلبة بن صُعَير المازني يذكر ظليما ونعامة :

يبرى لرائحة يُساقطُ ريشها مَرُّ النَّحاء سقاطَ ليفِ الآبِـر

فتذكرت ثقلاً رثيداً بعـد مـا ألقت ذكاءُ يمينها في كافـر

وفي الحديث:أنه نادى رجلٌ عُمَرَ رضي اللهِ عنه،وقال:يا عمر،هل لك في رجل

رَثَدْتَ حاجَتَه وطال انتظاره ؟ أراد دافعتَ لحوائجه ، وقولُهُ حاجَتَه في موضع جمعٍ ها هنا كقوله تعالى : « فاعترفوا بذَنْبِهم »[1]. والرثد بالتحريك متاع البيت المنضوض بعضه على بعض،والرثد أيضاً ضَعَفَةُ النَّاسِ والإبل والبيوت يقال تركنا على الماء رثَداً ما يطيقون تَحَمُّلاً،وأما الذين ليس عندهم ما يتحملونه عليه فليس مرثد،وقال ابن فارس الرثد ما يتلبد من الثرى،ورَثَدَ الماءُ كدر،ومرثد من الأعلام،وعمرو بن مدثر من سادات العرب . قال طرفة بن العبد :

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وزارنـي ... بنون كرام سادةٌ لمُسَـــــوَّدِ

والمرثد الكريم من الرجال،والمرثد الأسد،والرِّثْدَةُ بالكسر جماعة من الناس يقيمون ولا يظعنون،ويَرْثَدُ وادٍ،ورَثَدْتُ القصعة بالثريد جمعتُ ما فيها بعضه على بعض وسَوَّيْتُهُ،وأرثد القومُ أي أقاموا،واحتفر القومُ حتى أرثدوا أي بلغوا الثرى،وقال ابن عباد ارتثد القوم أي أقاموا،ويقال تركتُ بني فلانٍ مُرْتَثِدين ما تَحَمَّلُوا بعدُ أي ناضدين متاعَهُمْ وهم الذين عندهم ما يتحملون عليه . والتركيب يدل على نضد وجمع .

٣ - في الصحاح :

(رثد) رثدت المتاع أرثده رثداً أنضدته ووضعت بعضه على بعض أو إلى جنب بعض والمتاع رثيد ومرثود قال ثعلبة بن صُعَير المازني وذكر الظليم والنعامة وأنهما تذكرا بيضهما في أدحيهما فأسرعا إليه .

فتذكرا ثُقْلاً رثيداً بعدما ... ألقت ذكاء يمينها في كافر

والرثد **بالتحريك** متاع البيت المنضود بعضه على بعض،والرثد أيضاً ضعفة الناس، يقال تركنا على الماء رثداً ما يطيقون تحملاً وأما الذين ليس عندهم ما يتحملون عليه فهم مرتثدون وليس برثد يقال تركت بني فلان مرتثدين ما تحملوا بعد

---

(١) سورة الملك : آية ١١ .

أي ناضدين متاعهم قال ابن السكيت ومنه اشتق مرثد وهو اسم رجل،والمرثد اسم من أسماء الأسد،والرثدة بالكسر جماعة من الناس يقيمون ولا يظعنون . الكسائي أرثد القوم أي أقاموا،واحتفر القوم حتى أرثدوا أي بلغوا الثرى .

٤ – في القاموس :

(رثد) المتاعَ نضده كارتثده ، فهو رثيدٌ ومرثود ، ورَثَدٌ محركة ، والرِّثْدُ بالكسر الجماعة المقيمة ، وقد ارثدوا ، وبالتحريك ضَعَفَةُ الناسِ ، وكفرح كدر كأرثد وكمسكن الرجل الكريم ، والأسد ، واسم ، وملك لليمن ملكها ستمائة سنة ، وتركتُهُمْ مُرْتَثَدينَ ما تَحَمَّلُوا بعدُ أي ناضدين متاعهم ،واحتفر حتى أَرْثَدَ بلغ الثرى،وكيمنع وادٍ .

الظواهر اللغوية :

بالتأمل في المواد اللغوية السابقة ، والموازنة بين ما اشتملت عليه المعاجم الأربعة الآنفة الذكر من كل مادة من المواد الثلاث ، يتضح لنا ما يلي :

أولاً – أن الفيروزاباذي آخذ مادته اللغوية عن المحكم والعباب والصحاح بالنص أو بالمعنى .

ثانياً – أن ما أخذه عن المحكم والعباب يزيد كثيراً على ما أخذه من الصحاح ، ويقال : إنه أخذ منهما تسعة أعشار القاموس .[1] على أن أخذه هذا كان اختياراً في الغالب ، لا إتياناً على جميع النصوص ، وقد كان التصرف فيما نقله منها بالاختصار أو بالحذف أو بالزيادة أو نحوها ظاهراً كل الظهور .

ثالثاً – أنه اقتدى بهذه المعاجم الثلاثة فيما يأتي :

١ – ذكر أسماء البلدان والأماكن والبقاع ونحوها .
٢ – إيراد أعلام الأناسي من الشعراء والمحدثين والفقهاء والصحابة وغيرهم .
٣ – معالجة الأبحاث الصوتية والصرفية والنحوية وما يتصل بها .
٤ – النص على ضبط الكلمات بذكر الحركة أو المماثل .
٥ – استعمال بعض المصطلحات كمُجْرَى وغير مُجْرَى ، وغيرهما.
٦ – ذكر ألفاظ الرفث والعورات والأمور الجنسية بوجه عام .
٧ – اقتباس الشواهد التي اختصرها .

رابعاً – أنه لم يحافظ فيما أخذه عن مرجعيه الأصليين (المحكم والعباب) على ترتيب واحد منهما ، وإنما كان يرتب مادته في كتابه وفقاً لرأيه الخاص ، مؤثراً لعبارة المحكم على العباب ، تاركاً بعض المعاني والصيغ التي أوردها ، مهملاً للمترادفات وأقوال الأعراب والشواهد

---

(١) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ٢٧ .

والاستطرادات والتكرار في التفسير والإطالة فيه ، ميَّالاً إلى إيراد أقوال اللغويين في تفسير اللفظ الواحد كما كان الأزهري يفعل في تهذيبه دون أن يقتصر على قول واحد ، وكان يضع الأقوال بعضها وراء بعض ولا يعنى بنسبتها إلى أصحابها ، وقد يتصرف فيها بحذف بعضها واختصار بعضها الآخر .

على أنه ، وإن كان قد نقل من مختلف العلوم والفنون ، فإن ما أخذه عن المعاجم التي ظهرت قبله ، وبخاصة المحكم والعباب ، كثير واضح .

والمرجح ، عندي ، أنه من النادر أن يكون قد أخذ عن (لسان العرب) لابن منظور ، فالذي نعرفه أن هذا المعجم بسط الشرح ، وأكثر من الشواهد ، ولا أثر لذلك في القاموس الذي أوجز العبارة ، واختصر الشواهد ، وقد ذهب السيد مرتضى الزبيدي إلى نحو ما ذهبنا إليه حيث يقول : [1] « إن الفيروزابادي جمع فيه ستين ألف مادة ، زاد على الجوهري بعشرين ألف مادة ، كما أنه زاد عليه ابن منظور الأفريقي في لسان العرب بعشرين ألف مادة ، ولعل المصنف [2] لم يطلع عليه وإلا لزاد في كتابه منه ، وفوق كل ذي علم عليم . »

المحكم والعباب :

نفصل الحديث هنا عن هذين المعجمين اللذين لهما أثرهما في القاموس :

المحكم لابن سيده :

يظهر أن المحكم كان في مقدمة الكتب اللغوية التي أخذ عنها الفيروزابادي مادة اللغة ، واسمه : (المحكم والمحيط الأعظم في اللغة) أو (المحكم في لغة العرب ، وجمل من غريب الكتاب والحديث وفنون من النحو والأدب) .

وابن سيده الذي أَلَّفَ هذا المعجم ، هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده اللغوي الأندلسي الضرير ، ولد بمرسية ببلاد الأندلس في سنة ٣٧٨هـ ، وعرف بابن سيده المرسي نسبة إليها ، وقد أخذ اللغة والأدب والعلم عن أبيه وغير أبيه

---

(١) مقدمة تاج العروس ١ : ٢٥ . (٢) المصنف هو الفيروزابادي صاحب القاموس .

من جلة العلماء ، وبلغ في ذلك مبلغاً عظيماً ، حتى كان رأساً في العربية ، وحجة في نقلها ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب ، وتخرج عليه طائفة كبيرة من علماء عصره ، وتوفي بحضرة دانية بالأندلس في سنة ٤٥٨هـ (عن ثمانين سنة) .[١]

والمحكم[٢] « من أجمع المعاجم وأجدرها بالثقة والاعتبار »[٣] ، جمع كثيراً من أهم كتب السابقين كالعين والجمهرة والتهذيب والغريبين وتفاسير القرآن وشرح الحديث وكتب الأصمعي والفراء وأبي زيد وابن الأعرابي والشيباني واللحياني وغيرهم .

ويمتاز بالدقة والضبط ، وغزارة المادة ، وصدق النظر ، وانتقاء الشواهد من أوثق المصادر .

وقد هذبت فصوله ، ووضعت فروعه بعد أصوله ، وقربت تصانيفه وفاضت ألفاظه القليلة بالمعاني الغزيرة ، مع الوفاء وعدم التكرار ، قال مؤلفه إنه : « مهذب الفصول ، مرتب الفروع بعد الأصول ... هذا إلى ما تحلى به من التهذيب والتقريب والاشباع والاتساع والإيجاز والاختصار مع السلامة من التكرار والمحافظة على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة .. فرب سطر من كتابي يغترف من كتب اللغة في الخط سطوراً ... وفي كتابي هذا أشياء من الاختصار وتقريب التأليف وتهذيب التصنيف ما لو ذكرته لكان منه سفر جامع »[٤]

واستغل ابن سيده قوانين سيبويه الصرفية في شرح مادة كتابه ، وتنسيقها ، فلم يتعمد ذكر القياسي ، وإنما اختص السماعي بالإيضاح ، فنبه على الجمع

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٤٣١ .

(٢) المحكم ثمانية عشر جزءاً في خمسة مجلدات ضخمة مخطوطة بدار الكتب المصرية ويقع كل مجلد في حوالي ستمائة صفحة من القطع الكبير . (مقدمة المحكم ص ١٤) . وطبع منه أربعة أجزاء محققة على نفقة جامعة الدول العربية بالقاهرة .

(٣) مقدمة البستان ص ٣٧ .

(٤) مقدمة المحكم ص ٦ .

المركب ، وميز الجمع من اسم الجمع ، حيث قال : « ومن غريب ما تضمنه هذا الكتاب تمييز أسماء الجموع من الجموع ، والتنبيه على الجمع المركب وهو الذي يسميه النحويون جمع الجمع ، فإن اللغويين جميعاً لا يميزون الجمع من اسم الجمع ولا ينبهون على جمع الجموع . »[1]

وبين الفرق بين القلب والبدل ، وأشار إلى البدل اللازم في حروف العلة كعيد وأعياد ، ونبه على الجموع التي لم تكسر على واحدها كملامح ومشابه . وعلى شاذ النسب والأسماء التي فيها معنى النسب وليست على صيغته كلاَبِنٍ وكَاسٍ ، وعلى ما شَذَّ من جمع وتصغير ، وعلى ما يصغر من الأسماء ، وعلى ما لا يستعمل إلا ظرفاً نحو ذات مرة وبعيدات بين ، وتحدث عن شاذ المصادر والأفعال والامالة والتصاريف والادغام ، فقال : « ومما انفرد به كتابنا الفرق بين القلب والبدل وعقد اسم الفاعل بالفعل إذا كان جارياً عليه بالفاء وعقده إذا لم يكن جارياً عليه بالواو وذلك لسبب دقيق فلسفي لطيف خفي نحوي ، ومنه التنبيه على شاذ النسب والجمع والتصغير والمصادر والأفعال والإمالة والأبنية والتصاريف والادغام وتخليص القضية من الحشو حتى لا سبيل إلى الزيادة فيها ولا النقصان منها البتة».[2]

ومن طريف اختصاره أنه لا يذكر الجمع السالم إلا إذا كان شبيهاً بالمكسر في كونه سماعياً نحو أرضين وسجلات وعرفات ، وأنه يترك المطرد فلا يذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فَعَلَة إلا أن يصح موضع العين منه نحو جَوَلَة وحَوَكَة ، ولا ما جاء من جمع فاعل المعتل اللام على فعلة ، ولا ما جاء من جمع فاعلة على فواعل ، ولا اسم المصدر الذي يجيء من فعل يفعل على مفعل ، لأنها قياسية ، ثم هو لا يذكر من أسماء الزمان أو المكان إلا ما كان شاذاً كمشرق ومغرب ومسجد ومنبت ومطلع ، ولا من أفعال التعجب إلا ما كان سماعياً غير مطرد الصيغة .

لكنه يذكر اسم المذكر ، ولا يعيد الصيغة للمؤنث ، بل يشير إليها بقوله « والأنثى بهاء » إلا إذا كانت غير قياسية ، قال : « ومن بديع تلخيصه وغريب

---

(١) مقدمة المحكم ص ٨ . (٢) نفس المرجع ص ٩ .

تخليصه أني أذكر صيغة المذكر ثم أقول والأنثى بالهاء فلا أعيد الصيغة وان خالفت الصيغة أعلمت بخلافها إن لم يكن قياسياً نحو بنت وأخت . »[1]

على أنه إذا رأى فعلاً ليس له ماض أو مصدر أشار إليهما ، وقد فرق بين الفعل المنقلب عن الفعل وبين الفعل الذي هو لغة في الفعل وليس بمنقلب عنه كجذب وجبذ فإنهما لغتان لأن لكل منهما مصدراً . وأما يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة عن الأولى لأنه لا مصدر لأيس ولا يحتج بإياس اسم رجل لأنه فعال من الأوس بمعنى العطاء .

وأرجح ، أنه أول كتاب لغوي خلص اليائي من الواوي ، وبين الزائد من الأصل بتوضيح الثلاثي والرباعي والخماسي ، حيث يقول : « ومن أعجب ما اختص به هذا الكتاب تخليص الياء من الواو ، وتعيين ما انقلبت عليه الألف المنقلبة من ياء أو واو ، وتمييز الزائد من الأصل بتخليص الثلاثي والرباعي والخماسي ، وهذا فضل لا يصل إليه (إلا) من قتل التصاريف علماً ، وأحاط بعلل ما يجعله زائداً من حروف الزوائد حكماً . »[2]

وقد استمد هذا وغيره من كتاب سيبويه ، وبخاصة نصفه الأخير ، حيث قال : « ومدار كل ذلك قراءة النصف الأخير من كتاب سيبويه ، لأن كل ذلك مردود إليه ، ومعول فيه عليه . »[3]

أما منهجه في ترتيب المواد ، وشرحها ، وذكر مقلوباتها ، وجمع فروعها ، فهو منهج الخليل في العين ، والأزهري في تهذيب اللغة ، إلا أنه وضع حروفه الثلاثة الأخيرة على هذا الترتيب : الألف فالياء فالواو ، بينما رتبها الأزهري في التهذيب والخليل في العين على هذا النظام : الواو فالألف فالياء .

ويقال[4]:إن ابن سيده رتب المحكم على نسق الحروف الأول من كلمات هذه الأبيات :

---

(١) مقدمة المحكم ص ١١ . (٢) نفس المرجع ص ١٣ . (٣) نفس المرجع ص ١٤ .
(٤) البلغة ص ١٦٧ .

علقت حبيباً هنت خيفة غـــدره | قليل كرى جفني شكا ضرصده
سبا زهوه طفلاً ديانة تـــائـــب | ظلامته ذنب ثوى ربع لحـــده
نواظـــره فتاكـــة بعميـــــده | ملاحته أجرت ينابيع وجـــــده

ونظم ناصر الدين محمد بن قرناص [1] أيضاً في ترتيب حروفه هذه الأبيات :

عليك حروفاً هن خير غوامض | قيود كتاب جل شأناً ضوابطه
صراط سوي زل طالب دحضه | تريد ظهوراً ذا ثناء روابطـه
لذلكم نلتـذ فـوزاً بمحكـم | مصنفه أيضاً يفوز وضابطـه

كما نظم أبو الفرج سلمة بن عبد الله بن دلان المعافري الجزيري الأبيات الآتية في ترتيب العين : [2]

يا سائلي عن حروف العين دونكها | في رتبة ضمها وزن وإحصاء
العين والحاء ثم الهاء والخـــاء | والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعهـا | صاد وسين وزاي بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصـــل | بالظاء ذال وثاء بعدهـــا راء
واللام والنون ثم الفـاء والبـاء | والميم والواو والمهموز والياء

وقد هذَّب [3] المحكمَ الإمامُ صفي الدين محمود بن محمد الأرموي العراقي المتوفى سنة ٧٢٣هـ .

٢ — العباب للصغاني :

العباب ثاني الكتابين اللذين نقل الفيروزابادي خلاصتهما في القاموس المحيط ، واسمه العباب الزاخر واللباب الفاخر في اللغة .

والصغاني مؤلف هذا المعجم هو الإمام العلامة رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري القرشي الصغاني

---

(١) البلغة ص ١٦٧ . (٢) المزهر جـ ١ ص ٥٥ . (٣) البلغة ص ١٦٧ .

أو الصاغاني[1] الهندي الفقيه الحنفي المحدث اللغوي ولد بمنية لا هورفي . ١صفر سنة ٥٧٧ ﻫ ، وقد نشأ بغزنة[2] ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأخذ العلم واللغة والأدب عن خيرة علمائها ، ورحل إلى بلاد أخرى ، فاكتسب معارف شتى ، وذاعت شهرته ، وعلت مكانته ، حتى كان إليه المنتهى في علم العربية ، وصار إماماً في اللغة والفقه والحديث ، وكان شيخاً صدوقاً صالحاً صموتاً عن فضول الكلام ، وتوفي ليلة الجمعة ١٩ شعبان سنة ٦٥٠ﻫ ، ودفن بداره بالحرم الطاهري ببغداد ، ثم نقل إلى مكة المشرفة ، ودفن بها حسب وصيته (رحمه الله) .[3]

أما العباب[4] فقد ألفه لابن العلقمي وزير المستعصم ، وجمعه من كتب اللغة المشهورة كالعين وتهذيب اللغة والجمهرة والمحيط والمجمل والمقاييس والفائق والمنمق والمنمنم وغيرها ، مستشهداً على صحة ما جمعه من القرآن والحديث ، وضمنه تراجم أهم أصحاب المعاجم إلى أيامه ، ولكنه مات قبل أن يتمه ، وبلغ فيه إلى حرف الميم ، ووقف عند مادة (بكم) حتى قال القائل[5] :

إن الصغاني الـذي حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

وقد جرت عادته فيه أن يذكر في آخر كثير من المواد ما يدل عليه تركيبها من معنى عام تندرج تحته معاني ما تفرع منها .

وهو معجم جامع ، غزير المادة ، رتبه الصغاني ترتيباً أساسه طريقة الجوهري في الصحاح ، ويمتاز بضبط بعض الكلمات بالنص على حركة حروفها ، وذكر

---

(١) ينسب إلى الصاغانيان مدينة فيا وراء النهر هي أصل موطنه ، وإلى لاهور حاضرة إقليم بنجاب ببلاد الهند ، وهي مدينة كثيرة الخيرات .

(٢) هي مدينةعظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد بين خراسان والهند .

(٣) تاج التراجم ص ١٧ .

(٤) العباب عشرون جزءاً ، أتم منه مؤلفه ثمانية عشر ، والجزء الأول منه بدار الكتب المصرية آخره مادة (عجرد) مخطوط (لغة ١٤١) . ولعل الفيروزابادي لم يعتبر كتاب التكملة للصغاني ضمن المراجع الأساسية له كالمحكم والعباب لأنه اعتمد على التكملة في الرد على الجوهري في الصحاح غالباً .

(٥) مقدمة البستان ص ٣٧ .

بعض الأعلام الشهيرة في شيء من التعريف العابر ، ومحاولة الإيجاز في الشرح أحياناً .

مكانتهما :

هذان الكتابان ، من أوسع كتب اللغة ، وأغزرها مادة ، وأصحها رواية .

امتاز المحكم بالإيجاز في الشرح مع الوفاء بالمراد ، إلى خطة واضحة في العرض والبسط تؤثر ذكر السماعي على القياس ، اكتفاء بأن الأخير له قواعد تدني المعنى إلى طالبه في يسر .

وامتاز العباب بذكر بعض الأعلام الشهيرة ، وضبط قليل من الكلام وتعقيب للمادة بمعناها العام في كثير من الأحيان .

وإذا ما أغضيناعن ترتيب المواد في الكتابين ، وبخاصة المحكم ، وجدنا أنهما قد بلغا من النضج والاكتمال شأواً عظيماً ، وأن كلاً منهما انفرد بمحاسن ظاهرة ، كان لها أثرها في القاموس .

أثرهما في القاموس :

استوعب الفيروزابادي كلا الكتابين ، وأخذ منهما خاصة ، ومن غيرهما ، كثيراً من المحاسن التي جمع بينها ، فبدت جلية في القاموس ، تدل على عالم متمكن ، أحكم وضعها ، وصاغها صياغة فيها تشويق وتجديد ونفع كبير .

أما المحكم فقد أخذ الفيروزابادي عنه الإيجاز مع الوفاء بالغرض ، ودسامة الأسلوب ، وازدحام العبارة القصيرة بالمعاني الكثيرة .

كما اقتدى به فضبط الكلم ، وذكر العلم ، وخلص اليائي من الواوي ، ولم يعد الصيغة للمؤنث بعد المذكر ، ولم يذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فعلة إلا أن يصح موضع العين منه كجولة ، وترك المصدر الميمي وأسماء الزمان والمكان والآلة وصيغ التعجب القياسيات غالباً .

وأما العباب فقد ضبط الفيروزابادي الكلمات مثله ، وذكر الأعلام الشهيرة كما ذكر ، ونسق المواد تنسيقاً يشبه تنسيقه .

ثم استقى بعد ذلك منهما أكثر مادته اللغوية ، واعترف لهما بالفضل وعلو المنزلة ، في خطبته ، حيث قال : « هما غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب ، ونيرا براقع الفضل والآداب »[1]

ب - كتب الطب :

في العصر الذي ظهر فيه القاموس المحيط ، انتشرت في البلاد العربية ثقافة طبية ، تعتمد على مؤلفات ابن سينا وابن جزلة وابن البيطار والغافقي والسلطان المظفر يوسف بن عمر صاحب اليمن وغيرهم .

وكان لها أثرها في بعض علماء اللغة ، وبخاصة الفيروزابادي الذي أقبل يأخذ من تصانيفها ليؤلف معجمه ، فاقتطف منها شيئاً غير قليل نراه واضحاً في القاموس من ناحية المعاني والأساليب .

وقد فصلنا ذلك في موضعه من هذا الكتاب .[2]

ج - الكتب الأخرى :

لم تكن الثقافة الإسلامية مقصورة على ثقافتي اللغة والطب فحسب بل كانت أكثر من هذا وأوسع ، فقد اشتملت إلى جانب ذلك على مؤلفات التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة والسير والأخبار وتقويم البلدان والفلسفة والاجتماع والعمران وغيرها مما هو في متناول الطلاب والعلماء .

وكان الفيروزابادي شديد الحرص على أن يظهر أثر ذلك في القاموس ، فاستشهد لشرحه بالقرآن والحديث والشعر والأمثال العربية أحياناً ، وعالج

---

(١) خطبة ص ٣ .   (٢) ص ٢٤٣ .

مسائل النحو والصرف والعروض ، واستعان بالتاريخ والجغرافية في ذكر الأعلام ، ونحو ذلك من مختلف الشئون .

وهاك مثالاً لذلك ، ما أورده ابن خلكان في معجم البلدان[1] حيث قال :

١ – دابق قرية قرب حلب من أعمال عزاز بينها وبين حلب أربعة فراسخ .
٢ – دبقي قرية من قرى مصر قرب تنيس تنسب إليها الثياب الدبيقية على غير قياس .
٣ – دبيق بلد قرب تنيس بينها وبين الفرما خرب الآن .
٤ – الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، وموضع بالحيرة كانت به منازل المنذر ، وموضع من نواحي اليمامة .
٥ – الجوف موضع من اقليم الشوبية من الأندلس ، وموضع من أرض مراد في تفسير (إنا أرسلنا نوحاً) ، وموضع بأرض عمان .
٦ – الترعة موضع بالشام ، وترعة عامر موضع بالصعيد الأعلى على النيل يكثر فيه الصراصير ، وهو نوع من السمك .

ثم جاء الفيروزابادي ، فأخذ كل ذلك بنصه تقريباً ، ووضعه في القاموس ، كما هو ظاهر من مراجعة هذه النصوص على المواد التي أضافها إليها .

على أنه فعل مثل ذلك بالنسبة لكثير من المصنفات الأخرى في شتى العلوم والفنون والآداب .

تلك هي مصادر القاموس المحيط ، التي عرضناها على النحو المتقدم ، وهي ثلاثة كما بينا : كتب اللغة ، وكتب الطب ، والكتب الأخرى .

---

(١) ٣ : ١٥٤ وما بعدها .

الفصل الرابع

نسخه

بين أيدينا للقاموس المحيط نسخ كثيرة مخطوطة ومطبوعة ، ظهرت في سنين مختلفة .

لكنا ، لم نعثر على النسخة التي كتبها المؤلف بخطه ، على الرغم من بحثنا عنها كثيراً في مظانها .

أ – نسخ المؤلف :

يبدو أن الفيروزابادي كتب بخطه للقاموس المحيط ثلاث نسخ :

النسخة الأولى : هي التي كتبها قبل دخوله اليمن سنة ٧٩٦هـ حين صنفه ، ووضعه في أول صيغة له كمؤلَّف جديد .

النسخة الثانية : أو النسخة اليمانية ، أو النسخة المهذبة : وهي التي كتبها بعد انتقاله إلى البلاد اليمنية قبل ٨٠٣هـ ، فقد خرج بالقاموس إلى اليمن ، فاستقر بزبيد يهذبه ، وزاد فيه فوائد جمة .[1]

قال صاحب الفلك : إن « النسخة المهذبة أحسن من الأولى ، لكن لا يعرف الأولى من الأخرى إلا الآحاد »[2] ، ثم بين المواضع التي تميزت بها النسخة المهذبة

---

(١) أكثر هذه الزيادات مسائل طبية وحالات جنسية وأعلام مختلفة وبعض شواهد ومواد لغوية ومعان في قليل من المواد والخطبة .

(٢) فلك القاموس ص ٢١ . والبلغة ص ١٥٠ .

عن النسخة الأولى ، فذكر ما خلاصته : [1]

١ – أن في النسخة اليمانية زيادة كثيرة في الخطبة ، قرظ فيها الملك الأشرف إسماعيل الغساني ومن جملة التقريظ أبيات سينية ، مطلعها :

مولى ملوك الأرض من في وجهه ... مقباس نور أيما مقباس
بدر محيا وجهه الأسنى لنا ... مغن عن القمرين والنبراس
من أسرة شرفت وجلت فاعتلت ... عن أن يقاس علاؤها بقياس
رووا الخلافة كابراً عن كابر ... بصحيح إسناد بلا الباس
فروى علي عن رسول مثل ما ... يرويه يوسف عن عمر ذي الباس
ورواه داود صحيحاً عن عمر ... وروى علي عنه للجلاس
ورواه عباس كذلك عن علي ... ورواه إسماعيل عن عباس

وقد كتب بعض النساخ هذه الزيادة في النسخة الأولى ، فوجب علينا ألا نحكم بأنها اليمانية لمجرد ذكرها فيها ، وإنما علينا أن نرجع إلى بقية الموضوعات المزيدة أو أكثرها .

٢ – وأنه يزن في النسخة المهذبة بشَدَّاد ما كان يزنه في النسخة الأولى بكَتَّان (بتاء مثناة من فوق بعد الكاف آخره نون) .

ولعله إنما فعل ذلك خيفة أن يلتبس بكتاب مخففاً آخره موحدة لأنه يزن به نحو قوله : « الاستجراح العيب والفساد وكشَدَّادٍ علم . » [2]

٣ – وأنه قال في النسخة اليمانية (في مادة كوكب) : كوكبان حصن باليمن رصع داخله بالياقوت ، فكان يلمع كالكواكب .

٤ – وأنه في مادة (س ذ ج) قال في النسخة اليمانية : الساذج أوراق وقضبان تقوم على وجه الماء من غير تعلق بأصل نافع لأورام العين معرب ساذه ، وفي النسخة الأولى : الساذج معرب ساذه .

---

(١) فلك القاموس ص ٢١ – ٢٣ (بتصرف) .

(٢) مادة (جرح) قاموس .

٥ — وأنه في مادة (س ف ن ج) قال في النسخة اليمانية : الاسفنج عروق شجر نافع في القروح العفنة . وفي النسخة الأولى لم يذكر هذه المادة .

٦ — وأنه في مادة (سفدج) قال في النسخة اليمانية : الاسفيداج بالكسر رماد الرصاص والآنك والآنكي إذا شدد عليه الحريق صار اسرنجا يلطف جلاء معرب . وفي النسخة الأولى الاسفيداج معرب .

٧ — وأنه في مادة (س م ط) قال في النسخة الأولى : والمسمط من الشعر أبيات تجمعها قافية واحدة .

وزاد في النسخة المهذبة : كقول امرئ القيس :

وَمُسْتَلْئِمٍ كَشَّفْتُ بالرُّمْحِ ذَيْلَهُ أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِي سَفَاسِقَ مَيْلَهُ
فَجَعْتُ بِهِ في مُلْتَقَى الْحَيِّ خَيْلَهُ تَرَكْتُ عِتَاقَ الطَّيْرِ تَحْجُلُ حَوْلَهُ
كَأَنَّ عَلَى أَثْوَابِهِ نَضْحَ جِرْيَالِ

٨ — وأنه في مادة (زرع) قال في النسخة الأولى : والزرعة بالضم البذر ، وفي النسخة اليمانية بعد لفظ البذر : وبلا لام اسم ، وسموا كزبير وسحاب وعثمان .

٩ — وأنه في مادة (ذرع) قال في النسخة الأولى (فصل الذال) : الذراع ذراع اليد وقد يُذَكَّر الجمع أذرع وذرعان .

وفي النسخة اليمانية : زاد زيادات واسعة ، فقد ذكر في صدر المادة الذراع بالكسر من طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى الجمع أذرع . ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة معان :

الأول : ذراع العامل وهو صدر القناة .

الثاني : التذريع في السعي وهو تحريك اليدين .

الثالث : يقال ذَرَعَ البشيرُ إذا أومأ بيده .

١٠ — أنه في مادة (اص ص) قال في النسخة الأولى : أصبهان أصله أصب هان فخففت .

وفي النسخة اليمانية : ومنه أَصْبَهَانُ ، أَصْلُهُ أَصَّتْ بهَان ، أَي سَمِنَتْ

الْمَلِيحَةُ سُمِّيَتْ لحسن هوائِهَا وعُذُوبَةِ مائِهَا وكَثْرَةِ فَواكِهِهَا فَخُفِّفَتْ، والصوابُ أنها أَعْجَمِيَّةٌ . وَقَدْ تُكْسَرُ هَمْزَتُهَا ، وقد تُبْدَلُ بَاؤُهَا فاءً فيهما ، وأَصْلُهَا إِسْبَاهَانْ أي الأَجْنَادُ لأَنَّهم كانوا سُكَّانَهَا ، أو لأَنَّهم لَمَّا دَعَاهُمْ نَمْرُوذُ إلى مُحَارَبَةِ مَنْ في السَّمَاءِ ، كَتَبُوا في جوابه : إِسْبَاهْ آنْ نَهْ كِهْ بَاخُدَا جَنْكْ كُنَنْدْ ، أي هذا الجُنْدُ ليس مما يُحَارِبُ اللهَ ، أَوْ مِنْ أَصْبَ .

١١ — أنه في مادة (بارك)[1] قال في النسخة الأولى : وبرك الغِماد بالكسر ويفتح موضع باليمن وراء مكة لخمس ليال وأقصى معمور الأرض، وبَرْك بالفتح موضع ويحرك وبالكسر موضع بمكة وزَبيد وماء لبني عقيل بنجد .

وفي النسخة اليمانية ، وبرك الغماد بالكسر ويفتح موضع بين مكة وزبيد وماء لبني عقيل بنجد

١٢ — وأنه في مادة (خ ض ع) قال في النسخة اليمانية : والخيضعة اختلاف الأصوات في الحرب والغبار والمعركة .

ولم يذكر الخيضعة في النسخة الأولى .

هذا وقد قال السيد مرتضى الزبيدي: إن النسخ الزبيدية من القاموس غالبها محشو بالزيادات الطبية وغيرها ، والنسخ المكية منه خالية من تلك الزيادات ، كما ذكر أن الفيروزابادي سوَّد الأصل المزيد من القاموس في زبيد بجامع قبيلة المزجاجي ، وبيَّضه في مكة المشرفة[2] .

النسخة الثالثة : يظهر أن الفيروزابادي كتبها بعد النسخة الثانية ، وبعث بها إلى القاهرة ، فقد ذكر علماء اللغة أنها كانت في أربع مجلدات بالمدرسة الباسطية

---

(١) كما في الفلك ، والأولى (برك) بدون ذكر الزائد .

(٢) تاج العروس ١ : ٤١ (من القسم الأول) .

بالقاهرة ، وأنها كانت عمدة الناس في الدولة المصرية ، وأن حالها يدل على أنها آخر ما حرره ، كما ذكروا أن في آخرها قطعة في أثناء حرف النون من مادة (قمن) إلى آخر الكتاب ليست على منوال ما يعني به مؤلفه ، ذلك أن هذه القطعة تخالف مثيلتها في النسخ اللاتي بغير خطه مخالفة كثيرة :

١ – بأن فيها تقديماً وتأخيراً وزيادة ونقصاناً .
٢ – وبأنه حذف منها بعض الكلمات التي جعلها موازين كشَدَّاد .
٣ – وبأنه يكتب القرية والبلد والجمع بألفاظها مع أنه أسلف في خطبته بأنه يرمز لها ، والتزم ذلك فيما قبل هذه القطعة .
٤ – وبأنه يرمز فيها للجبل (ل) وللمحدث (ث) وغير ذلك مما لم يفعله قبل هذا ولا أشار إلى أنه يفعله وغير ذلك من أمور كادت توجب القطع بأن هذه القطعة غيرت من أصل المصنف .[1]

ذكر صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ما نصه : « ... النسخة التي بالقاهرة بخطه في أربعة مجلدات بالمدرسة الباسطية[2] ، وهي عمدة الناس الآن بمصر ، وأمرها ظاهر في أنها آخر ما حرره غير أن في آخرها قطعة من أثناء حرف النون من مادة (قمين) إلى آخر الكتاب ليست على منوال ما يعني مؤلفه باعتبار أنها مخالفة للنسخ اللاتي بغير خطه مخالفة كثيرة بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان وبحذف الكلمات التي جعلها موازين كشداد وبأنه يكتب القرية والبلد والجمع بألفاظها وقد أسلف في الخطبة بأنه يرمز لها والتزم ذلك فيما قبل هذه القطعة وبأنه يرمز في هذه القطعة للجبل (ل) ، وللمحدث (ث) وغير ذلك مما يفعله (.. لم يفعله) قبل هذا إلى غير ذلك من أمور كادت توجب القطع بأن هذه القطعة عدلت من أصل المصنف قاله البقاعي »[3]

---

(١) البلغة ص ١٤٥ .

(٢) هذه المدرسة أنشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي ناظر الجيوش ، بناها بالخراطين بالقاهرة أول القرن التاسع الهجري في أيام المؤيد شيخ ، ثم بنى معها جامعاً ، ورصد عليها بعض الأوقاف (انظر خطط المقريزي جـ ٢ ص ٩١) . ويظهر أنها اندثرت .

(٣) جـ ٢ ص ١٣٠٦ .

على هذا يكون الفيروزابادي قد كتب بخطه ثلاث نسخ للقاموس المحيط اتسمت كل واحدة منها بأوصاف تعرف بها من أختيها ، كما أسلفنا .

لكن ، ذكر بعض العلماء ، أن كتابة ثلاث نسخ من معجم ضخم كالقاموس عمل شاق يضني كاتبه ، ويثقل كاهل محرره ، ويحتاج إلى وقت وجلد وراحة بال .

كما أن الفيروزابادي الذي كان يدرس ويحاضر ويؤلف ويضطلع بأهم منصب في البلاد اليمنية ، بعد أن ناهز السبعين ، لا ينتظر أن يكون لديه الوقت والنشاط الكافيان لتحرير نسختين من القاموس في اليمن إلى جانب النسخة الأولى .[1]

فإن صح هذا ، فلا يبعد أن يكون قد خط بقلمه نسختين اثنتين من القاموس ، هما النسخة الأولى والنسخة المهذبة أو اليمنية .

أما النسخة المهذبة فقد استوطنت اليمن غالباً لم تبرحه ، وأما النسخة الأولى فلعلها هي التي آثرت السفر إلى مصر ، واستقرت بالمدرسة الباسطية ، ثم لعبت بها يد البلى ، فتناولتها بالتغيير في مادة (قمن) ونالت منها حتى جعلتها تظهر للأعين في ثوب خلق ، وأنها آخر ما حرره .

لكني أرجح ، أن الفيروزابادي حرر للقاموس المحيط ثلاث نسخ ، تختلف كل واحدة منها عن الأخرى في بعض الأوصاف على النحو الآنف الذكر فالمعروف أنه كان صبوراً ، قوي الصحة ، جيد الخط ، معتزاً بهذا الكتاب ، وأنه كان يتمتع بكل قواه إلى آخر العمر ولذا لا أظن كتابة نسخة ثالثة من القاموس مما يصعب على مؤلفه .

ب - النسخ الخطية :

تحدثنا عن نسخ القاموس المحيط التي كتبها المؤلف بخطه ، أما النسخ المخطوطة

---

(١) البلغة ص ١٤٩ .

بغير خطه فكثيرة ، من أشهرها :

١ - **النسخة الرسولية سنة ٨١٤هـ** : وتسمى الناصرية ، أو الصلاحية ، أو الناصرية الصلاحية ، أو الناصرية الصلاحية الرسولية : وهي التي كتبت خاصة للملك الناصر صلاح الدين بن رسول سلطان اليمن ، وذكر العلماء أنها اشتملت على زيادات كثيرة في التراجم على سائر النسخ حتى على النسخة التي في القاهرة بخط المؤلف في أربعة مجلدات بالمدرسة الباسطية .[١]

والنسخة الرسولية ، من أشهر نسخ القاموس المحيط ، وآخر نسخة قرئت على المؤلف في زبيد المدينة قبل وفاته بأكثر من عامين في مائة واثني عشر مجلساً ، وقد جاء في آخرها بخطه : « كمل بحمد الله تصحيح الكتاب بقراءة كاتبه على مؤلفه أضعف خلق الله قراءة بينة متقنة في مدة قليلة أعلى الله سعادة مالكها خليفة الله في خليقته ، ولله سبحانه الحمد على جزيل انعامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . »

كما جاء في آخرها أيضاً بخط كاتبها : « فرغ من زبره الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن يوسف بن عثمان المغربي الحميدي[٢] يوم السبت العشرين من رجب سنة أربع عشرة وثمانمائة . »

وهذه النسخة الجليلة محفوظة في خزانة المرحوم كوبريلي محمد باشا المقابلة لتربة المرحوم السلطان محمود ، وقد اطلع عليها أحمدفارس الشدياق ووصفها ، فقال[٣] : « هي أثر يملأ العين نوراً ، والقلب سروراً ، لحسن خطها ، وتناسق سطورها ، وجودة ورقها ، وجميع موادها مكتوبة بالذهب وفصولها بالحبر الأزرق ، ولكن لن تعدم الحسناء ذاما ، فإنها غير تامة النقط في مواضع كثيرة ، وكتب في ظهر أعلى صحيفة منها بالخط الثلث بماء الذهب : (كتاب القاموس المحيط ، والقابوس الوسيط في اللغة) ، وفي وسطها برسم الخزانة السلطانية

---

(١) البلغة ص ١٤٥ ومقدمة تاج العروس ١ : ١٩ .

(٢) ذكر الهوريني أن صوابه الحميري المقري نقلاً عن العلامة محمد محمود بن التلاميد التركزي (شرح خطبة القاموس ص ٧) .

(٣) الجاسوس ص ٩٣ .

الملكية الناصرية الصلاحية الرسولية ، عمرها الله آمين ، وفي أسفلها ، تأليف القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذي ، نفع الله به . »

كما ذكر أنه رأى على حواشيها تعليقات من المؤلف ، تفيد قراءتها عليه في مجالس ، كتب بعد كل مجلس منها في الحاشية ، قوله « بلغ العراض فصح إن شاء الله » أو « بلغ العراض مع مؤلفه » أو « بلغ العراض معي » أو « بلغ العراض معي فصح ولله الحمد » أو « بلغ العراض مع مؤلفه فصح ولله الحمد » أو « بلغ العراض فصح بتوفيق الله » ، وهكذا .

على أنه نبه إلى أن كل ما كتبه الفيروزابادي غير منقوط جرياً على عادته ، وأن ما كتبه في آخر هذه النسخة كان قبل وفاته رحمه الله بنحو ثلاث سنين ، وأن حسن الخط لم يفارق يده .[1]

وفي غالب الظن أن تاريخ البدء في كتابة هذه النسخة هو سنة ٨١٣هـ وقد فرغ كاتبها من تحريرها وقراءتها على مؤلفها سنة ٨١٤هـ .

وأرجح (كما ذهب الشدياق) أنها هي التي عناها صاحب كشف الظنون ، فأرخ لبدء كتابتها ، ولم يذكر تاريخ الفراغ من تحريرها ، اعتماداً على ما جاء بخط كاتبها في آخرها ، إذ أثبت أنه فرغ من زبر الكتاب يوم السبت العشرين من رجب سنة أربع عشرة وثمانمائة من الهجرة .[2]

٢ - النسخة اليشبكية سنة ٨٥١هـ :

نقلها في مجلدين الإمام البقاعي الشافعي (أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي نزيل القاهرة) وقابلها مع الإمام الأوحد البارع المبرز الثبت جمال الدين بن محمد بن الأمير الناصري محمد بن السابق الحموي الحنفي على النسخة التي بخط المؤلف في أربع مجلدات في المدرسة الباسطية بالقاهرة . وقد سميت نسخة البقاعي بالنسخة اليشبكية لأنه

---

(١) الجاسوس ص ٩٤ . (٢) الجاسوس ص ١٢٦ .

قدمها إلى الأمير (يشبك) الذي تولى (الدَّوادارية)[1] أيام الناصر فرج ، وتحكم في جلائل الأعمال وشئون الدولة .

ويظهر أنه عدل القطعة التي جاءت في أثناء حرف النون من مادة (قمن) إلى آخر الكتاب من النسخة الباسطية بحيث صارت في نسخته على منوال ما قبلها مناسبة لما أشار إليه الفيروزابادي في خطبته من رموز ، وذلك حيث قال البقاعي : « وكأنه[2] تعذر عليه تحصيل شيء من النسخ اللاتي كتبت من أصلها لأمر ما ، فجمع الأصول التي اقتطف منها هذا الكتاب ، وأنشأ هذه القطعة ، فلم يصل فيها إلى ما كان له عند تهذيب ما قبلها من النشاط والإقبال وانبعاث الهمة وخلو البال فجمعنا[3] ثلاث نسخ يغلب على الظن أنها كتبت من أصله قبل أن تعدم منه هذه القطعة إحداها يمنية لم تخرج من اليمن التي استوطنها المصنف آخر عمره ، فقابلنا هذه القطعة بعضها ببعض ، واجتهدنا في التحرير والاصلاح ، وكنا نعتمد في الضبط والنقط على التي بخطه إلا ما تحققنا أن الصواب في غيرها ، وأثبتنا ما زاده بعض الأصول على بعض فيما عدا التي بخطه بحيث صارت هذه القطعة كما قبلها في الجمع والتهذيب والاعتماد والترتيب ، وفي هذه النسخة قبل هذه القطعة كثير مما عورض مع المصنف على أصلها كما ترى خطه به وفيه كلمات بخطه زائدة على الأصل الباسطي ، وكذا ربما وجدنا في بعض الأصول شيئاً زائداً لا بد منه أو له موقع جليل من كلمة وحرف وتقديم وتأخير باعتبار سهو المصنف في تخريجه له في غير موضعه بأن يريد التخريج له بعد كلمة فيخرج بعد كلمة أخرى لشبهها بها سهواً لا يشك فيه بعد التأويل ، ونحو ذلك ، وهو يسير ، فأحكمنا ذلك جميعه في هذا الأصل ، وأما الخطبة فالنسخ بها مختلفة جداً في كثير من تقديم وتأخير لا يضر مع اتحاد المعنى وفي زيادة كثيرة لا يخل حذفها بشيء من مقاصد الكتاب والله الموفق . وكان ختامنا لذلك يوم الأحد ١٧ رمضان المعظم سنة ٨٥١ بمسجدي من رحبة باب العيد

---

(١) الدوادارية : تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ الأمور وتقديم المشورة . كما في خططط المقريزي ٢ : ٢٢٢ .

(٢) أي المؤلف وهو مجد الدين الفيروزابادي . (٣) أي البقاعي لأنه هو المتحدث .

بالقاهرة قاله أحوج الخلق إلى عفو الحق أبو الحسن إبراهيم بن عمر ابن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي نزيل القاهرة . »[1]

٣ - النسخة الهروية سنة ٩٨٢هـ :

هي هنالك بجانب النسخة الرسولية في خزانة المرحوم كوبريلي محمد باشا ، وتضاهي النسخة الناصرية الرسولية ، بل أتم وضعاً ، وأحسن خطاً منها ، لأن لها جداول من الذهب والحبر الأزرق ، وكل مادة منها مرقومة في سطر على حدته ، وفيها تصحيح بعض ألفاظ كتبت ملحونة في النسخة الناصرية الرسولية.

وقد تحدث أحمد فارس الشدياق عن هذه النسخة الهروية ، فقال : « رأيت بجانب هذه النسخة (أي الرسولية) نسخة أخرى نفيسة بخط الملا علي بن سلطان محمد الهروي بتاريخ سنة ٩٨٢ هـ ، وهي أحسن خطاً ، وأتم وضعاً من تلك ، فإن لها جداول من الذهب والحبر الأزرق ، وكل مادة منها مرقومة في سطر على حدته ، فتعجبت من اتقانها ، ولا سيا أني رأيت فيها تصحيح بعض ألفاظ كتبت ملحونة في النسخة الناصرية . »[2]

ومحرر هذه النسخة الهروية رجل ثقة ، وصفه السيد مرتضى الزبيدي[3] في خطبة كتابه (تاج العروس)[4] بالعلامة الملا ، وقال انه ألف شرحاً على القاموس سماه (الناموس) .[5]

---

(١) الجاسوس ص ١٢٥ .

(٢) الجاسوس ص ٩٤ .

(٣) كان للسيد مرتضى الزبيدي نسخة خطية زبيدية من القاموس روجعت على نسخة المؤلف ، لكنه في شرح القاموس اعتمد عليها وعلى نسخ أخرى خطية قوبلت على نسخة المؤلف أو قرئت عليه أو قوبلت على ما قرئ عليه . وكان لشيخه العلامة الإمام أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي نسخة خطية قوبلت على نسخة المؤلف ، وقد قرأها قراءة بحث وإتقان على شيخه العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد المُنَاوي والعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الشاذلي . (تاج العروس جـ ١ ص ٣٥ - ٤١ من القسم الأول) .

(٤) ص ٤ .   (٥) مقدمة تاج العروس ص ٣ .

ثم ذكر الشدياق أنه على حواشي النسختين (الرسولية والهروية) تنبيهات على ما اشتملت عليه المواد من مثل أو طب أو نادرة أو غيرها ، وأن هذه التنبيهات كان يقصد بها في نسخة المصنف زيادة التنويه بكتابه .[1]

وقد اطلعت في دار الكتب المصرية على نحو إحدى عشرة نسخة مخطوطة بأقلام مختلفة في سنين متتالية ، نصف بعضها فيما يلي :

١ – نسخة سنة ٨٩٩ﻫ :

وهي في مجلدين ، مخطوطة بخط بيري بن حسن بن مرصد بن موسى الملطي ، فرغ منها بمصر المحروسة بمدرسة الأمير بشتك الدوادار الكبير الكائنة ببركة الفيل[2] في يوم السبت الثالث من ربيع الثاني سنة ٨٩٩ ﻫ ، نقلها من خط المؤلف ، وقوبلت على نسخة قرئت عليه ، وعليها خطه .[3]

٢ – نسخة سنة ٩٠٥ﻫ :

وهي في مجلدين ، مخطوطة بخط عبد الباسط بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الحق الكناني البلقيني الشافعي ، كتبها بالخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) ونقلها من نسختين مقروءتين على المصنف متوجتين بخطه ، فرغ منها ضحى يوم السبت مستهل رجب سنة ٩٠٥ ﻫ ، مضبوطة بالحركات ، بهامشها بعض تقريرات .[4]

٣ – نسخة سنة ٩٧٤ﻫ :

وهي مخطوطة بخط أحمد الطيبي في سنة ٩٧٤ ، وبأولها ذكر مصنفات مؤلف القاموس .[5]

٤ – نسخة سنة ١٠٩١ﻫ :

مخطوطة بخطوط مختلفة في مجلدين ، تم الجزء الأول منهما كتابة سنة ١٠٨٥ ﻫ ، والثاني بخط محمد بن عطية بن منصور بن أحمد بن ناصر الدين

---

(١) الجاسوس ص ٩٤ .

(٢) خطط المقريزي ٢ : ٣٠٩ .   (٣) لغة خط ٣٤ دار الكتب المصرية .

(٤) لغة خط ٤٠ دار الكتب المصرية .   (٥) لغة خط ٢٣٥ دار الكتب المصرية .

البرهيمي ، تم كتابة في التاسع من شهر رجب سنة ١٠٩١هـ.[١]

٥ – النسخة الشنقيطية :

بخط إمام اللغة وأستاذها الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، كتبها في أربعة مجلدات ، وقابلها على النسخة الصلاحية الرسولية المقروءة على المؤلف في مائة واثني عشر مجلساً ، وعليها خطه .

ونسخة الشنقيطي تعتبر من أصح النسخ المخطوطة ، وعليها تعتمد أدق المطابع في نشر القاموس المحيط .

جـ – النسخ المطبوعة :

طبع القاموس المحيط في بعض البلدان طبعات كثيرة ، منها :

١ – طبعة كلكتة سنة ١٢٣٢هـ :

هي أول طبعة للقاموس ، وكانت في مجلدين ، بدأ العمل فيها سنة ١٢٣٠هـ وانتهى سنة ١٢٣٢هـ ، وقام بها الشيخ أوحد الدين البلجرامي ، إذ عين الشيخ أحمد بن محمد بن علي الأنصاري اليمني الشرواني الزيدي من علماء القرن الثالث عشر الهجري لتصحيح القاموس ، وطبعه في مطبعته ، وأحضر لديه المراجع الكافية التي يعتمد عليها في تصحيحه ، وكانت كما ذكر صاحب كتاب البلغة [٢] إحدى عشرة نسخة من القاموس وكتباً كثيرة منوعة كالصحاح للجوهري وشمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري ، والنهاية لابن الأثير الجزري ، وأساس البلاغة للزمخشري ، والمصباح المنير للشهاب الفيومي ، وديوان الأدب لإسماعيل بن إبراهيم الفارابي ، وتاج المصادر للبيهقي ، وفقه اللغة للثعالبي ، والمزهر للسيوطي ، وشرح المقامات للشريشي ، وشرح آخر للزمزمي ، وشرح ديباجة القاموس للشيخ عيسى بن عبد الرحيم ، وشرح آخر معلق عليها

---

(١) لغة خط ٣٣ دار الكتب المصرية .

(٢) البلغة في أصول اللغة ص ١٤٩ .

لبعض الفضلاء ، ومجمع البحار ، ونظام الغريب ، وكفاية المتحفظ ، وكتاب أنساب الأنصار ، ونحو عشرين كتاباً من كتب الفنون الأدبية .

وقد تم طبعه في بلدة كلكتة بالهند ، واشتهر هناك حتى كان مرجع الباحثين والقراء .

وتمتاز هذه الطبعة بأنها دقيقة واضحة مضبوطة بالحركات ، وبأن في أول كل جزء ورقتين بهما مناقب المؤلف ، واصطلاح الكتاب .

٢ - طبعة بولاق :

طبع القاموس المحيط الطبعة الأولى البولاقية [١] في أربعة مجلدات بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٧٢ هـ ، وقد اعتمد في هذه الطبعة على النسخة الشنقيطية المقابلة على النسخة الرسولية وكذلك باقي الطبعات البولاقية واشترك العلامة الهوريني في تصحيحها . وهي طبعة مضبوطة بالحركات ، وبهامشها تقريرات للشيخ نصر الهوريني ، ونبذ من القول المأنوس بتحرير ما في القاموس للقرافي ، ومن شرح السيد مرتضى الحسيني المسمى تاج العروس ، وبأولها شرح خطبة القاموس للشيخ نصر الهوريني ، ثم طبع في بولاق أيضاً سنة ١٢٨٩ هـ في أربعة مجلدات طبعة [٢] مضبوطة بالحركات وبأولها مقدمة للشيخ نصر الهوريني .

وطبع فيها كذلك في مجلدين (من سنة ١٣٠١ هـ إلى ١٣٠٣ هـ) طبعة مضبوطة [٣] بالحركات بهامشها تقريرات للشيخ نصر الهوريني ، ونبذ من القول المأنوس بتحرير ما في القاموس للقرافي ، ومن شرح السيد مرتضى الحسيني المسمى تاج العروس من شرح جواهر القاموس ، وبأولها شرح ديباجة القاموس للشيخ نصر الهوريني أيضاً .

---

(١) لغة ٣٥٠ دار الكتب المصرية .

(٢) لغة ٥٧٢،٥٢٩ بدار الكتب المصرية . (٣) لغة ١٤٤،١٤٣ بدار الكتب المصرية .

٣ – **طبعة الميمنية بمصر :**

قامت المطبعة الميمنية[1] بمصر بطبعه سنة ١٣١٩ هـ في أربعة مجلدات ، وهي طبعة مضبوطة بالحركات ومصححة على نسخة الشيخ محمد محمود الشنقيطي التي قابلها على النسخة الصلاحية الرسولية المحفوظة بخزانة الكوبريلي بالقسطنطينية والتي قرئت على المؤلف في مائة واثني عشر مجلساً .

والشيخ محمد الزهري الغمراوي هو الذي صححها (أي النسخة الميمنية) على النسخة الشنقيطية .

وقد راعى الطابع فيها ما يلي :

١ – إثبات ما في الطبعة البولاقية ، وما على حواشيها كما هو .

٢ – جعل الزيادات التي بالنسخة الرسولية بين قوسين ، وما رجع عنه المؤلف بين نجمتين .

٣ – إثبات ما خالفت فيه النسخة الرسولية سائر النسخ في الألفاظ بالحواشي .

٤ – وضع شرح خطبة القاموس للهوريني بأولها ، وتقريراته التي من القول المأنوس للقرافي ومن تاج العروس للزبيدي وغيرهما بهامشها .

٥ – البدء والنهاية لكل جزء من أجزائها الأربعة كما في الطبعتين البولاقية والهندية :

فالجزء الأول يبتدئ بباب الهمزة فصل الهمزة ، وينتهي بباب الراء فصل الجيم .

والثاني يبدئ بباب الراء فصل الحاء ، وينتهي بباب الظاء فصل الياء

والثالث يبتدئ بباب العين فصل الهمزة ، وينتهي بباب اللام فصل الشين

والرابع يبتدئ بباب اللام فصل الصاد ، وينتهي بباب الألف اللينة

٤ – **طبعة المطبعة المصرية :**

قامت المطبعة المصرية بالقاهرة بطبعه سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م) في أربعة مجلدات ، وقابلت هذه الطبعة على النسخة الشنقيطية ، وأثبتت فيها جميع ما

---

(١) هذه المطبعة ، هي التي صارت مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة .

في الشنقيطية ، سواء بالصلب أو بالهامش ، وما وجد مضبباً عليه في الرسولية جعلته بين هاتين السمتين (ج ج) وما وجد مشطوباً عليه فيها جعلته هنا بين هذين الحرفين (ط ط) وما زاد على المطبوع الميري أثبتته في الهامش برقم يدل عليه ويشير إليه .

ثم وضعت بأولها للعلامة نصر الهوريني شرح خطبة القاموس ، وفوائد في معرفة اصطلاحاته ، ومقتطفات من حاشية الإمام ابن الطيب الفاسي ، أما المجلدات من حيث بدء كل منها ونهايته ، فكما في الهندية والبولاقية والميمنية .

٥ – طبعة البابي الحلبي :

هي أحدث طبعة ظهرت إلى الآن ، طبعها مصطفى البابي الحلبي في مطبعته بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م في مجلدين ، على ورق مصقول كل مجلد يشتمل على جزأين ، وأثبت فيها ما كتبه العلامة الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني على هوامشها من حواش مفيدة للقراء أخذها من تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ومن القول المأنوس للقرافي وشرح المُنَاوِي وغير ذلك من أمهات الشروح ، كما أثبت في أوله مقدمة وشرحاً لديباجة القاموس وبياناً لمصطلحاته كتبها الشيخ نصر أيضاً عند طبعه لأول مرة بالمطبعة الأميرية ببولاق . وهذه الطبعة صححت على نسخة حضرة الأستاذ شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي المدني المكي التي قابلها على النسخة الصلاحية الرسولية التي قرئت على المؤلف في مائة واثني عشر مجلساً في سنة ٨١٤هـ .

٦ – ترتيب القاموس المحيط (على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة) للأستاذ طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي :

قام الأستاذ الزاوي بترتيب القاموس المحيط للفيروزابادي على طريقة المصباح المنير للفيومي وأساس البلاغة للزمخشري ، وأسماه بالاسم الآنف الذكر ، وطبعته مطبعتا الاستقامة والرسالة بالقاهرة ١٩٥٩م في أربعة مجلدات [1] . ولا

(١) مطبعة الاستقامة طبعت المجلدات الثلاثة الأولى ، وطبعت مطبعة الرسالة المجلد الرابع .

أظن أحداً سبق الأستاذ الزاوي إلى ترتيب القاموس ، وقد قدم الزاوي هذا المعجم إلى طلاب العلم في ثوب جديد ، إذ رتَّبه ، كما ذكر في مقدمته ، على حروف أوائل الكلمات ، واعتبار حروف الكلمة المنطوق بها لا فرق بين زائد وأصلي ، للوصول إلى القصد في سهولة ويسر ، ولقي في ذلك عناء مضنياً لمدة عشرين عاماً تقريباً . وسلك في ترتيبه مسلك الفيومي والزمخشري في كتابيهما ، ولم يفته أن انتفع بغيرهما من كتب اللغة التي على مثالهما . وإليك إجمالاً للطريقة التي اتبعها في ترتيب القاموس ، كما جاءت في مقدمته[1] :

١ – جعل الحرف الأول من الكلمة للباب وبه تبدأ كل مادة فيه ، وثَنَّى بالثاني ، ثم الثالث على ترتيب النطق بها دون تفرقة بين زائد وأصلي .
٢ – أهمل في الترتيب (أل) المعرِّفة واعتبر الحرف الذي يليها هو أول الكلمة ، كما لم يعر حروف المد الناشئة عن مد الحركة بالاً .
٣ – وضع الكلمة الصعبة ، أي التي يصعب التمييز بين الزائد والأصلي فيها ، بين حاصرتين هكذا [ ] وأعقب الحاصرتين بالمادة التي جاءت فيها عند الفيروزابادي . وكل كلمة وضعت بين هاتين الحاصرتين [ ] من الزيادات التي تنبه على محلها لدى مؤلف القاموس .
٤ – أَبْقَى على اصطلاحات صاحب القاموس الدالة على الاختصار ، مثل: م ع ة د ج جج حسب ما وُضِعَتْ له ، وهي تفيد على التوالي : معروف . موضع . قرية . بلد . الجمع . جمع الجمع .
٥ – جَعَلَ بين هذين الحرفين (ج ج) ما كان مضبَّباً عليه في النسخة الرسولية ، أي ما كان عليه خط هكذا ــ وجَعَلَ بين هذين الحرفين (ط ط) ما شطب عليه فيها . والنسخة الرسولية هي التي قرئت على المؤلف .
٦ – نقل بعض ما كتب عليه من هوامش تتعلق بتصحيح بعض الكلمات لغوياً أو شرح معانيها معزوَّةً لأصحابها ، ووضع ذلك في ترتيبه على هذه الصورة .
٧ – وضع بعض الهوامش لتصحيح أسماء بعض البلدان والأمكنة أو التعريف

---

(١) انظر مقدمة ترتيب القاموس للزاوي .

مذيلة باسمه .

٨ – اعتمد في تصحيح بعض أسماء البلدان على ما نقله بعض المعقبين على المؤلف وخطئوه فيه بدون التنبيه على رأيه .[١]

ولعل الزاوي بترتيبه القاموس المحيط على الطريقة (الفيومية الزمخشرية) قد يسر للناطقين بالضاد الاستفادة التامة به ، وقدم لهم أجل خدمة يحفظها له التاريخ بالتقدير والثناء .

اختصار القاموس :

اختصر القاموس المحيط بعض العلماء قديماً وحديثاً ، وإليك هذه المختصرات :

١ – كتاب البرهان ، إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى عام ٩٥٥ هـ ، ذكره الزبيدي في كتابه تاج العروس[٢].

٢ – كتاب الناموس لملا علي بن سلطان الهروي القاري المتوفى سنة ١٠١٤ هـ. قال المحبي[٣] : « لخص من القاموس مواد » . وقد يفهم من كلام صاحب البلغة أنه اختصار أو شرح ، ومن كلام الزبيدي في مقدمته أنه أحد كتب الاستدراك على القاموس .[٤]

٣ – مختصر القاموس لعلي بن أحمد الهيتي المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ ونسخته المخطوطة في دار الكتب المصرية (لغة خط رقم ٦١٤) . وقد ذهب المؤلف في مختصره إلى حل الرموز التي أشار بها الفيروزابادي إلى القرية والجمع ونحوهما وإلى حذف الشواهد والأدلة وحذف توهيمات الصحاح وكثير من الصيغ والمعاني والمواد وبعض عبارات الشرح والضبط وغيرها .

٤ – إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب لجبرائيل فرحات اللبناني الماروني (١٠٨١ – ١١٤٥ هـ الموافق ١٦٧٠ – ١٧٣٢ م) وقد ذهب

---

(١) يعني رأي الفيروزابادي .   (٢) ص ٣ .

(٣) خلاصة الأثر ٣ : ١٨٥ .   (٤) المعجم العربي ٢ : ٦٠٠ .

مؤلفه إلى اختصار القاموس وتوضيح بعض الإشارات التي به ، وإضافة بعض المعاني المسيحية إليه[1] . وسار فيه على نظام الفيروزابادي في الترتيب والضبط والعلاج غير أنه أجرى تغييرات طفيفة في طريقة ضبطه فاتخذ الرمز للإشارة إلى باب الأفعال فالنون لباب نصر ينصر ، واللام لباب علم يعلم ، والضاد لباب ضرب يضرب ، والسين لباب حسب يحسب ، والراء لباب كرم يكرم مكتفياً بالإشارة إلى أول الفعل إذا تعددت الأفعال في مادة واحدة ، وقد يعدد الرموز إذا تعددت أوزان الفعل الواحد .

وبعد وفاة مؤلفه قام بطبعه سنة ١٨٤٩م رشيد الدحداح الذي أجرى فيه كثيراً من التغييرات مشيراً إليها في مقدمته . فالكتاب المطبوع يمثل جهد جبرائيل ابن فرحات ورشيد الدحداح معاً . وحين يقابل الإنسان ما في هذا المختصر على ما في القاموس يجد حذفاً كثيراً من مواد الأصل وحذفاً من ألفاظه ومعانيه وتفسيراته وما اشتمل عليه من أسماء الأشخاص والبقاع وتغييراً في بعض الألفاظ بالحذف أو الزيادة وإخلالاً بالمنهج المرسوم للاختصار وما إلى ذلك . ومع هذا فالمرجح أن المختصر المذكور قد أثّر في المدرسة الحديثة التي أرادت أن تؤلف معجمات ملاءمة للعصر وخاصة مدرسة اليسوعيين الذين آثروه في كثير من الخطوات .

٥-**مختار القاموس** : (مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير) للأستاذ الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، الطبعة الأولى (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م) في مجلد واحد .

والقاموس المحيط للفيروزابادي مطبوع في أربعة أجزاء ، وقد اختصره الأستاذ الطاهر بن أحمد الزاوي الطرابلسي في جزء واحد بمجلد واحد ، بصورة تيسر الانتفاع به ، ورتبه على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير ، لاقتناعه بفائدته للطلاب والمتأدبين والباحثين الذين لا يجدون من الوقت ما يمكنهم من البحث في المعاجم الكبيرة .

---

(١) المعجم العربي ٢ : ٦٠١ .

ودَرَجَ الأستاذ الزاوي في طريقة اختصاره للقاموس المحيط ، كما ذكر في مقدمته لمختار القاموس على المبادئ التالية :

١ - الاكتفاء من المواد الطويلة بالمتعارف في الاستعمال ليفهم القارئ مدى صحة ما يستعمله المجتمع من ألفاظ .

٢ - الإبقاء على ما يتعلق بشرح آية كريمة أو حديث نبوي أو أثر ، وعلى ما يتصل بمثل عربي أو استعمال أدبي ، أو جملة في استعمالها ما تنشرح له نفس القارئ أو يزيده علماً .

٣ - الاستغناء عن ذكر كثير من المواد التي لم يألفها المجتمع العام ، ولا تدعو الحاجة إلى استعمالها .

٤ - حذف أسماء الأشخاص والبلدان والأماكن والحيوانات وصفاتها مما أُلِّفتْ فيه كتب خاصة للبحث عنه فيها .

٥ - حذف أسماء النباتات إلا في القليل النادر وخصائصها مما تعرض له علم الطب ، ولم يخلُ الحال من ذكر بعض ما حذف أكثره مما لا يستغنى عن ذكره .

٦ - عدم ذكر ما يتعلق بمميزات الذكورة والأنوثة وما له علاقة باتصال هذه المميزات بعضها ببعض إلا في القليل النادر مما لا تتسع حياة الإنسان لجهله .

٧ - الاقتصار على متن اللغة مما يتصل بالمسائل العلمية وضبط الكلمات والأفعال واختيار الكلمات القريبة إلى فهم الطلاب وتناول المجتمع مما تكثر الحاجة إليه ويعين على المطلوب .

٨ - تحديد ما تختلف لهجات الشعوب العربية في مسمَّياته أو النطق به أو يوجد عند بعضها ولا يوجد عند البعض الآخر

٩ - المحافظة على عبارة القاموس المحيط ليحتفظ هذا المختار بقوة أصله ولم يزد عليه شيئاً إلاَّ ما كان من تفسير ضمير أو ذكر معطوف فيه تقريب المعنى للقارئ .

١٠ - ذكر بعض الكلمات التي استدركت على الأصل ، وجعلها بين حاصرتين هكذا [ ] مع بعض تعليقات معزوة إلى أصحابها .

١١ - التزامه منهج مختار الصحاح والمصباح المنير ، فجعل مختار القاموس مثلهما مرتباً على أوائل حروف الكلمات ، واعتبر الهمزة الممدودة كما هي فكلمة (آل) كتبها هكذا (آل) آل إليه أَوْلاً ... ولم يرجعها إلى أصلها (أول) وكذلك كل كلمة أولها همزة ممدودة ، للتسهيل على القارئ .

١٢ - ضبط بعض الأفعال المضارعة التي لم يضبطها صاحب القاموس لقاعدة ذكرها في أول كتابه ، وذلك بوضع حركة عين المضارع الذي لم يتعرض صاحب القاموس لضبطه على شَرْطة هكذا ـَـُـِ توضع عليها فتحة العين أو ضمتها أو كسرتها .

١٣ - جعل علامة الجمع حرف جيم هكذا:ج .

١٤ - سمَّى الزاوي مختصره هذا (مختار القاموس) .

و(مختار القاموس) في وضعه الجديد نسخة من ترتيب القاموس على طريقة حديثة ومنهج واضح ، يُدْني إلى القراء منافعه ، ويُقَرِّب إليهم فوائده الكثيرة .

تراجم للقاموس :

١ - ترجم السيد أحمد عاصم أفندي القاموس المحيط إلى التركية باسم (الأقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط) في إسطنبول سنة ١٢٤٨ هـ . وطبع في بولاق سنة ١٢٧٢ هـ . ثم في إسطنبول مرة أخرى سنة ١٣٠٥ هـ .[١]

٢ - ترجم القاموس إلى الفارسية[٢] .

٣ - ترجم (ججاي) القاموس إلى اللاتينية في ميلانو سنة ١٦٣٢ هـ[٣]

اختلاف النسخ :

وقع الخلاف بين كثير من نسخ القاموس المحيط ، فقد وردت ألفاظ في

---

(١) المعاجم العربية ١٠٧ . (٢) المعجم العربي ٢ : ٥٦٧ .

(٣) المعاجم العربية ١٠٧ والمعجم العربي ٢ : ٥٦٦ .

نسخ على غير ما هي عليه في نسخ أخرى ، وبخاصة في الخطبة . ومن ذلك قوله :

١ - « طلاب الأثر »[١] : في بعض النسخ طلاب الأدب ، ولكن الأولَى هي الثابتة في النسخ الصحيحة .[٢]

٢ - « أن يجعلوا عظم اجتهادهم واعتمادهم »[٣]

قال الزبيدي : « عظم بضم العين المهملة كذا في نسخة شيخنا عبد الخالق ، وفي أخرى معظم بزيادة الميم ، وفي بعضها أعظم بزيادة الألف . » ونقل الهوريني هذا بالنص في شرحه .[٤]

٣ - « بسقت دوحة رسالته فظهرت على شوك الكوادي ، واستأسدت رياض نبوته فعيت في المآسد الليوث العوادي . »[٥]

ذكر السيد مرتضى الزبيدي[٦] أن هذا وارد في **النسخة الصحيحة المكية** ، **وفي نسخة** فغيبت بدل عيت أي أَخْفَتْ ، **وفي أخرى** فطهرت بالطاء المهملة أي أزالت أوساخ الشرك ، **وفي نسخة أخرى يمنية** نبينا الذي شعب دوح رسالته طهرت شوكة شوك الكوادي ولا استأسدت رياض نبوته يَحْمِ الذوابل نضرتها إلاَّ رعت في المآسد اللبون ذات التعادي فضلاً عن الذئاب العوادي في إرداء الضوادي ، **وفي نسخة أخرى قديمة** استأسدت من غير لا النافية ، ونجم بدل يحم ، وعثت بدل إلاَّ رعت . والشعب هو طرف الغصن ، ويحم بالتحتانية محذوف الآخر ، والذوابل جمع ذابل الرمح الرقيق ، ونضرتها خضرتها وحسن بهجتها ، والضمير راجع إلى الرياض، ورَعَتْ تَنَاوَلَتْ الكلأَ ، واللبون الشاة ذات اللبن ، ومنه الحديث يا أبا الهيثم إياك واللبون اذبح عناقاً . والتعادي

---

(١) خطبة القاموس ص ٣ . (٢) مقدمة تاج العروس ص ٢٢ وشرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٢ .
(٣) خطبة القاموس ص ٣ .

(٤) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٢، ومقدمة تاج العروس ج ١ ص ٢٢ .
(٥) خطبة القاموس ص ٢ . (٦) مقدمة تاج العروس ج ١ ص ١٩ .

التحامي أو الاسراع . والإرداء الإهلاك . والضوادي جمع ضادي بمعنى ضد بإبدال المضعف . والنجم من النبات ما كان على غير ساق . وعثت أي أفسدت . **قال شيخنا** [1] ونبه ابن الشحنة والقرافي وغيرهما أن نسخة المؤلف التي بخطه ليس فيها شيء من هذه وإنما فيها بعد قوله حلب العوادي (صلى الله) تعالى (عليه وسلم) ومثله في نسخة نقيب الأشراف السيد محمد بن كمال الدين الحسيني الدمشقي التي صححها على أصول المشرق ، والمراد من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم زيادة التشريف والتعظيم والتسليم والسلام التحية والأمان .

٤ — « بُتْرٌ بالضم أَجْبُلٌ مطلاتٌ على زُبَالَةَ » (مادة البتر) :

ذكر الهوريني [2] أن (أجبل) جاءت هكذا بالجيم في النسخ المطبوعة ، لكنها وردت في نسخة الزبيدي شارح القاموس (أحبل) وكتب عليها بالحاء المهملة جمع حبل من الرمل في الشقيق .

٥ — محمد بن عمر بن بُجَيْرٍ الحافظُ وحفيده أحمد بن عُمَرَ والمُطَهَّر بن أبي نزار البُجَيْرِيَانِ محدثون » (مادة البجرة) :

جاء بحاشية الهوريني على القاموس [3] أن قوله (محمد بن عمر بن بجير) وردت هكذا في النسخ المطبوعة بإسقاط ابن محمد بعد ابن عمر ، لكن ورد في نسخة الزبيدي الخطية (محمد بن عمر بن محمد بن بجير الحافظ) بإثباته ، وكتب عليها هكذا في سائر النسخ ، والذي صح أن الحافظ صاحب المسند هو أبو حفص عمر بن محمد بن بجير وأبوه محمد بن بجير بن حازم بن راشد ، وقوله (وحفيده أحمد بن عمر) هكذا في سائر النسخ ، والصحيح حفيده أحمد بن محمد بن عمر أبو العباس .

٦ — « الجَرَاجِر الضِّخام من الابل واحدها الجَرْجُورُ وبالضم الصَّخَّاب منها والكثيرُ الشُّرْب » (مادة جر) :

ذكر الزبيدي [4] أن هناك عبارة سقطت من بعض النسخ بعد قوله (واحدها

---

(١) مما يدل على أن الزبيدي وشيخه الإمام ابن الطيب الفاسي لم يطلعا على نسخة المؤلف التي بخطه .

(٢) حاشية القاموس ١ : ٣٦٧ . (٣) جـ ١ ص ٣٦٧ . (٤) تاج العروس (مادة جر) .

الجرجور) وهي (وجرجرايا بلد بالمغرب) ، فقد وردت هذه العبارة في نسخ أخرى بعد (الجرجور) والمعروف أن جرجرايا مدينة النهروان الأسفل بين بغداد وواسط .

والأمثلة لهذا التباين كثيرة ، تدل على أن خلافاً حصل بين النسخ الخطية من جهة ، وبينها وبين النسخ المطبوعة من جهة أخرى .

على أن هذا الخلاف قد وقع بين نسخ المؤلف نفسها ، فالذي نعرفه أن الفيروزابادي تصرف[1] في نسخه ، فأضاف إلى النسخة اليمنية زيادات وفوائد جمة ليست في النسخة الأولى ، وتوسع في التراجم وغير بعض الرموز والموازين بالنسخة الثالثة .

وأرجح ، أن البيئة اليمنية ، والحياة الجديدة بها ، كان لهما أثرهما في الإضافات التي زود بها الفيروزابادي نسخته اليمانية ، فقد ذكر بها كثيراً من أسماء البلدان والأماكن هناك ، وبعض أسماء الرجال والقبائل ، وغير ذلك مما استمده من المعيشة بتلك البلاد .

لكن الخلاف الحاصل بين النسخ التي بغير خطه ، وبين النسخ المطبوعة ، من المرجح عندي ، أن مبعثه الناسخون والقائمون بالطبع والنشر .

وعلى أي حال فالخلاف بين الكلم في نسخ القاموس ، فيه خطر يهدد كيان اللغة ، ويدعو إلى بلبلة الأفكار ، فلنواجه الأمر بالابقاء على الصحيح ، وتزييف الخطأ .

وأظن أنه لو تيسر العثور على نسخ المؤلف ، لكان جديراً بنا أن نجمع بينها في نسخة خاصة ، ثم نقوم بطبعها ونشرها ، في دقة لغوية ، وعناية فنية .

فإن لم يمكن ذلك ، فلا أقل من أن نوحد بين أصح النسخ الخطية التي يمكن الحصول عليها ، وهي ، في نظري ، الرسولية واليشبكية والهروية ونكون منها جميعاً نسخة معتمدة تطبع وتنشر ، بإشراف حازم .

---

(١) مقدمة تاج العروس ١ : ٣٢ .

أعتقد أننا ، إن فعلنا ذلك ، حفظنا اللغة ، وأسدينا إلى أهلها أجل خدمة ، في جميع البلاد الناطقة بالضاد .

البابُ الثالِث

خصائِص القاموس المحيط

الفصل الأول

حُسْن الاختِصار

يعد حسن الاختصار ، في مقدمة المزايا التي امتاز بها القاموس المحيط .

والحق أن الفيروزابادي وصل في ذلك إلى درجة لم يصل إليها مَنْ قبله من أصحاب المعاجم ، ولا نعرف أحداً ممن بعده بلغ في ذلك مبلغه ، وبخاصة إذا عرفنا أنه مع توخيه الايجاز في الشرح والبيان، قد قَرَّبَ عبارته ، وهَذَّبَ كلامه ، وجعله جامعاً للمعاني الغزيرَة ، في الألفاظ القليلة ، وكان أسلوبه كما ذكر في خطبة معجمه حيث يقول :

« وإذا تأملت صنيعي هذا وجدته مشتملاً على فرائد أثيرة ، وفوائد كثيرة ، من حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وإيراد المعاني الكثيرة ، في الألفاظ اليسيرة »[1]

وحسبك أنه قد اعتصر له خلاصة ستين سفراً ضخماً ، هي مصنفه المحيط الجامع المسمى (اللامع المعلم العجاب ، الجامع بين المحكم والعباب) وأضاف إليه زيادات يحتاج إليها كل لغوي ، ولا يستغني عنها أي أديب ، واستطاع أن يجمع فيه ، وهو أربع مجلدات[2] ، نحو ما جمع ابن منظور في لسان العرب وهو عشرون مجلداً ، وجعله يشتمل من اللغة على ما لا ينقص عن ستين ألف

---

(١) ص ٣ .

(٢) حسب طبعته الآن ، أما في أول الأمر فقد كان في سفرين كما كان لسان العرب في ثلاثين سفراً (انظر مقدمة المعجمين ص ٣ قاموس ، ص ٢ لسان) .

مادة ، بينما لسان العرب لا يزيد على ثمانين ألفاً ، وصير جزأه الواحد يضاهي خمسة من أجزاء صنوه .

ولعل الفضل في هذا الاتجاه يُعْزَى إلى ابن سيده الأندلسي الضرير ، فقد سلك مسلك الإيجاز في المحكم ، وحاول أن يبلغ فيه الغاية ، وأشاد بما بذل في هذه السبيل ، وقرر أنه نال منه منالاً لم ينله أحد قبله ، حيث قال في خطبة [1] هذا المعجم ما نصه « هذا إلى ما تحلى به من التهذيب والتقريب والاشباع والاتساع والإيجاز والاختصار مع السلامة من التكرار والمحافظة على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة »

وربما كان هذا صحيحاً في رأيه .

والواقع أنه ما زال من الضخامة بمكان ، ولم تنل عبارته من حلية التهذيب وسلامة التقريب حظاً ملموساً ، يمكن أن يستشعره القارئ بسهولة وقد انبسط في شرحه ، وأغزر من مادته بحالة ظاهرة .

حقاً أن ابن سيده لم يدخر وسعاً في أن يكون كتابه جامعاً ، وفي ثوب من الإيجاز قشيب فجاء وافياً ، ولكنه لم يكن موجزاً غالباً إلا في أمور قليلة كجمع فاعل المعتل العين على فَعَلة (بفتح العين) إذا صَحَّ موضع العين منه ، وكتخليصه الواوي من اليائي أحياناً ، ونحوهما مما ذكرنا في موضعه من هذا الكتاب [2] .

وبعد حين من الدهر ، أتى الفيروزابادي ، وحقق له ما كان يبغي ، فبلغ في (القاموس المحيط) ، ما كان يهدف إليه الضرير في (المحكم والمحيط الأعظم) .

وضع الإيجاز نصب عينيه ، وسلك طرائق السلف إليه ، إلى جانب ما هداه إليه نبوغه ، ولكنه كان فيما قَلَّدَ ، وما ابتكر ، ذا أثر واضح ، وعمل مشكور .

ولقد أظهر الفيروزابادي قاموسه في عبارة قريبة ، تام المعاني داني القطوف ، وظفر في تهذيبه بما لم يظفر به ابن سيده ، فجعله مُركَّزاً ، مُحْكَمَ الأساليب ، مُرصَّعَ التراكيب ، مُنَسَّقَ الكلم .

---

(١) ص ٤ .

(٢) ١٣٦ وما بعدها .

ولئن كان له في ابن سيده قدوة حسنة ، فإن له في إيجازه شخصية بارزة ، وقدرة مُمَيَّزَةً ، ونَهْجاً قويماً ، تدل على جَهْدٍ جَاهِدٍ وتؤيد قوله في خطبته [1] : « ولم آل جهداً في تلخيصه وتخليصه وإتقانه »

ويبدو هذا في جَمْع مواده ، وتفسيرها ، واصطلاحاتها ، واعتماده على علم الصرف والشهرة القاطعة ، وغيرها ، في البسط والايضاح .

ونعرض هنا الوان هذا الايجاز فيما هو آت :

١ ـ التفسير :

شرح الفيروزابادي مادته باختصار واضح ، سالكا سبيل القصد في القول مع الوفاء بالمراد ، وتصرف في التعبير باسلوبه الخاص لايضاح المعاني ، وحرص على الا يفسر الكلمة بأكثر من كلمة واحدة في الغالب ، وربما فسرها بكلمة ذات مكمل ، أو بجملة قصيرة موجزة يصوغها بقلمه صياغة بارعة في كثير من الأحيان .

أما نسقه في سرد المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، فمما يسترعي النظر لأنه لا يجد في تكرار الكلمة عند إيراد كل معنى من معانيها وسيلة مجدية ، بل هو في نظره تطويل لا غناء فيه ولا جدوى .

والخير عنده ألا يعيدها مرة أخرى عند استيعاب معانيها المنوعة ، بل يكتفي بذكر بعض متعلقاتها ، إن احتاج الأمر ، ثم يحصي لها كل معنى من هذه المعاني .

وقد تطلب منه ذلك مهارة في ترصيع الكلام ، وقدرة على التفنن في التعبير مع التزام الإيجاز الذي لا يخل بالمعنى .

ويتمثل إيجازه هذا فيما يلي :

(١) حذف الشواهد على اختلاف أنواعها من قرآن وحديث وشعر وأقوال غالباً .

(٢) حذف أسماء اللغويين والرواة الذين تروى عنهم الصيغ والمعاني، غالباً أيضاً.

(٣) اختصار بعض التفسيرات الطويلة التي رواها المحكم والعباب ، وبخاصة

---

(١) ص ٤ .

في أسماء الأماكن كما في طود وبرقعيد .

(٤) حذف بعض الصيغ والمعاني الواردة في المحكم والعباب ، والاستطرادات ، والمترادفات والتفسيرات التي تئول إلى مفهوم واحد ورواها لغويون مختلفون ، وتفسير بعض الألفاظ الغامضة الواردة في تفسير الصيغ والمواد ، وما شابه ذلك .

(٥) حذف الأقوال الخاصة بالأصولِ المنحوتة ودلالة التراكيب كأقوال ابن فارس .

ويبدو أن هذا تجديد في التفسير ، لم يألفه الأقدمون ، فإنهم ما كانوا ليعتمدوا على أنفسهم مثله في الافصاح عن معنى المادة ، وإنما كانوا يتناقلون ذلك خلفاً عن سلف .

ويخيل إلي أن سبب ذلك ما كانوا يعتقدون من أن التصرف في الشرح ربما يجرهم إلى أن يأتوا بما لا يساير القدماء في شرحهم ، فيوصفون بعدم الدقة في الرواية ، وهو أمر كانوا يبذلون جهدهم في التبرؤ منه وبخاصة إذا كان المُفَسِّر غير عربي خالص .

لكن صاحب القاموس كان يشرح المادة في أسلوبه المشرق ، دون أن يكرر الكلمة المشروحة ، على النحو الآنف الذكر .

وهاك أمثلة لذلك :

١ - (**العَسْجَد) الذهبُ ، والجوهرُ كُلُّهُ كالدرِّ والياقوتِ ، والبعيرُ الضخمُ ، والعَسْجَدِيَّةُ فَرَسٌ من نتاجِ الدِّينَارِيِّ ، وع ، وكبارُ الفُصْلاَن، والإبلُ تحملَ الذَّهَبَ ، وركَابُ المُلوكِ وهي إبل كانت تُزَيَّنُ للنعمانِ .**

٢ - **(الطِّبُّ) مثلثة الطاء علاجُ الجسم والنفس ، يَطُبُّ ويَطِبُّ ، والرفقُ ، والسحرُ ، وبالكسر الشهوةُ ، والإرادةُ ، والشأنُ والعادةُ ، وبالفتح الماهرُ الحاذقُ بعمله كالطبيب ، والبعيرُ يتعَاهَدُ موضعَ خفه ، والفَحْلُ الحاذقُ بالضراب ، وتغطيةُ الخُرَز بالطبابة كالتطبيب ، وبالضم ع والطِّبَّةُ والطِّبَابَةُ بكسرهما ، والطبيبةُ المستطيلةُ**

من الأرض والثوبِ والسحابِ والجلد ج طباب وطِبَبٌ ، والطُّبَّةُ بالضم والطِّبَابَةُ بالكسر السيرُ يكونُ في أسْفَلِ القِرْبَةِ بَيْنَ الْخُرْزَتَيْنِ ، وما كُنْتَ طبيباً ، ولقد طَبَبْتَ بالكسر والفتح ج أطبةٌ وأَطبَّاءُ ، والمتطببُ المتعاطي علم الطب، وإنْ كُنْتَ ذا طَبٍّ فطِبَّ لعَيْنِكَ مثلثة الطاء فيهما ، ومَنْ أَحَبَّ طَبَّ تَأَنَّى للأمور ، وتلطف ، وهو يستطبُّ لوجعه يستوصف ، وطِبَابَةُ السماء وطِبَابُهَا طرَّتُهَا المستطيلةُ ، والطبطبة صوتُ الماء ، وصوتُ تلاطم السيل

٣ - (العَضْبُ) القطعُ ، والشتمُ ، والتناولُ ، والضربُ ، والطعنُ والرجوعُ .

٤ - (خَلَجَ) يخلج جذب ، وغمر ، وانتزع ، وحَرَّكَ ، وشَغَلَ وطَعَنَ .

٥ - (العوف) الحالُ ، والشأنُ ، والذكرُ ، والضيفُ ، والجدُّ والحظُّ ، وطائرٌ ، والديكُ ، وصنمٌ ، وجبلُ ، والأسدُ .

٢ - تخليص الواوي من اليائي :

لعل القاموس المحيط ثالث معجم عربي تعرض للكشف عن آخر الكلمة ، إن كان حرف علة ، ورده إلى أصله ، واواً كان أو ياء ، وخلص الموادَّ التي حرفها الأخير واو ، من الموادِ التي أصل هذا الحرف فيها ياء .

ويبدو أن الفيروزابادي لم يسر على منهج السلف غالباً ، في تخليصه الواوي من اليائي ، فبينما ابن سيده والجوهري يَنُصَّان في اثناء شرح المادة على يائية آخرها اوواويته ، اكتفى الفيروزابادي بوضع (و) قبل كل كلمة واوية الآخر ، ووضع (ي) قبل كل كلمة يائيته . كما في قوله :

١ - و (الحِجَا) كإِلَى العقل والفطنة والمقدار ج أحجاء .

و (ذكت) النار ذُكُوًّا وذكاً وذكاءً بالمد عن الزمخشري واستذكت

اشتد لهبها .

٢ — ي (الدم) م اصله دَمَيٌ تثنيته دمان ودميان ج دماء ودُميّ وقطعته دمة .

ي (دَقِيَ) الفصيل كرضي دِقىً أكثر من اللبن ففسد بطنه .

أما الكلمة التي يجوز أن يكون آخرها واوا أو ياء ، ولها معان في كل من الحالين تختلف عنها في الحالة الأخرى ، فانه يكتبها أولا والواو قبلها ، ويذكر معانيها ، ثم يعيدها بعد الياء ، ويدون معانيها وهي يائية أيضاً ، كقوله :

٣ — و (الجداء) والجدوى المطر العام أو الذي لا يعرف أقصاه ، والعطية .

ي (الجدي) من أولاد المعز ذكرها ج أجدٍ وجداء وجديان بكسرهما ، ومن النجوم الدائر مع بنات نعش .

٤ — و (نما) ينمو نموًّا زاد ، والخضابُ ازداد حمرة وسواداً .

ي (نمي) ينمي نميا ونُمِيًّا ونماءً ونمية وأنمى ونَمَّى ، والنار رفعها وأشبع وقودها ، والرجل سمن .

وأما اذا كانت معاني الكلمة واحدة ، لا تختلف باختلاف أصل آخرها فانه يكتب الحرفين معا قبلها على هذه الصورة (يو) ثم يشرحها ، كما في قوله :

٥ — يو (الحصى) صغار الحجارة ، الواحدة حصاة ، ح حصيات وحُصِيّ ...

يو (سحا) الطين يسحيه ويسحوه ويسحاه سحيا قشره وجرفه .

على أنه ترك بعض كلمات لم يضع قبلها ما يدل على أصل آخرها وفقا لهذا المنهج ، ويغلب أن يكون السبب أن أصل آخرها واضح ،

لا يحتاج إلى رمز يدل عليه ، كما في قوله :

٦ – (السرو) شجر م واحدته بهاء ، وما ارتفع عن الوادي ، وانحدر عن غلظ الجبل .

(وي) كلمة تعجب تقول ويك ووي لزيد .

ذكر الهوريني أنه يغلب أن يقدم حرف الواو على مادته (والأسرار يعرفها الفطن) وربما يترك صورته ويذكر مادته ثم يصور الياء بعد المادة الواوية .[1]

لكني أرجح أن هذا لم يكن في النسخ الصحيحة .

وهناك طائفة غير قليلة من الكلم ، لها معان اذا جاز في آخرها اصالة الواو والياء معا ، ومعان آخر تخالفها ، اذا وجب فيه احد الحرفين .

والفيروزابادي يذكرها طبقا لمنهجه ، ففي الحالة الأولى يضع (يو) قبل الكلمة ، وفي الحالة الاخرى يضع (و) أو (ي) قبلها حسب أصل آخرها ، ثم يسرد معانيها في الحالين ، كقوله :

٧ – يو (جبى) الخراج كرمى وسعى جباية وجباوة بكسرهما ، والقوم ، ومنهم ، والماء في الحوض جبا مثلثة وجبيا جمعه .

ي (جبا) كسعى ورمى جبوة وجبا وجباوة وجباية بكسرهن وجبا والجباوة والجبوة والجبا بكسرهن والجباوة ما جمع في الحوض من ماء .

٨ – يو (شكا) أمره إلى الله شكوى وينون وشكاة وشكاوة وشكية وشكاية بالكسر ...

ي (شكيت) لغة في شكوت والشكية البقية .

---

(١) ديباجة القاموس ص ٥ .

وقد جمع الفيروزابادي بين منهجه هذا ومنهج ابن سيده في بعض الكلم احياناً مستعملا الرمز[1] والنص[2] معا كقوله :

ي (أجى أجى) دعاء للنعجة ، يائي .

لكن هذا قليل .

والظاهر أن الفيروزابادي بهذا المنهج ، قد يَسَّرَ على القارئ معرفة الواوي من اليائي بصورة فيها قصد وايجاز ، كما سَهَّلَ عليه الافادة والاطلاع .

٣ – تأنيث الأسماء :

ذهب الفيروزابادي مذهبا جديدا ، في تأنيث الأسماء المذكرة ، فقد بين المؤنث من الاسم أو الوصف بعد مذكره ، في أسلوب موجز طريف ، يوضح علامة تأنيثه دون تكراره مؤنثا ، بقوله : « وهي بهاء » أو نحوها[3] ، دالاًّ بذلك على أن تأنيثه يكون بتاء متحركة على القياس ، نحو كريم وكريمة .

وهذا غالب في القاموس المحيط ، اشار اليه المؤلف في خطبته[4] حيث قال :

« ومن بديع اختصاره ، وحسن تقصاره ، أني إذا ذكرت صيغة المذكر ، أتبعها المؤنث بقولي وهي بهاء ، ولا أعيد الصيغة . »

ومن امثلة ذلك قوله :

١ – (اليراع) ذبابٌ يطير بالليل كأنه نار ، والقصبُ ، واحدتهما بهاء .

٢ – (الزول) الخفيفُ الظريفُ الفطنُ ، وهي بهاء .

٣ – (الضَّجْعُ) غاسول للثياب ، الواحدة بهاء ، ونبات كالضغابيس[5]

---

(١) كمنهج الفيروزابادي .
(٢) كمنهج ابن سيده .
(٣) أي نحو هذه العبارة ، كما في الأمثلة .
(٤) ص ٤ .
(٥) الضغابيس: صغار القثاء ، جمع ضغبوس ، وأغصانُ الثُّمامِ والشوكِ التي تؤكل ,أو نبات كالهليون (مادة الضغابيس – قاموس) .

إلاَّ أنَّهُ اغلظ مربع القضبان .

٤ – (اللوز) م ، واحدته بهاء .

٥ – (الراء) شجر ، واحدته بهاء .

٤ – جمع فاعل المعتل العين على فَعَلَة (بفتح العين) :

لا يذكر الفيروزابادي ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فَعَلَة إلاَّ أن يصح موضع العين منه ، حيث قال في خطبته[1] : إني لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فَعَلَة إلاَّ أن يصح موضع العين منه كجَوَلَة وخَوَلَة ، وأما ما جاء منه معتلا كباعة وسادة فلا أذكره لاطراده .[2]

يريد بذلك أنه لا يجمع صيغة فاعل الذي هو اسم فاعل الفعل المعتل العين كبائع وقائل على وزن فعلة محركة في حال من الأحوال إلا إذا عومل موضع العين منه في الجمع معاملة الصحيح بحيث يتحرك ولا يعل كجولة[3] وخولة[4] اللذين تحركت العين منهما في الجمع خروجا على القياس ، فأُلحقا بالصحيح ، كطلبة وكتبة .

وأما ما جاء من الجمع معتلا ، أي مغيرا بالإبدال الذي يقتضيه الإعلال كباعة جمع بائع ، وسادة جمع سائد ، وقادة جمع قائد فلا يذكره ، لأنه مقيس مشهور .

كما في قوله :

---

(١) ص ٤ .   (٢) فعلة : بفتح الفاء والعين معاً .

(٣) جولة : جمع جائل اسم فاعل من جال في الأرض جولاناً .

(٤) خولة : جمع خائل وهو المستكبر .

(مان) يمين كَذَبَ ، فهو مائن وميون وميان ، والارض شَقَّهَا للزراعة .

(القول) الكلام ... اوقال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا فيهما فهو قائل .

وهذا ضرب من الإيجاز ، أَخَذَهُ عن ابن سيده ، وأَكْثَرَ من استعماله ، بما يشف عن دقة وجمال ومهارة في الإيضاح .

وليس من المغالاة ، ان نعتبر للقاموس هذه الميزة ونظائرها ، مما تأثر فيه بابن سيده أو غيره ، لأنها شائعة فيه بتوسع ظاهر ، وكثرة بارزة .

٥ – اصطلاحات القاموس :

لا شك أن هذه الاصطلاحات التي اتخذها الفيروزابادي في معجمه تعد لونا ظاهراً من ألوان الإيجاز فيه . لانه اعتمد عليها في توضيح المعاني الغزيرة ، واستعان بها في الشرح والبسط ، وهي في الغالب رموز لا تشغل حيزاً مذكوراً ، مع أنها تؤدي أغراضا كبيرة ، على أنها من ابتكاره الذي لم يسبق إليه .

وحديثنا عنها مفصل في موضعه من هذا الكتاب .[١]

---

(١) ١١٤ وما بعدها .

الفَصْل الثَّاني

الضَّبْط

تمهيد :

الضبط هو إحاطة الكلمة بما يؤدي إلى نطقها نطقا صحيحا جاريا على ناموس العرب في لغتهم حتى نهاية عصور الاحتجاج .

وقد ضبط الفيروزابادي في هذا المعجم ، غالبا ، الألفاظ التي تشتبه العامة في نطقها ، وإن لم تحتج إلى ضبطها الخاصة ، بذكر مثال مشهور عقب اللفظ موازن له في حركاته وسكناته ، أو بالنص على حركات حروفه التي يحصل بها اللَّبْس ، أو بالنص والوزن معا .

والحركات في لغة العرب هي الفتحة والضمة والكسرة ، سواء أكانت مصحوبة بالتشديد ، أم غير مصحوبة . وأما السكون فخلو الحرف منها كما هو معروف .

والسكون والتشديد لا يَقَعَان في أول الكلمة العربية ، والغالب أن يعين موضعهما منها ، وإلا كان هو الحرف الثاني ، أو ما تقوم قرينة عليه .

وكان الأولون من علماء اللغة يؤلفون كتبهم على حسب مستواهم ، ومستوى أهل زمانهم ، فيختصرون أو يرمزون ، ولم يضبطوا كلامهم ضبطا كافيا ، بل كانوا يكتبون بلا نقط ، وهم آمنون أن يطرأ على كلامهم أي تحريف ،

فكثر الخلاف في الروايات ، واتسع المجال في التأويل ، لأن حروف الهجاء في العربية متقاربة في الشكل كتقاربها في النطق ، قد تلتبس على قارئها ، وإن كان حاذقا ماهرا .

ووقع خلاف القراءة في القرآن الكريم ، فقد جاء فيه أحرف احتمل هجاؤها لفظين ، وهو قراءتان ، من ذلك قوله تعالى : هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت (وتتلو) . وقوله : ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، (وتثبتوا) .

وقوله : الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم (وتبيينا) .

وقوله : وهو الذي يسيركم في البر والبحر (وينشركم) .

وقوله : ان لك في النهار سبحا طويلا (وسبخا أي حقاً) .

على نحو ما ذكره الزمخشري صاحب الكشاف .

ولست أعني أن القراءات من صنع القراء ، ونتيجة لاجتهادهم في قراءة هذه الكتابة المبهمة المحتملة لأوجه شتى من القراءة ، كما يزعم بعض المستشرقين أمثال (جولدزيهر) . وإنما أريد أنه حصل لَبْس في القراءة دون أن يترتب عليها قراءات . فالحق أن القراءات إنما هي روايات متواترة لما كان قبل ان تكتب المصاحف العثمانية السبعة ، وأتت الكتابة العثمانية مؤيدة وضابطة لتلك الروايات القديمة لا تخرج عنها قيد أنملة ، فأصول القراءات سابقة للكتابة العثمانية ، وقد تحرز القراء بعد كتابة مصاحف عثمان أن يرووا القراءات .

وحصل خلاف في الحديث الشريف ، من ذلك ما حكاه أبو أحمد الحسن العسكري قال : أخبرني أبو علي الرازي ، قال : كان عندنا شيخ يروي الحديث ، وكان من المغفلين ، روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل خصى حماره ، وانما هو يغسل حصى جماره ، بالحاء المهملة أولاً ، وبالجيم ثانيا .

وقرأ بعض الكتاب يوما بحضرة الخليفة : « أبو معسر التخم » بالسين المهملة من الإعسار وبالتاء ثالثة الحروف المشددة وبالخاء المعجمة من التخمة ، وإنما هو

أبو معشر المنجم [1] .

وفشا التحريف والتصحيف في اللغة حتى وقع من كثير من أئمة اللغة كالخليل ابن أحمد ، وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وأبي الحسن الأخفش ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمر الجرمي ، وأبي حاتم السجستاني ، من أعلام البصرة ، وكالكسائي ، والفراء ، والمفضل الضبي ، وحماد الراوية ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وعلي اللحياني ، وأبي الحسن الطوسي ، من أعلام الكوفة [2] .

ذلك ، لأن الأقدمين قد أغفلوا الضبط ، في كثير من المواضع ، لا سيما ما استغنى عن ضبطه الخاصة ، واقتصروا فيه على الشكل ، وكرروا الكلمة ، إن كان فيها لغات ، ليتيسر شكلها بالأوجه الجائزة ، كقول أبي حماد الفارابي الجوهري : « قلب النخلة لبها ، وفيه ثلاث لغات قلب وقلب وقلب » [3] .

والشكل ، وان كان كافيا في الضبط ، الا أنه كثيرا ما يهمله النساخ ، أو يخطئون فيه ، وانما حمل العلماء على الاقتصار عليه فيما لا يعم الاشكال فيه ، ما كان لهم من العناية بكتب اللغة ، فانها كانت تروى كما تروى كتب الحديث ، وتقابل على الاصول المعتمدة ، وكان كثير منها جامعا بين صحة الضبط وحسن الشكل .

فلما فترت الهمم ، وشاع التصحيف والتحريف في اللغة ، تدارك علماؤها الامر قبل تفاقمه ، وسلكوا طريقا يقيها شرهما ، وكان هذا الطريق هو ضبط الكلمات ، ولكنهم ظلوا يحبون حتى أتى الفيروزابادي ، فخطا فيه خطى فساحا ، وضبط قاموسه ضبطا ، حالفه فيه التوفيق والسداد .

نعم ، شافه الجوهري العرب ، وضبط كلامهم ، وكلام الأئمة الذين نقل عنهم ، على الترتيب الحسن الذي ابتدعه ، وكان أول من رتب اللغة على

---

(١) الجاسوس ص (٤ - ٥) . (٢) المزهر ٢ : ٢٢٢ وما بعدها .

(٣) مقدمة الكافي ص ٣ ومادة (قلب) في الصحاح .

هذا الأسلوب ، وبه اقتدى الصغاني وابن منظور والفيروزابادي غير أن الجوهري لم يضبط الألفاظ غالباً ، بذكر مثال ، أو بالنص على الحركات ، كما فعل الفيروزابادي ، وإنما اعتمد على مجرد وضع الحركات بخطه في كثير من الكلم ، كابن سيده والأزهري ، وغيرهما .

والضبط ميزة تَحَلَّى بها القاموس ، وظهر فيها على سائر كتب اللغة الأصول ، فقد صان به لغة الضاد من التغيير واللَّبْس ، وحفظها من العبث والضياع . وكأن الإمام الرازي كان يشرح هذا النهج حين اقتدى به في مختار الصحاح حيث قال : « والتزمنا في الموازين أنَّا متى قلنا في فعلٍ من الأفعال إنه من باب ضرب أو نصر أو قطع وغير ذلك ، فإنه يكون موازناً له في حركات ماضيه ومضارعه ومصدره أيضا ، وأما الأسماء فإنا ضبطنا كل اسم يشتبه على الأعم الأغلب ، إما بذكر مثال مشهور عقبه ، وإما بالنص على حركات حروفه التي يقع فيها اللَّبْس ، وإن كان كثير مما قيدنا يستغني عنه الخواص ، ولهذا أهمله الجوهري رحمه الله ، لظهوره عنده ، ولكنا قصدنا بزيادة الضبط بالميزان أو بالنص عموم الانتفاع به وألا يتطرق إليه بمرور الأيام تحريف النساخ وتصحيفهم ، فإن أكثر أصول اللغة إنما يقل الانتفاع بها ، ويعسر لعلتين:إحداهما عسر الترتيب والثانية قلة الضبط بالموازين المشهورة ، وقلة التنصيص على أنواع الحركات ، اعتماداً من مصنفيها على ضبطها بالشكل الذي يعكسه التبديل والتحريف عن قريب ، واعتماداً على ظهورها عندهم فيهملونها من أصل التصنيف . »[1]

وقد سلك الفيروزابادي في الإشارة إلى ضبط الكلمات في معجمه طرائق تشهد له بشخصية قوية ، وحيطة علمية ، لأنه وإن سار فيها على ضوء السلف ، امتاز بالتوسع ، وانفرد بالاستيعاب .

ويمكن وضع هذه الطرق على الترتيب الآتي :

الأولى : النص على حركة أو أكثر من حركات الكلمة .

الثانية : النص على وزن مماثل لها .

الثالثة : النص على الحركة والوزن معاً .

ونفصل الحديث عن كل طريقة فيما يلي :

---

(١) مختار الصحاح (المقدمة) ص (ط) .

الطريقة الأولى : النص على حركة أو أكثر من حركات الكلمة :

استعمل الفيروزابادي هذه الطريقة في أنواع الكلمة الثلاثة ، الاسم والفعل والحرف .

الاسم :

أما الاسم فقد اتخذ الفيروزابادي لضبطه وسيلتين رئيستين : إحداهما النص على حركة الحرف صراحة ، عند اللَّبْس .

والأخرى النص على حركة الحرف ضمناً ، اعتماداً على شهرة توضحها .

أ – النص على حركة الحرف صراحة :

نص الفيروزابادي بالوسيلة الأولى على قيود يضبط بها الاسم ، أياً كان عدد حروفه ، لتحول بينه وبين اللَّبْس ، وتبين نطقه الصحيح ، ذلك أنه يأتي بعده بما يفيد حركة حرفه الأول دون تعيين صريح لموضعها منه ، كما في قوله : « الخصب بالكسر كثرة العشب ورفافة العيش . والخصب بالفتح الطلع والنخل ، وبالضم الجانب . »

« الخنزوب بالضم والخنزاب بالكسر الجريء على الفجور وخنزب بالفتح شيطان » . وإطلاق الفتح أو الضم أو الكسر بعد الاسم على هذه الصورة ينصب على حرفه الأول وهو الخاء ، فالأول فقط هو المفتوح أو المضموم أو المكسور ، كما هو ظاهر من قول الشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني الذي يتحدث عن الفيروزابادي فيقول : « إنه إذا قال بالضم أو بالكسر فذلك لحركة أول الكلمة ، وهذا دأب المصنفين . قال ابن الحاجب في شافيته : ولزموا الضم في المضاعف المتعدي يريد ضم الفاء . »[1] وقد وضح العلامة نصر الهوريني ذلك حيث قال : « إنه اختار ... وإطلاق الفتح أو الضم أو الكسر على المفتوح الأول فقط أو المضموم الأول فقط أو المكسور الأول فقط وهو اصطلاح الكثير من اللغويين. »[2]

والأصل في الحرف الثاني أن يكون ساكناً في كثير من الكلم . ولذا لا يشير الفيروزابادي إلى سكونه ، في الغالب ، إن جاء على ذلك . كقوله : « زملكان بالكسر(ة) بدمشق منها شيخنا أبو المعالي ، ومنتزه ببلخ . » « زيكون ة بنسف . »

---

(١) فلك القاموس ص ١٦ . (٢) ديباجة القاموس للهوريني ص ١٠ .

ويغلب أن يعين حركة الحرف الثاني إن كان مفتوحاً ، بقوله بعد الاسم (بالتحريك أو محركاً أو نحوهما) طبقاً لقول صاحب الفلك : « ان قال بالتحريك أو محركاً ، فالمراد فتح عين الكلمة . » [1]

لكن يبدو أن الفيروزابادي اختار هذا الاستعمال فيما يكون بفتحتين كما ذكر العلامة نصر الهوريني الذي يقول : « إنه اختار استعمال التحريك ومحركاً فيما يكون بفتحتين كجبل وفرح » [2] ومن أمثلة ذلك :

« الذنب بالتحريك واحد الأذناب . »

« الدلج محركة السير من أول الليل.» . « السبخة محركة ومسكنة أرض ذات نز وملح . »

فإن ذكر الاسم مكرراً في بعض الأساليب بقيت عينه ساكنة فيهما ، وانفتحت الفاء في الأول ، وانضمت في الثاني ، وفقاً لقول صاحب الفلك [3] « إن كرر الاسم نحو أن يقول فجأة وفجأة فالأول على الأصل بفتح الفاء وسكون العين ، والثاني بضم الفاء مع سكون العين . »

وإن كانت حركة كل من الحرفين الأولين من جنس واحد غير الفتح فإن الفيروزابادي يتبع الاسم بما يدل عليهما ، كأن يقول (بضمتين أو بكسرتين أو نحوهما) مثل :

« الدنج بضمتين العقلاء » .

« الصعرور والصعرر بالضمات وتشديد الراء الأولى ما جمد من اللثا والصمغ الطويل الدقيق الملتوي » .

« الزمكى بكسر الزاي والميم مقصوراً منبت ذنب الطائر أو ذنبه كله أو اصله كالزمك » .

« يقال للكذاب مطخ مطخ بكسرتين أي قولك باطل » .

« طهرمس بضم الطاء والهاء (ة) بمصر منها اسحق بن وهب الطهرمسي » .

وإذا اختلف الحرفان الأولان في الحركة فإن الفيروزابادي ينص على حركة

---

(١) فلك القاموس ص ١٦ . (٢) ديباجة القاموس للهوريني ص ١٠ .

(٣) فلك القاموس ص ١٦ .

كل منهما ، كما في قوله :

« الأُرَتان بضم الهمزة وفتح الراء ع » .

وندر أن ينص على سكون الحرف الثاني ، ولم يلجأ إليه إلا دفعاً لشبهة قوية ، كقوله :

« جويبار بضم الجيم وسكون الواو والمثناة تحت ويقال جوبار بلا ياء وكلاهما صحيح ومعناه مسيل االنهر الصغير . »

كما ندر أن يذكر حركة الحرف الأول مقرونة باسمه إن كان مفتوحاً ، نحو :

« الغَلُبَّةُ بفتح الغين والغلابية القهر »

ولعله فعل ذلك لأن « الغَلُبَّة » هذه وقعت بعد « الغُلُبَّة بضمتين » فنص على الفتحة وهي الحركة الجديدة للحرف الأول من الكلمة التالية ، ساكتا عن حركة الحرف الثاني التي بقيت ضمة كما في الكلمة السابقة .

وإن اختص الحرف الأخير من الاسم بحركة ما فالفيروزابادي يذكرها له من بعده كقوله :

« ويب فلان بكسر الباء ورفع فلان عن ابن الأعرابي ومعنى الكل الزمه الله ويلا وويبا لهذا أي عجباً . »

« عاج مبنية بالكسر زجر للناقة »

« هج هج بالسكون زجر للغنم »

« عبد الله بن أحمد بن بتري بالضم ساكنة الآخر »

على أن الفيروزابادي يغلب أن ينص على حركة كل حرف يحصل فيه لَبْس ، أياً كان موضعه من الاسم ، كما في قوله :

« الزانكي بكسر النون الشاطر »

« بَرِدِزْبَه بفتح الباء وكسر الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الباء جد البخاري »

« اليُرَنَّا بضم الياء وفتحها مقصورة مشددة النون واليرناء بالضم والمد الحناء »

وقد بالغ الفيروزابادي في الدقة ، فضبط أكبر عدد ممكن من حروف الكلمة الواحدة ، حتى يجنب القارئ كل اشتباه في نطقها ، كقوله :

« خُوَيْزِ مَنْدَاد بضم الخاء وكسر الزاي وفتح الميم وسكون النون والد الإمام أبي بكر المالكي الصولي » .

« الإِصَّعُّد بالكسر وفتح الصاد وضم العين مشددتين ضد الهبوط . »

« الإِصْفَعِيد بكسر الهمزة وفتح الفاء وكسر العين المهملة الخمر » .

وفي بعض الأحيان ، كان الفيروزابادي يشرك في الضبط كلمتين أو أكثر بنص واحد كما في هذه المادة :

« الجبار المتكبر ... فهو بَيِّنُ الجِبْرِيَّةِ والجِبْرِيَاءِ مكسورتين ، والْجِبِرِيَّةِ بكسرات والجَبَرِيَّةِ والجَبَرُوَّةِ والجَبَرُوتَى والجَبَرُوتِ محركات ، والجَبْرِيَّةِ والجَبْرُوَّةِ والتَّجْبَارِ والجُبُّورَةِ مفتوحات ، والجُبُّورَةِ والجُبْرُوتِ مضمومتين » .

على أنه إذا ذكر كلمة مضبوطة في أول المادة أو في أثنائها . ثم اعادها في نفس المادة لمعنى آخر ، سواء فصل بينهما أم لم يفصل ، فإنه يعتبر فيها الضبط الأول وإلى ذلك يشير الشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني حيث يقول :

« إنه [1] إذا قيد كلمة وضبطها في أول المادة أو في اثنائها ، ثم أعادها بعد في تلك المادة لمعنى آخر سواء فصل بينهما بكلام أو لا ، فإنه يعتبر فيها التقييد الأول كقوله السلسل كجعفر الماء العذب كالسلاسل بالضم ثم قال بعد كلام ، وغزوة السلاسل هي وراء وادي القرى ، فالسين الأولى مضمومة في الموضعين وقد صرح بضم الموضع الثاني في مجمع البحار » [2]

أما إذا كان الاسم رباعياً غير مشتق وغير مبدوء بميم فإن الفيروزابادي يُتبع حرفه الثالث للأول في ضبطه ، معيناً حركة الحرفين ، أو أحدهما ، وإن أطلق كان على نية أن ثالث الاسم تابع في الضبط لأوله ، وقد ذكر العلامة نصر الهوريني ذلك فقال :

« إن ثالث الكلمة الرباعية تابع في الضبط لأولها عند الإطلاق كما نبه على ذلك المحشي في طحربة وطحلب وكذلك عضرط [3] فإنه بضم أوله وثالثه أو

---

(١) أي الفيروزابادي . (٢) فلك القاموس ص ١٦ – ١٧ .

(٣) العضرط : الخادم الأجير .

كسرهما وأما ما كان بغير ذلك كجندب[1] ودرهم فَيُنَبِّه عليه لقلته »[2]

فمما عَيَّنَ فيه حركة الحرفين :

« الطُّحْرُبَةُ بفتح الطاء والراء وبكسرهما وبضمهما القطعة من الغيم ومن الثوب. »

« جارية دَخْدَبَةٌ بفتح الدالين وبكسرهما مكتنزة . »

ومما عَيَّنَ فيه حركة الأول ناوياً إتباع الثالث له :

« العرفط بالضم شجر من العضاه الواحدة عرفطة ، وبها سمي عرفطة بن الحباب الصحابي »

« الدردح بالكسر المولع بالشيء والعجوز والشيخ الهم »

« امرأة خنضبة بالضم سمينة »

« العرمس بالكسر الصخرة والناقة الصلبة . »

ومما عيَّن فيه حركة الثالث ناوياً أن يكون الأول مثله :

« الطحلب بضم اللام وفتحها وكزبرج خضرة تعلو الماء المزمن . »

ومما لم يُعَيِّنْ فيه حركة لأحدهما ، على نية أن حركتهما واحدة :

« الطرطبة صوت الحالب للمعز بشفتيه واضطراب الماء في الجوف واشلاء الغنم »

« والطرطانية الطويلة الضرع كالطرطبة »

« الخنعب الطويل الشعر . »

ويلحق بالرباعي الآنف الذكر ما كان مزيداً مثل :

« رجل انفخان وانفخاني بضمهما وكسرهما ، وهي بهاء امتلأ سمناً »[3]

وأما الاسم الخماسي فصاعداً ، فإن الفيروزابادي لا يلتزم فيه اتباعاً . ولكنه يذهب في تعيين مواضع حركاته مذهبه في الثلاثي ، مع فارق بسيط ، هو أنه يغلب تعيين الحرف المضبوط ، مهما يكن موقعه من كلمته ، ناصاً على حركته ، ما دعت الضرورة إلى ذلك ، كما في قوله :

---

(١) الجُنْدُبَ : جراد م . (٢) ديباجة القاموس ص ١٠ .

(٣) الأول والثالث من حروف الكلمة .

« الجردحل بكسر الجيم الوادي والضخم من الإبل للذكر والأنثى »
« الجهندر بضم الجيم وفتح الهاء والدال ضرب من التمر » .
« دبيثي بضم أوله مقصوراً ة بواسط . »

والغالب في الاسم المبدوء بميم زائدة أن يَذْكُرَ الفيروزابادي حركة ميمه على نحو ما يفعل في غيره من الأسماء ، مثل :

« المصيد والمصيدة بكسرهما ، والمصيدة كمعيشة ما يصاد به . »
« المطهرة بالكسر والفتح اناء يتطهر به » .

ويمكن أن نَعُدَّ ما كان يَنُصُّ عليه الفيروزابادي مما ليس للكلمة من حركات ، فوق نَصِّهِ [1] عما لها منها ، احتياطاً محموداً ، وعملاً جديداً ، لا أظنه مسبوقاً إليه ، وذلك كأن يقول :

« طرخان بالفتح ولا تضم ولا تكسر ، وان فعله المحدثون اسم للرئيس الشريف خراسانية ج طراخنة » .

« العباد بالكسر ، والفتح غلط ، ووهم الجوهري ، قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة » .

هذا وقد كان الفيروزابادي يَنُصُّ على همز الاسم وقصره ، كما في هذه العبارة :

« المستبطأ مقصوراً مهموزاً من يكون رأسه طويلاً كالكوخ . »

ب – النص على حركة الحرف ضمناً ، اعتماداً على الشهرة :

اتبع الفيروزابادي هنا في ضبط الاسم الوسيلة الثانية التي لا يذكر فيها حركة أي حرف من حروف الكلمة ، بل يتركها تفهم من السياق ، لأنه اصطلح في منهجه هذا على نظام يهدف إلى غاية معينة توضح للقارئ نوع الحركة وموضعها من الكلمة ، بالاعتماد على الشهرة القاطعة .

---

(١) نَصَّ الشيء : أظهره كنصر ، ونَصَّ القدرُ : غَلَتْ كضرب (فهي لازمة متعدية بنفسها أو بعن أو بعلى) انظر القاموس وتاج العروس واللسان .

١ – ذلك أن الاسم الذي يكون في أول المادة أو في أثنائها ، إن لم ينص على ضبطه ، فإن أوله مفتوح مطلقاً ، وثانيه ساكن ، إن كان ثلاثياً ، وثالثه مفتوح إن كان رباعياً ، إلا أن يمنع مانع من سكون ثانيه وفتح ثالث الرباعي ، كأنْ يكونَ الثالثُ أو الرابعُ حرف علةٍ ساكناً ، فإنه يحرك ثانيه بحركة مناسبة لحرف العلة مُقَيِّداً ما عسى أن يكون فيه من لغة أخرى بعد ذلك .

قال صاحب الفلك[1] : « إن كل اسم في أول المادة ، أو في أثنائها لم يقيده (أي لم يقل فيه بالضم مثلاً أو بتحريك أو بوزن كذا) فإن أوله مفتوح وثانيه ساكن ، فإن كان رباعياً ، فثالثه مفتوح ، إلاَّ أن يمنع مانع من سكون ثانيه وفتح ثالث الرباعي ، كأن يكون الثالث أو الرابع حرف علة ساكناً ، فإنه يحرك ثانيه بالضمة قبل الواو ، والفتحة قبل الألف ، والكسرة قبل الياء ، فإذا كان في ذلك لغة أخرى ، ذكر قيدها بعد ذلك كقوله : (صَحِبَهُ كَسَمِعَهُ صَحَابَةً ويكسر وصحبة عاشره) فالصاد من صحابة مفتوحة ويجوز كسرها . »

وهذا هو الذي عناه الفيروزابادي حين يقول[2] : « وكل كلمة عريتها عن الضبط فإنها بالفتح إلا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعاً للنزاع من البين ، وما سوى ذلك ، فأقيده بصريح الكلام »

أي أن كل كلمة خالية من الشكل ولم يتعرض لحركاتها ، فهي بالضبط الذي ذكرناه آنفاً ، إلا إذا اشتهرت بخلافه اشتهاراً قاطعاً على حد رأي المؤلف .

وَمِمَّا ذَكَرَهُ خَالِياً من الضبط :

السَّقْبُ ولد الناقة أو ساعة يولد أو خاص بالذكر .

الزَّغْرَبُ الماء الكثير .

الزَّرْنَبُ طيب أو شجر طيب الرائحة والزعفران .

---

(١) فلك القاموس ص ١٦ (٢) خطبة القاموس ص ٤ .

الهَوْزَبُ البعير القوي الجريء .

الفَخْتُ ضوء القمر .

وَمِمَّا اشتهر بخلافه ، أي بخلاف فتح أوله :

النُّخْرُوبُ الشق في الحجر أو الثقف في كل شيء .

الرُّعْثَةُ ويحرك القرط .

ذكر الهوريني أن مما اشتهر بغير الفتح :

أ – ما كان على فِعَالَة من مصادر الحرف أو الولاية أو الإحاطة كتجارة وإمارة وعمامة .

ب – أسماء الآلات كمفتاح ومبضع .

ومما اشتهر بالكسر :

الحجاز ، والخنصر ، والبنصر ، وسِخْتِيَان [1] ، وسِجِسْتَان ودرهم.

ومما اشتهر بالضم :

أ – كل ما جاء على فُعْلُول كبرغوث سوى صُعْفُوق ودُرْنُوك وزَرْنُوق [2] ، وبرشوم وبرنوف .

ب – كل ما كان على أُفْعُولة كأحودثة وأكذوبة .

ومما جاء فيه الفتح :

عبدوس ، وصندوق ، وحلحول (اسم قرية بالشام) [3] .

٢ – كل اسم يذكره الفيروزابادي بغير ضبط ويعطف بعده على مقدر فإن أوله يكون مفتوحاً ، ويجوز فيه الحركة التي يذكرها له من بعده كقوله « الجص ويكسر » وليس الكسر في مثل هذه الحال بأقل من الفتح ، بل هو الأفصح ، ونظيره قوله « غضبان وغضابى ويضم » أي بالفتح ويضم ، والضم هنا أفصح أيضاً . قال العلامة الشيخ نصر الهوريني :

---

(١) السختيان ، ويفتح : جلد الماعز إذا دبغ معرب ، و د .

(٢) صعفوق:اللئيم ، و ة باليمامة . درنوك : ضرب من البسط والثياب . الزرنوق : النهر الصغير .

(٣) ديباجة القاموس ص ٧ – ٨ (بتصرف) .

« انه يذكر الاسم بغير ضبط اتكالاً على الشهرة ثم يعطف على مقدر كقوله الجص ويكسر أي أنه بالفتح وقد يكسر فلا تتوهم أن الكسر أقل من الفتح بل هو الأفصح كما في شروح الفصيح ونبه عليه الشارح هناك ونظيره قوله في جمع غضبان غضابى ويضم أي بالفتح ويضم وكأن تقديم الفتح ليس لافصحيته فإن الضم أفصح بل لكونه هو الأصل في الضبط للمجرد عن الضبط فهذه هي النكتة التي ظهرت لي . »[1]

ومن ذلك :

المطردة ويكسر محجة الطريق .
الزنج ويكسر المزنجة والزنوج جيل من السودان واحدهم زنجي .
العفج وبالكسر وبالتحريك وككتف ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة .

وينص أحياناً على الحرف المراد كسره وهو الأول ، كقوله :

الشهيد وتكسر شينه الشاهد والأمين في الشهادة .
عتيد كجعفر ع واسم وتكسر عينه .

ومما اتبع فيه الاسم بقوله (ويضم) على نية فتح أوله هذه الأمثلة :[2]
الكوسج ويضم م وسمك خرطومه كالمنشار .
الشهد العسل ويضم .
الندح ويضم الكثرة والسعة .

فإذا أراد الضم لحرف غير الأول عينه صراحة في عبارته ، كقوله :
حضرموت وتضم الميم د وقبيلة .
الحيقر وبضم القاف الذليل .

٣ — وكل اسم لم ينص الفيروزابادي على ضبطه ، ثم يتبعه بقوله (ويفتح) يكون أوله مكسوراً غالباً ، أي أن قوله (ويفتح) يكون عطفاً على محذوف تقديره بالكسر مثلاً :

---

(١) ديباجة القاموس ص ٩ . (٢) انظر القاموس .

قال العلامة الشيخ نصر الهوريني : « إنه إذا ذكر كلمة ثم أتبعها بقوله ويفتح فيكون قوله ويفتح عطفاً على محذوف تقديره بالكسر مثلاً كما قال في الخنصر وبفتح الصاد أي أنه بكسر أوله وثالثه وبفتح الصاد وكما قال في السِّخْتِيَان ، ولَمَّا قال في سِجِسْتَان ويفتح أوله قال المحشي هو نص في أنه بكسرتين ويفتح أوله أي مع بقاء كسر ثانيه . » [1]

مثال ذلك :

السلم الدلو ... والصلح ويفتح [2]

عتود كدرهم ويفتح واد من أخواته خروع

فإذا أراد بالفتح حرفاً غير الحرف الأول نص عليه ، كقوله :

المسجد م ويفتح جيمه .

على أنه قد ينص على فتح الحرف الأول نفسه كقوله :

الذرحرح كفُعُلْعُل وتفتح الراءان وقد يشدد ثانيه دويبة حمراء منقطة بسَوَادٍ تطير وهي من السموم .

٤ – أما إذا قال الفيروزابادي بعد الاسم : (ويسكن) كان المَعْنِيُّ بالتسكين هو الحرف الثاني منه أي أنه يجوز تسكينُ ثانيه كما جاز فتحه مثلاً ، كقوله:الرَّعَثُ محركة ويسكن ابيضاض أطراف زنمتي العنز .
الزَّلَجُ محركة الزلق ويسكن.
الشَّبَحُ محركاً الشخص ويسكن.

وقد ينص على الحرف المراد تسكينه كقوله :

الدَّبَرَى محركة رأي يسنح أخيراً عند فوت الحاجة والصلاة في آخر وقتها وتسكن الباء ولا تقل بضمتين فإنه من لحن المحدثين .

٥ – وأما إذا قال بعد الاسم (ويحرك) كان معنى ذلك أنه يجوز فتح ثانيه الساكن ، كما في قوله :

---

(١) ديباجة القاموس ص ١٠ .

(٢) أي أنه بكسر أوله ويفتح السين .

عَنْجُ ويحرك جد محمد بن عبد الرحمن من كبار أتباع التابعين .
اللَّهْجَةُ ويحرك اللسان .
الحَشْدُ ويحرك الجماعة .
السَّبْحُ ويحرك الباب العالي البناء .

٦ – على أن الفيروزابادي إذا قال (ويخفف أو نحوها) بعد الاسم كان المراد تخفيف حركة الحرف المشدد منه ، كقوله :
الإجرد بالكسر كإكبر وقد يخفف كإثمد نبت يدل على الكمأة .
الحمارة .. وبتخفيف الميم وتشديد الراء وقد يخفف في الشعر شدة الحر .

٧ – فإذا أراد لحرفٍ ما تشديداً بقوله (ويشدد) بيَّنَهُ فيه ، كما في قوله :
الحمر كصرد الهندي كالحومر وطائر وتشدد الميم واحدتها بهاء .

٨ – هذا وقد يذكر المؤلف بعد الاسم ما يفيد أنه يجوز فيه حَالاَنِ مِنْ تلكَ الأحوال الآنفة الذكر فوق حاله بمثل تلك الجمل السابقة ، كأن يقول بعده : (ويفتح ويكسر) أو (يضم ويفتح) أو (يكسر ويحرك) أو (يضم ويحرك) ، وذلك كقوله :
الثَّعْرُ ويضم ويحرك لَثيً يَخْرجُ من أُصول السَّمُر سمٌّ قاتلٌ .
البصرة دم ويكسر ويحرك ، ويكسر الصاد .
الأُصْرُ الكسرُ والعطفُ والحَبْسُ وأن تجعل للبيت إصارا وفعل الكل كضرب وبالكسر العهد والذنب والثِّقَلُ ويضم ويفتح في الكل .
الشقذ كصرد ولد الحرباء ويفتح ويكسر .
السَّحْرُ ويحرك ويضم الرئة .

٩ – أما المقصود بقوله (ويثلث) بعد الاسم فقد بيناه في موضعه من هذا الكتاب [١] .

---

(١) ص ٢٠١ .

الفعل :

اختار الفيروزابادي في الثلاثي من الفعل الماضي أن يتبعه بالحركة دون تعيين موضعها منه ، مريداً بها الحرف الثاني ، لأن أول الفعل وثالثه لا يحتاجان إلى ضبط ، مثال ذلك :

« حلم بالفتح واحتلم » من الحلم بالضم وبضمتين وهو الرؤيا .

و« حلم بالضم حلماً وتحلم تكلفه » من الحلم بالكسر وهو الاناة والعقل .

و« حلم الأديم بالكسر » من الحلم بالتحريك وهو أن يفسد الاهاب في العمل . فموضع الحركة في حلم إنما هو اللام الذي هو عينه .

وربما ينص على حركة العين كقوله « (حدث) حدوثاً وحداثة نقيض قدم وتضم داله إذا ذكر مع قدم » .

ويطلق الفيروزابادي الضم غالباً في الفعل الماضي ويريد به المبني للمجهول ، فالضم مصروف لأوله ، كما في قوله : « وصُرَّ النباتُ بالضم أَصَابَهُ الصَّرُّ »

ضبط عين مضارع الثلاثي :

مثل الماضي الثلاثي مضارعه ، في أن موضع الحركة منه العين ، غير أن العين فيه تكون هي الحرف الثالث ، فإذا قيل يكتب بالضم كان موضع الضم فيه التاء وهو الثالث ، إلا إذا كان مضاعفاً مثل يقرفإن موضع الحركة فيه الفاء وهو الثاني ، لانتقالها من الثالث إليه .

ولا يُصَرِّحُ المؤلفُ بضبط عين المضارع إلا عند خوف اللَّبْس .

والمضارع هنا ، إما من باب فَعَلَ (بفتح العين في الماضي) ، أو من باب فَعِلَ (بكسرها) ، أو من باب فَعُلَ (بضمها) .

فإذا كان المضارع من الباب الأول ، فقد اعتمد المؤلف على اصطلاحه أو الشهرة أو علم الصرف في ضبط عينه ، ذلك أنه :

١ — إذا ذكر المصدر مجرداً عن التقييد ، أو الفعل الماضي وحده بدون المضارع ، وليس هناك مانع من ذكره ، لعدم تصرف الفعل مثلاً ، فإن مضارعهما

يكون مضموم العين (من باب فَعَلَ يَفْعُلُ) ، بشرط ألا يكون ثمت مانع من الضم ، كما يؤخذ من قوله[1] : « وذكرت المصدر مطلقاً أو الماضي بدون الآتي ، ولا مانع فالفعل على مثال كتب . » ويمتنع الضم[2] :

أ – إذا كان الفعل حلقي العين أو اللام ، ولم يكن معتل العين ، فإن الأشهر فيه والقياس الفتح ، كمنع يمنع ، وذهب يذهب ، إلا إذا اشتهر بخلافه كدخل يدخل ، ورجع يرجع ، فيكون السماع مقدماً على القياس عند غير الكسائي الذي أجاز القياس مع السماع .

فإن كان معتل العين قدم الاعلال على مراعاة الحرف الحلقي اتفاقاً ، ولهذا وجب الضم في جاع يجوع ، وضاع يضوع ، وصاغ يصوغ ، والكسر في باع يبيع ، وضاع يضيع .

ب – وإذا كان واوي الفاء كوعد فالقياس في مضارعه الكسر ، ولم يشذ منه الا وَجَدَ يَجُدُ في لغة عامرية .

ج – وإذا كان يائي العين أو اللام كباع يبيع ورمى يرمي ، فإن كان واويهما كقام يقوم ودعا يدعو ضمت عينه .

د – وإذا كان مضاعفاً لازماً ، كحن يحن ، فإن كان مُتَعَدِّياً ضُمَّتْ عينه كَعَدَّهُ يَعُدُّهُ إلاَّ ما استثناه ابن مالك في لامِيَّةِ الأَفْعَالِ من القياسين[3].

٢ – إذا ذكر الماضي ، وأتبعه بمضارعه بلا تقييد لحركة العين بضبط ولا وزن فالمضارع مكسور العين كيضرب ، كما يتضح من قوله[4] : « وإذا ذكرت آتيه بلا تقييد فهو على مثال ضرب » ما لم يكن هناك مانع[5] :

أ – كأن يكون الفعل حلقي العين أو اللام كقوله في (وبأ) :
وبأت ناقتي تبأ حنت .

---

(١) خطبة القاموس ص ٤ . (٢) ديباجة القاموس ص ٦ .

(٣) يمكن أن يكون المصنف أشار بقوله ولامانع إلى هذين القياسين (ديباجة القاموس للهوريني ص١١.)

(٤) خطبة القاموس ص ٤ .

(٥) ديباجة القاموس ص ٦ . جَأَذَ أي عبَّ في الشراب . وَتَأَ في مشيته يتأ : تثاقل كِبْراً أو خُلُقاً .

ب – أو كالرسم في مهموز العين نحو جَأَذَ يَجْأَذُ ، أو مهموز اللام نحو وَتَأَ يتأُ ، أو المعتل نحو أبى يأبى .

٣ – أَنَّهُ رأى رَأْيَ أبي زيد[1] إذا تجاوز المشاهير فالمتكلم بالخيار ، حيث قال[2] : « على أَنِّي أذهب إلى ما قال أبو زيد إذا جاوزتَ المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَلَ فأنت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت يفعل بضم العين ، وإن شئت قلت يفعل بكسرها » .

أي إذا جاوزتَ أنت أيها الباحث في لغة العرب المشاهير المتداولة من الأفعال التي يجيء ماضيها الاصطلاحي على فعل بالفتح فأنت بالخيار في الْمُستقبل وهو المضارع الذي عبر عنه المؤلف (بالآتي) .

وهذا ما يراه أبو حيان : « قال أبو حيان في سورة الفرقان الفعل المتعدي الصحيح جميع حروفه إذا لم يكن للمبالغة ولا حلقي عين ولا لام فإنه جاء على يفعُل ويفعِل كثيراً ، فإن اشتهر أحد الاستعمالين اتبع وإلا فالخيار حتى إن بعض أصحابنا خير فيهما سمعا أو لا »[3]

والمؤلف يرى رأي أبي زيد وأبي حيان في أن الفعل إذا لم يكن مشهوراً يجوز ضَمُّ عين مضارعه وكَسْرُهَا ، أَمَّا إذا كان الفعل من المشهورات فيتبع ما اشتهر به[4].

وتعقب ذلك ابن الطيب الفاسي بقوله[5] : « إنا لا نعلم فعلاً أوردوه وخيروا المتكلم فيه بل قيدوه إما بالضم أو بالكسر أو بهما أو بالتثليث كينبع ويصبغ » ثم أجاب عنه بأن هذا التخيير كان في أول الأمر أي في الصدر الأول وتكلم الْمُخَيَّرُ بما اختاره فاقتفى المتأخر آثاره وصار عليه المعول . أما إذا كان الماضي مكسور العين فضارعه مفتوحها (من

---

(١) هو أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ . (٢) خطبة القاموس ص ٤ .
(٣) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٩ . (٤) وهذا هو معنى قول أبي زيد .
(٥) إضاءة الراموس ثم انظر ديباجة القاموس للهوريني ص ٧ .

باب فعل يفعل) إلا ما استثني من ذلك[1] ، وإن كان مضموم العين فمضارعه مضمومها (من باب فعل يفعل) كعسر يعسر وكرم يكرم .

٤ – إذا ذكر المضارع مرتين بعد ماضيه أو مصدره المطلق عن التقييد ، كان معنى ذلك أن المضارع مضموم العين أو مكسورها .

والغالب أنه إذا ذكره مرتين ، يكون الأول من باب ضرب ، والثاني من باب كتب ، (بفتح العين في الماضي وكسرها أو ضمها في المضارع) وقد يعكس ، كما في قوله : « أب للسير يئب ويؤب .. تهيأ » .
وقوله : « أل في مشيه يؤل ويئل أسرع »
وربما كان ذلك تقديماً للأفصح ، أو الأكثر استعمالاً ، أو لغير نكتة .

وقد يكون الفعل في معنى من البابين وفي معنى ثان من باب كتب فقط ، وفي معنى آخر من باب ضرب فقط كقوله :

أ – « نَفَرَتْ الدَّابَّةُ تَنْفِر وتَنفُر نفوراً ونِفَاراً فهي نافرٌ ونَفُورٌ جَزِعَتْ وتَبَاعَدَتْ والظَّبْيُ نَفْراً ونَفَرَاناً محركة شَرَدَ ... ونَفَرَ الحاج من مِنىً يَنْفِرُ نَفْراً ونُفُوراً ... ونَفَرُوا للأمر يَنْفِرُونَ نِفَاراً ونَفِيراً ... »

ب – خَطَرَ بباله وعليه يَخْطِرُ ويَخْطُرُ خطوراً ذكره بعد نسيان .. والْفَحْلُ بذنبه يَخْطِرُ خطراً وخطراناً وخطيراً ضرب به يميناً وشمالاً .. والرَّجُلُ بسيفه ورمحه يَخْطُر رَفَعَهُ مرةً وَوَضَعَهُ أُخرى.. والرُّمْحُ اهْتَزَّ .. »

ذكر الهوريني[2] أن المعنى الأول (خَطَرَ بباله) فيه من البابين ، والمعنى الثاني (خَطَرَ الفحلُ بذنبه) من باب ضرب ، والمعنى الثالث (خَطَرَ الرجلُ بسيفه ورمحه رفعه مرة ووضعه أخرى والرمحُ اهتز) من باب كتب خلافاً لما ذكره الصبان في باب الابدال من حاشيته على الاشموني حيث قال فتفيد عبارة القاموس أن مضارع خطر بباله بكسر العين وضمها ومضارع ما بعده بالكسر لا غير .

---

(١) استثني من ذلك بعض أفعال مثل وثق به ، ووجد عليه أي حزن ، وورث المال وورع عن الشبهات ، وورك أي اضطجع ، وورم الجرح ووفق امره أي صادفه موافقاً وومق أي أَجَبَّ (شذا العرف ص ١٧) .

(٢) ديباجة القاموس ص ١١ .

فإن كان الفعلُ من أحدهما وباب آخر ، فتارة يقدم ما كان من أحدهما على غيره ، كما في قوله : « محاه يمحيه ويمحاه . » وتارة يقدم ما هو من غيرهما على ما هو منهما ، كما في قوله :

« هَنَأَهُ يَهْنَؤُهُ ويَهْنِئُهُ أطعمه وأعطاه »

« ذَأَى الْإِبلَ يَذْآهَا ويَذْؤُوهَا ذَأْواً طَرَدَهَا وسَاقَهَا » .

والرسم يمنع اللبس ، فإنه معتبر وإن لم ينبه عليه المؤلف .

وقد وجه ابن الطيب الفاسي النظر إلى ذلك ، وذكر أن الفعل (صئب) في قول الفيروزابادي صَئِبَ رَأْسُهُ وأَصْأَبَ كثر صؤابه « على وزن فرح مع أن إطلاقه يقتضي أنه كنصر ولا قائل به وإنما اعتمد على الشهرة ورسمه بالياء ، كما اعتمد على الرسم في هَنَأَهُ يَهْنَأُهُ ويَهْنِئُهُ ، وفي جَأَذَ يَجْأَذُ[1] »

على أن الفيروزابادي تارة يصرح بالضبط عند خوف اللَّبْس كما في قوله :

« غَثَّ يَغِثُّ ويَغَثُّ بالفتح والكسر غثاثة وغثوثة وأَغَثَّ وغَثَّ الحديثُ فَسَدَ » . وقَوْلِهِ « مَضَّ الكحل العين يمضها بالضم والفتح آلمها كأمضها » .

أما إذا وردت أفعال لا تنطبق عليها هذه الضوابط ، فإن الفيروزابادي يردها إلى الشهرة أو القياس .

قال الزَّبِيديُّ عند الكلام على مادة شنئ : « والحاصل أنه قد لا يعتد باطلاقاته على الإطلاق بل يحتاج الناظر في كتابه إلى النظر التام في علم اللغة ومعرفة قواعد الصرف واصطلاحاته . »

ضبط مضارع ما فوق الثلاثي :

أما مضارع ما فوق الثلاثي فقد اعتمد الفيروزابادي على علم الصرف في ضبطه دون ذكر حركته بعده وغلب فيه النظر إلى مصدره لتعيين بابه الذي يصاغ منه :

١ – فإذا أُتبع الفعل بالتفعيل أو التفعلة كان مضعفاً أي مشدد العين من باب

(١) ديباجة القاموس ص ١١ .

فعَّل وان لم ينص على ذلك كزكَّى تزكية ووفَّى توفية على (تفعلة) وقدَّم تقديماً وكرَّمَ تكريماً على (تفعيل) وجرَّب تجربة على (تفعلة) .

٢ – وإذا أُتبع الفعل بالإفعال كان مشدد الآخر على زنة افعلَّ كقوله : « اعسجَّ الشيخ اعسجاجاً مضى وتعوج كثيراً » .

٣ – وإذا أُتبع الفعل بالإفعال كان من باب أَفْعَلَ (من غير تشديد عينه ولامه) كأكمتَ الفرسُ إكْمَاتاً ، أي خالط حمرته قُنُوءٌ .

٤ – وإذا أُتبع الفعل بالافعيلال كان من باب افعالَّ (بتشديد اللام) مثل : اكماتَّ الفرس يكماتُّ اكميتاتاً . واخراجَّتْ النعامة اخريجاجاً صارت خرجاء أي ذات لونين سواد وبياض من الْخَرَجِ محركاً ، والخرجاء من الشياه التي ابيضت رجلاها مع الخاصرتين .[1]

التثليث :

هو جواز ان تتوالى الحركات الثلاث على حرف من حروف الكلمة .

وقد أشار المؤلف بعد الكلمة التي يقع فيها ذلك إلى الحرف الذي يجوز فيه .

والتثليث في الفعل يكون لوسطه وهو العين ، بشرط أن يكون ثلاثياً ماضياً أو مضارعاً ، كقوله :

« رجح الميزان يرجح مثلثة رجوحاً ورجحاناً مال » .
« نهج الثوب مثلثة الهاء بلي كانْهج »
« بدخ مثلثة الدال وتبدخ تعظم وتكبر »
« ثَرَّ مثلث الآتي ثَرًّا وثرورة وثرارة وثروراً في الكل »
« مرأ الطعام مثلثة الراء مراءة فهو مريء هنيء حميد المغبة »

أما في الاسم ، فأكثر ما يكون ، في أوله ، وقديكون في آخره ، ويندر أن يكون في غير الأول والآخر .

---

(١) ديباجة القاموس ص ٨ – ١٠ .

فمثال ما يكون في الأول :

الشوار مثلثة متاع البيت .

الدواء مثلثة ما داويت به .

الدجاج م للذكر والأنثى ويثلث .

ويريد الفيروزابادي بالإطلاق في النص على ما يثلث ، الحرفَ الأولَ من الاسم دائماً ، فإن كان يَقْصِدُ إلى حرف غيره ، عَيَّنَهُ غالباً .

على أنه قد يُبَيِّنُ الحرفَ الأولَ نَفْسَهُ ، كما في قوله : المرء مثلثة الميم الإنسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه أو سمع مرءون « الإِجَاجُ مُثَلَّثَةُ الأَوَّلِ السِّتْرُ » .

أو يذكر له الحركاتِ الثَّلاَثَ نَفْسَهَا كقوله :

« الْعَضْدُ بالفتح وبالضم وبالكسر وككَتِفٍ ونَدُسٍ وعُتُقٍ ما بين الْمِرْفَقِ إلى الكتف » .

ومثال ما يكون في الحرف الأخير من الاسم :

« حيث كلمة دالة على المكان كحين في الزمان ويثلث آخره » .

« وراء مثلثة الآخر مبنية »[1].

« هيت لك مثلثة الآخر وقد يكسر أوله أي هلم » .

ومما يثلث من حروف الاسم غير الأول والأخير منها :

« العضائج كعلايط والثاء مثلثة ، والعضافج كعلابط كلاهماالصلب الشديد أو الضخم السمين »

« الطنفسة مثلثة الطاء والفاء وبكسر الطاء وفتح الفاء وبالعكس واحدة الطنافس للبسط والثياب »

« الميسرة مثلثة السين السهولة والغنى » .

هذا هو التثليث في الاسم ما عدا (المفعلة) فإن ضبطها يكون للعين كالراء في المأربة ، والباء في المسبعة ، والغين في المسغبة ، وما عدا الوصف إذا كان محتملاً لبناء الفاعل أو بناء المفعول ، إن قال فيه الفيروزابادي بالفتح فهو راجع

---

(١) مادة ورأ (قاموس) .

إلى العين لا لأوله ، أي أنه اسم مفعول ، وإن قال بالكسر كان على بناء الفاعل ، ومن ذلك قوله اجرأشت الإبل فهي مجرأشة بالفتح ، فمراده فتح الهمزة ، أي على صيغة اسم المفعول وكذا قوله المستهتر بالشيء بالفتح المولع به ، ومراده فتح التاء التي هي عين الكلمة كما هو ظاهر .[1]

الحرف :

ضبط الفيروزابادي بعض الحروف التي تحتاج إلى ضبط ، بالنص على حركته أيضاً ، كالاسم والفعل ، ومن ذلك ما جاء بهذه المواد :

« رُبَّ وَرُبَّةَ وَرُبَّمَا وَرُبَّتَمَا بضمهنَّ مُشَدَّدَاتٍ وَمُخَفَّفَاتٍ وبفتحهنَّ كَذَلِكَ وَرُبُ بضمتين مُخَفَّفَةً وَرُبْ كَمُذْ حرفٌ خافضٌ لا يقعُ إلاَّ عَلَى نكرةٍ » .

« أَلا بالفتح حرفُ تحضيضٍ مُخْتَصٌّ بالجملِ الفعليةِ الخبرية »

« الباء حرف .. وهي الزَّائدَةُ وتكونُ زِيَادَةً وَاجِبَةً كأَحْسِنْ بِزَيْدٍ أي أَحْسَنَ زَيْدٌ أَيْ صَارَ ذَا حُسْنٍ ، وغَالِبَةً وهي في فاعلِ كَفَى ككَفَى باللهِ شهيداً ، وضَرُورَةً كقوله :

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأَنباءُ تَنْمِي .. بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

« وحَرَكَتُهَا الكسرُ وقِيلَ الفتحُ مَعَ الظَّاهِرِ نَحْوُ مُرَّ بَزَيْدٍ »

الطريقة الثانية : النص على وزن مشهور مماثل للكلمة :

ذهب الفيروزابادي في ضبط كثير من كلمات القاموس مذهباً آخر ، هو أن يذكر للكلمة بعدها وزناً مشهوراً مماثلاً لها في حركاتها وسكناتها وعدد حروفها.

وهذه الطريقة اتبعها من قبله بعض علماء اللغة كالجوهري ، لكن الفيروزابادي أكثر من اتباعها اكثاراً واضحاً فاق به غيره من الأقدمين .

والكلمة الموزونة قد تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وميزانها إما هو الميزان

---

(١) ديباجة القاموس ص ١٠ – ١١ .

الصرفي المأخوذ من مادة (فعل) على طريقة علماء الصرف ، وإما اسم أو فعل ، أو حرف ، من مادة أخرى .

قال صاحب الفلك : « إنه [1] يزن الاسم بالاسم ، والمصدر بالمصدر ، والفعل بالفعل ، فقوله بَلِيٌّ (اسم موضع) كرَضِيٍّ وزنها فعيل فلا يتوهم أنه وزن بِلَى الاسم بالمصدر على وزن فعل بالكسر ولا بماض على وزن شرب ، فرضي إذا كان اسماً لا يكون وزنه إلا فعيلاً ، وقوله صلي النار كرضي ، هما فعلان بزنة شرب .

وإن الكلمة إذا كان فيها حرف أصلي ، وهو من حروف الزيادة ، وكانت رباعية يجوز زيادته ، فإنه يزنها بكلمة يقابل ذلك الحرف فيها حرف ليس من حروف الزيادة كخندق فإنه وزنه بزبرج ، وإذا كان فيها حرف مزيد فإنه يزنها بكلمة يقابل ذلك الحرف مثله في الزيادة . » [2]

١ – الفعل :

إذا كانت الكلمة الموزونة فعلاً ، فإن الفيروزابادي يزنه بميزانه الصرفي أحياناً ، أو بفعل آخر مماثل له في وزنه ، ومن بابه غالباً .

وكثر الأول فيما كان على (افتعل) ، والآخر في الثلاثي من الأفعال .

ومن الأول :

اثَّلَجَ على افتعل . اذَّبَحَ على افتعل اتخذ ذبيحاً . اطَّفَحَ القدر على افتعل . اطَّبَخَ كافتعل . اثَّرَدَهُ بالثاء والتاء على افتعله . اكْتَادَ افتعل من الكيد .

على أنه قد وزن هذا الضرب من الأفعال أحياناً ، بفعل آخر يماثله حيث قال : امَّدَحَتْ كادَّكَرَتْ .

---

(١) أي الفيروزابادي (٢) فلك القاموس ص ١٧ .

ومن الآخر :

وَذِحتْ كفرح توذح وتيذح . مَلُحَ ككرم ومنع ونصر ملوحة اوملاحة . وقد مَصِحَ كفرح ، ذهب وانقطع .

وكثيراً ما يتخذ لوزن الماضي الثلاثي هذه الأفعال : جعل . سمع . ضرب . طلب . ظل . علم . فرح . فر . كرم . كتب . مد . مر . مل . منع . نصر . نفع . وعد . ورم . وجل .

لكنه يزن المبني للمجهول منه بالفعل عُنِيَ (بضم أوله وكسر ثانيه) .

أما مضارعه المبني للمعلوم فإنه يزنه غالباً بالأفعال : يحل . يظل . يقل . يمل . يمنع . يهد .وذلك مثل :

هد يهد كيمل ويقل . تبر كيمل ويحل . تنضح كتمنع . هذا يصلح لك كينصر أي من بابتك . حَرَّ يَحَرُّ كظل يظل .

وأما ما كان من الأفعال غير هذين النوعين ، فإنه لا يلتزم فيه طريقاً معينة بل وزنه بفعل آخر حيناً ، وبالميزان الصرفي حيناً آخر ، كقوله[1] : تَنَخَّذَ كتَرَأَّسَ[2] . ارْغَلَدَّ افعلل من الرغد . ارْبَدَّ واربادَّ كاحمرَّ واحمارَّ.

٢ – الاسم :

إذا كان ما يريد الفيروزابادي ضبطه من الكلمات اسماً ، فإنه يزنه على ميزانه الصرفي ، أو على اسم آخره ، أو فعل من مادة أخرى ، أو حرف يشبهه وزناً .

فمما وزنه بالميزان الصرفي :

مَأْجَجٌ ع فَعْلَلٌ عند سيبويه

الذُّرَحْرَحُ كفُعُلْعُلٍ وتفتح الراءان ، وقد يشدد ثانيه دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من السموم

---

(١) الأمثلة من القاموس .

(٢) تَنَخَّذَ : هذا الفعل مشتق من « النَّواخذة وهم مُلاَّكُ السفن ووكلاؤهم معربة الواحدة ناخُذَاةٌ » .

بَيْرَحَى كفَيْعَلَى أرض بالمدينة .

أبو حدرد الأسلمي صحابي ولم يجئ فَعْلَعُ بتكرير العين غيره.

جرادى كفعالى ع .

زَيْدانُ كَفَيْعُلاَنِ بضم العين ع .

ماء مَسْوَدَة كَمَفْعَلَةيصاب عليه السواد بالضم .

« قُسْبَنْدٌ مثال فُعْلَلٌ ذكروه في الأبنية ولم يفسروه ، وعندي أنه مُعَرَّبُ كُسْبَنْدٍ لما يُشَدُّ في الوسطِ أو كُوسْبَنْدَ للشَّاةِ . »

البذيذة التقشف بوزن فعيلة .

الآمرة على فاعلة والتأمور الوعاة ... وزنه تفعول .

التَّأْلَبُ كَفَعْلَلٍ شجر يُتَّخَذُ منه القِسيُّ .

الْفَيْفَرَعُ كَفَيْفَعَلٍ شجر . البينيت على فيعيل سمك بحري .

شَعْرٌ مُسْقَفِفٌ كمُفْعَلِلٌ وَمُسَقْفِفٌ كمُفَعْلِلٍ مرتفع جافل[1] .

ومما وزنه على الاسم :

الريحة ككيسة وحيلة النبت يظهر في أصول العضاة .

المَرْوَحَةُ كمَرْحَمَةٍ المَفَازَةُ والموضعُ تخترقه الرياح وكمكنسة ومنبر آلة يتروح بها .

اَمرأةٌ دُلَخَةٌ كهُمَزَةٍ وغُرَابٍ عَجْزَاء . امْرَأةٌ صَمِخَةٌ كفَرِحَةٍ غَضَّةٌ والصَّمَّاخَةُ كجَبَّانَةٍ الْقَطِنَةُ .

الكَامَخُ كهَاجَرإدام وكغُرَاب الكبر والتعظم وكسَحَاب د بالروم.الأُثَيْدَاءُ كَرُتَيْلاَءَ مكان بعكاظ.

وسَمَّوْا رَاشِداً وَرُشْداً كَقُفْلٍ وأَمِيرٍ وزُبَيْرٍ وَجَبَلٍ وسَحْبَانَ وسَحَابٍ وَمَسْكَنٍ وَمُظْهِرٍ . رجلٌ إِمَّرٌ كإِمَّعٍ وإِمَّعَةٍ ويُفْتحان ضعيف الرأي .

---

(١) أمثلة من القاموس .

رجل خَيْرَى وخورى وخِيرَى وطوبى وضيزى كثير الخير [1].

ومما وزنه بالميزان الصرفي وباسم آخر معاً :

السِّنْدَأْوُ كجِرْدَحْلٍ وبهاء الخفيف والجري [4] ، ووزنه فِنْعَلْوٌ .

والأسماء التي اتخذها ميزاناً لغيرها كثيرة لا يمكن أن تحصر ، ومنها على سبيل التمثيل : عصفر . شمراخ . علندى . هيولى . جعفر . صاحب . علابط . غبيراء . آدم . فرصاد . سِنِمَّار . غضنفر . جهينة . عرفات . مقعد . كَتَّان . مسبعة . زنجبيل. زبرج . قنديل . قسورة . هريرة . جلنار . عمران . بشرى . [2]

ومما وزنه على الفعل :

يأجج كيمنع ويضرب ع .

يحمد كيمنع وكيعلم آتى أعلم أبو قبيلة .

اليعضيد كيبرين بقلة .

تقيد كمضارع قيدت أرض حميضة .

أوهد كأحمد يوم الاثنين .

آبر كامل ة . تقتد كتنصر ة بالحجاز .

أحمد بن عبيد بن الفضل بن سهل بن بِيرِي كسيرِي أمْراً من سار محدث . عمرو بن تِيرِي كسِيرِي أمْراً من سار شيخ لابن المبارك [3] .

ومما وزنه على الحرف :

الحِجَا كإلى العقل والفطنة والمقدار .

مَتَّى كَحَتَّى أو متى مفكوكة أبو يونس النبي عليه السلام .

أَبَّى كَحَتَّى نهر بين الكوفة وقصر بني مقاتل ينسب إلى أَبَّى بن الصامغان من ملوك النبط . بَخْ كَقَدْ أي عظم الأمر وفخم تقال وحدها وتكرر بَخٍ بَخْ الأول منون والثاني مسكن .

---

(١)(١ ، ٢ ، ٣) أمثلة من القاموس .

٣ – **الحرف :**

وزن الفيروزابادي الحرف المراد ضبطه بحرف آخر يماثله في وزنه ، كقوله « رب كمد حرف خافض لا يقع إلا على نكرة » [١]

لكن هذا قليل .

الطريقة الثالثة : ضبط الكلمة بالوزن والحركة معاً :

جمع الفيروزابادي في ضبط الكلمة الواحدة بين الطريقتين السابقتين ، فنص على الحركة والوزن معاً ، وليس لدينا تعليل لهذه الظاهرة إلا أنها مزيد احتياط في ضبط الكلمات ، لأَنَّ المثالَ قد يكون مجهول الضبط عند بعض القراء ، أو مضبوطاً عندهم على وجه يخالف الصواب ، فيذكر الحركة معه ، ليكون ذلك أَوْفَى بتحقيق المرادِ ، ومن ذلك قوله :

« المُلَوْلَبُ بفتح لاَمَيْهِ عَلَى مُفَوْعَلِ الْمِرْوَدُ »

« إِمِّدَانٌ بكسر الهمزةِ والميمِ المُشَدَّدَةِ كَإِفْعِلاَنٍ ع » .

« وَجَدَ المَطْلوبَ كَوَعَدَ وَوَرِمَ يَجِدُهُ وَيَجُدُهُ بِضَمِّ الجِيمِ وَلاَ نَظِيرَ لَهَا ... »

وقد رأينا أشباهاً من هذه الطريقة في البارع لأبي علي القالي حرصاً منه على إبعاد كتابه من التصحيف .

الميزان :

الميزان كما عرفنا ـ ما استعان به الفيروزابادي من الكلم الشهير في ضبط ما يريد من غيره ضبطاً شاملاً جميع حروفه ، لتصح الكلمات على اللسان ويسهل نطقها دون اشتباه .

ويبدو أنه كان يذهب في اختيار ميزانه مذاهب متباينة لم تكن تخلو من حكمة في كل حال غالباً :

---

(١) من القاموس .

١ — وزن واحد :

ذلك أنه كان أحياناً يعين الوزن الذي اختصت به الكلمة الموزونة في صراحة ، ويذكر بعدها ما يفيد أنه لا يعدوها إلى غيرها حتى لا يتبادر إلى الذهن جواز ذلك ، كما فعل في قوله :

الضَّهْيَدُ الصُّلْبُ الشَّدِيدُ وَلاَ فَعْيَلَ سِواهُ .
الْآنُكُ بِالْمَدِّ وَضَمِّ النُّونِ وليسَ أَفْعُلٌ غَيْرَهَا .
الْمَأْلُكُ بِضَمِّ اللامِ ولا مَفْعُلَ غَيْرُهُ الرِّسَالَةُ قِيلَ الْمَلَكُ مُشْتَقٌّ مِنْهُ » .

٢ — تعدد الموازين :

وليس بِخَافٍ أَنه كان يزن الكلمة أَحياناً بأَكثر من ميزان واحد سواء أكانت فعلاً أم اسماً وذلك أنه كان يجمع الموازين ليبين درجاتها في الشهرة فيذكرها مقدماً المشهور الفصيح منها في الغالب أَوَّلاً ثم يتبعه ثانياً باللغات الزائدة ، إن كان في الكلمة لغتان أو أَكثر [١] كما في قوله :

« الذُّرَّاحُ كَزُنَّارٍ وقُدُّوسٍ وَسِكِّينٍ وَسَفُّودٍ وصَبُورٍ و غُرَابٍ وَسُكَّرٍ وكَنِيسَةٍ... دُوَيْبَةٌ حَمْرَاءُ مُنَقَّطَةٌ بِسَوَادٍ تَطِيرُ وهي مِنَ السُّمومِ »
« ذَؤُبَ كَكَرُمَ وفَرِحَ خَبُثَ وصَارَ كَالذِّئْبِ » .

٣ — موازين على سبيل الحصر :

وربما ذكر للكلمة الواحدة أَوزاناً على سبيل الحصر ، أي حصر ما ورد لها في اللغة من نظائر ، كما في قوله :

الْإِمِّدَانُ كَإِسْحِمَانٍ وإِضْحِيَانٍ ع والماءُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَمَا لَهَا رَابعٌ (مادة الأمد) . بِجِدٌّ كَجِلِّقٍ وَحِمِّصٍ وَحِلِّزٍ ع وَمَالَهُنَّ خَامِسٌ (مادة بجد) .

---

(١) ديباجة القاموس ص ٩ .

٤ – معنى الكلمة مع بعض الموازين :

ومن المشاهد أن المؤلف حين يحصي للكلمة أوزانها يذكر لها معناها الشائع معها جميعاً ،ثم يعود إلى سرد كل معنى تنفرد به مع بعض الأوزان دون بعضها الآخر إن كانت كذلك ،كما في قوله :

القُنْرُدُ كَبُرْقُعٍ وَزِبْرِجٍ وَجَعْفَرٍ وَعُلاَبِطٍ قُمَاشُ البيتِ ، وَكَجَعْفَرٍ وَعُلَبِطٍ وَعُلاَبِطٍ الرَّجُلُ الكَثِيرُ الغَنَمِ والسِّخَالِ ، أَوْ كَثِيرُ قُمَاشِ البيتِ كَالْمُقَنْرِدِ فِيهِمَا ، وَكَزِبْرِجٍ الْغُثَاءُ اليَابِسُ في أَصْلِ الكَرْمِ والْكَثْرَةُ مِنَ النَّاسِ ، وَكَسَفَارِجٍ ذَلاَذِلُ[1] الْقَمِيصِ وَنَحْوُهَا ، وكَجَعْفَرٍ قِطَعُ الصُّوفِ وَمَا لاَ يُحْمَلُ مِنَ المَتَاعِ عِنْدَ الرَّحِيلِ .

٥ – المراد بوزنين متحدين :

إذا جاء الفيروزابادي للكلمة بوزنين متحدين في اللفظ فإنه يرمي بهما إلى غرضين متباينين ، كأَنْ يزنها بزُفَر وصُرَد ، وكلاهما مشهور بضم أوله وفتح ثانيه ، فيظهر أنه تكرار .

لكنه في الواقع قصد بهما إلى غرضين هامين : ذلك أنه يشير بالوزن الأول إلى أنه علم فيعتبر فيه المنع من الصرف كزفر الذي هو علم ، وبالثاني إلى أنه جنس لم يقصد منه تعريف فيكون نكرة فيصرف كصرد .

ويذهب هذا المذهب حين يزن بسحاب وقطام وثمان ، ونحوها ، كما هو ظاهر[2].

---

(١) أسافل القميص الطويل (قاموس)   (٢) ديباجة القاموس ص ٩ .

الفصل الثالث

الأعلام

لقد أكثر القاموس المحيط من ذكر أَعلام الأَناسي والبُلْدَان والبقاع ونحوها إكثاراً لم يسبق له مثيل ، وحشد منها في أغلب مواده ما لو قارنه باحث مدقق بما جمعت كل معاجم اللغة ما وجدها تبلغ عشر ما حشد .

والحق أنه امتاز بهذا دون غيره .

نعم ، سَلَكَ هذا المسلكَ قبله ، المحكمُ والعبابُ والصحاحُ وغيرُها ، لكنها في ذلك قصيرةُ الباع ، ضئيلةُ المحصول ، لم تحفل بالأعلام احتفاله ، ولم تَجْمَعْ منها قَدْرَ ما جمع .

على أَنَّهَا هي التي وضعت للفيروزابادي الأَساس ، ورسمت الطريق التي سار فيها حتى أحصى في مواده من تلك الأعلام عدداً كبيراً ذاكراً كل علم في مادته ، معرفاً به في الغالب تعريفاً موجزاً .

ويظهر أن الذي حمل الفيروزابادي على القيام بهذا العمل الجليل إنما هو وازع ديني قوي ملأ قلبه ، وجعله حريصاً على التحدث عن الأَعلام التي عن أكثر أشخاصها ، أُخِذَ علمُ القرآن والحديث ، وبعلمهم كَمُلَ الدين الحنيف ، وباستنباطهم عُرِفَ الحلال من الحرام .

على أَنَّهُ ذهب إلى أنَّ الذين لهم مثل هذا الشأن من الخطورة جديرون بأَنْ تُذْكَرَ أَعْلاَمُهُمْ في معجم اللغة مضبوطة ، وأَنْ توضع في مادتها مع ما يوضحها ،

وأَنْ تُنْتَشَرَ بين القراء صحيحةَ النطق ، سليمةَ الذكر واضحةَ الدلالة .

كذلك كان نزاعاً إلى ذكر أسماء الأماكن والبُلْدَان التي ذاعت في الثقافة العربية بوجه عام ، على نحو ما وضح به أسماء الإنسان .

وإذا كان كُلُّ عِلْمٍ مفتقراً إلى اللغة في سلامة نطق الكلمات ، وصحة ضبطها ، وبيان مفهومها ، فَإِنَّ الأعلامَ أَشدُّ افتقاراً إليها في ضبطها والتعريف بها في المعاجم ، لما لها من ذيوع على الألسن في الحياة الأدبية والعلمية ، وفي المناسبات ، سواء في ذلك أعلام الأُناسي وأسماء الأماكن والبلدان والبقاع وغيرها .

وقد وجه الفيروزابادي لهذا الأمر عنايته ، وضمن مواد القاموس المحيط ، ما استطاع من أعلام ، زَيَّنَهَا ضَبْطُهُ ، وجَلاَّهَا صَقْلُهُ فَأَسْدَى بذلك لطالبي المعرفة أجل مكرمة .

أنواعها :

من الميسور أن نُقَسِّمَ الأعلام التي احتواها القاموس إلى الطوائف التالية :

١ — أسماء الأناسي .
٢ — » البقاع والبلدان .
٣ — » النبات والأشجار .
٤ — » الأدوية والأدواء .
٥ — » متنوعة غير ذلك .

ونبسط الحديث عن كل منها فيما يلي :

١ — أسماء الأناسي :

أسماء الأناسي التي تحدث الفيروزابادي عنها في القاموس المحيط نوعان : أعلام الرجال وأعلام النساء .

أ - اعلام الرجال :

لقد بذل الفيروزابادي جهده في جمع أعلام الرجال بكثرة ظاهرة حتى إذا ما أمعنا النظر في معجمه ، رأينا آلافاً من أسماء الرسل والأنبياء ، والصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين والمحدثين والمفسرين ، والفقهاء والمتكلمين ، والحفاظ والزهاد والشعراء والأدباء والكتاب ، والخلفاء والملوك والأقيال والحكام والرؤساء والأبطال ، والأطباء والمجبرين ، والتجار والمغنين والكرماء والصالحين والموالي ، وآباء بعض الرجال وأجدادهم وبطون العرب وقبائلها ، والشعوب والأجيال واللصوص ، حيث يقول : إن آدم أبو البشر ، ومعد بن عدنان أبو العرب ، ويعرب بن قحطان أبو اليمن وأول من تكلم بالعربية ، والحاشر اسم للنبي صلى الله عليه وسلم ، والذبيح اسماعيل ، وتارح كآدم أبو إبراهيم الخليل ، وقزح اسم ملك موكل بالسحاب. وعاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، ويَبْحَر ابن عامر ، وبِرْح كهند بن عُسْكُر كبرقع صحابيون ، وابن أبي هريرة ، وبيرح بن أسد ، وكابس بن ربيعة تابعيون وعرابي بن معاوية بن عرابي ، وعبد الله بن خُلَّج كدمل ، ونصر بن سيار بن رافع بن حرّيّ من أتباع التابعين ، وابن زَبَنَّج كسَفَنَّج راوية ابن هرمة ، وعبد الحميد بن كرديد محدث ثقة ومنصور بن ذاذان محدث كبير ، وبُجْبُج بن خُدَاش محدث مغربي ، وإسماعيل ابن إبراهيم بن حنزة كسُكَّرة محدث صنعاني ، وسعد بن شراج ككتاب محدث مقرىء فرد ، وابن بَرَّجَان كَهَيَّبَان مفسر صوفي ، والإمام أبا بكر محمد ابن عمر الصِّيفي المُفَسِّر مصنف كتاب التلخيص في اللغة ، ومحمد بن شجاع الثلجي فقيه مبتدع ، وشمس الدين الحضائري فقيه بغدادي ، وعمرو بن عثمان ابن كُرَب كزُفَر متكلم مكي م ، ومحمود بن علي الْحُمُّضيّ بضمتين مشددة متكلم شيخ للفخر الرازي ، وضُبَارة بن السُلَيْك من الثقات ، وأحمد بن محمد بن مُفَرِّح النباتي الزهري حافظ ، ومحمد بن يعقوب الفَرَجَى محركة زاهد مشهور ، ونَسْتَر كجعفر زاهد فارسي مجوسي كان في زمن كسرى أنوشروان والأُشتر كمقعد مالك بن الحرث النخعي شاعر تابعي ، والشنفرى الأزدي شاعر عداء ومنه أعدى من الشنفرى ، وابن لسان الحُمَّرة كسُكَّرة خطيب بليغ

نسابة اسمه عبد الله بن حُصَين أو ورقاء بن الأشعر ، ولغدة بالضم أديب نحوي أصبهاني ، وسيبويه عمرو بن عثمان الشيرازي إمام النحاة ، والعباس بن أبي مَوَّاس ، ككتّان كاتب متقن ، وأبا طاهر بن سوار مقرئ ، وعبد الله بن محمد أول خلفاء بني العباس ، وجُلَنْدَاء بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ، قال الأعشى :

وجُلَنْدَاءَ في عُمَانَ مُقيماً ثُمَّ قَيْساً في حَضْرَمَوْتَ المُنِيفِ

وطالوت ملك أعجمي ، وقباذ كغراب أبو كسرى ، وذي مَعَدِيِّ بن بريم قيل ، ويعمر السدَّاخ أحد حكامهم ، وربيعة بن حذار الأسدي حاكم العرب ، والموبذان حاكم المجوس ، وعمرو بن خنثر من أبطال الجاهلية جد أم المؤمنين خديجة لأمها ، والحرث بن كلدة طبيب للعرب ، ورَدَّاد اسم مُجَبِّرٍ م ينسب إليه فيقال لكل مجبر رَدَّادي ، وابن جردة كان من متمولي بغداد تاجر ، وأبا البُدَيْح كزُبَيْر مغن كان إذا غنى قطع غناء غيره لحسن صوته ، وممدود بن عبد الله الواسطي الربابي يضرب به المثل في معرفة الموسيقى بالرباب ، وعرابة بن أوس بن قيظي كريم م ، وربيعة بن حذار كغراب جواد م ، والحجاري المحدث العابد من أرباب الكرامات ، وأبا ثراد عوذ بن غالب المصري من الصالحين ، وثوبان بن بُجْدُد كقُعْدُدٍ مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، وابن يربوع جد لعمر بن الخطاب ، والجُنَيْد كزبير لقب أبي القاسم سعيد بن عبيد سلطان الطائفة الصوفية ، والْبُغْبُور بالضم لقب ملك الصين وبرة بن رئاب والد أم المؤمنين زينب ، وكنانة وثمود وهمدان قبائل ، والزنج والهند والتتر أجيال وأجناس ، وبُرْحَان كعُثْمَان لص م ، وشِظَاظ ككِتَاب لص ضبي م ومنه أسرق من شظاظ ، وعاصم بن أبي النجود بن بهدلة وهي أمه قارئ ، وشمر بن حمدويه لغوي ، وابن معبد بن أسد من العمالقة أكذب أهل زمانه ، ولا تكن أشعب فتتعب هو طَمَّاعٌ م ، وساتور أحد السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام . إلى غير ذلك من النصوص التي تحتوي على كثير من مثل هذه الأسماء .

ب – أعلام النساء :

أنصف القاموس المحيط المرأة العربية ، ووضعها في الحياة وضعاً كريماً ،

واعتبرها نصفاً يكمل الرجل ، يتحدث عنها ، إذا ما تحدث عنه ، ويذكر أسماء الشهيرات ، كما يذكر أسماء المشهورين ، ويكشف عما لها من فضل وأثر ، كَشْفَهُ عما للرجل منهما ، فَأَحْصَى من مرآت الجاهلية والإسلام مَنْ كُنَّ لهذه العصور فخراً ، ومنهن صحابيات وتابعيات ومحدثات وفقيهات وشاعرات وراويات ومجاهدات وأمهات فاضلات وزوجات عفيفات وزاهدات ومغنِّيات. وذلك حيث يقول :

إن آجر أم إسماعيل عليه السلام ، وبرة عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وزليخاء صاحبة يوسف عليه السلام ، وجمرة بنت أبي قحافة صحابية ، وفاختة بنت أبي طالب وبنت عمرو وبنت الوليد صحابيات ، وبثينة بنت حنظلة الأسلمية تابعية ، وجسرة بنت دجاجة محدثة ، وستيتة جماعات محدثات ، وجبرة بنت محمد بن ثابت مشهورة وبنت أبي ضَيْغَم البَلَوِيَّة شاعرة تابعية ، وحبيبة بنت عبد العُزَّى بن حُذَار شاعرة ، وأم يزيد القُحَادِيَّة واحدة من فارسات بني يربوع ، والزباء ملكة الجزيرة وتعد من ملوك الطوائف ، وأم سرياح امرأة دُرَّاح بن زرعة الضبابي أمير مكة ، والمتجردة اسم امرأة للنعمان بن المنذر ، والجرادتين مغنيتان كانتا بمكة أو للنعمان ، وحمدونة كزيتونة بنت الرشيد ، ووردة أم طرفة الشاعر ، وأم الْجُسَيْر كزبير أخت بثينة صاحبة جميل ، والصيداء امرأة شبب بها ذو الرمة ، وتدمر كتنصر بنت حسان بن أذينة بها سميت مدينتها ، والزبراء جارية سليطة للأحنف بن قيس .

على أنه قد ذكر أسماء لنساء اشتهرن بشهرة ما ، ولو كانت هذه الشهرة تشعر بالذم ، حيث يقول :

شراحة كسراقة ، هَمْدَانِيَّة أُقرت بالزنا عند علي رضي الله عنه . مارخة امرأة كانت تتخفر ثم وجدوها تنبش قبراً فقيل هذا حياء مارخة .

رَيْطَة بنت سعد وكانت تلقب بالجِعِرَّانة ، وهي المرادة ، في قوله تعالى : « كالتي نقضت غزلها »

زنيرة كسكينة مملوكة رومية صحابية كانت تُعَذَّبُ في الله فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها .

صُحْرُ ويُصْرَفُ أُخْتُ لُقْمَانَ عُوقِبَتْ على الإحْسَانِ فَقِيلَ مَا لِي إلاَّ ذَنْبُ صُحْرٍ .

٢ – أسماء الأماكن والبقاع :

جمع الفيروزابادي من أسماء الأماكن والبلدان والبقاع والمحال والجبال والأودية والممالك والبحار والأنهار ونحو ذلك عدداً غير قليل ، ووضعه في القاموس المحيط وضعاً لغوياً محكماً ، فذكر كل اسم في مادته ، ناصاً على حركاته ، مجنباً إياه عوارض الشبه ، موضحاً اشتقاقه إن كان عربياً ، ومعناه إن كان عجمياً ، ما استطاع لذلك سبيلا .

وكثير من الأماكن التي ذكرها مواقيت للحجاج والزائرين ، ومعالم للصحابة والتابعين ، ومشاهد للأولياء والصالحين ، ومواطن غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفتوح الأئمة من الخلفاء الراشدين .

ومن الواضح ، أن ضبط أسماء الأماكن والبلدان ونحوهما أمر لا بد منه للدارسين ، وقد أسهم الفيروزابادي بقسط كبير في إعْلاَمهم ، بما عرف من هذه الأسماء ، صحيحة مضبوطة على نسق يعين على البحث في اللغة والأدب والعلوم والفنون وغيرها .

والذي أرجحه أنه اعتمد في ذلك على أوثق المصادر ، وأصح الأخبار ، ومشاهداته في الأسفار ، وما أثر عن الأئمة الذين ذكروا الأماكن والمنازل كالأصمعي والسيرافي والزمخشري وابن جني وابن خلكان وغيرهم .

ومما نجده في القاموس من هذه الأعلام ، أن حومانة الدراج ع ، وطنجة د بشاطئ المغرب ، ونَكِيدَى مدينة أبقراط الحكيم بالروم ، والمليج ة بريف مصر ، ورشيد ة قرب الإسكندرية ، والسعيدة بيت كانت تحجه العرب بأُحُد ، ورحرحان جبل قرب عكاظ ، وأم أوعال هضبة م ، وصرواح حصن بناه الجن لبلقيس ، والأبلق حصن بتيماء ... وذا السرح واد بين الحرمين ، وبَرَدَى نهر بدمشق .

٣ – أسماء النبات والأشجار :

اعتنى الفيروزابادي بالأشجار والنبات فذكر لهما كثيراً من الأسماء والآكام والآجام واضحاً مضبوطاً في المواد المختلفة من القاموس مثال ذلك : اليعضيد بقلة ، والسَّعْتَر نبت م والدَّلْبُوت كقَرَبُوس نبات ، وذات النِّطَاق أكمة م لبني كلاب ، وخيار شنبر شجر م كثير باسكندرية ومصر .

٤ – أسماء الأدوية والأدواء :

وضع الفيروزابادي كذلك في القاموس كثيراً من أسماء الأمراض والأدوية والعقاقير واصفاً إياها ، موضحاً خواصها وآثارها ، كالرمداء ، وأشياف الأبَّار دواء للعين ، والبرنج كهرقل دواء م ، وغيرها مما سنوضحه في موضعه من هذا الكتاب[١] .

٥ – أسماء متنوعة غير ذلك :

في القاموس غَيْرَ ما سبق من أسماء الإنسان والأماكن والبلدان والبقاع والنبات والأشجار والأدوية والعقاقير أعلام شتى لأسماء السيوف والأفراس ، والوحوش والأطيار ، والشهور والأيام ، والمواقع والغزوات ، والمواسم والأعياد ، والطعام والقصور ، والنياق والفحول ، والمقابر والأسواق والنجوم وغيرها ، ومن ذلك : السُّبْحَة فرس للنبي صلى الله عليه وسلم ، والوشاح سيف عمر بن الخطاب ، وذو القعدة شهر ، ويوم الكديد م ، والدِّنْج عيد النصارى ، والعصيدة طعام ، والصرح قصر لبختنصر ، والعوهج فحل ، وصيدح ناقة لذي الرُّمَّة ، وبقيع الفرقد مقبرة المدينة على ساكنها الصلاة والسلام لأنه كان منبتها ، والسَّرْفَح شيطان ، والشطرنج لعبة ، والدرداء كتيبة ، وصبحة قلعة بديار بكر ، ونحو ذلك .

---

(١) ص ٢٤٣ .

منهجه في الأعلام :

سلك الفيروزابادي في ذكر الأعلام بالقاموس المحيط طريقة لم يسبقه إليها معجم لغوي آخر ، وتتضح هذه الطريقة فيما يلي :

١ - أنه يذكر أعلام الأناسي متبوعة بنبذة قصيرة توضحها للقراء ، وتعين شهرتها ، ما أمكن ، سواء كانت تلك الشهرة في الدين أو اللغة أو الطب أو السياسة أو الفروسة أو غيرها ، مثل ذلك :

أبو قابوس النعمان بن المنذر ملك العرب .
شُنْقُرُ الأشقر كقنفذ تسلطن بدمشق .

الأساورة قوم من العجم نزلوا بالبصرة كالأحامرة بالكوفة ، وذو الأسوار ملك باليمن كان مُسَوَّراً فأغار عليهم ثم انتهى بجمعه إلى كهف فتبعه بنو معد فَجَعَلَ مُنَبِّهٌ يُدَخِّنُ عليهم حتى هلكوا فسمِّي دخاناً .
جنادح بن ميمون صحابي شهد فتح مصر .

السِّنِمَّارُ بكسر السين والنون وشد الميم إسكاف بنى قَصْراً للنعمان ابن امرئ القيس فلما فَرَغ أَلْقَاهُ من أعلاه لئلا يبني لغيره مثلَه ، أو غُلاَمٌ لأُحَيْحَةَ بَنَى أُطُمَهُ فلما فَرَغَ قال له : لقد أحكمتَهُ، قال : إني لأعرفُ حَجَراً لو نُزِعَ لَتَقَوَّضَ من عنده آخِرُهُ ، فسأله عن الحجرِ فأراه مَوْضِعَهُ ، فَدَفَعَهُ أُحَيْحَةُ من الأُطُمِ فَخَرَّ ميتاً ، فضرب به المثل لِمَنْ يَجْزِي الإحسانَ بالإساءة .

ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب قاتل يوم مؤتة حتى قُطِعَتْ يداه ، فَقُتِلَ ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ قد أَبْدَلَهُ بيدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطيرُ بهما في الجنةِ حيثُ يشاء .

عمر بن أحمد بن خُرْجَة بالضم محدث .
أبو عُقَاب كَغُرَاب تابعي ، وابن عُقَاب الشاعر جعفر بن عبد الله .
عُكَابَة كدُخَانَة ابنُ صعبٍ أبو حي من بكر .
إياس بن الأرت كريم شاعر . عبد الله بن رواحة صحابي .

٢ – أنه يتحدث عن الأماكن والبلدان والقرى والبقاع ونحوها حديثاً يبين شهرتها التاريخية أو الجغرافية ، ويشير إلى مكانتها الاجتماعية ، غالباً ، كما نرى في مثل ما يلي :

الشَّعْرَان بالفتح جبل قرب الموصل من أعمر الجبال بالفواكه والطيور .

زمخشر كسفرجل ة بنواحي خوارزم اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل زمخشر والرَّدَّاد فقال : لا خير في شر ورد ولم يلم بها ، منها جار الله أبو القاسم محمود بن عمر وفيه يقول أمير مكة علي بن عيسى بن وَهَّاسٍ الحَسَنِيّ :

جَمِيعُ قُرَى الدُّنْيَا سوَى القَرْيَةِ التي ... تَبَوَّأهَا دَاراً فِدَاءُ زَمَخْشَـرَا
وأحْرِ بِأَنْ تُزْهَى زَمَخْشَرُ بِامْرِئٍ ... إِذَا عُدَّ في أُسْدِ الشَّرَى زَمَخَ الشَّرَا

حَنْدُجٌ كَقُنْفُذٍ اسْمٌ وَرَمْلَةٌ طَيِّبَةٌ تُنْبِتُ أَلْوَاناً .

٣ – أنه يُمْعِنُ في التحدث عن الأعلام ، فيذكر ما اختصت به في أية ناحية ، أو يبين الداعي إلى تسميةِ المُسَمَّى باسمه ، كما في هذه الأمثلة :

أَبُو سَيَّارَةَ عُمَيْلَةُ بن خالد العَدَوَانِيُّ كان له حمارٌ أسودُ أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى مِنىً أربعين سنة ، وكان يقول : أَشْرِقْ ثَبِيرُ كيما نُغير ، أي كي نُسرع إلى النحر فقيل أصحُّ من عَيْرِ أبي سَيَّارَةَ .

زلنبور أحد أولاد ابليس الخمسة الذين فسروا بهمقَوْلَهُ تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء » ، وعمله أن يُفَرِّقَ بين الرجل وأهله ويُبَصِّرَ الرجلَ بعيوب أهله .

سُرَّ مَنْ رَأَى د لما شرع في بنائه المعتصم ثقل ذلك على عسكره فلما انتقل بهم إليها سُرَّ كل منهم برؤيتها فلزمها هذا الاسم والنسبة سُرَّ مَرِّيٌّ وسُرِّيٌّ .

ذو الأَذْعَار تُبَّعٌ لأنه سَبَى قوماً وحشة الأشكال فذعر منهم الناس أو لأنه حملَ النَّسْنَاسَ إلى اليمن فذعروا منه وتفرقوا ذعارير كشعارير .

٤ – أنه يدخل في المادة الواحدة أحياناً ، أعلاماً تتفق في شهرة واحدة أو تشترك في التسمية ، كما فعل في الدارات ، والزبير وزَوْبَر ، وشَبْرَى ، والإسكندرية ، والجزيرة ، وطرفة حيث يقول :

وَدَارَاتُ ٱلْعَرَبِ تُنيفُ عَلَى مائةٍ وعَشْرٍ لم تَجْتَمِعْ لغيري مع بَحْثِهِمْ وَتَنْقيرِهِمْ عنها ولله الحمد وأنا أَذْكُرُ ما أُضِيفَ إليهِ الدَّاراتُ مُرَتَّبَةً على الحروفِ وهي: دَارَةُ الآرامِ وأَبْرَقَ وأُحُدٍ والأَرْحامِ والأَسْواطِ والإِكْلِيلِ والأَكوارِ وأَهْوَى وباسِلٍ وبُحْتُرَوَبَدْوَتَيْنِ والبيضاءِ والتُّلَّى وتِيلٍ والثَّلْمَاءِ والجَأْبِ والْجَثُومِ وجُدَّى وجُلْجُلٍ والْجَلْعَبِ والْجُمُدِ وجَوْدَاتٍ والجَوْلاَءِ وجَوْلَةَ وجُهْدٍ وجَيْفُونٍ وحُلْحُلٍ ولَيْسَ بتَصْحيفِ جُلْجُلٍ وحَوْق والخَرْجِ والخَلاَءَةِ والخَنَازِيرِ وَخَنْزَرٍ والخَزْرَتَيْنِ [1] والخِنْزِيرَيْنِ وَخَوٍّ وَدَائِرٍ وَدَمْخٍ وَدَمُّونٍ والدُّورِ والذِّئْبِ والذُّوَيْبِ وَذَاتِ عُرْشٍ وَرَابِغٍ والرَّجْلَيْنِ [2] والرَّدْمِ وَرَدْهَةَ وَرَفْرَفٍ بمهملتين مفتوحتين أو بمعجمتين مضمومتين وَالرُّمْحِ وَالرِّمْرِمِ وَرَهْبَى والرُّهَى وَسَعْرٍ ويكسرُ وَالسَّلَمِ وَشُبَيْتٍ وشَجَا بالجيم كَقَفَا وَلَيْسَ بتَصْحِيفِ وُشْحَى وَصَارَةَ والصفائِحِ وَصُلْصُلٍ وَصَنْدَلٍ وَعَبْسٍ وَعَسْعَسٍ وَالْعَلْيَاءِ وَعُوَارِضٍ وَعُوَارِمٍ وَالعُوجِ وَعُوَيْجٍ والغُبَيْرِ والْغُزَيِّلِ وَالغُمَيْرِ وَفَتْكٍ وَالفُرُوعِ وَفَرْوَعٍ كَجَرْوَلٍ وهي غَيْرُ دَارَةِ الفُرُوعِ والقِدَاحِ كَكِتَابٍ وَكُتَّانٍ وَقُرْحٍ وَالْقُطْقِطِ [3] وَالْقَلْتَيْنِ وَالْقِنْعْبَةِ وَالْقَمُوصِ وَقَوٍّ وَكَامِسٍ وَكِبْدٍ وَالْكَبْسَاتِ والكَوْرِ وَالْكُورِ وهي غيرُ الأُولَى وَلاَقِط وَمَأْسَلٍ وَمُتَالِعٍ وَالْمُثَامِنِ وَمِحْصَنٍ والْمَرَاضِ وَالْمَرْدَمَةِ وَالْمَرْوَرَاتِ وَالْمَرَوْرَاتِ وَمَعْرُوفٍ وَمُعَيْطٍ وَالْمَكَامِنِ وَمَكْمَنٍ وَمَلْحُوبٍ وَالْمَلِكَةِ وَمَنْوَرٍ وَمَوَاضِيعَ وَمَوْضوعٍ وَالنَّتَّاشِ وَالنِّصَابِ وَواحِدٍ وَوَاسِطٍ وَوَسْطٍ وَيُحَرِّكُ وَوَشَحَى وَيَضُمٌ وَهَضْبٍ وَالْيَعْضِيدِ وَيَمْغُونٍ أَوْ يَمْعُونٍ .

الزُّبَيْرُ بضم الزاي وفتح الباء ابنُ العَوَّامِ وابنُ عبدِ اللهِ وابنُ عُبَيْدَةَ وابنُ أبِي هَالَةَ صحابيُّونَ .

---

(١) والخَنْزَرَتَيْنِ . (٢) والرِّجْلَيْنِ (٣) بكسرتين وبضمتين .

وَزَوْبَرُ فَرَسُ مُطَيْرِ بنِ الْأَشْيَمِ وَفَرَسُ الجُمَيْحِ بنِ مُنْقِذِ بنِ الطَّمَّاحِ وفرسُ أخيهِ عُرْفُطَةَ .

طَرَفَة : الطَّرْفَاءُ شَجَرٌ وهي أرْبَعَةُ أَصْنَافٍ مِنْهَا الْأَثْلُ الْوَاحِدَةُ طَرْفَاءَةٌ وَطَرَفَةٌ مُحَرَّكَةً ، وبها لُقِّبَ طَرَفَةُ بنُ الْعَبْدِ واسْمُهُ عَمْرٌو أَوْ لُقِّبَ بِقَوْلِهِ :

لاَ تُعْجِلاَ بِالْبُكَاءِ الْيَوْمَ مُطَّرِفاً وَلاَ أَمِيرَيْكُمَا بِالدَّارِ إِذْ وَقَفَا

وَفِي الشُّعَرَاءِ طَرَفَةُ الخُزَيْمِيُّ مِنْ بَنِي خُزَيْمَةَ بْن رَوَاحَةَ ، وطَرَفَةُ العَامِرِيُّ من بني عَامِرِ بن رَبِيعَةَ ، وطَرَفَةُ بْنُ أَلآءَةَ بْن نَضْلَةَ الفَلَتَانِ بنِ المنذرِ وطَرَفَةُ ابنُ عَرْفَجَةَ الصَّحَابِيُّ ...

٥ – أنه يضيف إلى العَلَمِ ما يتصل به من معتقدات العرب ، وما يدور حوله من عادات وتقاليد ، مثال ذلك :

سورين نهر بالريّ وأَهلُها يَتَطَيَّرُونَ منه لأن السيف الذي قُتِلَ به يحيى بن زيد بن علي بن الحسين غُسِلَ فيه .

دُنْبَاوَنْدُ بِالضَّمِّ جَبَلٌ بِكِرْمَانَ والعامة تقول دَمَاوِنْدُ ، وجبلٌ شاهِقٌ بنواحي الرَّيِّ الذي غَرَّبَ إِليهِ عُثْمانُ أبا الحُنْكَةِ لِمُعَانَاةِ النِّيرَنْجِ (هو نوع من السحر) .

ويظهر أَنَّ كثيراً من الأقدمين كان لهم في بعض الأعلام عقيدة خاصة ، كالوارد منها في النص الآتي الذي يقول فيه الفيروزابادي : الْمُسَرْهَدُ السمينُ مِنَ الْأَسْنِمَةِ وَمُسَدَّدٌ كمُعَظَّمٍ ابْنُ مُسَرْهَدِ بْنِ مُجَرْهَدِ بْنِ مُسَرْبَلِ بْنِ مُغَرْبَلِ ابنِ مُرَعْبَلِ بْنِ مُطَرْبَلِ بْنِ أَرَنْدَلِ ابْنِ سَرَنْدَلِ بْنِ عَرَنْدَلِ بْنِ مَاسِكِ ابْنِ الْمُسْتَوْرِدِ الأَسَدِيُّ مُحَدِّثٌ .

وقد وضح ذلك السيد مرتضى الزبيدي ، حيث يقول : قال شيخنا : صرح جماعة من شراح الصحيحين وغيرهما من أرباب الطبقات بأن هذه الأسماء إذا كُتِبَتْ وعُلِّقَتْ على محموم كانت من أَنْفَعِ الرقى وجُرِّبَتْ فكانت كذلك .

٦ – أنه يعرض الأعلام في سياق الكلام عرضاً أدبياً طريفاً ، يذكرها وقد نسق حولها أزاهير من قصص طريف أو حديث ممتع جميل ، ويسوقها في أسلوب رائع حَلَّتْهُ قلائد الشعر ، وزَيَّنَتْهُ حقائق التاريخ ، ونعرض من ذلك على سبيل التمثيل القصتين التاليتين :

الأولى : قصة ذي الأنف :

قال الفيروزابادي (مادة الأنف) : وذُو الأنفِ النُّعْمَانُ ابنُ عَبْدِ اللهِ قَائِدُ خَيْلِ خَثْعَمَ يَوْمَ الطَّائِفِ ، وَأَنْفُ النَّاقَةِ لَقَبُ جَعْفَرِ بن قُرَيْعٍ أَبُو بَطْنٍ من سَعْدِ ابن زَيْدِ مَنَاةَ لأَنَّ أَبَاهُ نَحَرَ جَزُوراً فَقَسَمَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَبَعَثَتْ جَعْفَراً أُمُّهُ فَأَتَاهُ وقَدْ قَسَمَ الجَزُورَ ولم يَبْقَ إلاَّ رَأْسُهَا وعُنُقُهَا فقالَ شأْنَكَ بِهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ في أَنْفِهَا وجعلَ يَجُرُّهَا فَلُقِّبَ بِهِ وكانوا يَغْضَبُونَ منه فلمَّا مَدَحَهُمْ الحطيئةُ بقوله :

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

صار اللقبُ مدحاً .

الثانية : قصة المُسَيَّبِ بن علس :

قال الفيروزابادي (مادة نيق) . النِّيقُ بالكسر أرْفَعُ مَوْضِعٍ في الجَبَلِ ج نِيَاقٌ وأَنْيَاقٌ ونُيُوقٌ وأنْشأَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ بَيْنَ يَدَيْ عَمْرِو بن هِنْدٍ :

وَقَدْ أَتَلاَفَى الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ ... بِنَاجٍ عَلَيهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مِكْدَمِ [١]

وطَرَفَةُ بنُ العبدِ حاضرٌ وهو غلامٌ فقال اسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ وذلك لأن الصَّيْعَرِيَّةَ من سِمَاتِ النُّوق دونَ الفُحُولِ فَغَضِبَ الْمُسَيَّبُ وقال لَيَقْتُلَنَّهُ لِسَانُهُ فكانَ كَمَا تَفَرَّسَ فيه ، يُضْرَبُ للرجلِ يكونُ في حديثٍ ثم يَخْلِطُهُ بِغَيْرِهِ ويَنْتَقِلُ إليه .

على هذا النحو الذي سبق ، أَذَاعَ الفيروزابادي الأَعلامَ الشهيرةَ في الثقافة العربية ذيوعاً له خطره ، وجعل القاموس المحيط منهلاً عذباً يجد فيه الباحثون ضالتهم ، ويعتمد عليه الدارسون في أداء رسالتهم .

---

(١) المراد بالصيعرية الناقة .

لذلك عَدَّهُ العلماء في مقدمة معاجم اللغة العربية ، وأوفاها حديثاً عن الأعلام على اختلاف أنواعها ، وبخاصة أسماء علماء الحديث في المشرق والمغرب .

وفي الحق ان هذا المعجم عرض الأعلام عرضاً كافياً كشف به عن الشخصيات البارزة ، وبين الأماكن والبلدان والمواضع والجبال والمياه والبقاع ونحوها بما يدعو إلى الافادة ويرشد إلى الحقيقة ، ويصل إلى الغرض المنشود .

وهذا أمر يحملنا على أن نعترف له بالفضل في هذا الميدان .

الفصل الرّابع

التعريب

أ – تمهيد في الدخيل وعلاماته ونوعيه وآراء العلماء في كل :

في القاموس المحيط كثير من الكلمات التي لم تنحدر من أصل عربي ، وإنما جاءت إلى اللغة العربية من لغات أخرى .

وقد سَلَكَ الفيروزابادي مَسْلَكاً خاصًّا في التنبيه على كل لفظ من هذا القبيل ، فأشار غالباً إلى المعرب منه وغير المعرب ، وإلى اللغة التي نقل منها ومعناه فيها ، إن أمكن .

ويجمل بنا ، أن نذكر كلمة عابرة عن الدخيل بمناسبة ما ورد منه بهذا المعجم ، علنا نجد فيها عوناً على إدراك منهج المؤلف في ايضاح هذا النوع من الكلمات .

الدخيل :

تكلمت العرب بشيء من الأعجمي [١] منذ أزمان سحيقة ، وهم يسمون كل ما

---

(١) ذكر السيوطي أن الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو درهم وبهرج ، وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو آجر وسنسبر ، وقسم تركوه غير مغير فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها وما ألحقوه بها عُدَّ منها ، مثال الأول خراسان لا يثبت فيه فعالان ومثال الثاني خرم ألحق بسلم وكركم ألحق بقمقم (المزهر ١ : ١٥٩) .

دخل لغتهم العربية من مفردات لغة أجنبية دخيلاً ، سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم ، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين .

واصطلح المحدثون على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري ، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، ويسمون هذه العصور (بعصور الاحتجاج) ، وهي العصور التي كان فيها اللسان العربي سليماً لم يُصِبْهُ بعدُ تبلبلٌ أعجمي ، ولا انحراف عن أوضاع اللغة الفصحى ، حيث يمكن المبالغة في الدقة والحرص على تحري وجوه الصدق واليقين [1] .

وكان علماء اللغة يأخذون عن قبائل قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون العبرية ولا من تغلب لمجاورتهم الروم ، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم لأهل الحبشة والهند ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن ألسنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهم بأمم كثيرة [2] .

علاماته :

وضع بعض الباحثين علامات عامة يتميز بها كثير من الكلمات الدخيلة منها :

١ – أن تكون الكلمة مخالفة للأوزان العربية : ابريسم ، خراسان ، آمين ، جبريل .

---

(١) فقه اللغة ص ١٧٤ . (٢) المزهر ١ : ١٢٨ « بتصرف » .

٢ – أو أن تكون فاؤها نوناً وعينها راء : نرجس ، نرد، نرجيل ، نورج .
٣ – أو أن تنتهي بدال فزاي : مهندز (قلبت زايه سيناً في تعريبها) .
٤ – أو أن تشتمل على الجيم والصاد : جص ، صنج ، صولجان .
٥ – أو على الجيم والقاف : المنجنيق ، الجوالق وهي وعاء ، الجردقة وهي اسم للرغيف ، الجرموق وهو ما يلبس فوق الخف ، الجوسق وهو القصر ، جلق وهو موضع بالشام ، والجلاهق البندق ، الجرامقة لقوم بالموصل ، وجلنبلق حكاية لصوت الباب الضخم ، الجوقة .
٦ – أو أن يجتمع بالكلمة طاء وجيم كطاجن ، أو سين وذال معجمة كساذج ، وسذاب اسم بقلة ، أو صاد وطاء كاصطبة وهي المشاقة معرب استبى وأهمله القاموس ، وأما الصراط فصاد بدل من السين وليستا لغتين كما ظُنَّ .
٧ – وأن تكون رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة التي يجمعها قولك (مر بنفل) : جوسق[1] .

نوعاه :

الدخيل نوعان : معرب ، ومولد .

١ – **المعرب** : ما استعمله العرب الفصحاء من كلمات دخيلة بعد صقلها باللسان العربي وإخضاعها لمقاييسه في عصور الاحتجاج .

ويسمى نقل اللفظ من العجمية إلى العربية على هذا النظام تَعْريباً ، وسماه سيبويه إِعْرَاباً ، فيقال حينئذ لَفْظٌ مُعَرَّبٌ ومُعْرَبٌ .

وقد يعرب لفظ ثم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعاً له ، كخرم اسم نبت يشبه به الشيب وهو سراج القطرب ، واستعماله بهذا المعنى مخصوص بالعربية ، وفي العرف جيل مخصوص .

واختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن الكريم ، فذهب فريق

---

(١) فقه اللغة ص ١٨٠ والمزهر جـ ١ ص ١٦٠ وما بعدها (بتصرف بالنسبة لعلامات الدخيل كلها .) .

على رأسه أبو عبيدة إلى أنه ليس في الكتاب العزيز لسان سوى العربية ومن زعم خلافه فقد أعظم على الله حجته ، قال تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » ، فليس فيه أعجمي ، وما ورد يخالف ذلك إنما هو من اتفاق اللغات ، أي أن العرب والفرس وغيرهم تكلموا بهذه الكلمات بلفظ واحد أو أنه علق بلسان العرب بعض ألفاظ من لغات أمم أخرى بسبب المخالطة فصقلت ووردت في الشعر والمحاورات وجرت مجرى العربي الفصيح حتى نزل بها القرآن المجيد ، أو أن هذه الألفاظ عربية محضة ، ولكن أكابر رجال اللغة لم يحيطوا بها خبراً لعظم اتساع العربية .

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في أحرف كثيرة أنها غير عربية كسجيل ومشكاة وأباريق واستبرق ويم وطور ، وهم أعلم بالتأويل من أبي عبيدة .

وأجابوا عن قوله تعالى : « قرآناً عربياً » بأن الكلمات القليلة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، والقرآن الكريم حوى علوم الأولين والآخرين ، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب .

وجمع أبو منصور الجواليقي صاحب المعرب بين القولين فقد رأى أن الألفاظ أعجمية بحسب الأصل ، ولكنها لما عربت صارت من اللسان العربي ، فهي أعجمية أصلاً عربية حالاً .[1]

وَرَأْيُ أبي منصور (في نظري) أعدلُ الآراء ، فالمعرب وارد في القرآن ، كما ورد في أحاديث الرسول عليه السلام ، والشعر القديم وكلام من يوثق بعربيته .

والكلمات المعربة لا تعدو نحو ألف كلمة[2] ، كما هو ظاهر مما

---

(١) المزهر ١ : ١٥٩ . (٢) مجلة المجمع اللغوي ١ : ٢٠٠ .

كتبه بعض العلماء في هذا الصدد ، فقد ألفوا في تمييز الكلمات الدخيلة وحصرها كتباً قيمة مثل شهاب الدين الخفاجي صاحب (شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل) وأبي منصور الجواليقي صاحب (المعرب من الكلام الأعجمي) .

ولا خلاف بين العلماء في جواز استعمال المعرب . ويقال انه ورد منه في القرآن الكريم [1] ، من **الفارسية** : أباريق . استبرق . بيعة . التنور . دينار . زنجبيل . سجل (كتاب) . سجيل . سرادق . سقر . سندس . كافور . كنز . كور . المجوس . المرجان . مسك . مقاليد . الياقوت . ومن **الحبشية** : أرائك . الجبت (الشيطـان) . السجل (الرجل) . سَكَرٌ (خل) . طه . الطاغوت (الكاهن) . طوبى (الجنة). غيض (نقص) . قسورة (الأسد) . كِفْلَيْن (ضعفين) . متكأ . مشكاة . يحور (يرجع) . يس . ومن **العبرية** : الرحمن . جهنم . بعير . ربانيون . اليم . طوى . الفوم . مرقوم . ومن **السريانية** : القيوم . شهر . عدن . سَرِيّ . ومن **النبطية** : اصر (عهد) . ال (الله) . الحواريون . الفردوس . أكواب . ملكوت . ومن **البربرية** : آنية . المهل (الزيت) . حصب . يصهر (ينضج) . ومن **القبطية** : مزجاة . بطائن . هيت لك (هلم) . ومن **الرومية** : الرقيم . القسطاس. القسط . الصراط . قنطار [2] .

كما يقال انه قد انتقل إلى اللغة العربية من الفارسبة أسماء بعض الآنية والمعادن والأحجار الكريمة وألوان الخبز والطهي والأفاويه والرياحين والطيب والمنتجات الزراعية والصناعية والشئون الحربية التي اشتهر بها الفرس .

فمن أسماء الآنية ، الكوز والإبريق والطشت والخوان والطبق والقصعة والسكرجة . ومن أسماء الأقمشة ، الخز والابريسم والديباج

---

(١) انظر رسالة الكلمات الغير العربية الواقعة في القرآن الكريم للشيخ حمزة فتح الله .

(٢) رسالة الكلمات الغير العربية الواقعة في القرآن الكريم .

والسندس والاستبرق . ومن أسماء الجواهر ، الياقوت والفيروزج والبلور . ومن أسماء الخبز ، السميد والكعك والجردق . ومن أسماء الحلوى، الفالوذج . ومن أسماء الأفاويه ، الدارصيني والفلفل والقرفة والخلنجان . ومن أسماء الرياحين ، النرجس والورد والبنفسج والسوسن والياسمين والجلنار . ومن أسماء الطيب ومنتجات الزراعة ، المسك والعنبر والكافور والصندل والقرنفل والجوز واللوز . ومن أسماء منتجات الصناعة ، الميزاب [1] والدولاب . ومن أسماء الشئون الحربية ، العسكر والخندق .

وانتقل إليها من اليونانية عن طريق مباشر أو عن طريق السريانية أسماء بعض آلات الرصد والجراحة وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وأسماء بعض المعادن والوظائف والمنشآت المعمارية وأدوات البناء والموازين والأمتعة ... كالقُبْرُسِ (أجود أنواع النحاس) والبطريق ، واليقطون (البيت الشتوي) والقنطَرة والفردوس (البستان) والقراميد (الآجر) والقسطاس (الميزان) والقنطار والبطاقة والسجنجل (المرآة) والاسطرلاب ، والنقرس والقولنج (مرضان) والترياق (دواء السموم) وانتقل إليها من السريانية والعبرية مثل إبراهيم وإسماعيل والسموءل وعادياء وشراحيل وشرحبيل والربانيون واليم والطور [2] .

٢ – **المولد** : هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال فصحاء العرب في مُخْتَلِفِ العصور ، وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر أو يرى ادخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو بالمصطلحات العلمية والفنية .

وقد رأى مجمع اللغة العربية أنه لا يجوز استعمال الأعجمي المولد « لأن في العربية غنية عنه ، ولأن في بطون معجماتها مئات الألوف

---

(١) المتراب : المثعب وهو مسيل الماء من مكان عال .   (٢) المزهر ١ : ١٦٣ .

من الكلمات المهجورة ، الحسنة النغم والجرس ، الكثيرة الاشتقاق ، مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك ، لأن بعثها من مراقد الاهمال والنسيان يصيرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً »[1] .

وخطا المجمع تطبيقاً لقراره هذا خطوة عملية ، فوضع عدداً كبيراً من الأسماء العربية لمسميات حديثة جرت العادة باستخدام كلمات أجنبية في التعبير عنها[2] ، غير أنه احتاط للحالة التي تدعو فيهاضرورة قاهرة إلى استخدام لفظ أعجمي في الشئون العلمية والفنية ، ويتعذر إيجاد لفظ عربي يحل محله ، فأجاز في هذه الحالة فقط استخدام اللفظ الأعجمي بعد صقله بالأساليب العربية .

وهاك نص قراره بهذا الصدد : « يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم »[3] .

وشرح المغفور له الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندري هذا القرار بما يفيد قصر الرخصة التي يتضمنها على حالات الضرورة التي أشرنا إليها ، حيث قال : « عبارة القرار تقتضي إجازة استعمال بعض الأعجمي في فصيح الكلام ، وتقييده بلفظ (بعض) دون جنس الألفاظ يفيد أن المراد الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها لا الأدبية ولا الألفاظ ذات المعاني العادية التي يتشدق بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب . »[4]

المولد أنواع أربعة :

١ — ما استعمله المولدون من مفردات أعجمية لم يعربها فصحاء العرب

---

(١) مجلة مجمع اللغة جـ ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) مجلة مجمع اللغة جـ ١ ص ٣٨ — ١٣٨ وخاصة ١١١ — ١٣٨ وجـ ٢ ص ٦٣ — ١٩٥ وجـ ٣ ص ٣٥ — ١٩١ وجـ ٤ ص ٨ — ١٦٦ .

(٣) مجلة مجمع اللغة جـ ١ ص ٣٣ ، ص ١٩٩ — ٢٠٢ .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية جـ ١ ص ٢٠٢ .

ويسمى (الأعجمي المولد) . وقد تناوله مجمع اللغة العربية بالبحث ، وانتهى فيه إلى الرأي الآنف الذكر .

٢ – ما نقله المولدون بطريق التجوز أو الاشتقاق من معناه الوضعي اللغوي الذي عرف به في الجاهلية وصدر الإسلام إلى معنى آخر تعورف ، إمَّا بين عامة الناس ، وإمَّا بين خاصة منهم كالفقهاء والنحويين والعروضيين والحاسبين والمهندسين والأطباء وغيرهم .

وهذا النقل جار على أسلوب القياس العربي ، فهو عربي مبين. وهو عمدة الصناع والمؤلفين والمترجمين وواضعي العلوم . ومنه ومن العربي الأصيل تكون اللسان العربي الفصيح : لسان القراءة والكتابة والتعليم والإدارة [١] .

٣ – ما حرف على ألسنة المولدين من مفردات تحريفاً يتعلق بالأصوات أو بالدلالة أو بهما معاً ، ولا يمكن تخريجه على أصل من أصول اللغة الفصيحة ، وهذا ما يسمى أحياناً بالعامي ، وأحياناً بالدارج ، مثل . بس (بمعنى حسب وكفى) ، الفشار (بمعنى الهذيان) ، ستي (أي سيدتي) [٢] .

٤ – ما جرى على ألسنة المولدين من المفردات التي ليس لها أصل معروف في اللغة العربية ولا في اللغات الأجنبية كالحنشصة والشبرقة ... وما إلى ذلك .

وقد أصدر مجمع اللغة العربية قراراً يحظر استخدام النوعين الأخيرين في فصيح الكلام . وهاك نص القرار : [٣]

المولد : هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان :

١ – قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب : من مجاز ، أو اشتقاق أو

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١ : ٢٠٣ . (٢) المزهر ١ : ١٧٩ – ١٨١

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ١ : ٣٣ ، ٣٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات ، وغير ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .

٢ - وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب : إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر مجمع اللغة العربية في شأن هذا النوع قراره ، وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح. وإما بوضع اللفظ ارتجالاً .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام[١] .

ب - منشأ الدخيل الأعجمي في العربية :

١ - قبل الإسلام :

كان العرب على صلة وثيقة بالفرس قبل الإسلام ، وبخاصة في اليمن والحيرة ، وكان الأكاسرة يتقربون إلى زعماء العرب ، ويعتمدون عليهم في قمع الثورات ، وهم الذين ساعدوا على تأسيس ملك المناذرة في الحيرة، وكانت الرسل تروح وتغدو بين البلدين اللذين ربطتهما التجارة بجانب صلة السياسة .

وهناك أسطورة تقول ان بهرام جور أحد ملوك الفرس تربى ونشأ في الجزيرة العربية ، وانه كان يجيد الشعر العربي . ويقال انه أول من أدخل نظام الشعر في الفارسية اقتداء بالعربية[٢] .

ويقص علينا التاريخ أن حروباً دامية وقعت بين العرب والفرس قبل الإسلام ، منها وقعة ذي قار المشهورة .

هذه الصلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي التي أدت إلى تأثر العربية بالفارسية ، فقد انتشرت ألفاظ من اللغة الأخيرة بين العرب وشاع استعمالها فيهم ، وظهر أمرها بينهم ، حتى صارت من عناصر لغتهم وجزءاً من كيان لسانهم ، فلما نزل القرآن الكريم احتوى على بعض هذه الألفاظ التي أصبحت بعد الاستعمال عربية .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١ : ٣٣ - ٣٤ .　　(٢) قصة الأدب الفارسي ص ٥ .

وتوثقت بينهم وبين جيرانهم الآراميين في الشمال علائق المَوَدة والسياسة من أقدم العصور عن طريق الهجرة والرحلة والتجارة ، وامتزجوا ببعض قبائل آرامية في الحجاز نفسه أو على تخومه .

واشتد احتكاكهم بجيرانهم اليمنيين في الجنوب ، فهاجر إليهم كثير من قبائل اليمن منذ زمن بعيد وخاصة قبائل معين وخزاعة والأوس والخزرج التي ألفت هناك جاليات قوية كان لها بالعرب امتزاج أكيد .

وكانت رحلة العرب التجارية إلى اليمن لا تكاد تنقطع ، مما فتح مجالاً لصراع عنيف بين لغتي هذين الشعبين ، انتصَرت بعده العربية على اليمنية القديمة في أواخر العصر الجاهلي .

وقد تركت اللغة المقهورة في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة في شتى المظاهر وخاصة في المفردات كما فعلت قبلها الآرامية .

ونشأ بين الأحباش والعرب وخاصة عرب اليمن في الجنوب روابط وثيقة ثقافية واقتصادية وسياسية من عصور سحيقة أدت إلى انتقال عدد غير يسير من مفردات اللغة الحبشية إلى اللغة العربية .

٢ – بعد الإسلام :

ولما أشرقت شمس الإسلام ، ودعا الداعي إلى الفتوح العربية ، امتزج أهل الضاد بكثير من الشعوب الأخرى ، ونجم عن هذا وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية أن ظهرت مستحدثات كثيرة لم يعهدها العرب من قبل في الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية انتقل بسببها إلى لغتهم العربية عدد غير قليل من مفردات اللغة الفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية .

وقد أثرت اللغات الثلاث الأولى في ألسنة فصحاء العرب أنفسهم في عصور الاحتجاج ، وكان أظهرها أثرا الفارسية فالسريانية وأقلها أثراً اللغة اليونانية ، إذ لم ينتقل منها إلى لغة العرب في هذه العصور بشكل مباشر إلا قليل من المفردات ، وإن كان قد انتقل إليها كثير منها عن طريق السريانية كأسقف ، وناموس ،

واسطوانة ، واسفنج ، أما اللغات الخمس الأخيرة فلم تظهر آثارها واضحة إلا في لغات المولدين ، وفي اللهجات العامية المتشعبة عن العربية في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب كما انتقل إلى العربية بعض مفردات اللغات الأوربية في أثناء الحروب الصليبية .

وتنوعت أساليب الاحتكاك بين الأمم الناطقة بالعربية وشعوب أوربة ، فقد توثقت بينهما روابط الثقافة والاقتصاد والسياسة ، بتبادل البعثات العلمية ، وكثرة الجاليات الأجنبية في الشرق ، وترجمة المؤلفات الفرنجية إلى لغة العرب ، فانتقل من جراء ذلك إلى اللغة العربية مجموعة كبيرة من مفردات اللغات الأوربية في مصطلحات العلوم والفنون ومنتجات الصناعة وشئون السياسة والاجتماع [1] .

هل كان للأعجمي الدخيل نظير عربي .

لا شك أن لكثير من الألفاظ الأعجمية التي دخلت اللغة العربية نظائر عربية ، أو يمكن أن يشتق لها نظائر من مفرداتها .

وقد كثر دخول هذا اللون من الكلمات في لغة العرب عند ما تَوَغَّلَ الباحثون في ترجمة العلوم اليونانية والهندية ، وتولى الترجمة بعض مستعربة الأعاجم ممن لم تستحكم مرتهم في العربية ، بعد انقراض الفصحاء من الأمصار ، فعجزوا عن ترجمة بعض الألفاظ الأعجمية مع وجود مرادف لها في العربية ، ودونوا من أسماء الحيوان والنبات ما لا تعرفه العرب بأسمائها الأعجمية ، واستعمل فلاسفة المسلمين وأطباؤهم هذه الألفاظ وخاصة من كان منهم من سلالات أعجمية كالفارابي والرازي وابن سينا .

غير أن هذه الظاهرة لم تقتصر على ذلك المولد من الألفاظ ، بل كانت كذلك في بعض ألفاظ العجم التي استعملها العرب الفصحاء في الجاهلية والإسلام ، فقد جرت على ألسنتهم كلمات أعجمية كثيرة لها نظائر في لغتهم ، لم تدع إليها حاجة ماسة إلا عوامل الاحتكاك اللغوي .

---

(١) فقه اللغة ص ١٧٦ .

وبعض هذه المفردات المعربة أخذ يتغلب على مرادفه العربي شيئاً فشيئاً حتى قذف به في زوايا النسيان ، فمن ذلك مثلاً ألفاظ الورد والنرجس والياسمين والمسك والتوت والباذنجان والكوسج والهاون والطاجن والابريق والديدبان والرصاص والميزاب واللوبياء والسكر والفالوذج ، فقد قضت هذه الألفاظ أو كادت تقضي على نظائرها العربية وهي الحوجم والعبهر والسمسق والمشموم والفرصاد والحدج والاثط والمهراس (أو المِنْحاز) والمقلي والتامورة والعين والصرفان والمَثْعَب والدَّجر والمِبْرَت والسرطراط [1] .

ولعل الذي أدى إلى انتقال هذه المفردات إلى ألسنة العرب وتغلبها على نظائرها في لغتهم ، راجع إلى أن ارتباطها بمظاهر حضارة الأعاجم أوثق من ارتباطها بمظاهر الحضارة العربية ، أو إلى أنها اختصت بأمور بَرَّزُوا فيها ، أو امتازوا بإنتاجها وكثرة استخدامها ، أو إلى خفة بعضها وثقل نظائرها العربية على اللسان.

على أن بعضاً منها قد ضعف عن منافسة مرادفه العربي ، كألفاظ البوصي والجردقة والقيروان والسجنجل والبُوْزَج والقومس ، التي قل استعمالها لضعفها عن منافسة نظائرها العربية ، وهي السفينة والرغيف والجماعة من الخَيْل والمرآة والخف والأمير .

واتخذ الأعجمي المعرب الصورة التي تتفق مع العربية في أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها ، وربما بعد عن لغته الأصلية ، وتغير مدلوله الجديد ، فتخصص معناه العام أو عمم مدلوله الخاص ، أو استعمل في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنيين ، أو انحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال بعد أن كان شريفاً ، أو سما إلى منزلة راقية فصار من نبيل الكلام . [2]

وفي الحق أن اللغات كلها تخضع لعوامل الاحتكاك اللغوي أخذاً وإعطاء لا العربية وحدها ، ولا نعرف أحداً يستطيع أن يصد هذا التيار،فتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

---

(١) فقه اللغة ص ١٧٧ .

(٢) فقه اللغة ص ١٧٧ – ١٧٩ .

جـ – الدخيل في القاموس :

للقاموس خاصة ظاهرة في عنايته بالدخيل ، وإبانته لجمهور المطلعين ، فقد اعتاد مجد الدين الفيروزابادي أن يشير في قاموسه إلى الكلمات التي ليست أصيلة في العربية ، ويذكر بعدها ما يفيد أنها خضعت لناموس التعريب أو لم تخضع ، فيتبع اللفظ أو الكلمة غالباً بقوله : معرب أو معربة ، مولد أو مولدة ، أو فارسي أو فارسية ، أو نبطي أو نبطية ، أو عراقي أو عراقية ، أو حميري أو حميرية ، أو نحوها .

وهاك أمثلة لذلك توضح طرائقه المختلفة التي ذكر بها الألفاظ الدخيلة في معجمه :

١ – الجُلاَّب كزُنَّار ماء الورد ، معرب .
٢ – الْمَيْبَة شيء من الأدوية ، معربة .
٣ – جُوبَان بالضم ة بمرو معرب كوبان . اليَشْبُ حجر م معرب اليشم .
٤ – الشِّيطَرْجُ بكسر الشين دواء م معرب جيمترك بالهندية نافع لوجع المفاصل . فرهاد بالكسر اسم أعجمي وفرهاد جردة بمرو وجرد معرب كرد أَيْ عمل .
٥ – جُوْيبَار بضم الجيم وسكون الواو والمثناة تحت ويقال جوبار بلا ياء وكلاهما صحيح ومعناه مسيل النهر الصغير وجوي بالفارسية النهر الصغير وبار مسيله .
٦ – أزب الماء كضرب جرى ومنه المئزاب أو هو فارسي معرب .
٧ – أَنَاهِيذُ اسم الزهرة عن ابن عباد أو فارسي غير معرب . وبالدال فلا مدخل له حينئذ في الكلام .
٨ – السِّيب بالكسر التفاح فارسي ومنه سيبويه .
٩ – الدَّرْبَان ويكسر البواب فارسية .
١٠ – خُجَسْتَةُ بضم الخاء وفتح الجيم وسكون السين اسم نساء اصفهانيات من رواة الحديث أعجمية معناها المباركة .
١١ – كَنْدَجَة الباني في الجدران والطيقان مولدة .

١٢ – الطَّلْحِيَّةُ للورقة من القرطاس مولدة .

١٣ – الرباني كقولهم الهي ونونه كلحياني أو هو لفظة سريانية .

١٤ – شحيثا كلمة سريانية تنفتح بها الأغاليق بلا مفاتيح والشحاث للشحاذ من لحن العوام .

١٥ – الطرخة شبه حوض كبير عند مخرج القناة دخيل .

١٦ – القَوَّاد ككتّان الأنف حميرية .

١٧ – المَشْخَلَبَةُ كلمة عراقية خرز بيض يشاكل اللؤلؤ والحلى يتخذ من الليف والخرز وقد تسمى الجارية مَشْخَلَبَةً بما عليها من الخرز وليس على بنائها شيء .

١٨ – طَرخان بالفتح ولا تضم ولا تكسر وان فعله المحدثون اسم للرئيس الشريف خراسانية ج طراخنة .

١٩ – السفسار الجهبذ (رومية) .

ولعل الفارسية أكثر اللغات توغلاً في مادة القاموس ، لأنها لغة المؤلف الأولى ، ولغة أمة خالطت العرب قبله ، ولغة أدب وحضارة كانا مطمح الأنظار حقباً طوالاً .

وليست نسبة الدخيل في كل أبواب القاموس واحدة فقد زادت في بعضها وقلت في بعضها الآخر .

اشتمل باب الجيم على كثير من الكلمات الدخيلة ، وبخاصة فصل الصاد منه الذي اعتبر العلماء جميع ما فيه من كلمات عجمياً أو معرباً ، لأنهم قالوا انه لا تجتمع الجيم مع صاد أو طاء أو قاف في كلمة عربية [١] ، وحكموا على نحو الصولجان والطاجن والجوسق بأنها معربة تبعاً لذلك .

كذلك باب الذال ، فيه كثير من الألفاظ الدخيلة ، وعلى الأخص فصل السين ، لأنه لا تجتمع السين والذال في كلمة عربية [٢] ، ولذا ذكر الهوريني أن

---

(١) المزهر ١ : ١٦٠ .

(٢) مادة (السبذة) قاموس .

الأستاذ غير عربي ، ولا وجود لمادة (س ت ذ) ، ومعناه الماهر ، ولم يرد في كلام جاهلي ، والعامة تقوله بمعنى الخَصِيّ لأنه مؤدب الصغار غالباً ، فلذا سموه أُستاذاً [1] .

أمَّا ما سواهما من أبواب فقد تبعثر فيها الدخيل ، واختلف عدد كلماته في كل منها عن الآخر .

ويظهر أن الفيروزابادي كان يقصد أحياناً بقوله (دخيل) عقب الكلمة أنها معربة . كما كان يعني أحياناً أخرى بقوله (بالفارسية) بعد اللفظ أنه معرب ، كما هو ظاهر من مادته التي يقول فيها : ـ (يك : واحد بالفارسية وقد وقع في شعر رؤبة :

تحدِّيَ الروميّ من يَكٍّ ليَكِ

أي واحد لواحد) . لأن رؤبة كان يعيش في عصور الاحتجاج .

ولعل الفيروزابادي كان يأخذ الدخيل أحياناً من بعض كتب الحكمة والطب كمؤلفات ابن سينا وابن جزلة والرازي والغافقي وابن البيطار وغيرهم .

ومن الكلمات المعربة التي وردت بالقاموس :

المثراب . الجُلاَّب . الدولاب . السرداب . الكُرُنْبُ . البخت . الياقوت . الدَّيْزَج . الساذج . الاسفيداج . الشطرنج . الصولجان . البرنامج . الصَّنْجَة . الصَّنْج . الطَّازَج . الانبج . النَّارَنْجُ ثمرم . النموذج .الإِسْفانَاخ. الفرند . الكاغد . الزمرد . البَبْر . الأكَّار . الدَّخْدَار . الدستور . الدينار . السُّكَّر . المِشْوار . الخَرْدَق . الخَشْتَق ، كجعفر : (الكتان أو الإبريسم) . [2]

---

(١) حاشية القاموس للزبيدي جـ ١ ص ٣٥٤ (على مادة السبذة) .

(٢) المثراب (في وزب وأزب) : المثعب وهو مسيل الماء من مكان عال . الجُلاَّب كزُنَّار : ماء الورد . الكرنب كسمند وقنفذ بالتركي لاهنة. الديزج : من الخيل . الدَّخدار : ثوب أبيض أو أسود أو الذهب . الببر : سبع م . الأكار : الحرَّاث . الخردق : المَرَقَة . المشوار : المنظر ، أو ما أبقت الدابة من علفها . الصَّنْجة : صنجة الميزان . الصَّنْج : آلة بأوتار يضرب بها . الطازج : الطري .

ومن الكلمات المولدة :

التفاح (فارسي) . شحيثا : كلمة تنفتح بها الأغاليق (سريانية) . القَوَّاد ككَتَّان : الأنف (حميرية) . السِّفْسير بالكسر : السِّمسار (فارسية) . السِّفسار : الجهبذ (رومية) . السُّور : الضيافة (فارسية) . الزَّلْطُ والزُّلَيْطَة (مولدة) . القَحْطِيّ : الأكول (عراقية)[1] .

ومن الكلمات الدخيلة التي أرجعها الفيروزابادي إلى لغاتها ذاكراً معناها الأصلي بها أحياناً :

خُشْنَام بالضم علم معرب خوش نام أي الطيب الاسم .

خَشَسْبَرَم بفتح الخاء والشين وسكون المهملة وفتح الموحدة والراء من رياحين البر (خوش سبرم) بالفارسة ومعناه الريحان الطيب .

الجُلاَهِقُ كعلابط: البُنْدُقُ الذي يُرْمَى به وَأصْلُهُ بالفَارسيَّةِ جُلَهْ وهي كُبَّةُ غَزْلٍ والكَثيرُ جُلَهَا وبها سُمِّي الحائك .

الزُّرْمَانِقَةُ بالضم:جُبَّةُ من صوفٍ مُعَرَّبُ أُشْتَرْبَانَهْ أي مَتَاعُ الجَمَّالِ .

الزَّرْنَقَةُ: الدَّبْزُكَانَهْ مُعَرَّبُ زَرْنَهْ أي الذَّهَبُ لَيْسَ ، والزيادةُ ، والحُسْنُ التَّامُ .

د – التعريب في القاموس :

امتاز القاموس المحيط بمنهجه الذي نص به على الدخيل من الكلم فقد جمع فيه صاحبه طائفة غير قليلة من الكلمات الدخيلة موضحاً إياها ما استطاع .

ومما يسترعي النظر أن الفيروزابادي استعمل الألفاظ الدخيلة جميعاً سواء منها المعرب والمولد .

والذي نفهمه من هذا أنه يبيح استعمال كل منها في الأساليب الصحيحة .

على أن منهجه في المعرب هو ما انعقد الإجماع على صحته وجوازه .

---

(١) الزَّلْط : المشي السريع . الزُّليطة : اللقمة المتزلقة من العصيدة ونحوها .

أمَّا الأعجمي المولد الذي أجازه كما أجاز المعرب ، ففي رأيي ، أنه لا غبار على إجازة ما كان منه خاصاً بمصطلحات العلوم والفنون والمخترعات الحديثة التي يتعذر العثور على لفظ عربي يلائمها ، على نحو ما رخص به مجمع اللغة العربية في هذا العصر .

وأما ما لم يكن منه كذلك بأن كان لأساليب أدبية ، أو لمصطلحات علمية أو فنية لها ألفاظ عربية ، فلا أرى وجهاً لإجازة استعماله ، لأن اللغة غنية بثروتها اللفظية التي تفي بهذه المقاصد .

لكن الفيروزابادي كان له فضل السبق في إجازة ما صح استعماله لدينا من الأعجمي المولد قبل أن يولد مجمع اللغة العربية بقرون . وكان على حق ، حيث دارت عجلة الزمن ، فالتقى رأي المجمع برأيه في صعيد واحد .

ولعله بهذا النقل[1] ، قد أعطى نفسه حق التعريب بعد عصور الاحتجاج ، وهو غير عربي أصيل ، مما أثار بعض النقاد ، وجعلهم يقفون منه موقفاً سلبياً ، لأن للتعريب قانوناً أجمعوا على احترامه ، حفظاً لكيان اللغة ، وحرصاً على سلامتها .

والظاهر أن الفيروزابادي رأى في هذا القانون جموداً ، فأراد أن يتحلل منه في جرأة لم تعهد من قبل ، فمد في أمد القانون ، واعتبره سارياً في عصره ، ومنحه لغير فصحاء العرب حتى ينطبق عليه ، ثم نقل اللفظ العجمي المولد إلى العربية محاولاً أن يكون على طريقة الأقدمين في تعريبهم .

ويخيل إلي أنه فعل ذلك رغبة في أن يطعم قاموسه بشيء من كتب الطب ، وتيسيراً له في نقل ما يمكن عن الأطباء ، غير حافل بالمحافظين من رجال اللغة ، وإن غضبوا غضباً عظيماً .

لذلك تبعثرت بالقاموس سلالة من المولد هبطت إليه من هذه الكتب غالباً ، أو من غيرها ، وظلت تحيا إلى وقتنا ، والعلماء في صراع معها ، حتى أجاز

---

(١) أي نقل اللفظ الأعجمي المولد إلى لغة العرب مصقولاً بلسانهم خاضعاً لمقاييسهم .

مجمع اللغة العربية شطرها الأكبر على نحو ما ذكرنا .

وبهذا أسدى المؤلف إلى الضاد وأهلها نفعاً كبيراً ، لأنه عرب لها ما تمس إليه الحاجة بعد أن أفلت شمس عصور الاحتجاج .

لكني لا أحمد له مسلكه فيما يمكن أن نعثر له على لفظة عربية تقوم مقامه .

وهو ، على كلا الحالين ، لغوي مجتهد ، أفسح بعمله مجالاً لحركة نافعة في اللغة ، وفتح باباً للتعريب يمكن أن يقوم العلماء معوجه . إن كان هناك اعوجاج ، ليصير نافعاً في بابه ، مؤدياً الغرض المنشود .

وكل ناقد منصف يقدر هذا العمل قدره ، بل إنَّ التاريخ ليؤثر صاحبه بالثناء الجميل .

الفصل الخامس

الشئون الطبيّة والجنسيّة

نتحدث في هذا الفصل عن العقاقير والأدوية ، والشئون الجنسية ، لما بينهما من الارتباط .

١ – الشئون الطبية

نحا الفيروزابادي في القاموس المحيط منحى جديداً ، لم يحفل به مؤلفو المعاجم من قبل ، ذلك أنه تحدث عن العقاقير الطبية ، ووضح فائدتها ، وذكر لكل عقّار ميزته ، والأمراض التي تعالج به ، وتشفى عليه حتى ليخيل للقارئ أنه لم يترك شيئاً عرفه من الأدوية والعقاقير إلاّ أحصاه ، وبين ما يفيد من الأدواء .

وربما كان هذا راجعاً إلى صلته الوثيقة بالدراسات الطبية المعاصرة ، إلى جانب تفوقه في اللغة وآدابها .

وقد ظهرت آثار ذلك جلية في هذا المعجم .

والعقاقير هي (في رأي الفيروزابادي) كل ما يتداوى به من النبات أو أصولها [١] ، وهذا هو المعنى الأصلي الذي عرفت به العقاقير في الأوساط اللغوية والطبية .

غير أنه يبدو أن الأطباء ألحقوا بها في نهضتهم التي تأثر بها الفيروزابادي

(١) العَقّار : « ككتّان ما يتداوى به من النبات أو أصولها ، والشجر » (قاموس) .

كل ما يمكن التداوي به من الحيوان أو المعادن ، أيضاً ، كالحمام والحجل والورل والزئبق .

النهضة الطبية حتى عصر المؤلف :

لعل من الأنسب أن أشير إشارة سريعة إلى هذه النهضة وأثرها في صاحب القاموس ، فالذي يكاد يكون معلوماً أن الطب حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، كان لا يزال يعتمد على الأدوية[1] ، ويستند إلى العقاقير ، وأن العرب هم أول[2] من اشتغل في تحضيرهما ، وأول من أَلَّفَ الأقرباذينات[3] ولا خلاف في أنهم هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة[4] واستحضروا كثيراً من المركبات[5] لكنهم أخذوا علم النبات عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس وكتب الهند ، أما العقاقير التي أخذها الفرنجة عنهم فباقية عندهم بأسمائها العربية أو الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية ، إلى الآن[6] .

وقد ولد الطب منذ أزمان سحيقة ، وبدأت حركته تنبعث بين اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد[7] وجعلت تسطع هنالك باعثة أشعتها على الكون ، حتى خلصت العقول من جهالة القرون البائدة وأنقذتها مما كانت ترسف فيه

---

(١) الأدوية نوعان :
١ – مفردة وهي العقاقير كالنبات والحيوان والمعادن .
٢ – مركبة وهي الاقرباذينات كالأقراص والحبوب والمراهم والمعجونات والمشروبات والمسكنات .

(٢) تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٣٨ .

(٣) اعتمد العرب على اقرباذين سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ حتى ظهر اقرباذين أمين الدولة بن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ببغداد (تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٣٨) .

(٤) أول من نقلها منهم عن مدرسة الاسكندرية إلى العربية خالد بن يزيد ، وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فأبو بكر الرازي وغيرهم (تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٣٩) .

(٥) كماء الفضة (الحامض النتريك) ، وماء الذهب (الحامض النيتروهيدروكلوريك) ، وملح البارود (نترات البوتاسا) (تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٣٩) .

(٦) تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٣٨ .

(٧) عقب الحرب المورية وهي التي توالت سبعاً وعشرين سنة ، وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة اللقديمونيين . (تاريخ آداب اللغة ٢ : ٢٢) .

من ظلام العقيدة ، وسوء التفكير ، وأثبتت أن الأمراض لا تنتسب إلى أفعال الشياطين ، وأن العلاج لا يتم بأعمال الآلهة أو حرفة الكهانة ، أو ممارسة السحر .

وكان أبقراط (المتوفى سنة ٣٥٧ ق. م) أول من وضع له مبادئ سليمة ورتبه ترتيباً لم يعهد من قبل ، وأَلَّفَ فيه الكتب ، واعتمد على الطبيعة في العلاج ، وكان يفصد وَيَحْجم ويكوي ويحقن ، ويشخص الأمراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية [1] .

وَلَمَّا فَتَحَتْ مدرسة الاسكندريةِ أبوابَهَا في عهد البطالسة ، اتَّخَذَتْ مؤلفاتِ أبقراطَ أساساً لمباحثها الطبية ، وَخَرَّجَتْ عليها طائفةً من الأطباء احتدم النقاشُ بينها ، وَانْقَسَمَتْ في الرأي حِزْبَيْنِ ، كل منهما له مبادئه واتجاهاته وَاسْتَمَرَّتْ كذلك حتى ظَهَرَ ديسقوريدس في القرن الأول الميلادي [2] ، وجالينوس في أواخر القرن الثاني الميلادي [3] فصارت كتبهما مرجع الطلاب وملتقى الآراء ، وكانا ينحوان في طبهما منحى أبقراط غالباً ، وذاعت شهرتهما في الآفاق ، وبخاصة بين العرب .

في الشرق :

سار الطب في بلاد المشرق على هذا المنهج اليوناني الذي أَذَاعَهُ في الناس ديسقوريدس ثم جالينوس بعد أبقراط ، والعرب يقبلون عليه شيئاً فشيئاً ، يدرسونه كما درسوا طب الهند وبابل ومصر وغيرها حتى سطع نجم بني

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١ : ٢٤ وتاريخ آداب اللغة ٢ : ٢٥ .

(٢) ولد بيذانيوس ديسقوريدس اليوناني في عين زربة (سيزاريا غسطا القديمة في كيليكيا) وهو عالم نباتي شهير . أخذ عنه العرب كثيراً من مؤلفاته التي من أهمها كتاب الأدوية ، (دائرة معارف البستاني ٨ : ٢١١ – وعيون الأنباء ١ : ٩٣) .

(٣) ولد كلوديوس جالينوس في برغاموس اليونانية سنة ١٣٠ م ومات سنة ٢٠٠ م أو سنة ٢٠١ م وذكر بعض من ترجمه من العرب أنه مات بعد ذلك بنحو عشر أو ثماني عشرة سنة . وكان له المكان الأول في القرن الثاني الميلادي ومن مؤلفاته كتاب العقاقير البسيطة ، وكتاب في قوى الأغذية ، وكتاب في تدبير الاصحاء . (عيون الانباء في طبقات الأطباء ١ : ٧١ ودائرة معارف البستاني ٢ : ص ٣٥١) .

العباس فتقدم الطب في عصرهم ، ونبغ فيه كثير من الأطباء أمثال يحيى بن ماسويه المتوفى سنة (٢٤٢ هـ - ٨٥٦ م) وحنين بن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٠ هـ ، وابن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور ، وسابور بن سهل ، وغيرهم ممن كان لهم أثر في اطراد تقدمه .

وظل العرب يتعمقون في الطب ، ويتبحرون في دراسة الأدوية والعقاقير ، بعد ترجمة كتاب ديسقوريدس من اليونانية إلى العربية على يدي حنين بن إسحاق [1] في القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي ، حتى بلغوا في ذلك درجة رفيعة ، وكان هذا الكتاب خير مصدر لما أَلَّفُوه من كتب في هذا الميدان .

أشهر أعلامه :

وهاك حديثاً موجزاً عن أشهر أعلام هذه الثقافة الطبية الذين تأثر بهم صاحب القاموس :

١ - الرازي :

يعد أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٦١ هـ ، سنة ٩٢٥ م أشهر أطباء القرن الرابع الهجري ، كان رئيس مصحة بغداد ، وقد أقبل على الطب بعد أن جاوز الأربعين ، وعكف على دراسته ، حتى أتقن صناعته ، وأَلَمَّ بأوضاعه وقوانينه ، وصار إمام وقته ، وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم ، أو يؤلفه من الكتب ، وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ، ومن أمثالهم: « أن الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس ، وكان متفرقاً فجمعه الرازي ، وكان ناقصاً فكمله ابن سينا . »

كان الرازي مولعاً بعلوم الحكمة ، وله فيها مصنفات نفيسة ، وبخاصة علم

---

(١) ترجم حنين كثيراً من كتب اليونان ، ومن مؤلفاته : كتاب علاج العين وكتاب الأسنان واللثة ، وكتاب الأغذية .

الكيمياء ، وما يتعلق بها ، وله اكتشافات كيماوية من أهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك)[1]

٢ - ابن سينا :

في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ظَهَرَتْ مدرسةٌ تحمل لواء الثقافة الطبية في العالم العربي بزعامة الشيخ الرئيس ابن سينا العالم الطبيب الفيلسوف ، أحيت آثار أبقراط وجالينوس في الطب ، كما أحيت آثار أرسطو وأفلاطون في الفلسفة .

ما كاد ابن سينا يبلغ السادسة عشرة حتى ظَهَرَتْ مواهبُهُ النادرةُ وبخاصة في الطب والفلسفة والطبيعة والمنطق ، وصار أَشْهرَ الأطباءِ في عصره ونال عند نوح بن نصر الساماني (٣٣٩ - ٤٣٣هـ) صاحب خراسان مكانة أثيرة ، ومنزلة رفيعة ، لأنه وفق إلى علاجه من مرضه ، وأباح له أن يدخل مكتبته ، وهي حافلة بكتب الطب النادرة المثال ، فوعى زبدتها ، ثم احترقت الخزانة .

ذاع صيته في التفكير الأسيوي والأوربي معاً ، أثناء العصور الوسطى وتَفَوَّقَ في الطب ، حتى بَزَّ الأوائل والأواخر ، وقَصَدَهُ الطلاب ، فأفاض عليهم من علمه ما أفاض ، وتربو مؤلفاته على مائة ، وكان لها تأثير كبير في نهضة أوربا الأخيرة ، لأن علماء الغرب نقلوا جُلَّهَا إلى لغة العلم عندهم[2] ، وقد ظل كتابه (القانون في الطب) يدرس في جامعات الغرب زمناً طويلاً ، من القرن الحادي عشر حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وعليه ، وعلى الحاوي لأبي بكر الرازي ، اعتمدت نهضة الطب في العالم الإسلامي ، وفي أوربا ، قبيل التمدن الحديث .

---

(١) خلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف بقي منها إلى الآن بضعة وعشرون من أهمها : الحاوي ، المنصوري في الطب ، والطب الملوكي ، والجامع في الطب - انظر ترجمته في وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٠٣ وعيون الانباء جـ ١ ص ٣٠٩ .

(٢) كانت يومئذ (اللغة اللاتينية) .

كما بقيت آراؤه الفلسفية حافظة قيمتها إلى اليوم [1] .

أَمَّا كتبه الطبية ، فقد وَصَفَتْ كُلَّ مَرَضٍ يُصيبُ أَيَّ عضوٍ من أعضاءِ الإنسان من يوم يُولدُ حتى يغادرَ الحياةَ ، وعلاَجَهُ من كلِّ داء ، بأدويةٍ مفردة أو مركبة [2] ، كما تَحَدَّثَتْ عن الجراحات والقروح ، والفصد والحجامة ، والجماع ، والحمل ، والجنين ، وأسباب الإذكار والإيناث ، وذَكَرَتْ للباهِ أدويةً تُقَوِّيهِ وتُصْلِحُهُ ، أو تُضْعِفُهُ وتَقْطَعُهُ ، وغَيْرَ ذلك . ولاَ زَالَتْ آثارُ ابنِ سينا باقيةً إلى وقتنا ، مَرْجِعاً نافعاً للباحثين ، كما كَانَتْ من قديم الزمان .

٣ – ابن جزلة :

حمل ابن جزلة لواء الثقافة الطبية بعد ابن سينا ، وهو طبيب عربي [3] كان نصرانياً ، وأسلم متأثراً بأستاذه أبي علي بن الوليد المعتزلي المغربي في ١١ جمادى الآخرة سنة ٤٦٦ هـ (١١ فبراير سنة ١٠٧٤ م) وتعلَّم الطب على يد سعيد بن هبة الله طبيب الخليفة المقتدي بأمر الله وأفاد به ، وألف فيه الكتب النافعة ، ولم يكن يطبب أهل محلته ومعارفه بغير أجر فحسب ، بل كان يحمل إليهم الأشربة والأدوية من غير عوض .

---

(١) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ، المشهور بابن سينا ، والملقب بالشيخ الرئيس ، ولد في افشنة سنة ٣٧٠ هـ ، وانتقل مع أسرته إلى بخارى ، وتعلم الأدب والفقه والرياضة ، وكان فطناً فنبغ في الطب والفلسفة ، وألَّفَ فيهما الكتب القيمة ، ومن أشهر مؤلفاته الطبية : ١ – القانون في الطب ٢ – الألفية في الطب ٣ – منظومة في الطب ، تنقل في خراسان ، وتولى بعض مناصب الدولة ، ومات بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره (وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٩٠ وعيون الأنباء ٢ : ٢) .

(٢) المستفاد من كتابه (القانون في الطب ١ : ١٩٧) ان المقصود بالأدوية المفردة والمركبة ما ذكرناه بهامش ص ٢٤٤ من هذا الفصل .

(٣) هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة : كان في أيام المقتدي بأمر الله ، وقد اشتهر بالطب وألف فيه كتباً نافعة ، منها ١ – منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ٢ – تقويم الأبدان في تدبير الإنسان ، كان يعيش في محلة الكرخ ببغداد ، ومات في شعبان سنة ٤٩٣ هـ (يونية ١١٠٠ م) (وفيات الأعيان ٢ : ٣٤٥ . عيون الانباء في طبقات الأطباء ١ : ٢٥٥ . دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٢٠) .

٤ – الأشرف يوسف بن عمر :

كان السلطان الملك الأشرف يوسف بن عمر صاحب اليمن من أنبغ الأطباء في القرن السابع الهجري ، ومن أقوى الدعائم في نشر الثقافة الطبية في عصره . وبخاصة في البلاد اليمنية ، وما جاورها ، وقد زَوَّدَ مكتبة آل رسول باليمن بكثير من كتب الطب النافعة لأشهر الأطباء ، كابن سينا والرازي وابن البيطار وغيرهم ، ودعا إلى الإفادة منها[١] .

في الغرب :

حفلت بلاد الغرب الإسلامي[٢] بطائفة شهيرة من الأطباء ، كما زخرت بلاد الشرق بطائفة أخرى .

وأَخَذَتْ دراسة الطب ، وما يتصل بها من صناعة الأدوية والعقاقير تتقدم شيئاً فشيئاً ، على يدي أطباء كانوا على جانب من الحذق والدراية ، أمثال إبراهيم بن عيسى المصري طبيب أحمد بن طولون ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي ، وموسى بن العازار الإسرائيلي طبيب المعز ، وغيرهم[٣] .

ولم يكد القرن الرَّابع الهجري ينتصف حتى كانت قد توافدت طلائع الثقافة الطبية من الشرق إلى الغرب ، وأسرع الناس هنالك يتلقفونها وجَدَّ العلماء في درسها .

وقد انتقل إلى الأندلس كتاب ديسقوريدس الذي ترجمه اصطفان بن باسيل من اليونانية إلى العربية أيام المتوكل ، لكنه ترجم مرة أخرى من اليونانية إلى

---

(١) هو السلطان الملك المظفر الأشرف يوسف بن عمر بن علي رسول الغساني صاحب اليمن المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ألف كتاب المعتمد في الأدوية المفردة ، وذكر في مقدمته أنه أخذه من مفردات ابن البيطار ، ومنهاج ابن جزلة ، وإبدال الزهراوي والجزَّار ، ورتبه على حروف المعجم (مقدمة المعتمد ص ٣) .

(٢) المقصود بالغرب : مصر وبلاد المغرب وبلاد الأندلس .

(٣) أتقن التميمي طريقة تركيب الأدوية وألَّفَ كتاب مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء ، وألَّفَ ابن العازار كتاب الاقرباذين (تاريخ الإسلام السياسي ١ : ٣٧٤) .

اللاتينية ، وعم النفع بالترجمتين إلى عهد الناصر صاحب الأندلس ، في أوائل القرن الرابع الهجري .[1]

واشتد أهل الغرب طلباً لهذه الثقافة ، حين وافتهم آثار الشرق ، وصارت لهم مورداً غزير المادة ، وحاولوا أن يحاكوا أطباء المشرق في البحث والتأليف ، حتى نهضوا وكان لهم في ذلك أثر بارز .

أشهر أطبائه :

ومن أشهر أطباء الغرب الذين كان لهم أثر في صاحب القاموس أيضاً :

١ – ابن جلجل الذي كان خبيراً بصناعة الطب ، بصيراً بقوى الأدوية المفردة[2].

٢ – الغافقي ، وكان من أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأسمائها ، وأسبقهم إلى ترجمة الكتب الطبية من اليونانية[3] .

٣ – ضياء الدين بن البيطار : وهو من أنبغ أطباء القرن السابع الهجري درس مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ، واتصل بعلماء النبات في الشرق والغرب ، وعاين كثيراً من النباتات عن كثب ، وألَّفَ كتاباً في النبات فريداً في بابه ، وكان عليه معول أهل أوربا في نهضتهم في علم النبات ، ولعل كتابه (الجامع في مفردات الأدوية والأغذية) أجمع كتاب لثقافة الشرق والغرب في هذه الحركة الطبية[4] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٤٠ .

(٢) هو أبو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل ، من أطباء القرن الرابع الهجري (عيون الانباء ٢ : ٤٦) .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي الأندلسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ومن أشهر كتبه الجامع في الأدوية المفردة الذي استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس مع زيادات أخرى (عيون الانباء ٢ : ٥٢ وطبقات الأطباء والحكماء ص ٢٢)

(٤) ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباتي ويعرف بابن البيطار ، سافر إلى اليونان وإلى أقصى بلاد الروم ، وجاء إلى الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الأيوبي الذي كان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش ، وجعله رئيساً على العشابين ، والجامع من مؤلفاته القيمة ومات في شعبان سنة ٦٤٦ هـ – ١٢٤٨ م (عيون الانباء ٢ : ١٣٣ وتاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٤١ .)

وعلى مر الزمن امتزجت الثقافتان الشرقية والغربية حتى أصبحتا ثقافة واحدة ، من مستهل القرن السادس الهجري ، واستمرت كذلك إلى نهاية القرن التاسع الهجري .

أثر الطب في اللغة :

جاءت النهضة الجديدة في صدر الدولة العباسية ، واقتضت أساليب من الحضارة والعمران ، وَجَدَّتْ في نقل العلوم والفنون ، وصَادَفَتْ جديداً من المعاني يدعو إلى مصطلحات من العلم والفلسفة والإدارة ، وَوَاجَهَتْ ثقافةً طبيةً عربيةً مطعمةً بطب اليونان والهند والعراق ومصر ، وأُعْجِبَ بها العربُ فصاروا إليها ، وانجذبوا إلى التعبير عنها بلغتهم التي لم تألف التعبير عن بعض معان لها من قبل ، فاضطر قادة هذه النهضة إلى مواجهة الواقع ، وعدم الجمود أمام مقتضيات الحياة الحديثة ، ووضعوا المصطلحات ، واقتبسوا من الأعاجم بعض الألفاظ ، ونوعوا لكلمات العرب بعض المعاني ، وكان للطب من ذلك نصيب غير قليل ، فلم يكن له في الجاهلية من ألفاظ طبية عربية إلاَّ مفردات كالحجامة والكي ونحوهما ، فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ، وما يختص باصطلاحات كل فن من فنونه كأسماء الأمراض والأدوية وأفعالها وأدوات الجراحة والتشريح وغيرها .

هذا وكان المترجمون ينقلون الطب إلى العربية من لغته بلفظه ومعناه ، وأكثر ما كان ذلك في أسماء العقاقير والأمراض والأدوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم ، كالبقدونس والزيزفون والقنطاريون والمصطكي ، والقولنج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ومنخوليا ، والاصطرلاب والقيراط والصابون من اليونانية ، والبابونج والبنج وخيار شمبر والزرنيخ والسرقين والاسفيداج والشاهترج والمرداسنج ، وسرسام ومارستان ، والبركار والبوتقة والجنزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية ، فضلاً عما اقتبسوه من الهندية في أسماء العقاقير ونحوها[1].

---

(١) تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٧ .

ولم يكن العرب في تلك النهضة يستنكفون من اقتباس الألفاظ الأعجمية وإدخالها في لغتهم ، ولم يكلفوا أنفسهم عناء وضع ألفاظ عربية تؤدي المعاني التي أخذوها عن الأعاجم ، بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظتين من لغتين أعجميتين ، فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ ، استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ، ولما ترجموا الطب من اليونانية استخدموا اسمه اليوناني (قرانيطس) ولو استنكفوا من استخدام الألفاظ العجمية لاستغنوا عن اللفظتين جميعاً ، ولهم في لغتهم من الألفاظ التي تؤدي هذه المعاني ما يغنيهم عن كل ذلك .

تأثر الفيروزابادي بكتب الطب :

على النحو الذي شَرَحْنَاهُ ، وَصَلَتْ النَّهْضَةُ الطبيةُ العربية إلى درجة عظيمة ، وأُلِّفَتْ في الطب عدةُ كتبٍ ، وجاء الفيروزابادي ، ولا تزال هذه النهضة قائمة ، فتأثر بها في معجمه .

ولكي نوضح مدى تأثره بالكتب الطبية التي كانت معروفة في عصره نُورِدُ ما يأتي ، على سبيل التمثيل :

١ - الياسمون :

في القاموس : اليَاسَمُونَ م الواحدُ يَاسِمٌ كصَاحِبٍ أو عَالَمٍ وَلاَ نَظِيرَ له سِوَى عَالَمُونَ جَمْعِ عَالَمٍ ، أَوْ مُعَرَّبٌ فَلاَ يَجْرِي مَجْرَى الجمعِ ، وهو أَبْيَضُ وأَصْفَرُ ، نَافعٌ لِلْمَشَايِخِ ولِلصُّدَاعِ الْبَلْغَمِيِّ ، والزُّكَامِ ، وَذَرُّ سَحِيقِ يَابِسِهِ عَلَى الشَّعَرِ الأسودِ يُبَيِّضُهُ ، وَشُرْبُ أُوقِيَّةٍ من ماء سَحِيقِ زَهْرِهِ ثلاثةَ أَيَّامٍ مُجَرَّبٌ لِقَطْعِ نَزْفِ الأَرْحَامِ .

في مفردات ابن البيطار : الياسمين هو صنفان أبيض وأصفر ... نافع للمشايخ.. صالح لوجع الرأس الحادث من البلغم ... نافع للمزكومين ... إذا أخذ زهره وسحق وشرب من مائه ثلاثة أيام كل يوم أوقية قطع نزف الأرحام مجرب ،

وإذا سحق يابساً وذر على القروح نفعها وعلى الشعر الأسود بيضه[1] .

٢ – الحَمَام :

في القاموس : الحَمَام كسَحَابٍ طَائِرٌ بَرِّيٌّ لا يأْلَفُ البُيُوتَ م أَو كُلُّ ذِي طَوْقٍ وَتَقَعُ وَاحِدَتُهُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى كالْحَيَّةِ ج حَمَائِمُ ، وَلاَ تَقُلْ للذَّكَرِ حَمَامٌ ، مُجَاوَرَتُهَا أَمَانٌ مِنَ الخَدَرِ وَالفَالِجِ وَالسَّكْتَةِ وَالجُمُودِ وَالسُّبَاتِ ، وَلَحْمُهُ بَاهِيٌّ يَزِيدُ الدَّمَ وَالمَنِيَّ ، وَوَضْعُهَا مَشْقُوقَةً وهي حَيَّةٌ على نَهْشَةِ الْعَقْرَبِ مُجَرَّبٌ لِلْبُرْءِ ، وَدَمُهَا يَقْطَعُ الرُّعَافَ .

في مفردات ابن البيطار : لحمه جيد للكلى ويزيد في المني والدم ... وإذا شقت وهي أحياء ووضعت حارة على موضع نهشة العقرب نفعت منها نفعاً بيناً ... مجاورتها أمان من الخدر ومن الفالج والسكتة والخمود والسبات ، وهذه خاصية بديعة جعلها الله تعالى فيها ... ودم الحمام خاصة يقطع الرعاف الذي في حجب الدماغ .[2]

في قانون ابن سينا :... دم الحمام يقطع الرعاف الذي في حجاب الدماغ...[3].

٣ – اللُّوفُ :

في القاموس : بالضم ة ونَبَاتٌ له بَصَلَةٌ كالْعُنْصُلِ وَتُسَمَّى الصَّرَّاخَةَ لأَنَّ لَهُ في يَوْمِ المَهْرَجَانِ صَوْتاً يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ سَمِعَهُ يَمُوتُ في سَنَتِهِ ، وَشَمُّ زَهْرِهِ الذَّابِلِ يُسْقِطُ الجَنِينَ وَأَكْلُ أَصْلِهِ مُدِرٌّ مُنْعِظٌ ، وَالطِّلاءُ به مَسْحُوقاً بِدُهْنٍ يُوقِفُ الْجُذَامَ، وَاحِدَتُهُ بِهَاءٍ ... وَلُوفَا كَرُومَا نَبَاتٌ يُشْبِهُ حَيَّ العَالَمِ أَوْ نَوْعٌ منه مُجَرَّبٌ في الإِسْهَالِ المُزْمِنِ .

في مفردات ابن البيطار :... عامتنا بالأندلس تسميه غرغينه ، وبعضهم يسميه الصراخة لأنهم يزعمون عندنا أن له صوتاً يسمع منه في يوم المهرجان وهو يوم العنصرة ويقولون ان من سمعه يموت في سنته تلك ... ويقال ان المرأة

---

(١) جـ٤ ص ٢٠١ . (٢) جـ ٢ ص ٣٤ . (٣) ص ١٩٣ .

إذا علقت واشتمت رائحة هذا عند ذبول زهره اسقطت ، وأصله مسخن ... يجفف ويدق ويخلط بعسل ويلعق فيدر البول وإذا شرب بشراب حرك شهوة الجماع ... وإذا سحق مع الدهن وطليت به أطراف المجزوم أوقف التآكل... لوفا... اسم لنوع من حي العالم ... عطرته عندهم مع الدهن مغلاة تنفع من وجع الآذان... وهي أيضاً مختبرة في الاسهال المزمن [1] .

في قانون ابن سينا :... يحرك الباه بالشراب وينقي الكلى ... ويدر البول [2] .

في منهاج ابن جزلة : ... ثمره يشبه بصل العنصل ... يحرك الباه ... يسقط الجنين [3] .

٤ – القُرْطُمِ :

في القاموس : كَزِبْرِجٍ وعُصْفُرٍ ، حَبُّ العُصْفُرِ ، جَيِّدٌ للقُولَنْجِ مُسْهِلٌ لِلْبَلْغَمِ اللَّزِجِ ، وَصَبُّ مَائِهِ حَارًّا عَلَى اللَّبَنِ الْحَلِيبِ يُجَمِّدُهُ ، وغَسْلُ الرأسِ والبَدَنِ به ثَلاثاً يَدْفَعُ القَمْلَ والخُشُونَةَ ، وَيُحَسِّنُ الْوَجْهَ ، وَلُبُّهُ بَاهِيٌّ ، والاحْتِقَانُ به نَافعٌ لِلْبَلْغَمِ .

في مفردات ابن البيطار : هو العصفر ... يجمد اللبن ... حب القرطم يدفع الرياح ويزيد في المني ... ينفع من القولنج ويسهل البلغم المحترق ويزيد في الباه إذا خلط بلبن أو بعسل أو تين [4] .

في قانون ابن سينا : ... يجمد اللبن السائل ... ينفع من القولنج ، وهو يسهل البلغم المحترق ، وإذا خلط بتين أو عسل ينفع الباه [5] .

في منهاج ابن جزلة : هو حب العصفر ... ينفع الباه ... يحلل اللبن الجامد ويجمد اللبن السائل ... [6]

---

(١) ج ٤ ص ١١٤ . (٢) ص ٢٠٢ . (٣) ص ٨٤ . (٤) ج ٤ ص ١٥ .
(٥) ص ٢٢٩ . (٦) ص ٨٧

٥ – **الرُّمَّانُ** :

في القاموس : م الواحدَةُ بهَاءٍ وَحُلْوُهُ مُلَيِّنٌ لِلطَّبيعَةِ وَالسُّعَالِ وَحَامِضُهُ بِالْعَكْسِ وَمُزُّهُ نَافِعٌ لالْتِهَابِ الْمَعِدَةِ وَوَجَعِ الفُؤَادِ ، وَللرُّمَّانِ سِتَّةُ طُعُومٍ كَمَا للتُّفَّاحِ ، وَهُوَ مَحْمُودٌ لِرِقَّتِهِ وَسُرْعَةِ انْحلالِهِ وَلَطَافَتِهِ والمَرْمَنَةُ مَنْبَتُهُ إِذا كَثُرَ فِيهِ ، وَرُمَّانُ السَّعَالي الخَشْخَاشُ الأَبْيَضُ أَوْ صِنْفٌ منه وَرُمَّانُ الأَنْهَارِ هو النَّوعُ الكثير مِنَ الْهَيُوفَارِيقُونَ [١] .

في قانون ابن سينا : ... الحلو ملين ... والمز منه ربما كان أنفع للمعدة من التفاح ... الحامض يخشن الحلق والصدر والحلو يلينهما ويقوي الصدر ... وينفع جميعه من الخفقان ويجلو الفؤاد ... ينفع من التهاب المعدة [٢] .

في مفردات ابن البيطار : ... الحلو موافق للمعدة لما فيه من قبض لطيف ، وجميعه ينفع من الخفقان والحلو منه يجلو الفؤاد ... رمان السعالي هو الخشخاش الأبيض عند كثير من الأطباء والصحيح أنه صنف من الخشخاش وهو المعروف بالخشخاش المنثور ... رُمَّان الأنهار هو اسم للنوع الكثير من الهيوفاريقون [٣] .

في منهاج ابن جزلة : ... حار باعتدال ... ملين ... يجلو الفؤاد وينفع من التهاب المعدة [٤] .

في المعتمد للسلطان المظفر : حلو حامض ومز ... الحلو ينفع من السعال [٥] .

٦ – **البُطُّمُ** :

في القاموس : بالضمِّ وبضمتين الحَبَّةُ الخَضْرَاءُ أَوْ شَجَرُهَا ، ثَمَرُهُ مُسَخِّنٌ مُدِرٌّ بَاهِيٌّ ، نَافِعٌ للسُّعَالِ وَاللَّقْوَةِ وَالْكُلْيَةِ وَتَغْلِيفُ الشَّعرِ بِوَرَقِهِ الجَافِّ الْمَنْخُولِ يُنْبِتُهُ وَيُحَسِّنُهُ .

في منتخب الجامع للغافقي : ... مسخنة مدرة للبول تحرك شهوة الجماع ... ثمرها وورقها شيء قابض مجفف مسخن مدر [٦] .

---

(١) لعله أيضاً نوع من الرمان اشتهر بهذا الاسم .

(٢) ص ٢٣٣ . (٣) جـ ٢ ص ١٤٢ . (٤) ص ٩٣ . (٥) ص ١٣١ .

(٦) جـ ٣ ص ٦١ .

في مفردات ابن البيطار : شجرة الحبة الخضراء ... ثمرة البطم مسخنة للصدر نافعة من السعال ... تسخن الكليتين وتنفع من اللقوة ... وتنقي وتسمن وتزيد في الباه ... وورق شجره إذا جفف وسحق ونخل وغلف به الرأس طَوَّلَ الشعر وأنبته وحسنه [1] .

٧ - **الوَرَلُ** :

في القاموس : الوَرَلُ مُحَرَّكَةً دَابَّةٌ كَالضَّبِّ أَوْ العَظِيمُ من أَشْكَالِ الْوَزَغِ طَوِيلُ الذَّنَبِ صَغِيرُ الرَّأْسِ لَحْمُهُ حَارٌّ جِدّاً يُسَمِّنُ بِقُوَّةٍ وَزِبْلُهُ يَجْلُو الْوَضَحَ وَشَحْمُهُ يُعَظِّمُ الذَّكَرَ دَلْكاً .

في مفردات ابن البيطار : ... والعظيم من أشكال الوزغ ... والطويل الذنب الصغير الرأس وهو غير الضب لحمه حار جداً ويسمن بقوته وشحمه ولحمه ... وزبله مجرب لبياض العين ... يجلو الكلف والوضح ... وشحمه إذا دلك به الذكر فإنه يعظم ويكون دلكه شديداً [2] .

في منهاج ابن جزلة : ... زبله يزيل النمش ويجلو الكلف وبياض القرنية [3] .

٨ - **الزَّنْجَبِيلُ** :

في القاموس : عُرُوقٌ تَسْرِي في الأَرْضِ ، وَنَبَاتُهُ كالقَصَبِ والبَرْدِيِّ له قُوَّةٌ مُسَخِّنَةٌ هَاضِمَةٌ مُلَيِّنَةٌ يَسِيراً ، بَاهِيَّةٌ مُذَكِّيَةٌ ، وَإِنْ خُلِطَ بِرُطُوبَةِ كَبِدِ المَعزِ وَجُفِّفَ وَسُحِقَ واكْتُحِلَ به أَزَالَ الغِشَاوَةَ وَظُلْمَةَ البَصَرِ ، وَزَنْجَبِيلُ الكِلاَبِ بَقْلَةٌ وَرَقُهَا كَالْخِلاَفِ وَقُضْبَانُهُ حُمْرٌ يَجْلُو الْكَلَفَ وَالنَّمَشَ وَيَقْتُلُ الكِلاَبَ ،

وَزَنْجَبِيلُ العَجَمِ الإِشْتَرْغَازُ ، وَزَنْجَبِيلُ الشَّامِ الرَّاسَنُ .

---

(١) جـ ١ ص ٩٨ .

(٢) جـ ٤ ص ١٩١ . (٣) ص ٦٧ .

في مفردات ابن البيطار : هو عروق تسري في الأرض وليس بشجر ... هو نبات يكون كثيراً في موضع من بلاد العرب ... هو أصول صغار مثل أصول السعد .. قوته مسخنة معينة في هضم الطعام ملينة للبطن تَلْييناً خفيفاً جيداً للمعدة ... وإذا خلط في الشيء مع رطوبة كبد المعز وجفف وسحق واكتحل به نفع من الغشاوة ، وينفع أيضاً بهذه الصفة من ظلمة البصر ... يهيج الجماع ... وزنجبيل الكلاب بقلة معروفة ... ورقها كورق الخلاف ... وقضبانها حمر لها طعم حريف يقتل الكلاب ... يجلو آثار الوجه والكلف والنمش ... زنجبيل شامي وزنجبيل بلدي هو الراسن ... زنجبيل العجم هو الاشترغاز [1] .

في منهاج ابن جزلة : يهيج الباه [2].

في المعتمد للسلطان المظفر يوسف : زنجبيل شامي وزنجبيل بلدي هو الراسن... وزنجبيل العجم هو الاشترغاز [3] .

٩ — الزُّوفَى :

في القاموس : زُوفَى كَطُوبَى نَبَاتٌ بِجِبَالِ القُدْسِ طَبِيخُهُ بِالسَّكَنْجَبِينِ يُسْهِلُ كَيْمُوساً غَلِيظاً وَبِالْخَلِّ مَضْمَضَةً لِوَجَعِ الأَسْنَانِ وَتَبْخِيراً لِوَجَعِ الآذانِ ، وَزُوفَى أَيْضاً الدَّسَمُ الْمَوْجُودُ فِي الصُّوفِ يُغْسَلُ بماءٍ سَطْرُوبيُونَ مَرَّاتٍ حتى يَصْفُوَ الدَّسَمُ عَنِ الوَسَخِ فَيُحَلِّلُ الأَوْرَامَ الصُّلْبَةَ وَيَنْفَعُ بُرُودَةَ الكَبِدِ وَالكُلَى .

في مفردات ابن البيطار : هي حشيشة تنبت في جبال بيت المقدس ... وإذا شرب طبيخه بالسكنجبين أسهل كيموساً غليظاً ... وإذا طبخ بالخل وتمضمض به كان مسكناً لوجع الأسنان وإذا بخرت الآذان ببخاره حلل الريح العارضة فيها ... وهو الدسم الموجود في الصوف ... خذ صوفاً ليناً وسخاً فاغسله بماء قد سخن وطبخ فيه سطروبيون ثم اعتصر ما يخرج منه من وسخ ... يحلل

(١) ج ٢ ص ٧٦٧ . (٢) ص ١٠٤ .
(٣) ص ١٤٥ .

الأورام الصلبة ... ينفع من برد الكبد ... وبرد الكلى[1] .

١٠ - **الزِّئْبَقُ :**

في القاموس : م كدِرْهَم وَزِبْرِجٍ مُعَرَّبٌ ، ومنه ما يُسْتَقَى مِنْ مَعْدِنِهِ ، ومنه ما يُسْتَخْرَجُ مِنْ حِجَارَةٍ مَعْدِنِيَّةٍ بالنارِ ، وَدُخَانُهُ يُهَرِّبُ الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ مِنَ الْبَيْتِ ، وَمَا أَقَامَ مِنْهَا قَتَلَهُ .

في مفردات ابن البيطار : منقى من معدنه ومنه ما هو مستخرج من حجارة معدنه بالنار ... والموضع الذي يرتفع فيه دخانه تهرب منه الهوام من الحيات والعقارب وما أقام منها قتلها[2] .

في ضوء الموازنة :

مما سبق ، يظهر أَنَّ الفيروزابادي كان وثيقَ الصلةِ بهذه الثقافة الطبية التي طبقت آفاق الشرق والغرب ، وأَنَّهُ تأثر بها إلى حد بعيد ، وأخذ عن أشهر أعلامها ما جاء بالقاموس المحيط من الأدوية والعقاقير ونحوها ، وبخاصة ما عُرِّبَ في أثناء عصر الترجمة في الدولة العباسية ، لكن في كثير من الايجاز ، وحسن السبك ، وسلامة العبارة ، كما هو واضح من الموازنة بين ما في كتب الطب الآنفة الذكر وبين ما في هذا المعجم .

ويمكن أَنْ يُعْزَى إلى هؤلاء الأطباء أيضاً ما أورده القاموس من أَلْفَاظٍ أَعْجَمِيَّةٍ لم تُعَرَّب ، فقد كانوا كثيراً ما ينقلون إلى مؤلفاتهم من الأعجمي المولد ما لا يقره فصحاء العرب إِبَّانَ عصور الاحتجاج ، بل إنهم أَباحوا لأنفسهم نقل ألفاظ عجمية لها نظائر في اللسان العربي ولو أَدَّى الأمرُ أن يستعملوا للشيء الواحد اسمين مختلفين عن لغتين في وقت واحد .

وليس من المستطاع تعليل هذه الظاهرة إلاَّ بأنها ضرب من التساهل في اللغة ، لا مبرر له ، مهما يكن الباعث إليه .

---

(١) جـ ٢ ص ١٧٢ . (٢) جـ ٢ ص ١٧٧ .

على أَنَّ أكثرهم كانت له عناية بوصف الأمراض التناسلية وأدويتها ، لا تقل عن عنايته بوصف الأمراض الأخرى ، وما تُدَاوَى به ، وربما أسهب بعضهم في التحدث عن الأمور الجنسية ، وساق الأراجيز ، وصاغ الشعر من أجلها كابن سينا [1] .

لكن الذي ينبغي أن نقرره ، في ضوء ما تقدم ، هو أَنَّ الفيروزابادي بجانب نقله عن الأطباء خواصَّ الأدوية والعقاقير وما تُدَاوى به من مختلف الأمراض اقتدى بهم ، في إباحة التعريب بلا قيد ولا شرط ، وفي التحدث عن المسائل الجنسية والتناسلية وبخاصة الباه .

ويستطيع الباحث في القاموس أَن يرى عن كثب أن الفيروزابادي أَكْثَرَ من ذكر المعرب ، وأفاض في الكلام عن الأدوية والعقاقير ، والناحية الجنسية بما لم يجاره في ذلك عالم قبله من علماء اللغة .

وهو على ذلك ، يمتاز بهذا النهج الذي يُعَدُّ ، فيما أرى ، دليلاً واضحاً ، على قدرته اللغوية ، ومكانته العلمية ، وعلى أنه سلك مسلكاً جديداً في تأليف معجمه ، حاول به أن يجعل اللغة مسايرة للزمن الذي يعيش فيه ، معبرة عن أَلوان الحياة ومظاهر الثقافة ، التي لم تنل من عناية الأقدمين ما تستحق من تقدير .

٢ – الشئون الجنسية

تَحَدَّثَ الفيروزابادي عن الشئون الجنسية في القاموس المحيط ، وَعَبَّرَ عنها تعبيراً صريحاً ، وعُنِيَ بها عناية كبيرة ، على نحو ما هو مبثوث في أغلب المواد .

وحَسَنٌ منه تعبيره الصريح ، وتعريفه الواضح ، للألفاظ التي تتعلق بالجنس ، لأن مهمة المعجم أَنْ يوضح الألفاظ توضيحاً ، لا لَبْسَ فيه ، بقطع النظر عن إيحاءات اللفظ .

فاهتمام الفيروزابادي بالناحية الجنسية من هذه الزاوية ، إنما يفيد البحث

(١) انظر أُرجوزة في الطب لابن سينا ص ٢ وما بعدها (طب خط رقم ٧١ دار الكتب المصرية) .

اللغوي ، كما أن اهتمام (فرويد) بالناحية الجنسية يفيد من ناحية التحليل النفسي .

لقد كان كل منهما صريحاً وواضحاً في التعبير عن هدفه ، هذا من ناحية اللغة ، وهذا من ناحية علم النفس .

كان (فرويد) يرى الغريزة الجنسية [1] هي الدافع الأول الذي ترجع إليه مختلف نواحي النشاط الإنساني ، وكان يحاول إعلاءها ولا يدع للكبت إليها سبيلاً ، فالكبت [2] شر مستطير يمنع النزعات النفسية من السير في طريقها الطبيعي ، ويحدث بالإنسان أضراراً لها أثرها في المجتمع البشري .

وليس بدعاً أَنْ تَنَالَ هذه المسائل الحيوية الهامة بالقاموس ما هي جديرة به من الوصف والعلاج ونحوهما ، فمؤلفه يرى ألاَّ يكونَ داعية لهدمها باحجامه عن التحدث عنها ، وأنَّ من الواجب عليه أن يخصها بكامل عنايته ، ويجعل لها بمعجمه طريقاً تسلكها إلى قلوب الناس ومشاعرهم ، عسى أن يكون لهم فيها غناء .

ونستطيع أن نقول إن له فيمن سبقه من علماء اللغة أسوةً حسنة ، فقد ذكروا في معاجمهم قبله ألفاظ الرفث والعورات والسوءات ، وتحدثوا عن التناسل في المرأة والرجل أو الحالة الجنسية في الإنسان والحيوان بوجه عام .

وجاء بعدهم فجرى مجراهم ، وسار على نهجهم ، فَعَلَ ما فَعَلَ ابنُ دريد في الجمهرة ، وابن سيده في المحكم ، وابن منظور في لسان العرب ، والصغاني في العباب ، والجوهري في الصحاح ، وغيرهم كما في المواد : عرد . جحد . خجأ . شفلح . نبنب . وجأ . لعج . وقب . بعط . نجب .

---

(١) الغريزة كما يعرفها مكد وجل استعداد فطري عصبي نفسي غائي لها مظاهر ثلاثة تتلخص في الإدراك والانفعال والنزوع والغريزة الجنسية تهدف في جوهرها إلى حفظ النوع ويعدها (فرويد) أقوى دافع في حياة الكائن الحي ، ومهما يكن من أمرها واختلاف المذاهب في حقيقتها فهي عنصر قوي من عناصر الحياة الجنسية في تكيفها السوي وفي ضروب شذوذها وجنوحها . (انظر أسس الصحة النفسية الفصل ٢٥ ومحاضرات في التحليل النفسي الفصل ٢٠) .

(٢) في رأيه .

والمعروف أنَّ معظم أئمة اللغة السابقين من أصحاب المعاجم عرضوا للمسائل الجنسية في معاجمهم ، ولكن هذا العرض قد تفاوت بينهم كثرة وقلة حسب ميولهم وفطرهم التي فطروا عليها ، وبيئاتهم وأزمانهم التي عاشوا فيها ، فضلاً عما كان لديهم من غرائز الاستيعاب في التأليف .

فالجوهريُّ أقَلُّ تعرضاً من ابن منظور ، والأخير في عرضه يتحلل أحياناً فيروي عن غيره ، والزمخشري لم يعن بهذا غالباً .

وتوسع الفيروزابادي في ذلك ، وزاد على السلف احتفاله بالباه .

وتوسعه أو احتفاله ، كلاهما مبعثه كتب الطب التي ذاعت في عصره لابن سينا وابن جزلة وابن البيطار والرازي والغافقي والسلطان المظفر يوسف بن عمر بن علي وغيرهم ، ثم ميل فطري نشأ في نفسه ، وانبعاث غَرَزيّ[1] هَزَّ أوتار قلبه ، وتقدير حازم لناحية حيوية هامة ، لا يجوز السكوت عنها ، ولا مناص من الإفاضة فيها بقدر ما لها من جلال واعتبار ، فتصدى لها ووفاها ما استحقت في نظره من عناية وتعبير وإيضاح ، وكان بما أفاض وما استزاد وحيداً بين علماء اللغة الذين عاصروه أو تقدموا عليه من أصحاب المعاجم اللغوية .

إن صاحب القاموس كانت لديه غريزة حب التجميع في التأليف فوق ذلك كله ، فهو يؤلف الجليس الأنيس ، وأنواء الغيث في أسماء الليث ، وتحفة القماعيل فيمن يسمى من الملائكة والناس إسماعيل ، وليس ذلك من حب للخمر ، أو لليث ، أو لاسماعيل .

إنما حب الاستقصاء اللغوي لعالم ولوع باللغة وبالقيام على خدمتها هو الذي حمل الفيروزابادي على هذا المحمل .

وقد نَعَى عليه ذلك بعض النقاد المحدثين ، وقالوا انه بالغ في التنبيه على الباه وعلى الحالة الجنسية عامة ، بصورة تعف عنها النفس ، ويأباها الذوق ، كما

---

(١) غرزي نسبة إلى الغريزة حسب القياس ، وربما أجاز بعضهم أن تكون كما في قول الشاعر :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقيٌّ أقول فأعرب

والأَوْلَى أن يُحْفَظَ البيت ولا يقاس عليه .

أن أصحاب المعاجم الحديثة قد حذفوا من معاجمهم القسم الخاص بالرفث وألفاظ العورات والسوءات إبقاءً على الآداب وتنزيهاً للأعين من أن تقع على مثل هذه الألفاظ التي تهيج الشر من مكمنه ، وتنشر الإثم والخزي بين الناس .

ويغلب على الظن أن هؤلاء النقاد قد اتجهوا هذا الاتجاه إيثاراً لبعض مذاهب التربية التي دفعت المؤلفين من الفرنجة إلى تأليف كتبهم الجديدة في اللغة والأدب خالية من الألفاظ النابية والكلمات الجارحة .

لكن فاتهم أن فريقاً له خطره من علماء التربية أنفسهم وعلى رأسه (فرويد) لو سئل عن رأيه في منهج صاحب القاموس المحيط لأقره فيما ذهب إليه ، واعتبر مسلكه هو التربية الصحيحة الواقعية .

ويبدو لي أن هذا المذهب التربوي الذي عارض القاموس في حديثه الجنسي ، وعاب عليه التصريح بما صرح ، لا يعلِّم الناس إلاَّ الرياءَ وتَصَنُّعَ الأدب ، فالواقع أن أنصاره يسمعون بآذانهم ، ويبصرون بعيونهم أن كثيراً من القوم داسوا الفضيلة ، وانتهكوا حرمة الدين ، واقترفوا من الآثام ما تقشعر له الأبدان .

لكنهم مع هذا لا يغضبون إلاَّ للفظة يجدونها في كتاب ، ويدَّعون أن في ذكرها جرحاً للآداب وتقويضاً لصرح الشرف .

وعندي أنه لئن كان لهم بعض العذر في حذف ما حذفوا من كتب الأدب التي تقع بين أيدي الشباب والشابات ، فليس لهم عذر فيما حذفوا من المعاجم ، وإلا فكيف يفخرون بتمزيق أوصال اللغة ، وبتر أجزائها وتطاير أشلائها .

حريّ بهم أن يرقوا أخلاق المجتمع ، ويرفعوا مستواه ، ثم يتركوه بعد ذلك آمنين عليه ، مهما تمتلئ الكتب بهذه المسميات التي أشفقوا عليه منها .

ليس من الخير لأبناء الضاد أن يحذفوا شيئاً من مادة لغتهم ، لأنهم أمناء عليها ، ولا ينبغي لهم أن يميتوا شيئاً منها إلاَّ ما أماته أهلها.

ومن المؤكد أنه إذا كان ذكر هذه الألفاظ قبيحاً ، فحذفها أقبح وآثم ، وليس هناك مانع من أن نتمشى مع مذهبهم الجديد في أحاديثنا وما نذيعه من آدابنا ، وفي الكتب التي يتداولها صغار الطلبة والطالبات ، أما في المعجمات

الكبيرة ، فلا نذهب هذا المذهب بحال .

على أنه لا حرج عندي فيما أتى به الفيروزابادي من حديث جنسي فالتعبير عن الحالة الجنسية أمر واجب ، وخليق باللغوي أن يكون صريحاً في حديثه عنها ، وشرحه لها ، لأنه يكتب للتاريخ وللأجيال المتعاقبة ويؤدي أمانة لغوية ، لا تترعرع إلا في وضح النهار ، ويسجل في كتاب الزمن لغة تبقى على مر السنين والدهور .

ولو التزم الفيروزابادي سياسة الخجل والحياء ، أو تحدث عن الجنسيات في جو من الغموض والابهام ، ونَبَذَ من معجمه كل لفظة لا تتفق مع العرف والتقاليد ، ما استطاع الناطقون بلسان العرب أن يعبروا عن هذا الذي عبر عنه ، ولرافقهم العيّ حين تلح عليهم الضرورة في الكشف عما كشف أو الإبانة عما أبان ، ولعاشوا دهرهم تحت سماء العجمة اللغوية المريرة في أمر هو من صميم الحياة ، وذلك ما لا نرضاه للغتنا ولا لأنفسنا .

مَنْ كان سيضطلع بهذا العبء إذا حفزت الحاجة إليه ؟ وماذا كانت تصير إليه حياتنا إذا ما انعدم من لغتنا هذا الشطر الإنساني الكبير ؟

ليس من المبالغة أن يقال إن صاحب القاموس جدير بالإعجاب ، لأنه بذل جهداً مشكوراً في التعبير عن جانب حيوي هام ، وأَمَدَّ اللغة بثروة ضخمة من الكلمات التي وضحت ناحية لا غنى عنها لأي إنسان .

الخلاصة :

يمكنني أن أسجل هنا ، بعد الذي بسطته ، في هذا الفصل ، وفيما قبله من فصول هذا الباب ، أن القاموس المحيط يمتاز بالخصائص الآتية :

حسن الاختصار ، والضبط ، والتعريب ، والتوسع في ذكر الأعلام الشهيرة وأسماء الأماكن والبلدان ونحوها ، والتحدث عن الأدوية والعقاقير والأمراض ، والشئون الجنسية .

ولا نريد باختصاص القاموس بهذه الميزات ، أنها لا توجد في غيره من المعاجم ، وإنما نريد بذلك أمرين :

الأول : أن هذه الميزات مجتمعة مما انفرد به القاموس .

الثاني : أنه توسع في بعض هذه المزايا ، وابتكر في بعضها الآخر ، إلى درجة لم يسبقه إليها مَنْ قبله من أصحاب المعاجم .

والقاموس بهذه المزايا مجتمعة ، يمثل عناصر الثقافة الإسلامية بأوسع حدودها، أصدق تمثيل ، ولا يشاركه في هذه الخواص معجم آخر ، مما يدل على أن تأليف المعاجم اللغوية ، قد وصل على يد الفيروزابادي إلى قمة مجده .

الباب الرابع

نقد القاموس المحيط

الفصل الأول

التكلّف والقصور

تمتد إلى القاموس أحياناً بعض ألوان التكلف والقصور ، ونحن ، إذ نعرض لها ، نحاول بيان أسبابها فيما يلي :

١ – تعدد المصادر :

يظهر أن الفيروزابادي نهج في تأليف القاموس المحيط منهجاً ، قاده إلى القصور في جمع المادة اللغوية ، وحمله على التكلف في شرحها ، فقد اعتمد فيه على مصادر شتى ، وضحها في خطبته بقوله إنه « جمعه من المحكم والعباب ، ومن كتب أخرى جاوزت ألفي كتاب ، ومن فوائد امتلأ بها الوطاب » وكانت هذه المصادر المتنوعة (فيما أرى) هي التي وقفت به دون الهدف الأول من هذا التأليف ، وهو جمع المادة اللغوية مرتبة مشروحة ، وغلّبت عليها سواها مما استمده من غير كتب اللغة .

ولم يغب عن النقاد عاقبة مسلكه هذا ، فعابه كثير منهم ، واعتبروا منهجه وعراً ، صعب المنال ، بعيد الغاية ، وذكروا أن اعتماده في جمع القاموس على هذه المصادر الكثيرة كان سبباً في أمرين :

أحدهما – أنه ملأه بوصف الأدوية والعقاقير ، وأسماء المحدثين والفقهاء ، والأماكن والبقاع ونحوها ، مما طغى بن على متن اللغة نفسها ،

وجعله يسهو عن ذكر بعض ألفاظ القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، كتركه (الرحمن والرحيم) مع أنه لم يترك (محمد بن رحمويه كعمرويه ، ورحيم كزبير بن مالك الخزرجي) .

والآخر — أنه خلط المجاز بالحقيقة ، والغريب باللغوي ، والعامي بالخاص ، ومزج العجمية بالعربية ، على غير عادة اللغويين الذين لا يتعرضون لغير كلام العرب .[1]

وقد أدَّى الأمر الأول إلى تعويقه عن العناية بجمع اللغة ، كما أَدى الأمر الثاني إلى قصوره في جمعها ، فلو أضاف بعض ما بذل فيهما من جهد وبخاصة في جمع الأدوية والعقاقير وأسماء المحدثين والفقهاء والأماكن والبقاع ، إلى المجهود الذي بذله في جمع اللغة وتصنيفها لبلغ في ذلك درجة لا أظن أي نقد يمكن أن يتطاول إليها ، ولصار بمنأى عن التكلف والقصور فيما اضطلع به من عمل لغوي مجيد . لكن ، لا يفوتنا ، مع هذا ، إحقاقاً للحق ، أن نلفت القارئ الكريم إلى أن القاموس المحيط أول معجم لغوي كان ملتقى لثقافات متباينة مثلت اللغة والطب والسير وغيرها ، وقد يغتفر له ذلك ، بل لعله فتح جديد في حياة المعجم .

أما موقفه بالنسبة للغريب واللغوي ، أو العامي والخاص ، أو العجمي والعربي ، فهو في الغالب إن تعرض للعامي ذكر ما يقابله من الخاص ، وإن تصدى للغريب أو العجمي نَصَّ على ما يقابلهما من اللغوي والعربي ، كما أنَّ خَلْطَهُ المجاز بالحقيقة قد لا يعوق ذوي البصائر عن تمييزها .

ولست مع هذا أطمئن إلى قوله « وإن كل غث عنه مصروف »[2] إلا على أنه ضرب من المبالغة لأنه لم يسلم من الهنات ، ولا إلى قوله « وأنه صريح أَلْفَيْ مصنف من الكتب الفاخرة وسنيح ألفي قلمس من العيالم الزاخرة »[3] إلاَّ على أنه بذل جهداً جباراً في جمع مواده فجعلها حاوية لألوان شتى من العلوم

---

(١) الجاسوس ص ٦٥ — ٨٠ .

(٢) خطبة القاموس ص ٦ . (٣) خطبة القاموس ص ٦ .

والفنون في عبارة موجزة ، وقد أخذها من كتب كثيرة متنوعة لغوية وطبية غيرها .

٢ – الدقة في النقل :

يرى بعض الباحثين أن الفيروزابادي لم يأخذ من المحكم والعباب في حكمة ودقة بل أخذ منهما ومن الصحاح أخذاً لا يحالفه التوفيق أحياناً ، فيبدل العبارة التي يستقيها وهي فصيحة بعبارة غامضة مبهمة حشوها عجمة قبيحة مفوتاً على نفسه من هذا الورد الصافي بيان العبارة ووضوح التعريف ، ونسق المعاني ، ورصانة الكلام وإحكامه ، وفصاحة الأساليب .[1]

وأرجح أننا إذا ألقينا نظرة على المواد التي سقناها في الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب وهي من المحكم والعباب والصحاح والقاموس ، استطعنا أن نعرف شيئاً عن أوصاف كل معجم على حدة :

فالقاموس الذي نحن بصدده أكثرها اختصاراً وحديثاً عن الأعلام والدخيل والعقاقير الطبية والأمور الجنسية ، وأقدرها على صياغة الأساليب الموجزة المشتملة على المعاني الغزيرة . لكنه بالغ في الإيجاز الذي كاد يبلغ درجة الغموض ، وأتى في عبارته ببعض أسماء أعجميَّة ربما غضت من بهجتها . فقد كان الفيروزابادي أحياناً ينقل عن بعض الكتب عبارات يتصرف في أسلوبها تصرفاً يخرجها من الوضوح إلى الإبهام ، وفيما يلي أمثلة لذلك :

١ – في مادة (كلأ) : « الكلأ كجبل العشب رطبه ويابسه » ، وفي الصحاح : « الكلأ العشب وقد كلئت الأرض وأكلأت فهي أرض مكلئة وكلئة أي ذات كلأ وسواء رطبه ويابسه » فالضمير في رطبه ويابسه يرجع إلى الكلأ لا إلى العشب لأن العشب هو الكلأ الرطب ، كما قال الفيروزابادي والجوهري وصاحب المصباح عند تعريفه في مادته .

---

(١) الجاسوس ص ٥٤ .

٢ — في مادة (عتر) : « العتر بالكسر شاة كانوا يذبحون لآلهتهم كالعتيرة ». وفي الصحاح : « والعتر أيضاً العتيرة وهي شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم مثال ذبح وذبيحة » . حذف الفيروزابادي الضمير في (يذبحونها) فكان الحذف سبباً في قلة وضوح عبارته وجعلها قاصرة عن الوفاء بالفرض .

٣ — في مادة (حفل) : « احتفل الوادي بالسيل جاء بملء جانبيه » والظاهر من هذا التعبير أن ضمير جاء يرجع إلى الوادي مع أنه يرجع إلى السيل فكان الأولى أن يقول احتفل الوادي بالسيل إذا امتلأ جانباه منه . وفي الصحاح : يقال احتفل الوادي بالسيل أي امتلأ .

على أني لا أراه في الجملة خرج عن بيان العبارة ، ووضوح التعريف ، ونسق المعاني ، فهو في شرحه (على ما يبدو لي) فصيح ، محكم ، رصين الكلام غالباً ، لأن ما وقع فيه من مثل هذا التعبير المبهم قليل .

وقد يقال كان حَرِياً بالمؤلف أن يشافه العرب ، ويروى عن الثقات ، كما فعل الأزهري والجوهري وابن دريد ليكون معجمه جامعاً لما صحَّ من كلام العرب .

وعندي أنه ما دام قد أخذ عن العلماء الذين شافهوا العرب ورووا عنهم فذلك كاف في أن يكون معجمه كمعاجمهم مشتملاً على الصحيح من كلام العرب .

على أنه ربماتعذَّر عليه ذلك ، فما أظنه وجد عرباً في عصره تُجْدِي مشافهتهم ولم يأخذ عنهم ، أما ما ذكره في مادة (عكد) عن سكان جبل عكاد ، وهو أنهم باقون على اللغة الفصيحة ، فهذا ما قد ينهض دليلاً على تقصيره ، ولكنه كان موضع شك لدى الإمام الشيخ أبي الوفا نصر الهوريني ، حيث يقول في حاشيته على القاموس : « بقي النظر في صحة هذا الخبر إذ لا يحتمل أن اللغة العربية بقيت إلى عهد المصنف سالمة من اللحن حتى أنهم اعترضوا على الجوهري لقوله : ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية ، والجوهري كان قبل المصنف بنحو أربعمائة سنة »[1]. وقال أحمد فارس الشدياق : « إن الشارح أثبت

(١) مادة عكد .

قول المصنف وزاد عليه أن قال إلى الآن ، ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم ، يعني أنهم لا يدعون الغريب يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال ، فالعجب أن المصنف والشارح لم يذكرا عددهم ولا حسبهم ولا نسبهم وتمام العجب أنه لم ينبغ فيهم شاعر فيصل إلينا من شعره شيء ، وأن المصنف لم يشافههم كما شافه الجوهري عرب زمانه مع أنه كان قريباً منهم »[1]

٣ – الاستيعاب :

ليس من شك في أن الفيروزابادي لم يستوعب ما في أصليه (المحكم والعباب) فقد فاته كثير من الكلام الفصيح المبسوط فيهما بل فاته أيضاً كثير مما بسطه الجوهري وشرحه أتم شرح حتى لو أحصى ما فاته من هذه الكتب الثلاثة لوجد أن ما فاته منها أكثر مما جمعه بمقدار كبير ، أما ما فاته من اللسان فأجل من أن يحصر .[2]

والحق أن القاموس تضمن خلاصة وافية من هذه الكتب لو توسع فيها لزاد حجمه عما هو عليه كثيراً ، وليست الخلاصة التي احتواها جامعة مانعة كما يبدو لأول وهلة .

والظاهر أن المؤلف كان مبالغاً حين قال انه ألف قاموسه جامعاً للغة ، لما رأى إقبال الناس على صحاح الجوهري الذي « فاته نصف[3] اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادة »[4] فهناك مواد أخرى لم يجمعها في كتابه مع أنها وردت في بعض المعاجم سواه كالمحكم والعباب مثل : الحزب بمعنى النوبة والحظ والنصيب . واحتج بالشيء إذا اتخذه حجة . وارتصده بمعنى رصده . واستظرفه أي عده ظريفاً . واستلطفه أي عده لطيفاً . وامتلك الشيء بمعنى ملكه . واكتمل بمعنى كمل . وابتعد نقيض اقترب . وارتبط مطاوع ربط . واقتنع بالشيء بمعنى قنع . وشاق إلى الشيء بمعنى اشتاق . وماثله أي شابهه . وزلف إليه أي دنا منه . وارتجف والتقف والتمع (مبنيات للفاعل)

---

(١) الجاسوس ص ٥١٤ .

(٢) الجاسوس ص ١٢٣ .   (٣) في بعض النسخ:ثلثا اللغة .   (٤) خطبة القاموس ص ٤ .

بمعنى رجف ولقف ولمع . واغتبطه بمعنى غبطه .

على أنه لم يستدرك ما فات الجوهري من فصيح الكلام ، وإنما الذي استدرك ذلك هو الصغاني في كتابه التكملة .

وربما كان الذي حمله على أن يقول إن الجوهري فاته نصف اللغة هو أنه كان عنده نسخة من كتاب (التكملة والذيل والصلة) للإمام رضي الدين الصغاني استدرك فيها على الجوهري ما فاته من اللغة ، وهي أكبر حجماً من الصحاح ، فظن الفيروزابادي أن الصحاح حوى نصف اللغة والنصف الثاني حوته التكملة[1] .

ويبدو أن معظم الزيادة التي كاثر بها الجوهري أخذها من التكملة التي قال مؤلفها إنه جمعها من كتب تربى على الألف ، وإذا صح ذلك كانت التكملة ألفاً من الكتب ثبت للمؤلف من الألفين اللذين أشار إليهما حين بين أن قاموسه خلاصة ألفين من الكتب الثمينة ، والألف الثاني من كتب اللغة والطب والتاريخ والجغرافيا وغيرها ،

ويخيل إلي أن الأسفار الستين التي خَمَّنَ فيها اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب بادئ الأمر ثم اختصرها في القاموس كان كل منها صغير الحجم ، وليست ضخمة كما عرف هو به في مادة (سفر) حيث قال : « السفر الكتاب الكبير » لأن المحكم والعباب اللذين احتواهما لا يبلغان ستين سفراً كبيراً ، كما أن الزيادات التي ضمها إليهما لا تبلغه هذه الستين ، مع أنها أسماء أعلام وأمكنة أو وصف أدوية أو أشياء أخرى كحكاية الزبعري .

والنقاد لا يعدون الزيادات التي زادها القاموس على الصحاح واردة في صحيح اللغة ، لأنها إمَّا مجازية ، وإمَّا عرفية ، وإمَّا مولدة ، قال الشدياق : « والمعاني الغريبة النادة التي ادَّعى أنه جاء بها أثناء المواد غالبها إما مولد لا أصل له في كلام العرب أو مجازات مستعملة في غير موضعها الأصلي ، أو اصطلاحات لبعض الفقهاء والأطباء وغيرهم كما لا يخفى »[2]. ومما أضافه من الكلمات

(١) الجاسوس ص ٧٦ – ١٠٧ .

(٢) الجاسوس ص ١٠٦ – ١٢٨ .

الأعجمية : الْبِرَنْجُ ، والْأُشَّجُ ، والبَسْفَانَجُ ، والْبَابُونَجُ ، والْبَهْرَامَجُ ، والْجَسْمَيْزَجُ ، والْجَوْزَاهَنْجُ ، والْإِسْفِيدَاجُ ، والشَّافَافَجُ ، والشَّهْدَانِجُ[1] ، وغيرها من المواد التي جاءت فيه مكتوبة بالحمرة . وهذه الكلمات وأضرابها تدلنا على أن الفيروزابادي تأثر بالثقافة الطبية تأثراً واضحاً .

لكني لا أذهب مذهب الذين وصفوه بأنه طبيب لا عالم لغوي ، لأن أغلب الكلمات الأعجمية قد عُرِّبَ وصار من صميم اللغة ، كذلك المجازات التي اشتهرت ، والمصطلحات التي تولدت أصبحت بعد أن نقلت إلى معناها الجديد تؤدي وظيفة لغوية صحيحة ، كان لا بد منها ، وإلاَّ تركت نقصاً ظاهراً .

على هذا ، كان الفيروزابادي عاملاً فعالاً في أن اللغة نمت وكسبت من هذه الثقافة الطبية مغنماً طيباً ، عَلَى أَنَّهُ لم يقصر في السعي وراء الصحيح الفصيح من كلام العرب حتى اقتبس من صحاح الجوهري شيئاً كثيراً ، كما ظهر من مطابقة الكتابين[2] ، وإن كان قد بالغ في إنكار ذلك .[3]

هذا وما كنا ننتظر أن يقصر الفيروزابادي في حصر مواد اللغة ، بعد أن ذكر أن الجوهري فاته نصف اللغة أو أكثر ، وكان تقصيره في ذلك موضع لوم الشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني صاحب فلك القاموس إذ يقول : « قال (أي الفيروزابادي) إنه فات الجوهري نصف اللغة أو أكثرها بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادرة فكان عليه بعد هذا الكلام أَلاَّ يهمل شيئاً ذكره الجوهري لكنه أهمل من المعاني الفصيحة التي ليست بغريبة ولا نادرة من التي ذكرها الجوهري ما لو جمع لكان جزءاً لطيفاً ، ولنذكر نموذجاً يعرف به ذلك بقياس غيره عليه ؛ فمن ذلك : في (ذرع) فإنه أهمل مما في الصحاح

---

(١) البرنج ، كهرقل : دواء م يسهل البلغم . الأُشَّج ، كزُمَّج : دواء كالكُنْدَر . البسفانج ، بالنون قبل الجيم كما في التاج وبالياء التحتية قبل الجيم كما في القاموس : عروق في داخلها شيء كالفستق عفوصة وحلاوة نافع للماليخوليا والجذام . البابونج : زهرة م كثيرة النفع . البهرامج : نبت طيب الرائحة . الجسميزج : دواء نافع لوجع العين . الجوزاهنج : دواء هندي . الإسفيداج : رماد الرصاص. الشافافج : نبت هو البرنوف . الشهدانج : حب القِنَّب .

(٢) انظر الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب .

(٣) الجاسوس ص ١٠٣ .

سبعة معان : الأول : ذراع العامل وهو صدر القناة . والثاني : قولهم هو مني على حبل الذراع أي معد حاضر . والثالث : قولهم انظرت فلاناً ذرعه أي كلفته أكثر من طوقه . والرابع : اقصد بذرعك أي اربع بنفسك . والخامس : التذريع في المشي وهو تحريك الذراعين . والسادس : يقال للبشير إذا أومى بيده قد ذرع البشير . والسابع : قولهم قتلٌ ذريعٌ ، أي سريع ، يقال : قتلوهم أذرع قتل ... »[1].

لكني أقول : لعل للمؤلف عذراً ونحن نلوم ، فاللغة واسعة يعجز عن الإحاطة بها أي عالم ، مهما يكن ضليعاً متبحراً فيها ، ولا أظن واحداً من أصحاب المعاجم قبله استطاع أن يحصي جميع كلماتها في كتابه ولو بذل من الجهد ما بذل ، وكفى الفيروزابادي تقديراً أنه جمع هذه المواد الكثيرة على هذا النهج الوافي ، وبذل مجهوداً مثمراً في تأليف هذ المعجم القيم .

---

(١) فلك القاموس ص ١١ .

الفصل الثاني

الغموض والاضطراب

إذا أنعمنا النظر في مواد القاموس المحيط ترتيباً وتفسيراً وصياغة ، وجدنا أن المؤلف قد اضطرب فيما صنعه منها اضطراباً غير قليل ، وتوغل بها في طرق مبهمة من حيث أراد الإبانة والوضوح حتى لفت إليه الأنظار ، وعرض نفسه لهجمات النقاد ، فقد رأوا أنه لم يبلغ في تصنيف كتابه مبلغاً ينأى به عن نقدهم ، واستبانوا أنه لم يوضح مواده توضيحاً تاماً ، ولم يرسم الحدود المَعْنيَّةَ بها رسماً ظاهراً ، يسهل الانتفاع بالكتاب ، ويمكّن من أن يستفيد به المتأدبون ورواد الحقيقة والباحثون عن المعرفة .

على أنه ترك منافذ التأويل تنصب انصباباً على شرحه وتنسيقه ، فسلك القراء منها مسالك شتى ، قد تبلبل الأفكار ، وتحمل طلاب العلم واللغة مشاق جساماً في سبيل الوصول إلى ما يبتغون .

والأجدر بنا في نظرتنا إلى القاموس أن نقف قليلاً إلى الأسباب التي غضت من قيمته ، والمواضع التي أشاعت الغموض في سماء بهجته ، فنحددها ، وندلي بدلونا فيها ، والله معنا .

إن الذي أدى إلى كثير من الاضطراب والغموض بالقاموس ، فيما نرى ، يتناول الأمور التالية :

١ – بدء المادة :

لم يستهل المؤلف مادته بما هو أصل لألفاظها ، فقد بدأها أحياناً ، بأحد المشتقات أو المعرب ، بدلاً من أن يبدأها بالفعل أو المصدر ، باعتبار أن أحدهما أصل التصريف والاشتقاق ، كما ذهب نحاة البصرة أو الكوفة ، على نحو ما أسلفناه (١).

كقوله في أول مادة (حصل) : « الحاصل من كل شيء ما بقي وثبت وذهب ما سواه ، وحصل حصولاً ومحصولاً » .

وفي أول مادة (جاد) : « الجيد ككيس ضد الرديء ج جياد وجيادات وجيائد ، وجاد يجود جودة صار جيداً .

وفي أول مادة (جمس) : « الجاموس م معرب كَاوْمِيش ... جَمَسَ والجامس من النبات ما ذهبت غضوضته » . مقدماً اللفظ المعرب على اللفظ العربي .

٢ – اضطراب الشروح :

لم يتبع الفيروزابادي نظاماً معيناً في ترتيب شرحه للمواد ، فهو يبدأ في التفسير ، وقبل أن يتمه أو يذكر معاني مشتقات المادة ، يتعرض لشرح مادة أخرى ، ثم يعود فيكمل شرح الأولى ، أو شيئاً منه ، ثم ينتقل إلى شرح مادة ثالثة ، أو يعود لتكملة شرح الثانية ، وهكذا يستطرد ، فلا يكاد يمضي في شرح مادة حتى يدعها إلى أخرى ، ثم إلى ثالثة ، قبل فراغه من الثانية أو الثالثة .

وبذلك بعثر معاني الكلمة الواحدة في مواضع متباعدة ، حتى انه ليذكر في أول المادة أحد معاني اللفظة ، ثم يذكر باقيها في أماكن أخرى من المادة فقد قال في أول مادة (شرف) : « الشرف محركة العلو والمكان العالي والمجد » ثم قال بعد نحو خمسة وثلاثين سطراً : « وشرف ككرم شرفاً محركة

---

(١) ص ٩١ من هذا الكتاب .

علا في دين أو دنيا » . وقال في أول مادة (شعر) : « الشاعر المفلق خنذيذ ومن دونه شاعر ثم شويعر ثم شعرور ثم متشاعر . » ثم ذكر : « أشعر الجنين وشعر واستشعر وتشعر نبت عليه الشعر » ثم انتقل إلى الثلاثي ، ثم قال : استشعره لبسه أي لبس الشعائر وأشعر الهم قلبي لزق به » ثم رجع إلى الثلاثي إلى أن قال في آخر المادة : « والمتشاعر من يرى من نفسه أنه شاعر » وبينه وبين المتشاعر الأول ثلاثة وعشرون سطراً .[1]

وهذا اضطراب (ما في ذلك من شك) ربما فوت على القارئ الفائدة ، أو شيئاً منها ، أو وضع أمامه العقبات الوعرة ، يلقى في اجتيازها المشاق الكثيرة حتى يصل إلى بر الحقيقة ، إن استطاع الوصول إليه ، بسلام .

والأجدر به أن يشرح مادة مادة ، لا ينتقل إلى واحدة إلا بعد أن يفرغ من شرح سابقتها ، ففي مادة (كلأ) ، يشرح أولاً (كَلأ) وما اشتق منها ، ثم (أكلأ) ، ثم (كَلّأ) ، ثم (اكتلأ) ، كل واحدة مع ما تصرف منها ، وهكذا .

وهو ، فوق ذلك ، لم يراع في المادة أن يسوق معانيها المتقاربة أو المتشابهة بعضها في إثر بعض ، بل كان يجمعها جمعاً يظهر فيه عدم التناسب في وضع هذه المعاني المتجاورة ، فمثلاً (الخندق) قال :

١ — إنه « حفير حول أسوار المدن »
٢ — وإنه « محلة بجرجان منها كامل بن إبراهيم »
٣ — وإنه « ة بباب القاهرة منها موسى بن عبد الرحمن »
٤ — وإنه « حفير لسابور الملك ببرية الكوفة »
٥ — وإنه « ابن أياد الدبيري راجز »

وكان الأولى أن يوائم بين المعاني فيذكر للمادة ، ما اتفق من معانيها ، أو تقارب ، أو تشابه ، فيضع هنا المعنى الرابع بعد المعنى الأول ، ثم يعود إلى الثاني فالثالث فالخامس ، والعكس في ترتيب هذه الثلاثة أحسن ، حتى يكون لأعلام الأناسي الصدارة عند ذكر الأسماء ، ثم تأتي أسماء الأماكن التي تؤثر

---

(١) الجاسوس ص ٢٧٥ — ٢٨٣ .

بالتقديم منها البلدان أو القرى على المحال أو المواضع .

٣ – إغفال بعض الشرح :

المعروف أن القاموس مرجعنا الأهم في تفسير مواد اللغة ، وإيضاح مغزاها ، ولقد اغتبطنا به حين طلبنا إليه كشف الغامض ، وشرح المبهم ، فأفاد وأجاد .

لكنه قد يثير لوم القارئ حين يجده مقصراً في شرح بعض الكلمات ، ويتركه حيران لا يعرف من معناها شيئاً ، وكان عليه ألاَّ يغفلها ، أو يقف حيالها مكتوفاً ، كما فعل[1] في : (جَحْلَنْجَع والشَّيْنَقُور وعُطْرُوس) حيث يقول :

« جَحْلَنْجَعُ في قول أبي الهَمَيْسَعِ :

أَنْ تَمْنَعِي صَوْبَكِ صَوْبَ المَدْمَعِ   يَجْرِي على الخَدِّ كضِئْبِ الثَّعْثَعِ
من طَخْمَةٍ صَبِيرُهَا جَحْلَنْجَعِ

ذكروه ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مدين وماكنا نكاد نفهم كلامه . »

« الشَّيْنَقُورُ كحيزبون هكذا جاء في شعر أمية بن أبي الصلت ولم يُفَسَّرْ »

« عُطْرُوس كعصفور في شعر الخنساء في قولها :

إذا تخَالَفَ ظَهْرَ البيضِ عُطْرُوسُ

ولم يُفَسَّر قاله ابن عَبَّاد ، ولم نجده في ديوان شعرها . »

على أن المؤلف استعمل ألفاظاً في مواضع كثيرة من القاموس لم يشرحها في موادها ، فقد ذكر (الأندلس) في بعض المواد ، ولم يفرد لها مادة خاصة . وجاء (بالباذنجان) في (أنب وشرجب وقهقب وكهكب ولفح ونفح ومغد ووغد وحدق وحصل وكهكم) وبيَّنَ أنه الأنب والشرجب والقهقب والكهكب والوغد والمغد والنور والحدق والحوصل والكهكم ، ولم يذكره في باب الجيم ولا في باب النون . قال ابن الطيب الفاسي في مادة (أنب) : « هذا عجيب

---

(١) أريد أنه لو استطاع أن يفسر هذه الكلمات ويوضح مبهمها لكان خيراً ، لكنه حين يجتهد في ذلك فلا يستطيع ، فيقف عند حد ذكرها كالعلماء السابقين ، فإني أعد هذا العمل منه أمانة لغوية تستحق التنويه ، لأنه هو ما جرى عليه أصحاب المعاجم حين لا يجدون سنداً في التفسير .

فإنه لم يذكر الباذنجان ولا عرج عليه في باب الجيم ولا في باب النون ولا في غيره ، وذكر له أسماء في أثناء الكتاب وفسرها به. قال في فصل الكاف من هذا الباب : الكهكب الباذنجان وفي الدال الوغد والمغد كلاهما فسره بالباذنجان وفي الراء النور وفي القاف الحدق وفي اللام الحوصل وفي الميم الكهكم وفي مواضع غير هذه يذكر ألفاظاً ويفسرها بالباذنجان ، مع أنه أغفله ولم يتعرض لذكره في مظانه فكان كالتفسير بمجهول والإحالة على غير معلوم ولا معقول . »

وهناك ألفاظ أخر خلت منها مظانها ، وفسر بها غيرها كالابنوس لم يرد في فصول السين كلها وفسر به كثيراً من الألفاظ والأشجار . وكالحيزبون أي العجوز استعمله في تفسير الحيزبور والقيدحور والهيجبوس والجيثلوط والعيضفوط والخيتروع والعيجلوف والجيهبوق والعيطبول والزيزفون[1] . ولم يذكرها في باب الباء ولا في باب النون . وأوردها الجوهري وابن منظور في حزب .

وكذلك أتى بالتناسخ في سمن وخرم . وشجرة الماهيزهره في سمم . والمهرجان وحي العالم في لوف . والموسيقى في ربب . والعَاقِرْ قَرْحَا في غرب . والتلميذ في نبت . والصوفية في ربب ، وشد ، وجلو . والكرامات في جبر وحجر . وتمذهب في قلص . والقصدير في رصص وهي يونانية . والكهولة في صتم . والرفيع بمعنى الرقيق في بندق . وغيرها . ولم يجعل لواحد منها مادة خاصة يفسره فيها .

وقد أورد ألفاظاً في موادها ، من غير قصد ، مفسراً بها ما قبلها ، أو معلقاً عليها المعنى دون أن يكون قد شرحها من قبل ، فيترتب على ذلك غموض في التفسير .

---

(١) القيدحور : السيئ الخلق . الهيجبوس : الرجل الأهوج الجافي . الجيثلوط : شتم اخترعه النساء ولم يفسروه . العيضفوط : الْعِذْيُوْط والْعُذْيَوْطُ : دُوَيبَّة بيضاء ناعمة يُشَبَّهُ بها أصابع الجواري . العيجلوف والأَوْلَى عيجلوف : اسم النملة المذكورة في التنزيل . الخيتروع : مقلوب الخيتعور وهي المرأة التي لا تثبت على حال . الجيهبوق : خرء الفأر . العيطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق ، ويقال لها أيضاً عطبل كقنفذ وعطبول وعطبولة . الزيزفون : نعت للناقة السريعة من زفن بمعنى رقص . (الجاسوس ٣٥٥ – ٣٥٦) .

وربما كان قد رأى هذه الألفاظ مفسرة في الكتب التي نقل منها فأتى بها اعتماداً على أن القارئ اطلع عليها قبل مراجعة كتابه ، أو كان يستطيع أن يعرفها من سياق عبارته . ومن ذلك قوله في (عصب) : « تعصب شد العصابة وأتى بالعصبية . » ولم يذكر العصبية من قبل[1] . وفي (عكز) : « عكز على عكازته توكأ . » ولم يفسر العكازة .

وعبارة الصحاح : « العكازة : عصاً ذات زج والجمع العكاكيز . » ولم يذكر منها فعلاً . وفي (قدو) : « القدوة مثلثة وكعدة ما تسننت به واقتديت به . » ولم يذكر (اقتدى) من قبل ولا من بعد .

ووضع ألفاظاً في مكانها الذي هي جديرة بأن تشرح فيه ، وأشار إلى أنها شرحت في مواد أخرى . لكنه كان يتركها في الغالب دون أن تنال منه شيئاً من تفسير أو قدراً من إيضاح هنا أو هناك .

كالحفيتأ : قال في (حفت) : « والحفيتأ في الهمز » . ولم يُجْرَ له ذكر فيه .

وسمرقند : قال في (قند) : « وسمرقند في الراء » . ولم يذكرها فيه .

والدينار : ذكر في الراء : الدينار مُعَرَّبٌ أصله دِنَّار فابدل من أحد النونين ياء لئلا يلتبس بالمصدر ككذاب وتفسيره في (ح ب ب) . ولم يفسره هناك .

٤ – تفسير كلمات في غير موادها :

ويبدو لي أن الفيروزابادي وضع كلمات مفسرة في مواد ، وكان الأَلْيَقَ أن توضع في غيرها . ولنعرض طرفاً منها على سبيل التمثيل :

١ – قال المؤلف في مادة (طور) : « طوطرني رماني مرمى بعد مرمى . »
وعلق عليه الشدياق بقوله : « ذكره الفيروزابادي هنا وهو غلط واضح لأن الواو فيه ليست عين الفعل فيذكر في (طور) بل هي زائدة للإلحاق بدحرج فوزن طوطر فوعل لا فعلل والصواب ذكره

---

(١) الجاسوس ص ٣٥٠ .

في (ط ط ر) ككوكب في (ك ك ب) لأن المثلين في نحو ذلك أصلان كما حقق في علم الصرف إلا أن يدعي أنه منحوت من قولهم طوراً بعد طور ودونه خرط القتاد .[1]

٢ – قال المؤلف في (برز) : « تبريز وقد تكسر قاعدة أذربيجان ثم قال في فصل التاء : تبريز ذكر في (ب ر ز) وذكره ابن دريد في الرباعي . »

وعلَّق الشدياق بقوله : هو اسم فارسي مركب من كلمتين هما تب وريز ومعناهما مسقط الحمى يزعمون أن من دخلها محموماً فارقته . ولهذا ذكره ابن دريد في الرباعي ووهم الفيروزابادي وغيره فذكروه في (ب رز) .[2]

٣ – قال المؤلف في (سجس) : « سجستان بالكسر د معرب سيستان وهو سجزي ويفتح وسجستاني وعندي أن الصوابِ الفتح لأنه معرب سكستان وسك يطلقونه على الجندي والحَرَسِيِّ ونحوهم وسألت بعضهم عن جماعة من أعوان السلطنة فقال بالفارسية سَكَانِ أًمير أي هم كلاب الأمير ولم يرد الكلاب وإنما أراد اجناد الأمير وهو مشهور عندهم . »

وقال الشدياق : « الصواب ذكرها في باب التاء لأنها فيها أصلية لا زائدة وذِكْرُ الفيروزابادي لها هنا وهم . »[3]

وعندي أن في قول الشدياق (الصواب ذكرها في باب التاء) نظراً ، لأنه إذا صَحَّ تفسير الفيروزابادي للكلمة ، وهو الأرجح ، فقد كان الأولى أن تذكر المادة في باب الجيم ، لأن (ستان) التي في النهاية لاحقة تفيد معنى موطن أو مكان كما في (هندستان وأفغانستان وبلوخستان وبستان التي أصلها بوستان) أي بلاد الهنود وبلاد الأفغان وبلاد البلوخ ومكان الرائحة الزكية .

٤ – قال المؤلف (في فصل السين باب الراء): الإسكندر ابن الفيلسوف

---

(١) الجاسوس ص ٥٠٤ . (٢) الجاسوس ص ٢٠٩ . (٣) الجاسوس ص ٥١٣ .

وتفتح الهمزة ملك قتل دارا وملك البلاد، والاسكندرية ستة عشر موضعاً منسوبة إليه .

قال الشدياق : « ذكْر الفيروزابادي الاسكندر والاسكندرية في فصل السين غلط قبيح إذ لا يجهل من له أدنى إلمام بعلم الصرف أن الهمزة إذا وقعت أولاً وبعدها أربعة أصول فهي أصل إجماعاً . قلت وبقي النظر في قوله ابن الفيلسوف وصوابه ابن فيلبس . »[1]

وقد وَضَعَ المؤلفُ اللفظَ في أكثر من مادة واحدة ، دون تنبيه عليه . وربما اختلفت روايته فيه ، أو شرحه له ، وذلك حيث يقول :

١ – في مادة (قبع) : « القُبَّعَةُ كَقُبَّرَةٍ خِرْقَةٌ كَالْبُرْنُسِ وَلاَ تَقُلْ قُنْبَعَةٌ . »

و(قنبع) : « والقُنْبُعُ الرجلُ القصيرُ والقُنْبُعَةُ للأنثى ، وَخِرْقَةٌ تُخَاطُ شَبِيهَةً بالبُرْنُسِ ويَلْبَسُهَا الصِّبْيَانُ . » باختلاف في رواية القنبعة التي أنكرها ثم أباحها .

٢ – وفي مادة (تريد)[2] : « مَا تُرِيدُ بالضم ة ببخاراء »

(رود) : « مَا تُرِيدُ مَحَلَّةٌ بِسَمَرْقَنْدَ . »

٣ – وفي مادة (قمش) : القماش ما على وجه الأرض من فُتَاتِ الأشياء . »

(شذب) : « الشَّذَبُ متاع البيت من القماش وغيره . »

(قثر) : القَثَرَةُ قماش البيت ، واقْتَثَرْتُ الشيءَ أَخَذْتُهُ قماشاً لبيتي . »

(عدو) : عَدَا اللِّصُّ على القُمَاشِ عَدَاءً وعُدْوَاناً بالضم والتحريك سَرَقَهُ . »

٤ – وفي مادة (رهم) : « المَرْهَمُ كمَقْعَدٍ طِلاَءٌ لَيِّنٌ يُطْلَى به الجُرْحُ مشتق من الرهمة للينه . »

(مرهم) : « المرهم دواء مركب للجرحات ، وذِكْرُ الجوهري له في رهم وهم ، والميم أصلية لقولهم مرهمت الجرح ، ولو كانت زائدة لقالوا رهمت . »

---

(١) الجاسوس ص ٤٤٩ . (٢) أي باب الدال فصل التاء .

وأرى أنه لا يعاب على المؤلف أن يضع اللفظ في أكثر من مادة إذا كان من المحتمل أن يُشْتَقَّ من إحداها كالاثفية التي ذكرها في أثف وثفى لأنه يقال أثف القدر وآثفها وأثفاها وثفاها غير أن وزنها من أثف فعلولة وجمعها فعاليل ، ومن ثفى أفعولة وجمعها أفاعيل . وكالمكان الذي ذكره في (كان) وجمعه على أمكنة وأماكن ، ثم أعاده في (مكن) . **وكالمعان** بمعنى المنزلة ، أورده في (عون) ثم في (معن) . وكالأباءة كعباءة التي ذكرها في (أبأ) ، و(أبى) أي المهموز والمعتل .

أما الذي يعاب عليه فهو التناقض في شرح المادة ، إذ يذكر الكلمة في مادة ، ثم يذكرها في مادة أخرى مخطئاً ذكرها في المادة الأولى ، أو مغيراً شرحها في واحدة عنه في الأخرى .

٥ – تكرار بعض الألفاظ :

وفي الحق ان في القاموس عيباً واضحاً قلما نلحظه في غيره من كتب اللغة ، ذلك هو التكرار في بعض ألفاظ المادة الواحدة ، حيث يذكر اللفظة أحياناً في أكثر من موضع بمادتها دون أن يختلف معناها ، أو يتغير مبناها ، وبذلك أخطأه الإيجاز . ومن ذلك قوله :

في (حضر) : « الحضرة والحاضرة والحضارةويفتح خلاف البادية » وبعد خمسة عشر سطراً : « والحاضرة خلاف البادية وأذن الفيل . »

وفي (يسر) : « تيسر واستيسر تسهل » وفي آخر المادة : « تيسر تسهل والنهار برد واستيسر له الأمر تهيأ . »

وفي (عنك) : عنك الباب أغلقه كأعنكه » وبعد نحو سطرين : « وعنكه وأعنكه أغلقه . »

وفي (الجمل) : « والجميل الشحم الذائب » وفي آخر المادة تقريباً : « وكأمير الشحم يذاب فيجمع . »

وربما يذكر اللفظة وشرحها في أكثر من مادة بلا تغيير محسوس كما في

مادتي (الجأجأ) و(جاء) : قال في الأولى : « وجأجأ بالابل دعاها للشرب بجئ جئ . »

وقال في الثانية : « جأجأ بالإبل دعاها للشرب . »

٦ - زيادة بعض المواد المشتركة :

هذا وقد ميز الفيروزابادي ما زاده من المواد على ما في الصحاح للجوهري بالحمرة بأن كتبه بالمداد الأحمر ، ولكنه أهمل تمييز ما زاده عليه من معان للمواد المشتركة ، فتعذر على الباحث التمييز بين المعاني المشتركة والمزيدة . وتَنَبَّهَ لذلك صاحب الجاسوس فقال : « إن المصنف بيّن المواد التي أهملها الجوهري بالحمرة لكنه أهمل علامة ما زاده في المواد المشتركة مما تركه الجوهري ، فما يعلم قدر ما زاده إلا بعد مقابلة كتابه بالصحاح ، إذ لا علامة على التمييز ، وكان الجاري على مقتضى ما نبه عليه بالحمرة أن يجعل لما زاد علامة أخرى وفيما أودعه الجوهري من الشواهد والفوائد ما يقوم مقام تلك الزوائد . » [١]

وأرجح أن تَرْكَ تمييز المعاني الزائدة نشأ من إهمال النساخ ، فقد ذكر صاحب الفلك أن النساخ تصرفوا في القاموس حتى جاء في بعض النسخ ما التزم مجد الدين كتابته بالأحمر مكتوباً بالأسود ، وبالعكس . [٢]

٧ - تقييد التعريف :

ذهب الفيروزابادي أحياناً في شرح الكلمة إلى تقييد تعريفها تقييداً يدعو إلى الشك ، والأَوْلَى إطلاق هذا التعريف إيضاحاً للمعنى ووفاء بالدلالة اللغوية . ومن ذلك قوله : « التأتأة مشي الطفل » يظهر للقارئ من هذا التعريف أنه لا يقال لمشي غير الآدمي من صغار الحيوان ، وليس كذلك ، ففي العباب أكثر ما يقال في التيس . أما قوله : « أزأ الغنم أشبعها » فالظاهر أنه لا يقال لغير الغنم ، لكن قال الشدياق : « وفي هذا نظر » [٣] .

---

(١) الجاسوس ص ١٠٥ . (٢) فلك القاموس ص ١٣ . (٣) الجاسوس ص ٢٧٠ .

وقد يعرِّف لفظة بلفظة أخرى من غير أن يبين الفرق بينهما من ناحية تعديتهما بحرف الجر ، حيث قال : « الوجل الخوف » مع أن وجل يتعدى بمن وخاف يتعدى بنفسه . وقال : « العتب الموجدة والملامة » ولام يتعدى بنفسه ، وعتب ووجد يتعديان بعلى . وقال : « العوذ الالتجاء كالعياذ والاستعاذ . » وعاذ يتعدى بالباء ، والتجأ يتعدى بإلى .

وعبارة المحكم : « عاذ به عوذاً وعياذاً ومعاذاً لاذ به . »

وشرح الفيروزابادي اللفظ بلازم معناه ، ومفهومه ضمناً ، فقد فسر (الزهيد بالقليل) وهو فعيل بمعنى مزهود فيه ، وإن كان كثيراً ، لكن لما كان الناس يرغبون غالباً في الكثير ، ويزهدون في القليل ، غلب استعمال الزهيد في القليل . ومثله: بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ ، فأصل معنى أزجي دفع ، فكأنك قلت بضاعةٌ مدفوعة ، ولازمها القلة .

٨ – الدور والتسلسل :

يكاد يكون الدور والتسلسل واضحاً في تعريف الفيروزابادي لبعض كلمه ، حتى لامه كثير من العلماء على هذا المسلك الذي يفسر به أحد اللفظين بالآخر . ومن ذلك قوله : المجاز ضد الحقيقة . الحقيقة ضد المجاز . الجو الهواء . الهواء الجو . السخط ضد الرضا . الرضا ضد السخط .

قال صاحب الفلك : « إنه كثيراً ما يفسر الغريب بلفظ أغرب منه أو مثله ، ثم يفسر الأغرب بذلك الغريب ، فيقع الدور ولا يفيد شيئاً ، كقوله : الخمار النصيف ، ثم يفسر النصيف بالخمار . [١]

٩ – قصور العبارة :

وتبدو عبارة القاموس في تفسير بعض الكلم قاصرة أحياناً عن الوفاء بمعنى الكلمة الْمُفَسَّرَةِ ، غامضة في إيضاح مغزاها ، أو بيان مرماها ، كما في مادة

---

(١) فلك القاموس ص ١٩ .

(ثرب) حيث قال المؤلف : « ثربه يثربه وثَرَّبَهُ وعليه لامه وعيره بذنبه . »

وقال الجوهري : والتثريب كالتأنيب والاستقصاء في اللوم ، يقال لا تثريب عليك وهو من الثرب كالشغف من الشغاف . »

فعندي أن عبارة الجوهري أوضح وأظهر معنى من عبارة الفيروزابادي ، وقد أنصف ابن الطيب الفاسي حين تعقبه على شرح هذه المادة ذاكراً أن المعروف بين أئمة اللغة والاشتقاق أَنَّ التَّثْرِيبَ هو الاستقصاء في اللوم والمبالغة فيه مع العنف ، وهو الذي أشار إليه الراغب وغيره من حذاق اللغويين والمفسرين .

فالفيروزابادي قصر في أنه فسر التثريب بمطلق اللوم أو التعيير ، مع أنه كما يستفاد من عبارة الجوهري المبالغة والعنف في اللوم أو التعيير .

على أن هذا القصور ، قد يأتي أحياناً من ناحية أن المؤلف يذكر للكلمة ذات المعاني المتعددة معناها الغامض المجهول أولاً ، ثم معناها المشهور ، وربما جاء به أخيراً ، كما في قوله : « الأصيل الهلاك والموت كالأصيلة فيهما ، ود بالأندلس ، ومن له أصل ، والعاقب الثاقب الرأي ، وقد أصل ككرم ، والعَشِيُّ ج أُصُلٌ بضمتين وأصلان وآصال وأصائل » .

وقوله : الكسوة بالضم ة بدمشق والثوب .

١٠ – **الخروج على السلف :**

شرح الفيروزابادي بعض الألفاظ شرحاً لم يسر فيه على منهج السلف من علماء اللغة دون أن يؤيد شرحه بنقل يعضده ، كما قال في (عوج بن عنق) ، انه عنده (عوج بن عوق) مع أن من ذكره من أهل اللغة كالصغاني وابن منظور قالوا انه عوج بن عنق .

وقد ظهر أثر ذلك في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم ، كقوله : السَّكِينَةُ والسِّكِّينَةُ بالكسر مشددةً الطُّمَأْنِينَةُ ، وقُرِئَ بِهِمَا قولُه تعالى : « فيه سَكِينَةٌ

مِنْ رَبِّكُمْ »[1] . أَيْ مَا تَسْكُنُونَ به إذا أَتَاكُمْ ؛ أَوْ هي شَيْءٌ ، كان له رَأْسٌ كَرَأْسِ الهِرِّ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ ، وَجَنَاحَانِ .

قال الراغب في مفرداته : السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب ، وعلى هذا قوله تعالى : « أَنْ يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم »[2] وما ذكر أنه شيء رأسه كرأس الهر فما أراه قولاً يصح .

وجاء في الجاسوس : « إن عادته في القاموس غالباً أن يفسر المادة بعبارة يخترعها من عنده ، وصاحب الصحاح يأتي بها بالكلام العربي الفصيح ولا يخفاك أن التصرف في اللغة غير معهود ولا يخلو غالباً من عدم المساواة خصوصاً إذا كان المفسر غير عربي خالص »[3].

وعندي أن المعقول ما قاله الراغب ، أما قول الفيروزابادي (أو هي شيء كان له رأس كرأس الهر الخ) فهو أشبه بالخرافة .

ولست أرى التصرف في الشرح على هذا النحو الذي لا يقره العقل ولا النقل بنافع في اللغة التي يتناقلها ثقاة عدول مع الأمانة التامة عملاً بقوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »[4] .

١١ – المعتقدات غير المعقولة :

تأثر الفيروزابادي بمعتقدات العرب في عصره ، فتحدث عنها في مواده حديثاً أخذه من أفواه السواد الأعظم ، وعقائد الدهماء في ذلك الزمان .

أَخذ هذه المعتقدات دون أن يحكم فيها عقله ، أو يميز الغث من الثمين أو يفرق بين الصحيح وغير الصحيح ، وإذا أصغينا إليه وهو يقول :

١ – الصَّفَرُ بالتحريك حَيَّةٌ فِي البَطْنِ تَلْزَقُ بِالضُّلُوعِ فَتَعَضُّهَا ، أَوْ دَابَّةٌ تَعَضُّ الضُّلُوعَ والشَّرَاسِيفَ ، أَوْ دُودٌ في البطنِ كالصُّفارِ بالضم ،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٨ . (٢) سورة البقرة آية ٢٤٨ .

(٣) الجاسوس ص ١٠٥ . (٤) سورة النساء آية ٥٨ .

والجُوعُ .

٢ – الفِطَحْلُ كَهِزَبْرٍ دَهْرٌ لَمْ يُخْلَقْ فيهِ النَّاسُ بَعْدُ ، أَوْ زَمَنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، أَوْ زَمَنٌ كَانَتْ الحِجَارَةُ فِيهِ رِطَاباً .

استطعنا أن نرجح أن عقيدة من هذا اللون كانت تشيع بين الناس في عهده سواء أكانت من اعتقاد المسلمين أم كانت من اعتقاد غيرهم ، وأظن أنه يبعد أن يختلق شيئاً من هذا ، ولعله مُقْتَفٍ أثر الأقدمين ، فقد وَجَدَ الجوهريَّ يقول :

١ – الصفر فيما تزعم العرب حية في البطن تعض الإنسان إذا جاع ، واللذع الذي يجده عند الجوع من عضه ، وفي الحديث:لا صفر ولا هامة . »

٢ – الفطحل على وزن الهزبر زمن لم يخلق الناس فيه بعد ، قال الجرمي سألت أبا عبيدة عنه فقال : الأعراب تقول إنه زمن كانت الحجارة فيه رطبة . »

ورآه بهذا القول يصرح بأَنَّ ذلك من معتقدات الأعراب ، حين قال (فيما تزعم العرب) و(الأعراب تقول ...) كما وجد غيره من أصحاب المعاجم رووا ما روى ، فنقل عنهم هذه الآراء بدون تمحيص ومع وضعها في أسلوب يفيد أنها حقائق لا مزاعم شاعت بين العرب كما يستفاد من أسلوب الجوهري مثلاً ، فلو أشار إلى أن هذا من زعم العرب أو قول الأعراب كما فعل الجوهري لكان مسلكه مقبولاً ، والذي رواه في هاتين المادتين ، عدَّه السيوطي من أكاذيب العرب ، قال في الجزء الثاني من المزهر في آخر النوع الخمسين الذي ذكر فيه أغلاط العرب : ويلحق بهذا (أي معرفة أغلاط العرب) أكاذيب العرب ، وقد عقد لها أبو العباس المبرد باباً في الكامل فقال: حدثني أبو عمر الجرمي قال: سألت مقاتل الفرسان أبا عبيدة عن قول الراجز :

أَهَدَّمُوا بَيْتَكَ لاَ أَبَا لَكَا   وأَنَا أَمْشِي الدَّأَلَى حَوَالَكَا[1]

فقلت : لمن هذا الشعر ؟ فقال:العرب تقول هذا يقوله الضَّبُّ لِلْحِسْلِ أيام

---

(١) الدَّأَلَى كجمزى : مشية فيها ضعف ، أو عدْوٌ متقارب ، أو مشي نشيط .

كانت الأشياء تتكلم . قال : وحدثني غير واحد من أصحابنا قال : قيل لِرُؤْبَةَ : ما قولك ؟

لـو أنني عُمِّرْتُ عُمْـرَ الحِسْلِ أو عُمْرَ نوحٍ زَمَـنَ الفِطَحْـلِ [1]
والصَّخْرُ مُبْتَـلٌّ كمثـل الوَحَلِ [كنت رهينَ هرم أو قتل]

ما زمن الفِطَحْلِ ؟ فقال : أيام كانت السِّلاَمُ رطاباً [2] .

الألفاظ الاصطلاحية :

لم أجد للفيروزابادي نهجاً خاصاً في معالجة الألفاظ الاصطلاحية فقد رأيته يذكر بعضها ، ويهمل بعضها الآخر : ذكر الاسم المتمكن في (مكن) حيث قال : والاسم المتمكن ما يقبل الحركات الثلاث كزيد . ولم يذكر المنصرف وغير المنصرف . وذكر البناء في المعتل ولم يذكر المعرب . وذكر النصب ولم يذكر الرفع ولا الخفض . ذكر النحو ولم يذكر الصرف ولا المعاني ولا البيان ولا البديع ولا المنطق . ذكر حروف الجزم في لم ، ولم يذكر حروف النصب في لن . ذكر التضمين من أنواع البديع ولم يذكر الترصيع ولا الاستخدام ولا غيرهما . ذكر الطويل والمتدارك من بحور الشعر ، وفاته السريع والمقتضب . ذكر الكسر من الحساب ولم يذكر الضرب ولا القسمة ولا الجمع ولا الطرح . ذكر جمع التكسير في كسر ولم يذكر جمع السلامة في سلم . ذكر البلغم والبحران ، ولم يذكر السوداء ولا الصفراء . ذكر من الألفاظ التي اصطلح عليها أصحاب الرمل الثقف والعقلة والركيزة والمنكوس ، ولم يذكر شيئاً من ألفاظ الجبر وغيره .

وتعرض لذلك بعض علماء اللغة فأوضح البيان ، فهذا نص عبارة الجوهري : ومعنى قول النحويين في الاسم إنه متمكن أي إنه معرب كعمرو وإبراهيم ، فإذا انصرف مع ذلك فهو المتمكن الأمكن كزيد وعمرو ، وغير المتمكن المبني

---

(١) الحِسل بالكسر : ولد الضب حين يخرج من بيضته . ولا آتيك سِنَّ الحِسْلِ ، أي أبداً ، لأن سنَّها لا تسقط .

(٢) المزهر ٢ : ٣١٤ .والسِّلام : الحجارة .

كقولك كيف وأين الخ ... وشتان بين العبارتين .

على أن الفيروزابادي كان أشد عناية بمصطلحات العروض ، ولم يوجه للنحو ما يستحق من عناية مع أنه من أهم العلوم .

ويظهر أنه أتى بالألفاظ الاصطلاحية مندمجة بمادة اللغة بحيث يصعب تمييزها وخاصة ألفاظ الفقه واصطلاحات العروض ، حتى أوغر صدر ابن الطيب الفاسي ، فقال (بعد قوله : وفاء المولى من امرأته كفر عن يمينه) : « ليس هذا من اللغة في شيء بل هو من الاصطلاحات الفقهية ككثير من الألفاظ المستعملة في الفنون فيوردها على أنها من لغة العرب . »[1]

وفي الحق أن إيراد الألفاظ الاصطلاحية كان أمراً لا زبا ، تطلع إليه الأدباء والعلماء ، في العصور المختلفة .

وللشدياق ثورة عنيفة على صاحب القاموس لعدم الوفاء بها ، حيث قال : « لقد قذف إلينا تيار قاموسه بكلام العجم مرة ، والمولد المبتذل مرة أخرى ، وأتحفنا بشحيثا واهيه اشراهيه والبَاعُوث والسِّمِلاَّج كسِنِمَّار والعَيْدَشُون والجَيْثَلُوط والبَابُوس والسَّفْسَقَة والفِطِّيس كسِكِّيتٍ والفَقَنَّس والفُطْرَا سَالِيُونَ والأَذْرِيطُوس والفَرْبِيُون والعَرْطَنِيثَا ودَخْتَنُوس وشُنْطَف والكَشَعْثَج والكَشَعْطَج وجَحْلَنْجَع والخَيْهَفْعَى والخُعْخُع وزلنبور أحد أولاد إبليس وشنقناق أحد رؤساء الجن وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر والقلاط بالضم وكسملك وسنور من أولاد الجن الشياطين ... »[2]

ثم قال : « كان الأحرى به أن يحدثنا عن الألفاظ المصطلح عليها في العلوم

(١) إضاءة الراموس جـ ١ ص ٦٩ .

(٢) الأذريطوس : دواء معرب من الرومية . دختنوس : معربة ، بنت لقيط بن زرارة التميمي .الخيهفعي : ولد الكلب من الذئبة . الباعوث : استسقاء النصارى . السملاج : عيد النصارى . السفسقة : فرند السيف . الفربيون: دواء لعرق النسا.العيدشون : دويبة ، لغة مصنوعة . البابوس : ولد الناقة أو الولد عامة بالرومية . الفطيس : المطرقة العظيمة ، رومية أو سريانية . الفقنس : طائر خرافي . الفطراساليون : بزر الكرفس الجبلي يونانية . العرطنيثا : أصل شجرة بخور مريم . الخعخع : نبات أو شجر ، وردت في القاموس ولم تشرح.وانظر : ص ٣٢١ ، ٣٢٢ من هذا الكتاب .

والفنون قبل هذا كله ، مع التنبيه على أنها ليست من كلام العرب . » [1]

والشدياق محق (على ما أرى) وإن كان مغالياً فيما ذهب إليه . فإني أفضل إيراد ألفاظ المصطلحات المتفق عليها مع اعتبارها جزءاً من اللغة .

١٣ - التعمق في الاشتقاق :

أجهد الفيروزابادي نفسه في بيان اشتقاق بعض الكلمات من غير أن يكون هناك داع لما فعل ، وذلك كما ذكر في كلمة (ماهان) فإنه قال فيها : « ومَاهَانُ اسْمٌ وَهْوَ إمَّا مِنْ هَوَمَ أَوْ هَيَمَ فَوَزْنُهُ لَعْفَانُ أَوْ وَهَمَ فَلَفْعَانُ أَوْ مِنْ هَمَا فَعَلْفَانُ ، أَوْ وَمَهَ فَعَفْلاَنُ أَوْ نَهَمَ فَلاَعَافٌ أَوْ مِنْ لَفْظِ الْمُهَيْمِنِ فَعَافَالٌ أَوْ مِنْ مَنَهَ فَفَالاَعٌ أَوْ مِنْ نَمَهَ فَعَالاَفٌ أَوْ وَزْنُهُ فَعْلاَنُ . » [2]

قال الشدياق : هَذَا التعمق في الاشتقاق يليق بابن جني الذي اشتهر بهذا الفن لا بلغوي يحرر كلام العرب ، فإن ماهان كيفما قلبته وركبته ليس من اللغة في شيء ، على أن بعض المواد التي ذكرها لا وجود لها في اللغة نحو مَنَهَ ونَمَهَ ، فكيف يشتق شيء من لا شيء ؟ ولِمَ لم يشتقه من مَهَنَ ونَهَمَ ؟ . [3]

ومثل ذلك قاله في الكلمات : المسيح . السقف . الحبر .

١٤ - إطلاق الألفاظ :

اعتاد المحققون من رجال اللغة أن ينبهوا في كتبهم على الفصيح وغير الفصيح ، وعلى الحوشي والغريب ، والمهمل والمتروك، والمحرف والمصحف ، واللثغة والمذموم ، ونحو ذلك ، وأن يذكروا أيضاً أسماء من نقلوا عنهم كاللحياني وشمر وكراع وأبي زيد والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم .

أَمَّا الفيروزابادي فقد أورد الألفاظ في القاموس إيراداً مطلقاً من غير أن

---

(١) الجاسوس ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) مادة (موه) . (٣) الجاسوس ص ٤٨ - ٥٢ .

يَعْزوها إلى أحد من الرواة ، أو ينبه عليها من حيث فصاحتها أو غرابتها أو حوشيتها أو تركها أو إهمالها أو قوتها أو ضعفها إلاَّ ما ندر ، فالفصيح بعبارة القاموس مبعثر بعثرة غيره من الكلم التي لم ترتق إليه فصاحة وصحة، وليس من السهل أن يميز القارئ بين هذا وذاك ، لأن المؤلف غفل عن إبانة كل منهما ، بينما نبه سواه من العلماء على كل لفظ من هذا القبيل ونسبوه لقائله متى ذكروه ليطمئن الباحث ، وذلك بقولهم : ليس بثبت ، أو لا أدري صحته ، أو هذا منكر ، أو ضعيف ، أو لا أحقه ، أو كلمة مرغوب عنها ... ونمثل لذلك بما يأتي :

١ - قال المؤلف : « تَمَشَهُ جَمَعَهُ » وقال الأزهري : هذا منكر جداً .

٢ - قال المؤلف : « احونصل الطائر إذا ثنى عنقه وأخرج حوصلته . » وقال الزبيدي : احونصل منكرة ، ولا أعرف شيئاً على مثال افونعل من الأفعال .

٣ - قال المؤلف : « المطز النكاح وفيه المطز كناية عن النكاح كالمصد . » قال ابن دريد : وليس بثبت .

وهذا النوع في القاموس أكثر من أن يحصر ، انتقده بعض العلماء فذكروا أن الفيروزابادي قال : « الحدأة كعنبة م ج حدأ وحداء بالمد . » وهي نادرة خلافاً لما يوهمه صنيع المؤلف حيث سوى بينهما .

وقال « ردأ الحائط دعمه كاردأه » لكن الرباعي على ضعف كما يشير إليه قول الصغاني : أردأت الحائط لغة في ردأته » وقول ابن سيده : أردأت لغة عن يونس .

وقال : « سرأت الجرادة باضت والمرأة كَثُرَ أَوْلاَدُهَا كسرأت تسرئة فيهما » .

ويستفاد من كلام الصغاني أن سرأت بالتشديد لغة قليلة أو نادرة أو مرجوحة ، فإنه قال في التكملة : عن الفراء : سرأت الجرادة تسرئة لغة في سرأ .

والفيروزابادي بهذا الإجمال في العبارة ، خلط الراجح بالمرجوح ، والركيك

بالفصيح ، وعدل عن المشهور ، وأخفى على الباحث ما أهمله العرب أو تركوه ، وما حرفه النقلة أو صحفوه ، ونحو ذلك مما يسوء لغة العرب . ولعله صار بروايته الألفاظ من غير تنبيه على صحتها أو ضعفها كتاجر يبيع الخرز على أنه ياقوت كما قال الشدياق .[1]

ولقائل أن يقول إن المؤلف قصد باتباع هذه الطريقة عدم التفرقة بين القليل الاستعمال والكثير الاستعمال ، أو بين الراجح والمرجوح ، ليعطي القراء حرية كاملة في استعمال ما يرون من الألفاظ التي تلائم أذواقهم وتسد حاجاتهم . ولكننا نرد على ذلك بأن أمانة التأليف في اللغة تقضي بأن يكون المؤلف دقيقاً يتحرى الصواب فيما ينقل عن العرب أصحاب اللغة ، وألاَّ يوهم القراء أن الألفاظ المتفاوتة في قلة الاستعمال وكثرته في منزلة سواء .

١٥ – الألفاظ الخاصة بالقبائل :

لم ينبه الفيروزابادي في أغلب مواد القاموس على الألفاظ التي اختصت ببعض قبائل العرب دون بعضها الآخر ، ولا سيما حمير على ما لهذا التنبيه من فوائد جمة يقدرها قدرها من يمارس التأليف في هذه اللغة الشريفة ، ويستطيب البحث في أصولها وفروعها . ذلك حيث قال : الهبيخة كعملسة الجارية التارة الناعمة ، والهبيخ كعملس الغلام الناعم .

ونبه ابن سيده بأن اللفظين بلغة حمير .

وقال : الشلط : السكين . الشنترة : الاصبع . وهما أيضاً بلغة حمير .

وقال : الأعصج : الأصلع . قال ابن سيده في محكمه : رجل أعصج ، أصلع ، لغة شنعاء ، لقوم من أطراف اليمن ، لا يؤبه بها .

١٦ – الألفاظ غير العربية :

لو أن الفيروزابادي كان معنياً بغربلة الكلم في عبارته ، وتمييز الفصيح

---

(١) الجاسوس ١٣٠ – ١٣١ .

منها وغير الفصيح ، والصحيح وغير الصحيح ، ثم بنسبتها لراويها وردها لقبيلتها ، ما رأينا في كتابه لفظة غير عربية ، فقد عبر في شرحه بألفاظ غير عربية ، وتصدى لتفسير كلمات ليست من كلام العرب على أنها من كلامهم .

كقوله : أعطني شحتلة من كذا بالحاء المهملة والمثناة ، أي نتفة .

قال الصغاني في تكملته : « إن هذه الكلمة ليست من كلام العرب » وذكر الشدياق أنها لغة أهل بغداد التي لم تكن في عصر الصغاني والفيروزابادي خالية من اللحن والخطأ كلغة الشام مما لا يسوغ أن تروى الشحتلة عنهم في القاموس .

وكقوله في الخاء : « الكشخان ويكسر الديوث » وفسرها في النون بالرئيس .

ونَصَّ أهل اللغة على أنها كلمة مولدة ليست من كلام العرب [1] .

١٧ - الخلط بين الحقيقة والمجاز :

لم يفرق الفيروزابادي في أغلب الأحيان بين الحقيقة والمجاز وهذا مأخذ سجله عليه بعض النقاد . ولو سلك مسلك الزمخشري في أساسه لكان أَلْيَقَ ، وأَجْدَى على الناطقين بالضاد .

ولا يشفع له (في رأيي) أن بعض أئمة اللغة آثر المجاز على الحقيقة في تفسير كلمهم ، وعدلوا عن إيضاح اللفظ بحسب وضعه الأصلي ، وخلطوا المجاز المشهور عند العرب بالحقيقة ، كالجوهري .

على أن الفيروزابادي قد زاد عليهم كثيراً في هذا النهج حتى تجاوز الحد المعقول ، فغفل عن نسق معاني الألفاظ بحسب أصلها الذي وضعت له ، وأقام المجاز على أنقاض الحقيقة غير موضح ما فعل ، ولم يقف عند ذلك ، بل أقحم بينها ألفاظاً أجنبية تبعدها عن حكمة الواضع .

وهاك أمثلة توضح ذلك ، قال :

١ - في مادة (حرث) : الحَرْثُ الكَسْبُ وجَمْعُ المَال، والجَمْعُ بينَ أربعِ

---

(١) الجاسوس ص ١٣٢ - ١٣٣ .

نِسْوةٍ والنِّكَاحُ بالمُبَالَغَةِ والمَحَجَّةُ الْمَكْدُودَةُ بِالحَوَافِرِ وأَصْلُ جُرْدَانِ الحِمَارِ والسَّيْرُ عَلَى الظَّهْرِ حتى يُهْزَلَ والزَّرْعُ وَتَحْرِيكُ النَّارِ والتَّفْتِيشُ والتَّفَقُّهُ وتَهْيِئَةُ الحَرَاثِ كسحاب لفُرْضَةٍ في طَرَفِ القَوْسِ يَقَعُ فِيهَا الوَتَرُ .

قال ابن سيده في محكمه : الحرث والحراثة العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً وقد يكون الحرث نفس الزرع .

وقال الزمخشري في أساسه : حَرَثَ الأرض أثارها للزراعة ، ومن المجاز حرث النار حركها .

وقال الراغب في مفرداته : الحرث إلقاء البذر في الأرض وتهيئتها للزرع . وقال القاضي الزوزني في شرح المعلقات [1] : أصل الحرث إصلاح الأرض والقاء البذر فيها ، ثم يستعار للسعي والكسب كقوله تعالى : من كان يريد حرث الآخرة [2] .

وهذه الأقوال توضح لنا أن الفيروزابادي خلط في عبارته بين الحقيقة والمجاز ، ولم يبينهما ، على أن تقديمه جُرْدَانَ الحِمَارِ [3] على الزرع أضعفَ انسجام العبارة ، وقلل من بهجتها .

٢ - وفي مادة (عبر) : « عَبَرَ الرُّؤْيَا عَبْراً وعِبَارَةً وعَبَّرَهَا فَسَّرَهَا وأَخْبَرَ بآخرِ ما يَؤُول إليهِ أَمْرُهَا واسْتَعْبَرَهُ إياها سَأَلَهُ عَبْرَهَا وعَبَّرَ عما في نفسه أَعربَ وعَبَّرَ عنه غَيْرُهُ فأَعرب عنه والاسمُ العَبْرَةُ والعِبَارَةُ ، وعِبْرُ الوادِي ويفتح شاطئه وناحيته وَعَبَرَهُ عَبْراً وعُبُوراً قَطَعَهُ مِنْ عِبْرِهِ إِلَى عِبْرِهِ .

الْأَوْلَى (عندي) أن يبتدئ أولاً بالفعل من قوله (عبر الوادي ويفتح شاطئه وناحيته ، وعبره عبراً وعبوراً قطعه من عبره إلى عبره) لأن (عبر الرؤيا) مجاز عنه ، إذ حقيقة معناه إجازة المجهول من الرؤيا إلى معلوم تشبيهاً بعبور النهر . وغير محتمل أن العرب فكرت

---

(١) ص ١٤٢ . (٢) سورة الشورى آية ٢٠ . (٣) عيب م في الدواب .

في عبر الرؤيا قبل عبر النهر . وعبارة المصباح في أول المادة : عبرت النهر عبراً من باب قتل وعبوراً قطعته إلى الجانب الآخر . وَمِثْلُهَا عِبَارَةُ العُبَابِ . والجوهري قدم عبور النهر على عبر الرؤيا ، إلاَّ أنه لم يفسره ولم يبتدئ به .

٣ – وفي مادة (كتب) : « كتبه كَتْباً وكتاباً خطه ... وكتب السقاء خرزه بسيرين ... والكتيبة الجيش ... » أصل الكَتْب في اللغة للسقاء أي خرزه بسيرين ، وهو من معنى الضم والجمع ، ومنه الكتيبة للجيش ، ثم نقل هذا المعنى إلى كتب الكتاب ، مجازاً ، ومعناه ضم حرف إلى آخر . ذلك لأن العرب عرفت السقاء واحتاجت إلى الشرب منه وإلَى إصلاحه قبل أن تعرف الكتابة ، وللقربة عندهم أسماء وصفات كثيرة كماقال الشدياق[١].

٤ – وكذلك (قرأ) فإن أصل معناه الجمع والضم ، يقال:قرأ الشيء ، أي جمعه وضمه ، ومنه أقراء الشعر أي أنواعه وأنحاؤه ، ودرس الكتاب أصله من درس الحنطة ، ونسخ الكتاب أصله من نسخت الشمس الظل .

وإننا لو ذهبنا مذهب القائلين بأن علماء اللغة بدءوا بالمجاز لأنه أشرف المعاني ، لكان لنا أن نأخذ عليهم وعلى الفيروزابادي عدم بيان الحقيقة عند ذكرها . ومع هذا فإن الابتداء بالأصل لا يخل بالترتيب بل يتمشى مع الفطرة كما فعل الزمخشري.

١٨ – غموض الاصطلاحات :

اتخذ الفيروزابادي في معجمه اصطلاحات شتى ، كما أسلفنا ، ولكنا نراه غامضاً في بعضها ، غير سائر على نهجه في بعضها الآخر ، فقد استعمل حرف الميم (م) للدلالة على المعروف ، ثم تركه أحياناً كقوله : « ذو الكعب نعيم ابن سويد وكعب الحبر معروف » (بدل م) . « ابن سكرة محمد بن عبد الله

---

(١) الجاسوس ص ١١ .

الشاعر الهاشمي الزاهد المعروف » (بدل م) . ولم يعمل هنا ما عمل في مثل قوله : « عمرو بن عثمان بن كرب كزفر متكلم مكي م . »

على أن بعض الرموز الحرفية (في نظرنا) لا يفي بتوضيح المراد من الكلمة المشروحة ، فالميم مثلاً بمعنى معروف ، لا يطمئن إليها القارئ في الإبانة عن المقصود . وهي حقاً غامضة ، فما كان معروفاً في زمن المؤلف ، قد لا يكون كذلك في أيامنا . والعين والتاء والدال إن لم تقترن بالأدلة الكافية لتعيين المراد بها ، فلا فائدة منها .

واعتاد الفيروزابادي أن يضع قبل المادة* في المعتل الآخر واواً أو ياء للدلالة على أصل حرف العلة ، لكنه ترك ذلك في بعض المواد ، فلم يضع قبلها واواً ولا ياء ، كما في (الثأي بمعنى الإفساد . والجماء بمعنى الشخص . وذبيان . والسرو) وعن الجماء قال ابن سيده : « هي من ذوات الياء لأن انقلاب الألف[1] عن الياء طرفاً أكثر من انقلابها عن الواو . » وقال الزبيدي : « كان عليه أن يشير بالياء » .

ووضع ياء قبل (سعي) وهي واوية يائية كما هو واضح من شرحه لها حيث قال : « سَعَى يَسْعَى سَعْياً كَرَعَى قَصَدَ وَعَمِلَ وَمَشَى وَعَدَا وَنَمَّ وَكَسَبَ وَسِعَايَةً بَاشَرَ عَمَلَ الصَّدَقَاتِ الخ .. » ثم قال : « السَّعْوَةُ بِالكسرِ الساعةُ كَالسِّعْوَاءِ بالكسر والضم ، والْمَرْأَةُ الْبَذِيَّةُ الخَالِعَةُ الخ ... »

قال السيد مرتضى الزبيدي تعليقاً على ذلك : « قوله : سعى أشار له بالياء وأورد فيه ما هو بالواو فالصواب أن يشار له بالحرفين . »

ووضع ياء قبل (بقي) ثم ذكر في شرحها ما يفيد أنها غير ذلك وإنما هي واوية يائية ، حيث قال : « ... والاسْمُ الْبَقِيَّةُ وأُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ أَيْ إبْقَاءٍ أَوْ فَهْمٍ وَبَقَاهُ بَقْياً رَصَدَهُ أَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَاوِيَّةٌ يَائِيَّةٌ . » فكان عليه أن يضع قبلها (يو) .

---

(١) أي الهمزة .

وأورد اليائي قبل الواوي في بعض المواد كما في (أَصَا . وثَفَا . وجَنَا . وشفى) مع أن الواو لها الأسبقية .

ولم يكن واضح النهج في بيان أصالة حروف الكلمة التي يرتبها أو يبوب لها ، في بعض المواد ، فقد ذكر (الكبريت) في باب التاء بعد مادة (كبت) بناء على أصالة التاء لقولهم : كبرت بعيره إذا طلاه بالكبريت ، مع أنه ذكر (العفريت) في (عفر) حيث قال : « والعفريت والعفرين وتشدد راؤه مع كسر الفاء النافذ في الأمر المبالغ فيه مع دهاء وقد تعفرت » .

فقوله: (تعفرت) يدل على أصالة التاء .

ولست أرى لعدم ذكر العفريت في باب التاء سبباً معقولاً ، بل كان الأحرى به أن يذكره فيه ، حتى لا يدع في الكلام (تفعلت) ، على أنه لو كان قد اعتبر التاء هنا زائدة ، لوجب عليه أن يعتبرها كذلك في (الكبريت) .

ثم ذكر سنجون محركة وسمحون من علماء الأندلس في باب النون ، والأَوْلَى ذكرهما في الجيم والحاء ، كما ذكر سيحون في الحاء وابن سبعون في العين .

وهو بعد ذلك يذكر (الفلسفة) في (سوف) ، وهي جديرة بأن يجعلها مادة قائمة بنفسها كالحوقلة وأخواتها ، كما فعل صاحبا المحكم ولسان العرب ، فقد ذكراها في أول فصل الفاء من باب الفاء ، وذكرا أيضاً (تفلسف) التي فاته ذكرها .

والفيروزابادي لا يعيد لفظ المؤنث بعد مذكره ، إذ قال : (ولا أعيد الصيغة) أي لا يقول هو كريم وهي كريمة مثلاً ، بل يترك ذلك اختصاراً اكتفاء بقوله (وهي بالهاء) على أنه ترك هذا الاصطلاح في مواضع كثيرة منها أنه قال:العم وهي عمة ، وثعلب والأنثى ثعلبة ـ و قنبع والأنثى قنبعة ، وخروف والأنثى خروفة .

وأورد ألفاظاً في غير موادها ، كذكره الاستبرق في برق والارجوان في رجو . وليست الأولى كاستخرج ، ولا الثانية كالافعوان والاقحوان ، لأن

كلاً منهما أعجمية ، لا يجري عليها حكم (سألتمونيها) ، كل حروفها أصلية . ولكنه اعتبرهما كالكلمات العربية الأصلية ، فالهمزة والسين والتاء زائدات في أولاهما ، والهمزة والألف والنون زائدات في ثانيتهما ، وبهذا الاعتبار أبعدهما عن أصل وضعهما وحجبهما عن طالبهما .

جاء في الجاسُوس (نقلاً عن المطالع النصرية للعلامة الشيخ نصر الهوريني) : أن الألف أصلية غير مبدلة من شيء في الحروف والأسماء المبنية والأسماء العجمية لأنها غير مشتقة ولا متصرفة ، فلا يعرف لها أصل غير هذا الظاهر فلا يعدل عنه من غير دليل ، فلا يقال ألفها زائدة لأنها غير مشتقة ، ولا بدل لأنه نوع من التصريف .[1]

وجاء في الجاسوس أيضاً (عن الفاسي) : في (ما تريد) إن كانت هذه اللفظة عجمية فالصواب أن تعد حروفها كلها أصولاً .[2]

وقد أشاد الفيروزابادي بأن من أخص ميزات القاموس أنه لا يذكر ما جاء من جمع فاعل المعتلِ العينِ عَلَى فَعَلَةٍ إلاَّ أَنْ يَصِحَّ موضعُ العينِ منه كَجَوَلَةٍ وخَوَلَةٍ ، وأَمَّا ما جاء منه معتلاً كباعة وسادة ، فلا يذكره لاطراده ، لكنه لم يسر على هذا النهج في كثير من الأحيان ، حتى أثار عجب صاحب الفلك فقال : (وأعجب من هذا كله أنه قال في الخطبة عند ذكر أحسن ما اختص به هذا الكتاب ما لفظه : « ومنها أني لا أذكر ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فَعَلَةٍ إلاَّ أَنْ يَصِحَّ موضعُ العينِ منه كَجَوَلَةٍ وخَوَلَةٍ وأَمَّا مَا جاء منه معتلاً كباعة وسادة فلا أذكره لاطراده . » وما أحسن ما قال لو طابق هذا القول منه الفعال ، لكنا تتبعنا ذلك فوجدنا الأمر بالعكس مما قاله فلم يذكر جَوَلَةً وخَوَلَةً وذكر باعةً وسادةً ونظائرهما .)[3]

١٩ – الإبهام في الضبط :

فات المؤلفَ الدقةُ في ضبط الكلم أحياناً ، فأطلق في ذكر بعض الأسماء

---

(١) الجاسوس ص ٢٨ . (٢) الجاسوس ص ٢٨ . (٣) فلك القاموس ص ١٣ – ١٤ .

إطلاقاً يجر إلى الخطأ ، وذلك حيث قال في مادة (ترب) : التُّرْبُ والتُّرَابُ والتُّرْبَةُ والتَّرْبَاءُ والتُّرْبَاءُ والتَّيْرَبُ والتَّيْرَابُ والتَّوْرَبُ والتَّوْرَابُ والتِّرْيَبُ والتَّرِيبُ م .

قال صاحب الجاسوس : « أورد المصنف هذه الأسماء مطلقة فاقتضى اصطلاحه أن تكون كلها مفتوحة ، وهو ظاهر البطلان ، فكان اللائق أن يأتي بها مضبوطة مستوفاة الضبط كغيره من أئمة اللغة ، وكثيراً ما يفعل هذا في اللفظ الذي فيه لغات كثيرة مختلفة ، وهو تخليط بالغ لا يناسب دعواه إلا أن يكون من باب حدث عن البحر ففيه السلحفاة والحجارة ودرر قلائد النحر ، والألفاظ الثلاثة الأول مضمومة كالخامسة والبواقي مفتوحة . ولو قال: الترب وبهاء والترباء بضمتين والترباء بالفتح كنفساء ، والتيرب كصيقل وبالألف بعد الراء والتورب كجوهر وبالألف أيضاً ، والتريب كمريم والتريب كأمير ، لكان أضبط وأسلم من التخليط وأنسب بالقاموس المحيط . »[1]

ثم قال في المادة نفسها : « وأَتْرَبَ قَلَّ مَالُهُ وكَثُرَ ضِدٌّ كَتَرِبَ فيهما . »

أطلق في ضبط (ترب) وظاهر إطلاقه أنه ككتب لأنه اصطلاحه عند الإطلاق كما مر في الخطبة ، ولكنه أراده مكسور العين على المشهور المعروف ، فكان عليه أن يقول في ضبطه: (كفرح) .

أما الشارح فقد ضبطه بالتشديد (أي كَتَرَّبَ) ، قال : « وهذا ذكره ثعلب وغلط شيخنا فظنه ثلاثياً » . وصرح بتضعيفه أيضاً ابن منظور والصغاني وغيرهما من الأئمة .

قال المؤلف في مادة (قبج) : القَبَجُ[2] : الحَجَلُ .

قال ابن الطيب الفاسي : فيه أمور منها أنه أطلق فاقتضى أنه بالفتح وأن وسطه ساكن ولا قائل به ، بل هو محرك كالحجل ، ومنها أنه عربي أصالة ، وصرح غيره بأنه غير عربي بل مُعَرَّب ، ويؤيده قوله لا تجتمع القاف والجيم في كلمة

---

(١) الجاسوس ص ٤٢٩ .

(٢) معرب أصله الفارسي (كبك) .

عربية ، ومنها أنه كما يطلق على الحجل يقال للكروان أيضاً كما قاله في لسان العرب ونبه على كونه عجمياً معرباً .[1]

٢٠ – صعوبة ترتيب المواد :

جمع الفيروزابادي مواد كتابه ، ثم رتبها حسب الآخر فالأول فالوسط على طريقة الجوهري . وهي طريقة وصفناها من قبل بالتعقيد وصعوبة البحث ، لأنها لا تلائم إلاَّ طلاب القوافي .

ولا ندري ، لم اختارها المؤلف دون طريقة المدرسة الحديثة ، مع أن الطريقتين كانتا ذائعتين في عهده ، وقد ألف بها كثير من المعاجم ، وعرف الباحثون محاسنها ، وأدركوا أنها هي التي يمكن أن تحيا ، وتتمشى مع الزمن ؟

وأغلب الظن أن المؤلف كان يعرف ذلك ، لكنه صنف كتابه على الطريقة الجوهرية مع ما فيها من عيوب .

ومهما تكن الأسباب الداعية إلى اتباعها ، فلست أحمد هذا الاختيار ، على أنه قد وضع نظاماً لترتيب المواد ، لكنه لم يلتزمه في ترتيب مواد الفصل الواحد كل الالتزام ، بل اتبعه حيناً ، وتركه حيناً ، فنظامه يقضي بأن يرتب المواد حسب أصولها مراعياً آخرها وأولها ، فان اتفقت في الفصل والباب راعى الحرف الثاني ، فرتبها بحسبه ، ثم يأتي برباعي الفصل فيرتبه حسب ثالثه ثم بخماسيه فيرتبه حسب رابعه بعد اتحادها فيما قبل الثالث أو الرابع وهكذا ، كما في الأمثلة الآتية :

أ – جَعَل . الجَعْبَل . الجُعْثُل . الجَعْدَل . الجَعْفَلِيل .[2]
ب – الخَبَل ثم الخَبْتَل . ثم الْخَبَرْجَل . ثم خَبْعَلَ .[3]

---

(١) إضاءة الراموس جـ ٣ ص ٤٦ .

(٢) الجعبلة : السرعة . الجعثل : اسم قاضي افريقية . الجعدل : الصُّلْب الشديد . الجعفليل : القتيل المنتفخ .

(٣) الخبتل : المرأة القصيرة . الخبرجل: الكركي . خبعل الرجل : أبطأ في مشيه .

جـ – الدَّحْل . ثم الدَّحْقَلَة . ثم دَحْمَلَ . [1]

لكنه خرج عليه أحياناً ، فوضع مواده مثلاً هكذا :

أ – الحَسْبَلَةَ . الحَسْدَل . الحَسْلُ . الحِسْفِلُ . الحِسْقِلُ . الحِسْكِلُ . [2]

ب – جَبْتَلُ . الجَبَلُ . الجَبَهْلُ . [3]

جـ – الْحَيْعَلَة . الْحَيْهَلَة . الْحَيْلَة . [4]

د – الطَّهْبَلَة . طَهْفَلَ . طَهَلَ . الطَّهْمَلُ . [5]

ولو سار على نظامه الآنف الذكر لكان عليه هنا أن يقدم الثالث على الأول ، فيضع (الحسل) قبل (الحسبلة) في المثال الأول . و(الجبل) قبل (جبتل) في الثاني . و(الحيلة) قبل (الحيعلة) في الثالث . و(طهل) قبل (الطهبلة) في الرابع .

وهناك خلاف بين اللغويين في تقديم أحدهما على الآخر ، فالجوهري وضع خَرِصَ قبل خَرْبَصَ . وخَلَصَ قبل خَلْبَصَ . وخَرَقَ قبل خَرْبَقَ . وسَرَقَ قبل سَرْدَقَ . وَزَعَقَ قبل زَعْفَقَ . وشَرَعَ قبل شَرْجَعَ . وشَرُفَ قبل شَرْسَفَ . وسَفُلَ قبل سَفَرْجَلٌ . [6]

والفيروزابادي عكس ذلك ، ولم يخطئه ، وحجته أنه لا يوصل إلى الحرف الأخير إلاَّ بعد ذكر ما يتقدمه من الحروف غير أنه لم يستمر على هذه الطريقة فإنه تابع الجوهري في إيراد حَصَمَ قبل حَصْرَمَ . وخَضَمَ قبل خَضْرَمَ . وسَرَّمَ قبل

---

(١) الدحل : الثقب. الدحلقة : انتفاخ البطن . دحمل : دحرج .

(٢) الحسبلة:حكاية قولك حسبي الله . الحسدل : الجار الوفي . الحسل: النبق الأخضر . الحسفل: الرديء . الحسقل : الولد الصغير . الحسكل : الرديء .

(٣) جبتل : ع باليمن . الجبهل : الرجل الجافي .

(٤) الحيعلة : حكاية قولك حي على الصلاة . الحيهلة : شجرة قصيرة . الحيلة : القطيع من الغنم .

(٥) الطهبلة : الذهاب في الأرض . طهفل : أكل . طهل الماء : أجن . الطهمل : المرأة الدقيقة .

(٦) خرص : جاع . خربص : أخذ المال . خلص : وصل . خلبص : هرب . خربق : قطع . سردق : شد السرادق. شرجع : طول . الزعفوق : السيىء الخلق . الشرسفة : سوء الخلق . السفرجل : ثمر م .

سَرْجَمٌ . وسَلَّمَ قبل سِلِتِم ، وسَلْجَمٍ . وشَبَمٍ قبل شُبُرُمٍ . وزَهَمَ قبل زَهْدَمٍ . وسَحْلٍ قبل سَحْبَلٍ . وغير ذلك[1] .

ولست ألومه على اتباع إحدى الطريقتين ، ولكني لا أرتضي له التردد بينهما .

ويضاف إلى ما سبق أن تقديمه (الجَنْدَلَ) على (الجُنْجُلِ)[2] مخالف لمنهجه ومنهج غيره في الترتيب .

وقد خالف منهجه أيضاً في ترتيب مواده بالنسبة للحرف الثاني كما في كَوَأَ وكَيَأَ[3] ، فقد ذكر اليائية قبل الواوية ، وكان عليه أن يؤثر الواوية بالتقديم على اليائية ، لأن الواو تسبق الياء في ترتيب الهجاء المشرقي المألوف .

من هذا يتضح لنا أن الفيروزابادي خرج على اصطلاحاته أحياناً ، كما أنه لم يتبع منهجه في ترتيب المواد أحياناً أخرى فضلاً عما فاته في تفسيرها وبيان المقصود بها ، كما بينا .

ومن كل ما ذكرنا آنفاً تظهر أمامنا الأسباب والمواضع التي أدت إلى كثير من الغموض والاضطراب في هذا المعجم الكبير .

---

(١) الجاسوس ص ٣٩ – ٤٠ : حصم : ضرط . حصرم : ملأ القربة . خضم : قطع . خضرم : أدرك عهدين . سرَّم : قطَّع . سَرجَمٌ : طويل . السلتم كزبرج : الغول . السلجم كجعفر : نبت م . شبم : برد . شبرم : شجر . زَهَمَ : زجر . زَهْدَم : أسد أو صقر . سَحْل : ثوب . سَحْبَل : ضخم .

(٢) الجنجل : بقلة كالهليون تؤكل مسلوقة .

(٣) كوأ وكيأ : جَبُنَ .

الفصل الثالث

طغيان الأعلام

جعل الفيروزابادي القاموس جامعاً بين المادة اللغوية وسواها من الأعلام ومسائل الطب والعلم والفن والتاريخ والسياسة ونحوها .

وهذا النهج لم يصادف قبولاً عند بعض النقاد الذين يرون أَنَّ معجم اللغة ينبغي أن يكون مقصوراً على مادة اللغة لا يتعداها إلى غيرها من شئون الثقافة العامة ، فكل ضرب من ضروب المعرفة له رجاله وأسفاره : للتاريخ علماء ، وللطب أطباء ، وللحقيقة باحثون ونقاد .

وعندي أَنَّ الفيروزابادي لو بلغ في كل ما أضاف إلى مادته اللغوية مبلغ الصدق واليقين ، وتحرى الدقة والصحة والوفاء بالمقصد ، لاستحق التقدير ، فالجمع بين المادة اللغوية وغيرها من ألوان الحياة الثقافية وأسماء أعلامها ، بكتاب واحد أمر جائز معقول على شريطة أن تكون المعلومات صحيحة وافية ، موضوعة في مادتها وضعاً سليماً منظماً .

ويظهر أن الفيروزابادي حاول الوصول إلى هذه الغاية ، وسلك السبيل المُوَصِّلة إليها ، فذكر للمادة أعلامها وغير أعلامها من شئون الأدب والعلم والفن ، وأجهد نفسه في اتباع الصدق ، والتزم الدقة حتى كاد يصل إلى مستوى دونه نظرات السخط ، أو إلى درجة هي محط الثناء والإعجاب .

لكني أرى أنه أكثر من سرد الأعلام ، وضبطها ، حتى طَغَتْ أحياناً على

المادة اللغوية كما هو واضح في مادة (حبش) التي غصت بما حَشَرَ فيها من أعلام ، وهاك المادة كاملة :

(الْحَبَشُ) وَالْحَبَشَةُ محركتَيْن والأَحْبُشُ بضم الباء جِنْسٌ مِنَ السُّودَانِ ج حُبْشَانٌ وأَحَابِشُ ومحمدُ بنُ حَبَشٍ وَوَالِدُهُ والحُسَيْنُ بنُ محمد بنِ حَبَشٍ مُحَدِّثُونَ ، وَالحَبَشَةُ بلادُ الحُبْشَانِ ، وَالحُبْشَانُ بالضم ضَرْبٌ مِنَ الجَرادِ وكَثُمَامَةٍ الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا مِنْ قَبِيلَةٍ كَالأُحْبُوشَةِ و ة وسُوقٌ بِتِهَامَةَ القَدِيمَةِ وَسُوقٌ أُخْرَى كَانَتْ لِبَنِي قَيْنُقَاعَ وَجَدُّ حَارِثَةَ بنِ كُلْثُومٍ التُّجِيبِي وَكَزُبَيْرٍ ابنُ خَالِدٍ صَاحِبُ خَبَرِ أُمِّ مَعْبَدٍ وَعَبْدُ اللهِ بنُ حُبَيْشٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ وَحُبْشِيٌّ بنُ جُنَادَةَ بالضم صَحابِيُّونَ وَحُبَيْشٌ غيرُ مَنْسُوبٍ وَحُبَيْشٌ الحَبَشِيُّ وابنُ سُرَيْجٍ وَابنُ دِينَارٍ تَابِعيُّونَ وَابنُ سليمانَ وابنُ سَعِيدٍ وابنُ مُبَشِّرٍ وَابْنُ عبدِ اللهِ وَابنُ موسى وَابنُ دُلْجَةَ وَابن محمدِ بن حُبَيْشٍ وَأَبُو حُبَيْشٍ أَوْ مُعَاوِيَةُ ابنُ أَبِي حُبَيْشٍ وَرَاشِدٌ وَزِرٌّ ابْنَا حُبَيْشٍ وَرَبِيعَةُ بنُ حُبَيْشٍ وَالقَاسِمُ بنُ حُبَيْشٍ ومحمدُ ابنُ جامع ابن حُبَيْشٍ ومحمَّدُ بنُ إبراهيمَ ابنُ حُبَيْشٍ وإبراهيمُ بنُ حُبَيْشٍ ومحمد بنُ عَلِيِّ بنِ حُبَيْشٍ والحَرِث بنُ حُبَيْشٍ والسَّائِبُ بنُ حُبَيْشٍ والحُسَيْنُ ابنُ عُمَرَ بنِ حُبَيْشٍ وَعَبْدُ الرحمنِ بنُ يَحْيَى بنِ حُبَيْشٍ والمُبَارَكُ بنُ كامِلِ بنِ حُبَيْشٍ وَخَطِيبُ دِمَشْقَ المُوَفَّقُ بنُ حُبَيْشٍ مِنْ رُوَاةِ الحديثِ وَمُعَاذَةُ بنتُ حُبَيْشٍ قيلَ هي بِنْتُ حَنَشٍ بالنون وَكَأَمِيرٍ قيلَ هو أَخُو أَحْبَشَ ابْنَا الحَرِثِ بنِ أَسَدِ بنِ عَمْرِو ابنِ رَبِيعةَ بنِ الحَضْرَمِيِّ الأَصْغَرِ وَابنُ حُبَيْشٍ التُّونِسِيُّ الشاعِرُ المُحْسِنُ وَحُبْشِيٌّ بالضم جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مكةَ ومنه أَحَابِيشُ قُرَيْشٍ لأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا باللهِ إِنَّهُمْ لَيَدٌ على غيرِهِم مَا سَجَا لَيْلٌ وَوَضَحَ نَهَارٌ وَمَارَسَا حُبْشِيٌّ وَابنُ جُنَادةَ الصَّحَابِيُّ وَعَمْرُو بنُ الرَّبِيعِ بنِ طَارِقٍ أَو هو بِفَتْحَتَيْنِ كَحَبَشِيِّ بنِ اسمعيلَ وَأَمَّا حَبْشِيٌّ بنُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيُّ بنُ محمدِ بنِ حَبْشِيٍّ ومحمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عَطَّافِ بنِ حَبْشِيٍّ فبالفتح وَحُبْشِيَّةُ بنُ سَلولَ جَدٌّ لِعِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ بالضم والحَبَشِيُّ بالتحريك جَبَلٌ شَرْقِيٌّ سَمِيرَاءَ وَجَبَلٌ بِبِلاَدِ بَنِي أَسَدٍ ودَرْبُ الحَبَشِ بالبَصْرَةِ وقَصْرُهُ بِتَكْرِيتَ وبِرْكَتُهُ بِمِصْرَ وَالحَبَشِيَّةُ مِنَ الأَبِلِ الشَّدِيدَةُ السَّوَادِ وَتُضَمُّ وَالْبُهْمَى إِذَا كَثُرَتْ والْتَفَّتْ وبالضم ضَرْبٌ من النَّمْلِ سُودٌ عِظَامٌ والْحُبَاشِيَّةُ بالضم الْعُقَابُ وَحَبُّوشٌ كَتَنُّورٍ ابنُ رِزْقِ اللهِ مُحَدِّثٌ وَكَغُرَابٍ اسمٌ وَكَرَمَضَانَ جَدٌّ لِمُحَمَّدِ بنِ

عَلِيٍّ بن جَعْفَر الْوَاسِطِي الفَقِيهِ المُحَدِّثِ وَحَبَشْتُ لَهُ حَبْشاً وَحُبَاشَةً بالضم وَحَبَّشْتُ تَحْبيشاً جَمعْتُ لَهُ شَيْئاً وَككتَّانٍ جَدٌّ وَالِد محمدِ بنِ عليٍّ بن طَرْخَانَ البيكَنديِّ وأَحْبَش بنُ قَلْعٍ شاعرٌ وَكَغُرَابٍ حُبَاشٌ الصُّورِيُّ والحَسَنُ بنُ حُبَاش الْكُوفِيُّ مُحَدِّثَانِ وحَبْشُونُ بالفتح البَصَلانِيُّ وابنُ يُوسُفَ النَّصِيبِيُّ وَابنُ موسى الخَلاَّلُ وعليُّ ابنُ حَبْشُونَ مُحَدِّثُونَ وَيَحْيَى بنُ أَبِي مَنْصُورٍ الحُبَيْشِيُّ كَزُبَيْرِيٍّ محد إِمَامٌ .

وأظن أن القارىء يلاحظ معي لأول نظرة أن الفيروزابادي حَشَدَ في هذه المادة أسماء كثيرة ، استنفدتها كلها تقريباً ، وقد رجعتُ إلى الصحاح والمحكم في هذه المادة ، فوجدت أن الفيروزابادي فاته بعض ألفاظ لغوية ، ذكر منها الجوهريُّ : أحبشت المرأة بولدها إذا جاءت به حبشي اللون ، وحُبَيْش طائر معروف جاء مصغراً مثل الكميت. وابنُ سيده : الأحبوش جماعة الحبش ، وقيل هم الجماعة أياً كانوا ، وروضة حبشية خضراء تضرب إلى السواد ، واحتبش الشيء جمعه ، وتحبشوا عليه اجتمعوا ، والأحبش الذي يأكل طعام الرجل ويجلس على مائدته ويزينه ، والحبشي ضرب من العنب ، وضرب من الشعير لا يؤكل لخشونته ، ولكنه يصلح للعلف .

ويبدو أن الفيروزابادي كان لا يتحرى الدقة أحياناً في اختيار المرجع الذي يستقي منه أعلامه ، مما فَوَّتَ عليه أصح الروايات في أخذ الأعلام ، ويدلنا على ذلك حديثه عن أصحاب الكهف في مادة (كهف) حيث قال :

وأَصحابُ الكَهْفِ مَكْسَلْمِينَا أَمْلِيخَا مَرْطُوكِش نَوَالِس سَانِيُوس بَطْنَيوس كَشفُوطَط أَوْ مَلِيخَا مَكْسَلْمِينَا مَرْطُوس نِوَانس أَرْبِطَانس أونوس كَنْدَسَلْطَطْنُوسٍ. أَوْ مَكْسَلْمِينَا مَلِيخا مَرْطُونَس يَنْيُونَس سَارَبُونَس كَفَشْطَيْوس ذُو نُوَاس . أَوْ مَكْسَلْمِينا أَمْلِيخا مَرْطونَس يُوَانَس سَارَيْنُوس بَطْنُيُوس كَشفُوطَط . أَوْ مَكْسَلْمِينَا يَمْلِيخا مَرْطُونَس يَنْيُونِس دوانَواس كَشْفِيطَط نونَس .

وذكر الزمخشري في الكشاف غير هذه الأسماء قال : وعن علي رضي الله عنه « هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرتوش ودبرنوش وشادنوش ، وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره ، والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس ،

واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير » وقال القاضي البيضاوي مثله . ولم يذكر التهذيب ولا المحكم ولا الصحاح ولا التكملة ولا لسان العرب شيئاً من هذه ولا تلك .

قال الشدياق ما معناه : إن الخلاف واضح في ضبط الأسماء التي ذكرها الفيروزابادي ، ولا يكاد أصلها يكون معروفاً ، فإن مكسلمينا وامليخا أو يمليخا أو مليخا تشبه في صيغها أسماء الأعلام الآرامية ، والأسماء التي تنتهي بالسين تشبه في صيغها أسماء الأعلام اليونانية ، فهل كان أصحاب الكهف من جنسين مختلفين من الناس ؟[1]

هذه خلاصة ما ذكره صاحب الجاسوس ، ولكن ليس من البعيد ، بل قد يكون من المرجح أن أصحاب الكهف كانوا من السريان الذين اختلطوا باليونان ، وأخذوا عنهم الفلسفة وغيرها من مظاهر الثقافة ، وكان بعضهم يطلقون على أنفسهم أسماء يونانية .

ومهما يكن من أمر ، فالظاهر أن الفيروزابادي كان أحياناً يحرص على ذكر أسماء الفقهاء والمحدِّثين أكثر من حرصه على إيراد الألفاظ اللغوية ، وأنه مع شدة عنايته بضبط أسماء أصحاب الكهف فاته ما ذكره الزمخشري نقلاً عن الإمام علي كرم الله وجهه .

وإني أُقَدِّرُ له هذا الحرص ، إذا لم يقصر في شرح الألفاظ اللغوية ، وكان غرضه الأساسي من ذكر الأعلام ، هو أنْ يبصرنا بالمشهورين ، كما فعل بالنسبة للخارزنجي مصنف تكملة العين (في مادة خارزنج) حيث قال : « خَارْزَنْجُ د منه أحمد بنُ محمدٍ البُشْتِيُّ الخَارْزَنْجِيُّ مُصَنِّفُ تكمِلَة العين » ، وللصغاني صاحب العباب (في مادة الصَّغَانَة) حيث قال: « وَصَغَانِيَانُ كُورَةٌ عَظيمةٌ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَيُنْسَبُ إليها الإمامُ الحَافظُ في اللُّغَةِ الحسنُ ابنُ محمدِ بنِ الْحَسَنِ ذُو التَّصَانِيفِ » ، وللتَّيَّاني صاحب الموعب (في تين) حيث قال : وتَمَّامُ بنُ غَالِبِ بنِ عَمْروٍ التَّيَّانِيُّ أَديبٌ صاحبُ المُوعَبِ » .

---

(١) الجاسوس ص ٣٠٥ .

لكن الفيروزابادي انحرف عن هذا السنن ، فاغفل نخبة من نوابغ العلماء المشهورين : لم يذكر الأزهري صاحب التهذيب ، ولا ابن منظور صاحب لسان العرب ، في جملة الفقهاء ، أو المحدثين أو اللغويين ، ولا في جملة المؤلفين ، وإنما ذكر الأول للاعتراض عليه حيث قال في (فَقَد) : الْفَقْدُ وَلاَ يُحَرَّكُ وَوَهِمَ الأَزْهَرِيُّ نَباتٌ وَشَرابٌ مِنْ زَبيب أو عَسَلٍ .

وفي (نَخَطَ) : النُّخُطُ بضمتين لا كَرُكَّعٍ كَمَا تَوَهَّمَ الأزهريُّ اللاعبونَ بِالرِّمَاحِ شَجَاعَةً وَبَطَالَةً .

وكان ينبغي أنْ يَذْكُرَ الْأَزهريَّ في مادة (زهر) مع من ذكرهم فيها حين قال : بَنُو زُهْرَةَ شيعَةٌ بِحَلَبَ،وَأُمُّ زُهْرَةَ امرأةُ كلابٍ ... والزَّاهِرُ مُسْتَقىً بينَ مكةَ وَالتَّنْعِيم ، والزَّهْراءُ د بِالْمَغْربِ ... وَزُهْرُ بْنُ عبدِ المَلِكِ بنِ زُهْرٍ الأَنْدَلُسِيُّ وَأَقَارِبُهُ فُضَلاَءُ وأَطِبَّاءُ ، وَزُهَرَةُ كَهُمَزَةٍ وَزَهْرَانُ وَزُهَيْرٌ أسماءٌ ، والزُّهَيْرِيَّةُ ة بِبَغْدَادَ ... ومحمدُ بنُ أحمدَ الزَّاهِرِيُّ الدَّنْدَانِقَانيُّ مُحَدِّثٌ ، وأحمدُ ابنُ محمدِ بنِ مُفَرِّجٍ النَّبَاتِيُّ الزَّهْرِيُّ حَافِظٌ .

كما كان يحسن أن يشير إلى صاحب لسان العرب بلقبيه أو بأحدهما ، وهما ابن مكرم وابن منظور في مادتي كرم ونظر مع من ذكرهم فيهما . لكنه لم يفعل .

وهنا نسأل عن السر في أنَّ الفيروزابادي لم يشر ولا بكلمة واحدة إلى هؤلاء الأعلام الذين كان لهم شأن عظيم جداً في تدوين معاجم اللغة العربية ، وكان لهم الفضل الأكبر في حفظها من قبل أن يظهر هو ومعجمه : أكان ذلك نسياناً أم كان لأمر في نفسه ، وهو أنه لم يرد أن ينوه بذكر هؤلاء ويرفع من شأنهم وشأن مؤلفاتهم خشية أن تتوجه إليهم الأذهان فيضعف شأنه بالنسبة لهم وشأن كتابه بالنسبة لكتبهم ؟ هذا هو السؤال . والله أعلم بالجواب الصحيح عنه .

على أن الفيروزابادي أتى بدل كثير من أولئك الأئمة بمن لا غناء فيهم ولا شأن لهم في الحياة كاللصوص والمخنثين والجن والشياطين وفحول الحيوان وكواسر الطيور ، حيث قال : شِظَاظ ككتاب لص ضبي م ومنه أسرق من شظاظ . هيث مخنث كان بالمدينة . الهراء بالكسر شيطان موكل بقبيح الأحلام .

الغول ساحرة الجن وشيطان يأكل . إلى غير ذلك .

والواقع أن الفيروزابادي كان أحياناً يأخذ بعض الأعلام [1] ويضمها إلى معجمه من غير أن يتعرف عليها ، أو يتأكد من مكانتها في الثقافة أو السياسة أو الاجتماع أو نحوها ، فقد كان يكثر من التحدث عن العَلَم بلا تحقيق فيخطئه الصواب ، كما جاء في مادة (ن ق ر) حيث قال : « ... وَأَنْقِرَةُ ع بِالحِيرَةِ و د بِالرُّوم ، قِيلَ مُعَرَّبُ أَنْكُورِيَة ، فَإِنْ صَحَّ فَهِيَ عَمُّورِيَّةُ الَّتِي غَزَاهَا الْمُعْتَصِمُ وَمَاتَ بِهَا امْرُؤ الْقَيْسِ مَسْمُوماً . » ذكر السيد مرتضى الزَّبيدي أن أنقرة ليست معرب أنكورية ، وإنما عمورية هي التي عربت عن أنكورية ، وأنقرة غير عمورية قطعاً ، والمعتصم غزا عمورية ، وفتح قبلها أنقرة وهو سائر إليها ... ومات امرؤ القيس بأنقرة لا بعمورية . وقال الشدياق : « قوله ومات بها امرؤ القيس مسموماً غلط آخر فإن امرأ القيس لم يمت إلاَّ بأنقرة . » وذكر القرماني : إن عمورية هي بروسة ، ويطلق هذا الاسم أيضاً على بليدة على شاطىء نهر العاصي بين أقاصية وشيزر من أعمال حلب ، والظاهر أن أقاصية تحريف أفامية وهي اليوم خراب . [2]

ومثل هذا قوله في مادة (ق ت د) : « قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ تَابِعِيٌّ . » ثم قال في (د ع م) : « الدعامة الشرط وبالكسر ابن غزية وابنه قتادة بن دعامة صحابيان . » فجعل قتادة تابعياً مرة وصحابياً أخرى . قال الزبيدي : قوله صحابيان هكذا في سائر النسخ وفيه غلط من وجهين : أولاً عدَّه دعامة بن غزية من الصحابة وقد صرح الذهبي وابن فهد أنه وَهْم لا صحة له ، وثانياً فإن ابنه قتادة هو الحافظ أبو الخطاب الأعمى تابعي لا صحابي .

ومثل هذا قوله أيضاً في مادة (ج س ر) : « جَيْسُورُ الغُلامُ الَّذي قَتَلَهُ موسى صلى الله عليه وسلم أو هو بالحاءِ المهملة أَوْ هو جَلْبَتُورُ أَوْ جَنْبَتُورُ . » قال الزَّبيدي : « قوله الغلام الذي قتله موسى قال شيخنا كذا في جميع أصول القاموس المصححة وغيرها وهو سبق قلم بلا شك والصواب الغلام الذي قتله

---

(١) أي أسماء الناس والبلدان .

(٢) كتاب أخبار الدول وآثار الأول ص ٦٥ والجاسوس ص ٥٠٨ .

الخضر في قضيته مع موسى عليهما السلام والخلاف فيه مشهور ذكره المفسرون وأشار إليه الجلال في الإتقان.» وقال الشدياق: «جيسور كطيفور اسم الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام هكذا ضبطه ابن ماكولا وصوابه بالحاء المهملة كما هو في البخاري وقول الفيروزابادي الذي قتله موسى عليه السلام غلط قبيح وأي غلام قتله موسى وإنما قتل رجلاً اسمه فاتون . »[1]

والواضح مما ذكرهالزَّبيدي والشدياق أن الفيروزابادي لم يتعرف على هذا الاسم وهو جيسور أولاً قبل ذكره في القاموس أو تعرف عليه تعرفاً سريعاً فأخطأ في التحدث عنه .

ومما سبق يتضح لنا أن الفيروزابادي لم يكن دقيقاً فيما رواه أحياناً عن بعض الأعلام وضبطها . ومع أنه قد حشد منها الجم الغفير بكتابه حتى طغت على المادة اللغوية ، فقد ترك الكلام عن بعض الأعلام الشهيرة ، كما فاتته الروايات الصحيحة لأسماء بعضها الآخر .

---

(١) الجاسوس ص ٥٠٠ .

الفصل الرابع

الأعجميّ المولد

اختط الفيروزابادي خطة حميدة حيال الدخيل ، فوضح ما عرب منه وما لم يعرب ، وتصدى للغة المعرب ، ومعناه فيها ، فأجاد وأفاد .

عدم النص عليه :

وقد خالف هذا النهج أحياناً ، فلم يحافظ على بيان هذا الدخيل ولم يلتزم النص عليه دائماً ، مع أن المحققين من رجال اللغة اعتادوا أن ينبهوا عليه وعلى غيره مما قد لا يكون عربياً أصيلاً .

ولعل الفيروزابادي بعدم إبانته والتحلل من النص عليه قد رجح أن اللفظ غير معرَّب ، وأنه ما زال في عداد الأعجمي المولد الذي ينبغي أن تُنَقَّى منه العربية [1] .

على أن من هذا الأعجمي المولد بالقاموس طائفة غير قليلة ، ضلَّ الفيروزابادي في التحدث عنها ، وتحيَّر في الحكم على أصلها أو اشتقاقها أو معناها ، ووقف

---

(١) نريد بالأعجمي المولد هنا ما استعمله المولدون على غير استعمال فصحاء العرب وما أدخله أو يدخله بعض الباحثين من كلمات أجنبية وما يسمى بالعامي أو الدارج وما ليس له أصل معروف في لغة ما ، وذلك طبقاً لقرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة [ص ٢٣٠ وما بعدها من هذا الكتاب] وانظر في الدخيل والمعرب (نفس المرجع ص ٢٢٥ وما بعدها) .

دون الإشارة إلى العامي فيها أو العجمي حتى اختلطت لديه الألفاظ العامية والدارجة بالخاصة ، والألفاظ العجمية بالعربية ، ونحو ذلك ، فساء صنعاً من حيث لا يحتسب .

وكثيراً ما رأيناه ماضياً في شرح الكلمات الدخيلة غير آبهٍ بتبيان حالة بعضها من حيث التعريب أو التوليد أو ما إليها ، فقد أتى بالكَرُوبيِّين مخففة الراء في (كرب) وفسرها بسادة الملائكة ، حيث قال « والكَرُوبيُّون مُخَفَّفَة الراءِ سادة الملائكةِ » ، ولم يقل إنها معربة ، وهي كلمة عبرانية أصلها (كروبيم) لأن الياء والميم علامة الجمع ، في هذه اللغة ، ومفردها (كروب) ، وقد ذكرت في التوراة غير مرة ، وترجمت إلى سائر اللغات بهذا اللفظ ، واشتقاقها من فعل يدل على القرب ، فهو نظير كرب بلغة العرب .

ومن الألفاظ التي وضعها الفيروزابادي في معجمه ولم ينص على أنها مُعَرَّبَةٌ : البَسْفَانَج [1] ، البَارَنْج [2] ، البَسْفَارَدَانَج [3] ، البَنْج [4] ، البِطْمَاج [5] البنفسج ، البَهْرَامَج [6] ، البَاذَرُوج [7] ، الجَوْزَاهَنْج [8] ، الدَّهْنَج [9] ، الرَّاهْنَامَج [10] الزَّبَرْجُ [11] ، الإِسْتَاج [12] ، الشَّاذَنْج [13] ، الصولجان ، الصهريج ، القَبَج ، القُوَلْنج [14] ، الكُوسْتَج [15] ، النِّيلَنْج [16] ، الإِهْلِيلَج [17] ، البَنْد ، السِّمْسَار ، الفِرْفِير [18] ، الدهليز ، الجِلْفَاط [19] ، النِّفْط ، السُّفْتَجَة [20] ، وكثير من ذلك في باب القاف لأن العرب في بعض الأحيان تلحق في آخر اللفظ المعرب جيماً أو قافاً .

تعرضه لاشتقاقه :

تعرض الفيروزابادي لاشتقاق الدخيل فأخطأ أحياناً كقوله في الترياق إنه

---

(١) عروق شجر. (٢) النارجيل . (٣) ثمر المغات . (٤) نبت مُسْبِتٌ م .
(٥) نوع من الثياب . (٦) نبت طيب الرائحة . (٧) بقلة م . (٨) دواء هندي .
(٩) جوهر كالزمرد . (١٠) كتاب الطريق (لربان السفينة) . (١١) الزينة أو الذهب .
(١٢) الذي يلف عليه الغزل . (١٣) دواء للعين م . (١٤) مرض معوي مؤلم .
(١٥) كالحزمة من الليف (١٦) دخان الشحم . (١٧) ثمر م يحفظ العقل . (١٨) نوع من الألوان .
(١٩) سادُّ خروق السفن بالقار . (٢٠) اعطاء مال لفتى ليأمن الطريق من أعطى .

من اللسان اليوناني ، وأن أصله ترياء وقاء ، مع أن القاف لا توجد في لغة اليونان ولا في غيرها من لغات الإفرنج ، وكذلك الهمزة المتطرفة لا توجد إلا في لغة العرب .

وكقوله في (سوف) الفيلسوف يونانية ، أي محب الحكمة ، أصله فيلا وهو المحب ، وسوفا وهو الحكمة ، والاسم الفلسفة مركبة كالحوقلة .

ويرى الشدياق أن هذا غير صحيح ، فإن النطق بها في أصلهافيلوسوفيا وباللفظ الثاني سميت الكنيسة الشهيرة بالقسطنطينية ، ثم قال على أن قوله كالحوقلة يقتضي ذكر الفلسفة في مادة على حدتها لا في سوف ولم يذكر الحوقلة في بابها [1] .

رده إلى أصله :

على أن معرفة هذا الدخيل ، ورده إلى أصله ، قد يصعبان أحياناً ، ولا سيا إذا كانت اللفظة الدخيلة ثلاثية أو رباعية ، وأصولها تشبه أصول العربية ، ووزنها يشبه الوزن العربي .

أما إذا كان الوزن بعيداً عن المقاييس السليمة ، والمعنى لا يتصل بمدلول الأصل العربي المحكم ، فإن الباحث قد يهتدي إلى غرابتها ، ولكن هناك بعض الأحيان رجال يصرون على عربيتها . [2]

وقد ذهب الفيروزابادي إلى إرجاع بعض الكلم الدخيل إلى العربية إرجاعاً فيه تكلف ظاهر ، وانتحال لأسباب أَوْهَى من بيوت العناكب ، حيث قال :

أ – في مادة (ل و ب) تفسيراً للاسطرلاب : «وَاللَّابُ ... رَجَلٌ سَطَرَ أَسْطُراً ، وَبَنَى عَلَيْهَا حِسَاباً ، فَقِيلَ أَسْطُرُلَاب ، ثم مُزِجَا وَنُزِعَتْ الإِضَافَةُ ، فَقِيلَ : الأُسْطُرْلَابُ مُعَرَّفَةً ، وَالأَصْطُرْلَابُ ، لِتَقَدُّمِ السِّينِ عَلَى الطَّاءِ . »

ولم يقتنع الزبيدي بهذا الكلام ، فنقل العبارة ببعض زيادة ثم قال :

---

(١) الجاسوس ص ٢١١ . (٢) نشوء اللغة ص ٣٥ – ٣٦ .

«هكذا نقله الصغاني، قال شيخنا : ثم ظاهره أنه من الألفاظ العربية ، وصرح في نهاية الأرب ، بأن جميع الآلات التي يعرف بها الوقت سواء كانت حسابية أو مائية كلها ألفاظ غير عربية ، إنما تكلم بها الناس ، فولدوها على كلام العرب ، والعرب لا تعرفها برمتها ، وإنما جرى على ما اختاروه من أنها ركبت ، فصارت كلمة واحدة عندهم ، فكان الأولى ذكرها في الهمزة ، أو في السين ، أو في الصاد ، ولا يكاد يهتدي أحد إلى ذكرها في هذا الفصل [1] كما هو ظاهر ، وأكثر من ذكرها ممن تعرض لها في لغات المولدين ، أو جعلها من المعرب ، ذكرها في الهمزة . »

وأذهب مذهب الأب انستاس ماري الكرملي حيث قال : أسطرلاب كلمة يونانية اللغة والتركيب من استرون .Astron أي نجم ، ولمبانين Lambanein أي أخذ ، وهي آلة يقاس بها موقع النجوم وارتفاعها فوق الأرض ، واسمها بالفرنسية .Astrolabe كما في العربية [2] .

ب — في مادة (الإسفنط) : الإِسْفَنْطُ بالكسر ، وتُفْتَحُ الفاءُ : المُطَيَّبُ من عَصيرِ العِنَبِ ، أَوْ ضَرْبٌ مِنَ الأَشْرِبَةِ ، أَوْ أَعْلَى الْخَمْرِ ، سُمِّيَتْ لأَنَّ الدِّنَانَ تَسَفَّطَتْهَا ، أَيْ تَشَرَّبَتْ أَكْثَرَهَا ، أَوْ مِنَ السَّفِيطِ لِلطَّيِّبِ النَّفْسِ .

قال الزبيدي : « وهو يلمح لقول أبي عبيدة ، أو من السفيط للطَّيِّبِ النفسِ ، لأنهم يقولون ما أسفط نفسه عنك ، أي ما أطيبها وهذا قول ابن الأعرابي ، فهو عنده عربي ، والقول : ما قاله الأصمعي من أنه رومي ، والكلمة إذا لم تكن عربية ، جعلت حروفها كلها أصلاً ... »

قال الأب انستاس ماري الكرملي : لا جرم أن الكلمة رومية وهي

---

(١) أي فصل اللام .

(٢) نشوء اللغة ٣٧ — ٣٨ .

من : .Absinthium أي الخمرة المطيبة بالعَبْدِ وهو ضرب من الشيح ، وقد وردت في بعض كتابات الملك دِيُوقْلِطْيَانُس وصحفت الكلمة بصور مختلفة منها : الإصْفَنْط (بالصاد) ، والإصْفَعِنْد والإصْفَعِيد، والإصْفَد ، والإصْفَعْد ، إلى غيرها [١] .

وعندي أن قوله هذا هو المعقول .

ج – واشتق الفيروزابادي لبعض الألفاظ الأعجمية أصلاً عربياً ، أو أصلاً أعجمياً وهمياً ، كما في (الْمَنْجَنِيق) [٢] حيث قال في مادة (ج ن ق) والمَنْجَنِيقُ ، وَيُكْسَرُ الميمُ ، آلَةٌ تُرْمَى بها الحِجَارَةُ كَالْمَنْجَنُوقِ ، مُعَرَّبَةٌ وقَدْ تُذَكَّرُ ، فَارسِيَّتُهَا : « مَنْ جَهْ نِيكْ » أي : أَنَا مَا أَجْوَدَنِي ، ج مَنْجَنِيقَاتٌ ومَجَانِقُ وَمَجَانِيقُ وَجَنَّقُوا تجنيقا ومجنقوا عند من جعل الميم أصلية . وزاد الزَّبيدي بعد مجانق : « وقال سيبويه: هي فَنْعَليل ، الميم من نفس الكلمة، لقولهم: في الجمع مَجَانِيقُ، وفي التصغير مُجَيْنِيق، ولأنها لو كانت زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم، وهذا لا يكون في الأسماء ولا الصفات التي ليست على الأفعال المزيدة، ولو جُعلت النون من نفس الحَرْف، صار الاسم رباعياً، والزيادات لا تلحق بنات الأربعة أولاً، إلا الأسماء الجارية على أفعالها، نحو مُدَحْرَج، وقد جَنَّقُوا تجنيقاً ، إذا رموا بأحجار المنجنيق . وقال الليث : مَجْنَقُوا منجنيقا عند من جعل الميم أصلية ، قال : وقد يجوز أن تكون زائدة ، لأن العرب ربما تركوا هذه الميم في كلمة سوى ذلك ، كقولهم للمسكين : قد تمسكن ، وإنما المسكين على قَدْرِ مِفْعِيل كالمنطيق والمحضير ، ونحو ذلك .

قال شيخنا : وقد اختلفوا في وزن هذا اللفظ على أقوال للفَرَّاء والمازني

---

(١) نشوء اللغة ٣٨ .

(٢) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة على العدو ، وهي قديمة كانت قبل صنع البارود والمدافع ، ونلحظ في كلمة المنجنيق : (أ) أن الفيروزابادي اشتق لها أصلاً عربياً ، هو (جَنَّقَ تجنيقاً) والصواب ما ذكره الزبيدي من أن هذه اللفظة عجمية ، وأن حروفها كلها أصلية ، ولا سبيل فيها لدعوى الاشتقاق. (ب) وأنه اشتق لها أصلاً أعجمياً وهمياً ، هو (مَنْ جَهْ نِيكْ) أي : أنا ما أجودني ، والصواب أن أصلها الأعجمي اسم آلة بهذا اللفظ المنقول ، كما يستفاد من قول الكرملي والزبيدي ، فهي بلفظها ومعناها في اللغة الأصلية الفارسية أو اليونانية لم تختلف عنها في اللغة المنقول إليها وهي اللغة العربية .

وأبي عبيد والتَّوْزيّ ، وهل الميم هي الأصلية ، أو النون ، أو غير ذلك ، واستدلوا بِجَنَّقُونا وبعدم زيادة الميم في مثله ، وفي غير ذلك مما لا طائل تحته ، والصواب عندي[1] أن حروفَهُ كلَّها أصلية ، لأنه عجمي ، لا سبيل فيه إلى دعوى الاشتقاق وَلاَ مُرَجِّحَ في ادِّعَاءِ زيادة بعض الحروف دون بعض ، ولا داعي لذلك ، فالصواب إذن أن يذكر في فصل الميم كما هو ظاهر ، والله أعلم » وفي اللسان نحو ذلك .

قال الأب أنستاس ماري الكرملي : ورأينا في المنجنيق أنه مُعَرَّبٌ لكن من اليونانية لا من الفارسية كما قال بعضهم ، فأحرفه كلُّها أصول كما هو معروف عند جمهور أرباب اللغة .[2]

هذا رأي كل من الفيروزابادي والأب أنستاس ماري الكرملي في أصل كلمة (المنجنيق). وليس من السهل ترجيح أحد الرأيين على الآخر ، وإن كان لا بد من الترجيح ، فإني أميل إلى رأي القائلين بأن أصلها فارسي .

ذلك لوضوح معنى الأصل ، وشدة التشابه بينه وبين الفرع .

أما ما ذكره الأب انستاس ماري الكرملي ففي حاجة إلى مزيد بيان ، لأنه لم يذكر لنا المعنى الأصلي للكلمة في اللغة اليونانية ، على أنه ليس هناك ما يمنع من أن أصل الكلمة من الفارسية ، ثم نقلت إلى اليونانية وغيرها من اللغات القديمة ومنها اليونانية ، فإنه من المعروف أنه كان لقدماء الفرس حضارة واسعة النطاق وأنهم كانوا مهرة في الحروب وشن الغارات ، ولا ننسى ما كان بينهم وبين اليونان من حروب وبخاصة من قبل ظهور الإسكندر المقدوني .

وفي ضوء ما تقدم نقرر أنه لا يبعد أن تكو ن هذه الآلة من بين الآلات التي استعملها الفرس في محاربتهم لليونان ، وأن اليونان سمعوا اسمها فنقلوه إلى لغتهم محرفاً على الصورة التي يذكرها الكرملي .

وقد ذكر هذه الآلة عند اليونان استراطون اللمساكي Straton De Lampsaque

---

(١) أي عند الزبيدي . (٢) نشوء اللغة العربية ص ٤١ .

وكان من علماء اليونان ، وتوفي في سنة ٢٦٩ قبل الميلاد [١] .

ولا أريد أن أجري في هذا البحث أكثر من هذا ، لأن الموضوع واسع المدى لا تحصره صفحات ، فاكتفيت بما ذكرت .

خطؤه في رد بعض الكلمات إلى اللغات المنقولة عنها :

لم يكن الفيروزابادي واضحاً ، ولا دقيقاً ، فيما أخبر به عن أصل بعض الألفاظ ، وبيان أنها عربيَّةٌ أو مُعَرَّبَةٌ ، فقد ذكر أَلفاظاً عربية على أنها عجمية ، كقوله في نبا : « النَّبِيَّة كغَنِيَّة سُفْرَةٌ مِنْ خُوصٍ فَارِسِيَّةٌ ، مُعَرَّبُهَا النَّفِيَّةُ بِالفَاءِ ، وَتَقَدَّمَ في (ن ف ف) [٢] »

ولم يقل أحد الأئمة [٣] إنها [٤] فارسية ، بل هي عربية صحيحة . [٥]

وروي عن ابن الأعرابي : النُّفْيَةُ بالضم وَكَغَنِيَّةٍ . وقال الزَّبيدي : ويسميها الناس النَّثِيَّة وهي النفية وذكره المُصَنف في ن ب ا وجعله فارسياً معرباً وليس كما ذكر وإنما هي النثية بالثاء لغة في النفية ، وظهر بما تقدم أنه بالضم لا الفتح وغلط المصنف وإنه عربي لا معرب ووهم المصنف [٦] .

وقد رجعت إلى بعض المعاجم الفارسية في معنى كلمة (النَّفِيَّة) وبيان أصلها فتبين أنها بالمعنى المذكور عربية الأصل وأنها مفتوحة النون والله أعلم .

وأحياناً يذكر الفيروزابادي اللفظ العجمي في أسلوب يفيد أنه عربي أو يذكر اللفظ العربي في أسلوب يفيد أنه عجمي ، حيث قال :

١ - الجلفق : « الْجَلْفَقُ يُسَمَّى بالفَارسيَّةِ دَرَابزين »

وهو يوهم أن الجلفق عربي مع أنهم قالوا إن الجيم والقاف لا تجتمعان في كلمة إلاَّ إذا كانت معربة أو حكاية صوت [٧] .

---

(١) نشوء اللغة ص ٤١ . (٢) ذكرها أيضاً في (ن ف ي) .

(٣) لم يذكرها الصحاح ولا اللسان .

(٤) إنها أي (النفية) فالضمير في كلمة (إنها) يعود على (النفية) التي هي موضوع الحديث .

(٥) الجاسوس ص ٤٩٧ .

(٦) تاج العروس ١٠ : ٣٧٥ . (٧) الجاسوس ص ٢٦٢ .

٢ – الصَّرْدُ : الصَّرْدُ الخالصُ من كل شيء ، ومكانٌ مرتفعٌ من الجبال ، ومسمارٌ في السِّنان يُشكُّ به الرمحُ ويُحرَّك ، والبردُ ، فارسيٌّ معرَّبٌ . وَرَجُلٌ مِصْرَادٌ قَوِيٌّ عَلَى الْبَرْدِ وَضَعِيفٌ عَلَيْهِ كَصَرِدٍ كَكَتِفٍ وصَرِدَ كفرح وَجَدَ البرد سريعاً ... والصَّرِيدَةُ نَعْجَةٌ أَضَرَّ بِهَا الْبَرْدُ ج صرائد.

أنكر الشدياق أن الصَّرْدَ بمعنى البرد فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، لأَنَّ بَعْدَهُ وَصْفاً منه وهو (مِصْرَاد وصَرِد والصَّرِيدَة) وَفِعْلاً وهو (صَرِدَ كفرح) ثم قال : ما الداعي إلى كون الصَّرْدِ فارسياً مع وجود فعل منه وهذا الوهم سبقه إليه الجوهري غير أن المحشي صرح بأنَّه عربي صحيح وأن الفرس أخذوه من كلام العرب .[1]

ولعل الفيروزابادي ما كان يفرق بين أن يقول مثلاً هذا لفظ رومي أو معرب عن الرومي ، حتى يقف الباحث على الحقيقة بنفسه ، مستعيناً به أو بغيره كما في قوله :

(الدُّرْدَاقِسُ) بالضم عظم يصل بين الرأس والعنق رومي .

قال الزبيدي : قوله يصل هكذا في سائر النسخ والصواب يفصل بين الرأس والعنق .

والفيروزابادي ربما يقصد هنا بقوله (رومي) أنه معرب عن الرومية أو باق على روميته لم يعرب ، والباحث في سبيل الوصول إلى معرفة قصده يتحمل المشاق.

وهنا نذكر أن الفيروزابادي كثيراً ما يقرر أَنَّ اللفظ مُعَرَّبٌ ، ولكنه لا يبين الأصل الذي عرب عنه ، ونمثل لذلك بقوله :

١ – الميبة شيء من الأدوية معربة .
٢ – خبج ... والخنبجة الدن معرب .
٣ – الفوذنج بالضم نبت معرب .

فهذه كلها ألفاظ قال عنها انها معربة ولم ينص على أصلها الذي نقلت عنه .

---

(١) الجاسوس ص ٢٣٦ .

على أن الفيروزابادي قد يخطئ في بيان الأصل الأجنبي للكلمة المُعَرَّبَةِ ، كما في قوله :

١ – « بَغْشُورُ بالفتح د بَيْنَ هراة وسَرَخْسَ والنِّسْبَةُ بَغَوِيٌّ على غَيْرِ قياسٍ مُعَرَّبُ كَوْشُورَ أي الحفرةُ المالحةُ . »

وأرجح أنه ليس معرب كَوْشُور بل إنه اسم أعجمي لم يغير من جزأيه شيء ، قال الشدياق : قوله معرب كوشور غلط أيضاً بل هو اسم أعجمي لم يغير من جزأيه شيء لأن (بغ) بالفارسية هي الحفرة و(كو) بمعناها وكأنه لم يطلع على ذلك فظن أن (بغ) معرب (كو) ، وليس كذلك ، بل هما مترادفان في لغتهم وعدم اطلاعه على ذلك (مع أنه أعجمي) غريب[1] .

٢ – (الزُّورُ) « ... والقوةُ وهذه وفاق بين لغة العرب والفرس »

ذكر سيبويه أن ما له زُور كصوف ، أي قوة فارسي معرب . وذكر الشدياق أن قول الفيروزابادي هي وفاق بين لغة العرب والفرس غلط .

وعندي أن الصواب ما قاله سيبويه وهو أن كلمة زور بمعنى قوة فارسية الأصل ، أمَّا هذه الكلمة[2] بغير هذا المعنى كبهتان أو كذب فيبدو أنها عربية الأصل .

معناه في لغته الأصلية :

تعرض الفيروزابادي أحياناً إلى اللغة التي نقل منها الدخيل ، ومعناه في لغته الأصلية ، فكان عملاً مشكوراً ، لولا أن علمه ببعضها كان محدوداً أو ضئيلاً ، فجاء حديثه عنها مشوباً بالغلط أحياناً ، وذلك كقوله :

١ – في (شَرِهَ) : إهْيَا بكسر الهمزة ، وَأَشَرْإِهْيَا بفتح الهمزة والشين

---

(١) الجاسوس ص ٥٠٠ .   (٢) أي كلمة زور .

يُونَانِيَّةٌ أَي الأَزَلِيُّ الذي لَمْ يَزَلْ وليس هذا مَوْضِعَهُ لكن لأَنَّ النَّاسَ يَغْلَطُونَ وَيقُولُونَ أَهْيَاشَرَاهِيَا وَهُوَ خَطَأٌ على ما يَزْعُمُهُ أَحْبَارُ اليَهُودِ .

وهذا غير صحيح لأن هذا التعبير عبري الأصل مركب من ثلاث كلمات هي إِهْيِهْ أَشَرْ إِهْيِهْ .

אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה

ومعناها أَكُون الذي أَكُون (يعني أنا كما أنا)

كقول القائل : أَنا أبو النجم وشعري شعري .

٢ – سيبويه :

ذكر أن معناها رائحة التفاح حيث قال (في مادة السِّيب) : والسِّيبُ بالكسر مَجْرَى الماءِ ... والتُّفَّاحُ فَارِسِيٌّ وَمنهُ سِيبَوَيْهِ أيْ رَائِحَتُهُ لَقَبُ عَمْرِو بنِ عُثْمَانَ الشِّيرَازِيِّ إمامِ النُّحَاةِ .

وعندي أن هذا خطأ في تفسير (ويه) ، والصواب أن (ويه) التي تأتي في آخر كثير من الأسماء الفارسية تدل على النسب وسيبويه منسوب إلى التفاحة ، أي تفاحي ، لأن لون وجهه كان يميل إلى الحمرة كلون التفاحة .

وكذلك راهويه نسبة إلى (راه) وهو الطريق لأنه ولد في الطريق ، وماهويه نسبة إلى (ماه) بمعنى قمر أو بدر أي بدري (المشبه البدر) .

وخالويه نسبة إلى (خال) وهو علامة الحسن في الخد ، وهكذا . أما أن (ويه) بمعنى رائحة كما قال فليس لها معنى في مثل هذه الأسماء . هذا إلى أن الكلمة التي معناها رائحة في الفارسية هي (بوى) وليست موجودة في الأسماء المذكورة ، وأما (ويه) فموجودة في آخر جميع تلك الأسماء ، ولم يختص بها سيبويه .

والخلاصة أن الفيروزابادي لم يكن دقيقاً عند الكلام على الدخيل من الألفاظ ، وتتبين عدم دقته :

أولاً – في عدم النص على الدخيل أحياناً ، مما يرجح أنه من الأعجمي المولد أو ما في حكمه .

وثانياً – في أنه عندما ينص على أن لفظاً ما مُعَرَّبٌ لم يذكر الأصل الذي عرب منه .

وثالثاً – في أنه عندما يذكر الأصول المعربة يخطىء في ذكر الأصل أو الأصول المنقول عنها .

ورابعاً – في أنه حين يذكر اللغة المنقول عنها اللفظ يخطىء في بيان معناه في لغته .

وخامساً– في أنه يوهم ببعض عباراته أن لفظاً ما عربي مع أنه أعجمي، أو أنه عجمي مع أنه عربي .

وقد مثلنا لكل حالة بما فيه الكفاية . والله أعلم .

الفَصْل الخَامِس

التَصْحِيفُ وَالتَحْرِيف

لا شك أن صاحب القاموس المحيط وقع في شيء من التصحيف والتحريف لبعض مفرداته ، وخالف أئمة اللغة في بعض الكلم .

والتصحيف هنا مصدر صَحَّف ، وهو الخطأ في رواية الكلمة وذلك باستبدال صورتها بصورة كلمة أخرى ، لاتفاق في صورة أحرف الكلمتين ، واختلاف في النقط ، أما الحركات فقد تختلف ، وربما لا تختلف .

وقد ظهر التصحيف منذ القدم في لغة العرب حتى أن أبا عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٧ هـ وضع تأليفاً بديعاً سماه (التنبيه على حدوث التصحيف) ونبه فيه على ما وقع منه في متون الأحاديث النبوية وكلمات العرب البلغاء ، كالإمام علي بن أبي طالب ، وفي الأشعار القديمة ، والأمثال السائرة .

وأوقع التصحيف أعظم العلماء في مجادلات طويلة ، أضاعت من السلف كثيراً من أوقاتهم وعلومهم وأعمارهم ، وحالت بينهم وبين الإيغال في ضروب العرفان المفيدة .

وأَحْدَثَ أوهاماً وأغلاطاً شنيعةً ، وربما لم يحدث أدنى ضرر ، فمثال الضرر ما جاء في أصل هذا المثل وهو « أجهل من خاصي المخنثين » فقد قيل ان جماعة من المخنثين كانوا في المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي فأراد أن ينفيهم منها ، وكان عامله فيها أبا بكر بن حزم ، فكتب إليه يقول : أَحْصِ مَنْ عندك

من المخنثين . واتفق أن نقطة من السطر الأعلى وقعت فوق الحاء فصارت خاء ، فخصاهم .

ويسبب التصحيف كلمات جديدة ، من غير أن يحدث فيها معاني حديثة فقد جاء في القاموس :

في (ف ن و) : « الفناة البقرة . » وفي محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني : البعرة . وبذلك صارت البقرة بعرة .

وجاء في القاموس :

في (سوف) : السَّوَافُ كسَحَابٍ القِثَّاءُ وَالْمُوتَانُ في الإبل . « وفي لسان العرب : السَّوَافُ بفتح السين الفَنَاء ». وشتان بين القثاء والفَنَاء . والصواب أن الفيروزابادي خاطئ ، وابن منظور محق ، أي الفَنَاء بنون بمعنى الهلاك .

وفي القاموس :

في (رفن) : « الرفن البيض » . وفي اللسان : « النبض عن ابن الأعرابي . » والحق ما ذكر ابن منظور لأنه جاء في هذه المادة ارفأن الرجل : نفر ثم سكن . وعند النفور يشتد النبض ، وليس في تلك المادة ما يوجه معنى البيض .

والتحريف تشابه أحرف الكلمة بعضها لبعض في النوع ، والشكل ، والعدد ، والترتيب ، لكنها تختلف في الحركات ، أو في الحركة والسكون ، فيحدث الغلط .

ويجتمع التحريف والتصحيف معاً في الكلمة الواحدة فتزداد اللغة كلمات ، قد تفيد الشعراء ، أو من يعنى بحفظ الغريب أو جمعه ، لكنه يُوقر الأسفار ألفاظاً لا جَدْوَى فيها من جهة العلم والفن .[1]

جاء في القاموس في مادة (ب ر ق ش) : « أبوبراقش طائر صغير بري كالقنفذ . » ولا شك أن في قوله « كالقنفذ » خطأ ظاهراً . والصواب « كالقنبر » لأن القنفذ ليس طائراً حتى يشبه به طائر .[2]

---

(١) راجع كتاب نشوء اللغة ص ٢١ – ٣٠ .

(٢) راجع مقالة طويلة في أبي براقش في المقتطف ٣٩ : ٤٨٨ .

ولعل كثيراً من الأَلْفاظ تَصَحَّفَ على أهل اللغة من دون أن يشعروا بذلك فمروا عليه ، ومر عليهم مراراً ، ولكن بدون تعارف .

ويظهر أن الفيروزابادي أتى من هذه الألفاظ بعدد غير قليل ، وهاك طائفة منها على سبيل المثال :

١ — في (قاء) : « وتَقَيَّأَتْ تَعَرَّضَتْ لِبَعْلِهَا ، وأَلْقَتْ نَفْسَهَا عَلَيهِ . »

وفي نظري أنه لا مناسبة بين القيء والدَّلال . وقد بحثت في كتب اللغة ، فلم أجد في الصحاح والعباب والأساس والمصباح معنى لتقيأ سوى تكلف القيء ، وفي التهذيب اسْتَقَاءَ تَكَلَّفَ القيءَ ، والتقيؤ أبلغ وأكثر . أما في لسان العرب فوجدت في مادة (فاء) ما نصه : تفيأت المرأة لزوجها تثنت عليه وتكسرت له تدللاً وألقت نفسها عليه من الفيء وهو الرجوع . وقد ذكر ذلك الفيروزابادي في القاف[1] . وهو تصحيف ، والصواب تفيأت بالفاء ومنه قول الشاعر :

تفيأت ذات الدلال والخفر ... لعابس جافي الدلال مقشعر

ولم اقنع بقول ابن منظور « من الفيء وهو الرجوع » فطالعت الأساس في مادة (فاء) فوجدت فيه ما نصه : وفيأت المرأة شعرها حركته خيلاء وتفيأت لزوجها تكسرت له وتميلت غنجاً ، ويقال للفاجرة تفيئين لغير بعلك. والفيروزابادي ذكر فيأت المرأة شعرها في سفه لا في مادتها فكأنه رأى السفاهة بها أولى مع عدم تحرجه من القيء .

وطالعت التهذيب[2] للأزهري فوجدت عبارته كعبارة لسان العرب أما ما ذكره الزبيدي صاحب تاج العروس من أن الليث روى تقيأت بالقاف مستشهداً بالبيت المذكور فالظاهر أنه تصحيف من الليث رحمه الله ، وقد رمي بالتصحيف في عدة مواضع نبه عليها الأزهري وغيره .

على أني أُوثر أن يكون (الفيء) من قولهم فيأت المرأة شعرها إذا حركته من الخيلاء ، والريح تفيء الزرع والشجر أي تحركهما ، وفي الحديث : «مثل المؤمن

(١) أي فصل القاف من باب الهمزة .

(٢) النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية وكذلك المطبوعة .

كخامة الزرع تفيئها الريح مرة هنا ومرة هنا » .

وكان ينبغي للمؤلف أن يتروى في (تفيأت المرأة) بالقاف . ولا يقال انه قلد في ذلك صاحب المحكم الذي ذكره بهذا المعنى ، لأن صاحب المحكم لم يكن معصوما من الغلط والتحريف ، ولا سيما أن الجوهري والأزهري والزمخشري والصغاني وابن منظور لم يذكروه مما يحمله على التفكير في سبب إهمالهم إياه ، فليس معقولاً أن التدلل والتظرف يَصْدُرَان عن القيء .

قال الشدياق : ان المؤلف متأخر عن كثير ممن ألف في اللغة ، وشأن المتأخر أن يراجع كلام من تقدمه ، ويميز غثه من ثمينه حتى لا يحيد عن جادة الصواب [1]

٢ – في (مرد) : « والمَرْدَاءُ الرَّمْلَةُ لا تُنْبتُ ، وَرَمْلَةٌ بهَجَرَ ، والمرأة لا إسْتَ لَهَا ، والشَّجَرَةُ لاَ وَرَقَ عَلَيْهَا . »

كلمة (إست) بالهمزة والسين المهملة والتاء المثناة الفوقية ، وهو تصحيف ، والذي في لسان العرب وأساس البلاغة والتكملة: « وامرأة مرداء لا اسب لها بالباء الموحدة وهي شعرتها . » وما كان له أن يقع في هذا التصحيف وأمامه كتب أئمة اللغة ، على أن مادة (مرد) تدل على الخلو من الشعر وشبهه حتى قالوا ان المرداء للشجرة التي لا ورق عليها مجاز عن المرأة التي لا اسب لها [2] .

٣ – في (**دلق**) : ... وكصاحب لقب عمارة بن زياد العبسي لكثرة غلطاته . والصواب لكثرة غاراته ، كما ذكر الزبيدي وغيره .

٤ – في (يدو) : « ... اليَد الكَفّ ... والغِيَاث والاسْتِلام . »

صوابه الاستسلام ، كما في الجاسوس وتاج العروس وغيرهما .

٥ – في (خور) : « الخَوْر كفَوْر موضع بأَرْض نَجْدْ من ديار بني كِلاَب ذَكَرَه حميدُ بنُ ثَوْرٍ الهلاليُّ في قوله :

---

(١) الجاسوس ص ٤١٠ – ٤١٧ .

(٢) الجاسوس ص ٤٤٠ .

سقى السَّروة المحلال ما بين زابن إلى الخور وسمّي البقول المديم

قال الأودي : الخَوْرُ واد ، وزابن جبل ، **فصحف الفيروزابادي** قول الأودي فقال : « الْخَوْ رُواد وَرَاءَ بِرْجِيلٍ » ، قال الشدياق : « وهو تصحيف يضحك الثكلى . »[1]

٦ – قوله : « غُلاَمٌ أُفْلُودٌ بالضم تَامٌّ مُحْتَلِمٌ سَبْطٌ نَاعِمٌ سَمِينٌ » . أفلود خطأ ، وصوابه أملود . كما في كثير من المعاجم .

وهكذا يبدو أن هذا المعجم صادفه قليل من التصحيف والتحريف ربما كان سببه النساخ .

على أن الذي حصل ، سواء كان من النساخ أو المؤلف نفسه قد أَدَّى إلى حدوث كلمات كثيرة يصعب الإلمام بها كما أَدَّى إلى اضطراب في شرحها وتغيير لا يستساغ في معانيها ، وكان سبباً قوياً في تضخم معجم اللغة العربية .

والتضخم مرض تصاب به اللغات أحياناً ، لكن على كل حال ، قد تنبه إليه الباحثون في لغة العرب وكشفوا أمره للناطقين بها ، عسى أن يأمنوا العثار في كلام الله ، ويهتدوا إلى الصحيح في لغة كتابه العزيز .

---

(١) الجاسوس ص ٥٠٢ .

الفصل السادس

المعلومات العامّة

١ ـ الأساطير

يشتمل القاموس المحيط ، إلى جانب ما جمعه من مادة اللغة ، على مسائل في العلم والفن والأدب والتاريخ ونحوها .

لكن يبدو لنا أنَّ على بعضها مسحةً من الأساطير القديمة ، وربما كانت مستقاة منها ، أو على غرارها .

ونعني بالأساطير ، ما عناه الفيروزابادي بها ، من أنها الأقوال التي لم تقم على نظام ، ولم تستند إلى دليل ، حيث قال : « والأساطير الأحاديث لا نظام لها ، جمع إسطار وإسطير بكسرهما وأسطور ، وبالهاء في الكل ، وسطر تسطيراً أَلَّفَ وعلينا أتانا بالأساطير » .

ونذكر فيما يلي طرفاً من الأساطير التي أودعها الفيروزابادي كتابه :

أولاً – أساطير تاريخية :

١ – قال الفيروزابادي :

في مادة (طحث) : « طَحْمُورَثُ[1] مَلِكٌ مِنْ عُظَمَاءِ الفُرْسِ مَلَكَ سَبْعَمِائَةِ سَنَةٍ . »

(١) أول ملوك الدولة الكيانية أقدم دولة حكمت الفرس في العصور القديمة .

وفي مادة (رثد) : « ... وَكَمَسْكَنٍ ... ومَلِكٌ لِلْيَمَنِ مَلَكَهَا سِتَّمائَةِ سَنَةٍ . »

وفي مادة (الحي) : « ذو الْحَيَّةِ مَلِكٌ مَلَكَ أَلْفَ عَامٍ . » ولم يذكر أين كان ملكه .

وفي مادة (عوج) : « عُوجُ بنُ عُوقٍ بِضَمِّهِمَا رَجُلٌ وُلِدَ فِي مَنْزِلِ آدَمَ فَعَاشَ إلَى زَمَنِ مُوسَى وَذُكِرَ مِنْ عِظَمِ خَلْقِهِ شناعة » . وبينهما نحو ألفي سنة .

تحدث الفيروزابادي في هذه المواد عن ملوك ثلاثة معمرين ، وعن رجل ولد في منزل آدم ، وعاش إلى عصر موسى ، وهو حديث يسترعي النظر حقاً ، فلست أدري ما المقصود بالعام أو السنة في أيام هذا المؤلف . هل كان كل منهما كما نؤرخ ونحسب في زماننا ؟ إن كان ذلك ، فلا أظن ملكاً عاش وحكم ستمائة سنة أو سبعمائة أو ألف عام ، فالتعمير إلى هذا الحد لا يتصوره العقل ، لأن المشاهد الآن أنه يندر أن يعيش الشخص أكثر من مائة عام .

وإن كان المقصود بكل منهما فترات من الزمن ، أقل مدى مما اصطلحنا عليه الآن ، يمكن أن يعيش بعض الناس مئات منها ، ولو بشق الأنفس ، استطعنا أن نصدق هذه الأخبار مع ما يكتنفها من غرابة لأول وهلة .

لكن إنْ صح تفسير السنة أو العام في زمن ما على هذا النحو فما أظنه كان معروفاً أيام المؤلف بهذه الصورة ، فالثابت لدينا أنه فسرهما في معجمه ، وفسر أجزاءهما بما يفيد المعنى المألوف الآن فقد قال :

في مادة (السنة) : السنة العام ج سنون وسنوات وسنهات .

وفي مادة (العوم) : ... والعام السنة ج أعوام ... وعامت النخلة حملت سنة ولم تحمل سنة كعومت وفلاناً عامله بالعام .

وفي مادة (يوم) : اليوم م ج أيام .

وفي مادة (الشهر) : ... والعدد المعروف من الأيام لأنه يشهر

بالقمرج أشهر وشهور .

ولست أرى أن هناك صلة بين ما رواه القاموس من هذه الأخبار وبين ما جاء في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . » وقوله تعالى في أصحاب الكهف : « فلبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا » لأن ذلك مما خص الله به نوحاً وأهل الكهف وأضرابهم .

على أن هناك رأياً لفضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار في أمر المعمرين خلاصته أن الأقدمين كانوا يعيشون سنين طوالاً تعد بالمئات لأن حياتهم كانت ساذجة خالية من الهموم والمتاعب التي تسبب الأمراض ، وتقصر الأعمار ، أمَّا مَنْ عاشوا بعدهم ، فكانوا عرضة لتلك المتاعب والمشقات التي أضعفت أجسامهم ، وقصرت أعمارهم .

ويذكر فضيلته (عليه رحمة الله) في بيان الطريقة التي اتبعها بعض القدماء في عد السنين ، أنهم كانوا يعدون كل شهر عاماً ، فإذا قالوا ألفا ومائتي سنة ، فإنما يعنون مائة عام ، وقد أشار إلى ذلك المعري بقوله :

وَرَوَوْا للمعمَّرين أمـــوراً لست أدري ما هُنَّ في المشهـــور
أتراهم فيما تَقَضَّى من الأيـــام عَدُّواً سنيهمُ بالشهـــور
كلما لاح للعيـــون هلالٌ كان عاماً لديهمو في الدهـــور
هكـذا ينبغي وإلاَّ فـإنَّ الـــ ـعَقْلَ يثني في حالـةِ المبهـــور

قال فضيلته : ولكني متمسك برأيي الأول[1] .

لكني أرى أنه كان على الفيروزابادي أن يوضح المراد بالسنين

---

(١) قصص الأنبياء ص ٥١ – ٥٢ .

التي عاشها كل معمر ، على أن الذي يعاب عليه أنه نقل هذه الروايات في القاموس المحيط بلهجة المتأكد من صحتها ، وكان عليه أن ينسب الأقوال إلى من صدرت عنه ، حتى لا يحاسب على روايات ليست له .

٢ - ويقول أيضاً في مادة (هرم) : « ... الهُرْمَانُ بالضم ، العَقْلُ ، وبالتحريك بناءان أزليَّانِ بِمِصْرَ بَنَاهُمَا إِدْرِيسُ عليهِ السَّلَامُ لِحِفْظ العُلوم فيهما عنِ الطُّوفانِ ، أَوْ بَنَاءُ سِنَانِ بنِ المُشَلْشَلِ ، أَوْ بَنَاءُ الأَوَائِلِ لَمَّا عَلِمُوا بالطُّوفَانِ مِنْ جِهَةِ النُّجُومِ ، وَفِيهِمَا كُلُّ طِبٍّ وَسِحْرٍ وَطَلْسَمٍ ، وَهُنَاكَ أَهْرَامٌ صِغَارٌ كَثِيرَةٌ . »

وأظن البناءين الأزليين ، هما هرما الجيزة الكبيران ، أَوْ هُمَا الهرمُ الأكبر والهرمُ الأوسط ، ومعروف الآن أن الذي بني أَوَّلَهما وهو الأكبر هو الملك خوفو من ملوك الأسرة الرابعة ، والذي بنى ثَانِيَهُمَا وهو الأوسط هو الملك خفرع من ملوك هذه الأسرة ، وليس بصحيح أن بانيهما هو أدريس عليه السلام ، أو سنان بن المشلشل أو الأوائل ، كما حدث الفيروزابادي ، وكلمة (الأوائل) فيها ابهام ظاهر ، فمن هم الأوائل الذين كان يعنيهم . وفي أي زمن كانوا يعيشون ؟ هل هم قدماء المصريين ، ومنهم خوفو وخفرع ، أم غيرهم ؟

وليس معقولاً أَنَّ السبب في بنائهما هو حفظ العلوم فيهما مخافة الطوفان ، وإنما الدافع الحقيقي إلى تشييد الاهرام في رأي المحدثين من المؤرخين ، هو ما كان يعتقده الملوك الأقدمون من عودة الروح إلى الجسد بعد الممات ليحيا كل منهم حياته الأولى ، وكانوا لذلك يتفانون في بناء الاهرام التي تبقى بقاء الدهر لتحفظ أجسامهم وأموالهم وعروشهم ، حتى يستأنفوا حياتهم المنتظرة التي سيكونون فيها فراعنة أعزاء ، لهم ما لهم من جبروت وسلطان ، أَمَّا الطب والسحر والطلسم فقد تنصرف إلى ما يحويان من فن وكتابة وتحنيط ونحوها . على أَنَّ هذه المعلومات التي ذكرها الفيروزابادي ، ربما لا ترضي

المؤرخ في الجملة ، ولا تقنع الباحث ، لما اتسمت به من تناقض واضطراب ، وبعد عن الصواب .

٣ – ويتحدث عن ملوك مدين في مادة (بجد) فيقول : « وأَبْجَدْ إِلَى قَرَشَتْ وَكَلَمُنْ رَئِيسُهُمْ مُلُوكُ مَدْيَنَ وَوَضَعُوا الكِتَابَةَ العَرَبِيَّةَ عَلَى عَدَدِ حُرُوفِ أَسْمَائِهِمْ هَلَكُوا يَوْمَ الظُّلَّةِ فَقَالَتْ ابْنَةُ كَلَمُنْ :

كَلَمُنْ هَدَّمَ رُكْنِي هُلْكُهُ وَسْطَ الْمَحَلَّةْ
سَيِّدُ القومِ أَتَاهُ الْـ حَتْفُ ناراً وَسْطَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ نَاراً عَلَيْهِمْ دَارُهُمْ كالْمُضْمَحِلَّهْ

ثُمَّ وَجَدُوا بَعْدَهُمْ ثَخَذْ ضَظَغْ فَسَمَّوْهَا الرَّوَادِفَ . »

والواقع أنه لم تثبت صحة ما ذكره الفيروزابادي في هذه المادة ، إذ أنَّ المعروف عن الثقات أن (أبجد ...) لم تكن أسماء ملوك مدين ، ولا أنهم وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم ، وإنما هذا افتعال لم يؤيد بنقل ولا عقل.

أمَّا ابنة كلمن الشاعرة أو قائلة الشعر فلا وجود لها إلاَّ في عالم الخيال ما دمنا لم نعترف بوجود لأبيها ولا لمن يرأسهم من ملوك وأتباع ، والشعر مختلق كله ، وفيه تكلف ظاهر ، يدل على أن قائله خلو من عاطفة الشعر ، وفن الشعراء ، وكلمة المضمحلة لما تزل غامضة ، على أننا لا نجد للتشبيه بها معنى ، ولا نشعر فناً أيَّ فَنٍّ .

ولست أظن الفيروزابادي مخترعاً لمثل هذه الأساطير ، وإنما الذي نحن على يقين منه ، أنها كانت شائعة في عصره تدور على ألسنة معاصريه عرباً أو فرساً ، وقد نقلها عنهم ، فجاءت لا تمت إلى الواقع بصلة .

ثانياً – أساطير جغرافية :

وشبيه بهذه الخرافات التاريخية ما جاء في مادة (قوف) حيث قال : « وَالْقَافُ حَرْفٌ وَجَبَلٌ مُحِيطٌ بالْأَرْض أَوْ مِنْ زُمُرُّدٍ وَمَا مِنْ بَلَدٍ إلاَّ وَفِيهِ عِرْقٌ مِنْهُ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ إذا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُهْلِكَ قَوْماً أَمَرَهُ فَحَرَّكَ فَخُسِفَ بِهِمْ » .

ذكر بعض المفسرين في تعريف قاف أنه من ياقوتة خضراء ، وأن السماء بيضاء ، وإنما اخضرت من خضرته ، وعاب عليه ابن الطيب إدخال (ال) على (قاف) لأنها لا تدخل على الأعلام إلا للمح الأصل مثل النعمان كما أفاده الزبيدي .

هذا الذي يقال عن جبل قاف موضع شك (فيما أرى) ، فمن البعيد أن يحيط بالأرض ، وليس معقولاً أن يكون كله من زمرد ، وأنَّ كل بلد فيه عرق منه ، وأنَّ عليه ملكاً إذا أراد الله أنْ يهلك قوماً أمره فحركه فخسف بهم ، ولا أصدق ما عرفه به بعض المفسرين الذين يرون أنه ياقوتة خضراء ، وأن السماء بيضاء ، وإنما اخضرت من خضرته ، فكل هذه أساطير لا يقرها العلم الحديث ، وإنما يعتبرها حديث خرافة .

قال المغفور له الأستاذ أحمد أمين : لا تزال تتنقل الأسطورة بين العرب ، حتى يدخلها الفيروزابادي في القاموس المحيط فيقول (مادة الجزر) : «والجَزَائِرُ الخَالِدَاتُ وَيُقَالُ لَهَا جَزَائِرُ السَّعَادَةِ سِتٌّ جَزَائِرَ فِي البَحْرِ الْمُحِيطِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ منها يَبْتَدِىءُ الْمُنَجِّمُونَ بِأَخْذِ أَطْوَالِ البِلاَدِ تَنْبُتُ فِيهَا كُلُّ فاكهةٍ شَرْقِيَّةٍ وَغَرْبِيَّةٍ وَكُلُّ رَيْحَانٍ وَوَرْدٍ وَكُلُّ حَبٍّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُغْرَسَ أَوْ يُزْرَعَ .» [1]

وقد تعرض لها الصغاني من قبل وقال إنها ست في أقصى بحر المغرب من غير أن يتعرض لما ينبت فيها من فاكهة ونحوها . وقال ابن الطيب الفاسي : إنها سبع كما جزم به جماعة ممن أرخها . وذكر الشدياق أن الفرنجة لم يكشفوا الجزائر الخالدات ، وأن الفيروزابادي لم يتعرض لسكانها مع وصفه لما ينبت فيها من فاكهة وزرع وريحان ، وأنه إذا صح أنها في البحر المحيط على هذا النحو ، فمن أثبت أن المنجمين يبتدئون بأخذ أطوال البلاد منها ؟

وقول الشدياق إن هذه الجزر لم يكشفها الفرنجة يستدعي النظر ، إذ أَنَّ الذي نعرفه عن هذه الجزائر أنها موجودة فعلاً ، ورد ذكرها في بعض المعاجم العربية الحديثة ، قال صاحب أقرب الموارد : «الجزائر الخالدات ست جزائر في

---

(١) ضحى الإسلام ١ : ٣٨٣ .

البحر المحيط من جهة المغرب » . وأفاض صاحب البستان في وصفها وبيان علة تسميتها بالخالدات فقال : « الجزائر الخالدات جزر في البحر المحيط من جهة المغرب ويقال لها جزائر السعادة وجزائر السعداء وسميت بذلك لأنه كان معتقدهم أن النفوس السعيدة هي التي تسكن أبدانها في تلك الجزائر فلذلك كان الحكماء يسكنون فيها ويتدارسون الحكمة هناك ، وأما وجه تسميتها بالخالدات فلأن الجنة عندهم عبارة عن التذاذ النفس الإنسانية باللذات الحاصلة لها بعد هذه النشأة الدنيوية بواسطة تحصيلها للكمالات الحكْمية في هذه النشأة وعدم بقاء شيء منها في القوة وخلود الجنة عبارة عن دوام هذا الالتذاذ النفسي كما أن الخلود في النار عندهم كناية عن دوام الحسرة على فوات تلك الكمالات فعلى هذا يكون معنى جزائر الخالدات هو الجزائر الخالدة نفس سكانها في جنة اللذات النفسانية المكتسبة في الدنيا . » .

ومع أن المصطلح عليه الآن أنَّ خطوط الطول تبدأ من الخط المار بجرينتش فقد كان القدماء يَعْتَبِرُونَ الخط المار بالجزائر الخالدات مبدأ لخطوط الطول تبعاً لما هو ثابت في المصور الجغرافي الذي وضع موضحاً لرأي بطليموس في العالم[1] . لذلك لا أرى أن الجزائر الخالدات تعتبر أسطورة من ناحية وجودها وأخذ أطوال البلاد منها ، وإنما ذلك من ناحية اعتقاد الأقدمين فيها بأنها جنة خالدة تلتذ بها أرواح الصالحين ، كما تسكن إليها نفوس الأحياء المترفين .

ثالثاً – أساطير علمية :

ذاعت أساطير من هذا اللون ، ونقل الفيروزابادي منها إلى القاموس كثيراً كأسطورة الْفَقَنَّسِ التي يقول عنها في باب السين : « الفَقَنَّسُ كعَمَلَّس طَائِرٌ عَظِيمٌ بِمِنْقَارِهِ أَرْبَعُونَ ثَقْباً يُصَوِّتُ بِكُلِّ الْأَنْغَام وَالألْحَانِ العَجِيبَةِ الْمُطْرِبَةِ يَأتِي إلَى رَأْسِ جَبَلٍ فَيَجْمَعُ مِنَ الحَطَبِ مَا شَاءَ وَيَقْعُدُ يَنُوحُ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَيَجْتَمِعُ إلَيْهِ الْعَالَمُ يَسْتَمِعُونَ إلَيْهِ وَيَتَلَذَّذُونَ ثُمَّ يَصْعَدُ عَلَى الْحَطَبِ وَيُصَفِّقُ

---

(١) راجع أطلس الجغرافيا القديمة ص ٤ – ٥ ودائرة المعارف البريطانية جـ ٥ ص ١٧٢ وجـ ١٦ ص ٩٨٤ . وبطليموس هو الفلكي المصري المشهور الذي عاش في القرن الثاني الميلادي .

بِجَنَاحَيْهِ فَتَنْقَدِحُ مِنْهُ نَارٌ وَيَحْتَرِقُ الحَطَبُ والطَّائِرُ وَيَبْقَى رَمَاداً فَيَتَكَوَّنُ مِنْهُ طَائِرٌ مِثْلُهُ ذَكَرَهُ ابنُ سِينَا فِي الشِّفَا » .

هذا الطائر خرافي ، كما ذكر الأب انستاس ماري الكرملي ، وقد جاء عنه في تاج العروس ما نصه : « القفنس كعملس اهمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان : هو طائر عظيم ، بمنقاره أربعون ثقباً ، يصوت بكل الأنغام والألحان العجيبة المطربة ، يأتي إلى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ، ويقعد ينوح على نفسه أربعين يوماً ، ويجتمع إليه العالم ، يستمعون إليه ويتلذذون بحسن صوته ، ثم يصعد على الحطب ، ويصفق بجناحيه ، فتنقدح منه نار ، ويحترق الحطب والطائر ، ويبقى رماداً ، فيتكون منه طائر مثله . » ذكره ابن سينا في الشفاء والعهدة عليه ، وقد ذكروه في شرح قوله : « والذي حارت البرية فيه » ... وقال القزويني : « هو (قوقيس) ، ثم ذكر قصته بمثل ما ذكرها الدميري ، وزاد : فإذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ، ثم تنبت له أجنحة ، فيطير طيراً ، فيفعل كفعل الأول من الحك والاحتراق . » ، قال الأب انستاس ماري الكرملي : اني لم أجد في كتاب القزويني والدميري إلا (القوقيس) وذكرا القصة على ما يضاهي الرواية المنقولة عن التاج .[1]

هذا ، ولم يذكر الفيروزابادي شيئاً عن صفات هذا الطائر ، ولا نوع الأنغام التي يخرجها من منقاره ، ولم يصرح بموضعه ، ولا الجهة التي كان يعيش فيها ، مما جعل التعرف عليه ، أو تصوره في الأذهان من المحالات ، ويشفع له عندنا أنه نقل عن غيره هذه الرواية ، شأنه في ذلك شأن من عاصره ومن سبقه من المؤلفين .

وقريب من هذه الأسطورة ، خرافة أخرى لطائر خيالي هو السَّمَنْدَل الذي يقول عنه الفيروزابادي : « السَّمَنْدَلُ طَائِرٌ بِالهِنْدِ لاَ يَحْتَرِقُ بالنار » وجاء في العباب : « أبو سعيد : السَّمَنْدَلُ طائرٌ إذا انقَطَعَ نَسْلُهُ وهرِمَ أَلْقَى نفسَهُ في الجَمْرِ فيعود إلى شبابِهِ » . وقال غيره : هو دابة تدخل النار فلا تحرقه . ونقلها صاحب

(١) نشوء اللغة ص ١٧٧ – ١٧٨ .

لسان العرب فقال « أبو سعيد : السَّمَنْدلُ طائرٌ إِذَا انْقَطَعَ نَسْلُهُ وَهَرِمَ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الجَمْرِ فَيَعُودُ إِلَى شَبَابِهِ » .

على أن الصغاني لم يقل إنه بالهند مع أنه مكث فيه نيفاً وأربعين سنة كما ذكر في تعريف دَكَنْكُوصٍ [1] ، وإنما اعتمد على كلام أبي سعيد ، فلو كان السمندل بالهند على هذه الصفة العجيبة لما فاته معرفته .

ويقال إن اسمه عند الافرنج سلامندر وهو عندهم نوع من الوَزَغِ [2] ، وينكرون ما نسب إليه من عدم تأثره بالنار فيقولون انه من قبيل الخرافات .

والأقوال متضاربة في السمندل ، فمن قائل إنه حيوان ، ومن قائل إنه طائر ، ومن قائل إنه لا وجود له .

ثم اختلفوا في صفاته ، فهو يلقى في النار فينقى ، أو يعود للولادة بعد عقم . وأخيراً ينتهي الحديث عن السمندل بالشك فيه نوعاً ووجوداً ووصفاً . جاء في الجاسوس : « إن السمندل شيء بين غبار القطن ونسج العنكبوت ويوجد بارض الهند وهو قليل جداً لا يظفر منه إلاَّ باليسير ... عند الأمير علاء الدين علي بن عبد البر بالديار المصرية منشفة قدر طولها أربعة أشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدين فإذا تدنست تلقى في النار فتنقى وذكروا أنها من السمندل ولم يذكروا هل هو حيوان أو غيره ، فهذا الخلاف في الاسم والصفة يدل على الريب في حقيقة وجود المسمى . » [3]

هذا كله يجعلنا نرجح أن السمندل طائر خيالي ، كما بيَّنا .

ونقرأ في القاموس المحيط أن :« (الزِّبَعْرَى) بكسر الزاي وفتح الباء والراء السَّيِّىءُ الخُلُقِ وَالغَلِيظُ ... أَوْ دَابَّةٌ تَحْمِلُ بِقَرْنِهَا الفيلَ » .

ونبحث في تهذيب الأزهري وصحاح الجوهري ومحكم ابن سيده فلا نجد تفسيراً للزبعري إلا أنها بمعنى السَّيِّىءُ الخلق ، أما أنها دابة تحمل على قرنها

---

(١) دَكَنْكُوصٌ أو دَكنكَصٌ أو دَكنكَصُوص : نهر بالهند . وكأنه وهم لأن الصَّادَليس في لغة غير العرب . (قاموس) .

(٢) الوزغة محركة : سامٌّ أَبْرَصَ ، سُمِّيت به لخفتها وسرعة حركتها ج وَزَغٌ وأوزاغ (قاموس) .

(٣) الجاسوس ص ٣١٦ .

الفيل فقول لم تثبت صحته .

وهل يمكن أن نرى الرخ الذي يقول عنه صاحب القاموس : « الرُّخُّ بالضم نَبَاتٌ هَشٌّ ومن أدواتِ الشَّطرَنْجِ ج رِخَخَةٌ ، وَطَائِرٌ كَبِيرٌ يَحْمِلُ الْكَرْكَدَّنَ » ؟ وأين يتيسر لنا أن نراه ؟ وما الأوصاف التي تميزه ؟ إن الجوهري اقتصر على ذكر الرخ بمعنى النبات الهش ، وابن سيده فسره بأنه من أدوات الشطرنج ، فقول الفيروزابادي إنه طائر يحمل الكركدن قول لم تثبت صحته .

وتأخذنا الدهشة حين نسمع الفيروزابادي يقول : « اللُّوفُ بالضم ة ونَبَاتٌ لَهُ بَصَلَةٌ كَالْعُنْصُلِ [1] وتُسَمَّى الصُّرَّاخَةَ ، لأنَّ له في يومِ المَهْرَجَانِ صَوْتاً يَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ سَمِعَهُ يَمُوتُ فِي سَنَتِهِ » .

حقاً نعجب لقوله هذا ونسأل عن صوت هذا النبات الذي يزعمون أن من سمعه يموت في سنته فلا نعثر في المحكم ولا في العباب ولا في اللسان عن شيء يتعلق بهذا الصوت ، وإنما جاء في كل منها : « اللوف بالضم نبات له ورق خضر طوال جعدة . » فحديث الفيروزابادي عن الصراخة ذات الصوت الذي يميت من سمعه في سنته ، حديث بعيد عن العقل والمنطق ولم يرتكز على نص سابق ، بل هو محض خيال ينبعث من خرافات الأقدمين . قال المغفور له الأستاذ أحمد أمين [2] : « يضع الفُرْسُ الأساطير فينحو العرب نحوهم ، فقول العرب في العنقاء يشبه قول الفرس في (سيمرغ) ومن أساطير الفرس أن مسكن السيمرغ على الشجرة التي تقي كل البذور وهي في المحيط الواسع على مقربة من شجرة الخلد ، تجتمع عليها البذور التي أنتجتها النباتات كلها طول السنة ... ومنها أسطورة (ازدهاك) وهو روح شريرة في الأساطير الآرية ، وعند الفرس ملك ظالم جبار يتمثل فيه الشر كله . وتتحول الكلمة في العربية إلى الضحاك ، ويزعمون أنه عربي من اليمن ، ويفتخر به أبو نواس في قصيدته التي يفخر فيها على نزار ، فيقول :

---

(١) العنصل كقنفذ وجُنْدَب : البصل البري ويعرف بالإسقال وببصل الفار نافع .. (قاموس) .

(٢) ضحى الإسلام ١ : ٣٨٣ – ٣٨٤ .

وكان منا الضَّحَّاكُ يعبده الـ خابلُ[1] والطيرُ في مساربهـا

ويقول صاحب القاموس : والضَّحَّاكُ رجل ملك الأرض وكانت أمه جنية فلحق بالجن . »

رابعاً – أساطير قصصية :

توغلت الأسطورة في القاموس حتى لبست ثياب القصة ، فأخذ صاحبه يروي الحكايات الطريفة استطراداً في شرح المادة أحياناً ، ولا تكاد تقرؤها حتى تستفيد أدباً ولغة ، وتشعر بما في الضاد من جمال وفن ، وتقدر هذا التراث الذي خلفه لك الآباء والأجداد .

ولكن لا تعدم الحسناء عابا[2] ، فقد تصدى لبعض الحكايات التي لا تعلّق لها باللغة أصلاً ، والتي نلمح فيها من السخف ما تنبو عنه كتب المجون كحكاية ذكرها في مادة (قنف) عن ثلاث بنات كن لهمام بن مرة ، وكان أبى أن يزوجهن ، فأنشدت كلٌّ واحدة منهن بمسمعه بيتاً ينبىء عن غلوها في الميل ، وحكاية أخرى على هذا النمط جاءت في مادة (زول) ، وحكاية ثالثة عن البسوس حيث قال في مادة (بسس) : « البَسُوسُ ... وَامْرَأَةٌ مَشْئُومَةٌ أُعْطِيَ زَوْجُهَا ثَلاَثَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجابَاتٍ فَقَالَتْ اجْعَلْ لِي وَاحِدَةً قَالَ فَلَكِ فَمَاذَا تُرِيدِينَ قَالَتِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي أَجْمَلَ امْرَأَةٍ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ فَفَعَلَ فَرَغِبَتْ عَنْهُ فَأَرَادَتْ سَيِّئاً فَدَعَا اللهَ تَعَالَى عَلَيْهَا أَنْ يَجْعَلَهَا كَلْبَةً نَبَّاحَةً فَجَاءَ بَنُوهَا فَقَالُوا لَيْسَ لَنَا عَلَى هَذَا قَرَارٌ يُعَيِّرُنَاهَا النَّاسُ ادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى حَالِهَا ، فَفَعَلَ فَذَهَبَت الدَّعَوَاتُ بِشُؤْمِهَا .

وحكاية رابعة عن ذِي الشُّفْرِ ، قال في مادة (شفر) : « وَذُو الشُّفْرِ بِالضَّم ابنُ أَبِي سَرْحٍ خُزَاعِيٌّ ، وَوَالِدُ تَاجَةَ ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ حَفَرَ السَّيْلُ عَنْ قَبْرٍ بِالْيَمَنِ فِيهِ امْرَأَةٌ فِي عُنُقِهَا سَبْعُ مَخَانِقَ مِنْ دُرٍّ ، وَفِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا مِنَ الأَسْوِرَةِ

(١) الخابل الجن .

(٢) العَيْبُ والعَابُ : الوَصْمَةُ كالمَعَاب والمَعَابة والمَعِيب .

وَالخَلاَخِيلِ وَالدَّمَالِيجِ سَبْعَةٌ وفي كلِّ إِصْبَعٍ خَاتَمٌ فيه جَوْهَرَةٌ مُثْمِنَةٌ وَعِندَ رَأْسِهَا تَابُوتٌ مَمْلوُّ مَالاً وَلَوْحٌ فِيهِ مَكْتُوبٌ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ إِلَهَ حِمْيَرَ أَنَا تَاجَةُ بِنْتُ ذِي شُفْرٍ بَعَثْتُ مَائِرَنَا إلى يُوسُفَ فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَبَعَثْتُ لاَذَتِي بِمُدٍّ مِنْ وَرِقٍ لِتَأْتِيَنِي بِمُدٍّ مِنْ طَحِينٍ فَلَمْ تَجِدْهُ فَبَعَثْتُ بِمُدٍّ مِنْ ذَهَبٍ فَلَمْ تَجِدْهُ فَبَعَثْتُ بِمُدٍّ من بَحْرِيٍّ فَلَمْ تَجِدْهُ فَأَمَرْتُ بِهِ فطُحِنَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ فَاقْتُفِلْتُ فَمَنْ سَمِعَ بِي فَلْيَرْحَمْنِي وَأَيَّةُ امْرَأَةٍ لَبِسَتْ حَلْياً مِنْ حُلِيٍّ فَلاَ مَاتَتْ إِلاَّ مِيتَتِي . » قال أحمد فارس الشدياق : « هذه القصة من أغرب القصص ، ومحلها كتب التاريخ لا كتب اللغة ، واللاذة فيها بمعنى الوصيفة ، وليس لها معنى من كلام المصنف سوى أنها نوع من ثياب الصين ، والمراد من الاقتفال هنا الاعتفاد وهو أن يغلق الإنسان بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً ، ولكن المصنف ذكر الاقتفال مطاوع اقفل الباب ، وقولها (بمد من بحري) أي بمد در بحري ، على حذف الموصوف ، وإن كانت الصفة غير مخصصة كما نصوا عليه »[1]

أمَّا أَنَا فأضعها مع سابقاتها موضع الشك ، ولا أظن ورودها في بعض الكتب دليلاً على صحتها ، فكثيراً ما ينقل كتاب عن كتاب دون تمييز الغث من الثمين أو الصحيح من الخطأ ، وإنما يبدو للباحث الدقيق أن هذه الحكايات مختلقة أوْ فيها جانب كبير مفتعل ، إذا ما فحصها فحصاً سليماً ، ولعلها أساطير أخذها الفيروزابادي من الأقدمين، أو حكايات وضعت على غرار أساطير قبلها تماثلها ، ثم نقلها إلى قاموسه في هذا النسق من الكلام .

وهكذا تأثر القاموس ، بما انتهى إليه من أساطير ، وقد بدت تلك الآثار واضحة في مثل ما أسلفنا .

ويمكننا أن نعتبر الأساطير التي بالقاموس نوعين : نوع انفرد به وهو ما لم يتعرض له أحد من علماء اللغة ، ونوع لم ينفرد به وهو ما تعرض له بعضهم .

وهي كلها روايات أثبت العلم الحديث بطلانها ، وقد كان يجدر بالفيروزابادي

---

(١) الجاسوس ص ٣١٢ .

أحد أمرين : إمَّا أن ينقدها ، وإمَّا أن يعزوها إلى أصحابها ، حتى لا يختلط الأمر على القارئ فلا يميز الصحيح من بين الأوهام والأباطيل .

٢ – العقاقير

عكف الفيروزابادي على العقاقير الطبية عكوفاً ظهر أثره في القاموس ، فقد نقل إليه كثيراً منها عن الشيخ ابن سينا وابن جزلة وغيرهما .

وربما كانت عنايته بتلك العقاقير أشدَّ من عنايته بالمادة اللغوية نفسها حتى عابه بعض النقاد . جاء في الجاسوس : « إنه (أي المصنف) كثيراً ما يخرج عما هو فيه إلى وظيفة الطبيب ، وهذا دأبه وديدنه ، قال في الكركي : طائر مرارته الخ ولا يخفى أن هذا يكون كلاماً لابن البيطار في جامعته لا للغوي في كتابته ، وقال العلامة المحشي عند وصف المصنف عنب الثعلب ان التعرض لخواص النبات ومنافعه في الدواوين اللغوية إنما هو من الفضول الزائدة على الأبواب والفصول ولذا عد العلماء هذا من تخليطات صاحب القاموس وخروجه عن المراد »[1].

ذكر الفيروزابادي لكثير من هذه العقاقير خواصها ومنافعها فأوضح وأفاد . لكن يُخَيَّلُ إليَّ أنه لم يكن دقيقاً ، ولا علماً بأسرارها تمام العلم ، ودليلنا على ذلك قوله :

في (العاج) : « ... عَظْمُ الفيلِ ، ومن خَوَاصِّهِ أنه إن بُخِّرَ به الزرعُ أو الشجرُ لم يَقْرَبْهُ دودٌ ، وشَارِبَتُهُ كلَّ يَوْمٍ درهمَيْنِ بماءٍ وعسلٍ إنْ جُومعتْ بعدَ سبعةِ أيامٍ حَبَلَتْ » . فالعاج أنياب الفيل لا عظمه كما في المحكم والمصباح ، أمَّا خواصُّهُ التي ذكرها فلم تثبت صحتها بعد ، إذ لو كانت صحيحة لوفرت على وزارة الزراعة آلاف الجنيهات تنفقها كل عام في محاربة الآفات الزراعية وقتل الديدان في بلد زراعي كمصر ، ولانقرض داء العقم من النساء بعد أن تيسر علاجه على هذا الوصف . على أن عبارته هذه اصطبغت بصبغة طبية تنأى

---

(١) الجاسوس ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

بها عن أساليب البلغاء ، مما أثار صاحب الجاسوس وجعله يقول : « انظر إذا كان هذا الكلام كلام طبيب يداوي النساء العرب فكيف يقال له لغوي تصدى لجمع لغات العرب .[1] »

وفي وصف السلحفاة : « السُّلَحْفاة بكسر السين وفتح اللام دابةٌ م يَنْفَعُ دَمُهَا وَمَرَارتُهَا المصْروعَ، والتَّلَطُّخُ بِدَمِهَا المَفَاصِلَ، ويقال إذا اشتد البردُ في مكان وكُبّتْ واحدةٌ بحيث يكون يداها ورجلاها إلى الهواء وتُرِكَتْ كذلك لم ينزل البرد في ذلك الموضع . »

وليس من السهل أن نصدق أن البرد لا ينزل في موضع إن كبت به سلحفاة بحيث تكون يداها ورجلاها إلى الهواء ، وقد تركت فيه .

وفي (خرم) : « الخُزَّمَةُ ... وكسُكَّر ... وبهاء نَبْتٌ كاللوبياء ج خُزَّم وهو بنفسجيُّ اللَّون شَمُّه والنَّظرُ إليه مُفْرِحٌ جداً ومن أَمْسَكَه معه أَحَبَّهُ كلُّ ناظرٍ إليه ويتّخذ من زَهْرِه دُهْنٌ يَنفَع لما ذُكِر» ..

يحتمل الشك في قوله (ومن أمسكه معه أحبه كل ناظر إليه) لأن سبب الحب غامض ، فالخرمة إن كانت على جانب من طيب الرائحة وحسن المنظر فقد تسر من يشم رائحتها وينظر إليها ، ولكن لا أظن أنها تحمل الناس دائماً على محبة من يمسكها ، فالحب يتوقف على عدة عناصر ، وقد لا يكفي في الشعور به مجرد امساك الخرمة أو نحوها من الزهور .

وفي الترياق : « التِّرْيَاقُ بالكسر دَوَاءٌ مُركَّبٌ اخْتَرَعَهُ مَاغْنِيسُ وَتَمَّمَهُ أَنْدَرُومَاخِسُ القَدِيمُ بِزِيَادَةِ لُحُومِ الْأَفَاعِي فيهِ ، وَبِهَا كَمَلَ الغَرَضُ وَهُوَ مُسَمِّيهِ بِهَذَا لِأَنَّهُ نَافِعٌ مِنْ لَدْغِ الهَوَامِّ السَّبُعِيَّةِ وهي باليونانيَّةِ تِرْيَاءٌ نَافِعٌ مِنَ الأَدْوِيَةِ المَشْرُوبَةِ السُّمِّيَّةِ وهي باليونانيَّةِ قاآ مَمْدُودَةً ثُمَّ خُفِّفَ وَعُرِّبَ وهو طِفْلٌ إلى سِتَّةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ مُتَرَعْرِعٌ إلى عَشْرِ سنينَ في البلادِ الحارةِ وعشرينَ في غيرِهَا ثُمَّ يَقِفُ عَشْراً فيها وَعِشْرِينَ في غيرها ثم يَمُوتُ وَيَصِيرُ كبعضِ المَعَاجِينِ ».

(١) الجاسوس ص ٣١٧ .

في اعتقادي أن وصف الترياق بالحياة والترعرع والموت من الأباطيل ، كما لا أرى أن يقال لما كان مسموماً من الأشربة دواء في مثل قوله : (نافع من الأدوية المشروبة السمية) ، على أن في العبارة ضعفاً ظاهراً ، وغموضاً واضحاً ، فقد قال أولاً (وهي باليونانية) ثم قال (وهي باليونانية) والصواب أن يقول في الفقرة الأولى (وهي في اليونانية) وفي الفقرة الثانية (وهي فيها) ، وقال (ثم يقف عشراً فيها وعشرين في غيرها) والصواب (ثم يقف في البلادالأولى عشراً وفي البلاد الثانية عشرين) . وقد ذكر صاحب الجاسوس ما معناه : أن صاحب القاموس المحيط ترك التنبيه على المولد كثيراً حتى تراه يعتمد في بعض اللغات على كتب الطب وهو من سقطاته الفاضحة .

ويرى الشدياق أيضاً أن الفيروزابادي أكثر من الشئون الطبية إلى درجة تجعل كتابه في عداد كتب الطب ، وتخرجه عن كونه معجماً لغوياً ، حيث قال : « انظر بالله إلى هذا الاسهاب حيث جعل كتابه عبارة عن كتاب في الطب . »[1]

لكني أرى أن الشدياق هنا مسرف في مذمة القاموس ، لأن الفيروزابادي في نظري ، لم يسهب في ذكر الأدوية والعقاقير الطبية ، بحيث يعتبر معجمه بما جمع منها عبارة عن كتاب في الطب ، بل جمع منها القدر المناسب النافع في عبارة صحيحة سليمة مختصرة ، على أنه أكثر المعاجم تنبيهاً على المولد والمعرب .

وفي الحق أن جمعه الأدوية والعقاقير الطبية وغيرها من مسائل العلوم والفنون بالصورة التي هو عليها يفيد الثقافة العامة لأمرين :

أولهما — أنه أسهم في بسط الحقائق العلمية وبخاصة الطبية .
والآخر — أنه جعل اللغة تشارك في الحياة العامة مشاركة عملية فيها نفع كبير .

أما ما ذكره الفيروزابادي من المنافع الصحية لهذه العقاقير ، فلا يستطيع أن يحكم عليها من حيث الصحة إلا المختصون في الأقرباذينات . لكنه على كل حال آخذ عن غيره ، ولا فضل له إلاَّ النقل ، إن عد هذا فضلاً .

---

(١) الجاسوس ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

وفي رأيي أنه قام بهذا النقل من غير أن يتثبت من صحة ما نقل ، وكان جديراً به أن يدعه لأربابه الذين حذقوه ، وأوتوا فيه الحكمة ، وفَصْلَ الخطاب .

٣ – إثارة الغرائز

عني القاموس المحيط بتصوير الحالة الجنسية عناية محمودة ، وتحدث عنها حديثاً ، تفرضه المعرفة ، وتحتمه ضرورة الإلمام بها ، لأنها من صميم الحياة التي حثنا الله تعالى على البصر بها ، لنعيش فيها عيشة آمنة كريمة .

لكن الفيروزابادي تجاوز نهجه هذا ، وجال في وصفها جولاناً تمجه الأذواق الدقيقة ، وتنفر منه الطباع السليمة ، وتستوجب التقاليد المرعية ألا يكون مسطوراً يقرؤه الحدث ، وتلوكه الألسن ، فقد ذكر لها في الرجل والمرأة ، بل وفي الحيوان الأعجم ، ما هو حساس وما ينبغي أن يكون مستوراً من حالات ، وأخذ ينبه على ما يقوي الباه، ويساعد على العملية الجنسية ، تنبيهاً لا يفعله إلا من ينادي بالانطلاق ، وبالحرية العاطفية في كل صورها ، بعنف خارق ، وقوة ليس لها مثيل .

على أن الفيروزابادي روى كثيراً من القصص الأدبية في سياق هذا الشرح الغرزي ، لأنها استمدت روحها من معان جنسية ، ودارت حول غاية جنسية ، وإن كان الهدف فيها شريفاً غالباً ، وهو الزواج ، جرياً على نظام الطبيعة البشرية ، كما في المواد :

(القناف . الطوق . ضاع . الحمد) وكان في شرحه لبعض هذه المواد سافراً في التنبيه على الناحية الجنسية ، خارجاً على حدود اللياقة الأدبية ، كما في الأرجوزة التي ساقها في مادة (الزوال) وفيها ألفاظ تدعو إلى النفور .

لهذا أرى أن الفيروزابادي تحدث عن الأمور الجنسية حديثاً ، يخالطه الاسفاف وتملؤه إثارة العاطفة ، وتبدو عليه روح الافتعال في بعض الأحيان ، وهذا لا أظنه يحقق غرضاً ، ولا يبلغ أرباً ، بل أراه حرباً على الفضيلة ، هادماً لنظام المجتمع ، باعثاً الفوضى في الحياة . انظر ما كتبه في مادة (لغز) لعلك ترى معي أن هذا ضرب من سماجة التخيل ، وسخافة الأسلوب ، فيه كثير من

الكذب الممقوت ، والقول المصطنع الذي يشهر أمام الأنظار سياجاً من التضليل ، ويحرك الغرائز إلى الفساد ، لتشهد مذابح الآداب . ويقرب من هذا ما ذكره في المواد : (وقب . بسفاردانج . سفلج . نجخ . زرد . صيهد . بظر . شغر . طمر . ذلع .) وغير ذلك مما ينبغي أن يكون في أسلوب عَفٍّ غير هذا الأسلوب .

الحق أن هذا الذي أتى به الفيروزابادي من هذا القبيل ، فيه اندفاع ضار بالنشء ، قاض على النظم ، وما أظنه كان يقدر العاقبة ، بل ربما كان منحرف المزاج ، وهو يكتب ما كتب ، ولو كان في حالة اتزان لقدر مغبة هذه الثورة الطائشة ، ولعرف أن فيها اضعافاً للشعوب ، وفناء للأمم ، فعلى الأخلاق تنهض الدول وتسود .

على أن الذي يخفف من وقع ما جاء به المؤلف من هذا الحديث ، أن ما عرضه منه على النحو الآنف الذكر قليل .

والخلاصة أن الفيروزابادي في قاموسه تعرض للغريزة الجنسية من عدة نواح :

الأولى – وصفه بعض أنواع النباتات والعقاقير بأنه باهي أو مقو للباه أو منعظ الخ .

الثانية – ذكره حكايات أو أقاصيص تثير هذه الغريزة .

الثالثة – وصفه العملية الجنسية في بعض الأحيان وصفاً تشمئز منه النفوس المهذبة .

الرابعة – أنه يعزو إلى بعض الأشخاص قوة باهية عظيمة لا يكاد يصدقها العقل .

ولا شك أن التعرض لمثل هذه الأشياء من شأنه أن يوقظ الغريزة الجنسية ، ويوجه الأذهان إليها توجيهاً قد يدعو إلى انحلال الأخلاق ، بإطاعة هذه الغريزة العمياء ، والغلو في إشباعها .

وعلى كل حال فهذا ليس شأن من يؤلف كتاباً في اللغة ، وقد كان يجدر به أن يسلك مسلك السابقين واللاحقين من أئمة اللغة الذين تعففوا فلم يتعرضوا لمثل هذه السفاهات .

وإذا كان لا بد من شرح بعض الألفاظ فقد كان يستطيع (وهو اللغوي البارع كما يدعي) أن يشرح ما يريد شرحه من هذه الألفاظ بعبارات سهلة لينة يقبلها الذوق السليم.

الفصل السابع

بين الجوهري والفيروزابادي

نهج الفيروزابادي في تصنيف القاموس المحيط نهجاً ينطوي على جمع وشرح ونقد ، فهو يأتي بالمادة ويضعها في مكانها ، ويفسرها ، ثم ينقد من شاء من رجال اللغة السابقين أثناء شرحها ، بأسلوب خاص يكاد يكون تقليدياً ينحصر في دائرة التوهيم غالباً ، أو التغليط ، أو التخطئة ، أو نحوها لمن وجه إليه شيئاً من ذلك .

ولم يكن أول لغوي سلك هذا المسلك فقد سبقه إليه بعض اللغويين كالصغاني .

انتقد الفيروزابادي بعض المشهورين من أهل اللغة كابن فارس والليث ، واختص الجوهري بالتوهيم ، بحجة أن صحاحه الذي اشتهر وعم تداوله يرجع إليه المدرسون ، ويعتمدون على نقوله ونصوصه ، وهو لهذا جدير بأن يكون خلوا من الأغلاط والأوهام ، كما ذكر في خطبة القاموس ، حيث قال : « واختصصت كتاب الجوهري من بين الكتب اللغوية مع ما في غالبها من الأوهام الواضحة والأغلاط الفاضحة لتداوله واشتهاره بخصوصه واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه »[1] .

ابن فارس :

ذكر الفيروزابادي الإمام ابن فارس في ثلاث مواد من قاموسه :

---

(١) خطبة ص ٤ .

إحداها : (التُّوثُ) قال: « التُّوث الفِرْصَادُ لُغَةٌ فِي المُثَنَّاةِ حَكَاهَا ابنُ فَارِسٍ . »
والثانية : (مَثَعَ) قال : « المَثَعُ مُحَرَّكَةً مِشْيَةٌ قَبِيحَةٌ لِلنِّسَاء كَالْمَثْعَاءِ ، أَوْ هَذِهِ سَقْطَةٌ لابنِ فارسٍ ، وَالصَّوَابُ المَثْعُ لاَ غَيْرُ . »
والثالثة : (أَبِسَ) قال : « وَتَأَبَّسَ تَغَيَّرَ ، أَوْ هُوَ تَصْحِيفٌ مِنَ ابنِ فَارِسٍ والجَوْهَرِيِّ ، وَالصَّوابُ تَأَيَّسَ بِالمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ . »

ولم يتعرض له إلاَّ في هذه المواضع الثلاثة كما قال الشدياق [1] ، ونقده له في المادتين الثانية والثالثة نقد هادئ خفيف ، ولم ينس الجوهري في الأخيرة منها ، مما يدلنا على أنه كان يهدف إلى نقده وتوهيمه قبل كل شيء .

ولا نستطيع أَنْ نجزم بأَنَّ الفيروزابادي تتبع في قاموسه أوهام المجمل لابن فارس كما ذكر البرهان الحلبي ، بعد أن بين الشدياق أنه لم يذكره إلاَّ في المواضع الثلاثة الآنفة الذكر .

وربما تتبع أوهام المجمل في كتابه تحبير الموشين ، كما ذكر صاحب الجاسوس حيث قال : « لعل البرهان أَرَادَ تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين كما تقدم عن المحشي فسبق قلمه إلى القاموس ، وإنما كان تحرش المصنف خاصة بالجوهري . » [2]

الليث :

وخَطَّأَ الليثَ في عدة ألفاظ منها :
في (مَكَدَ) : « المَكُودُ النَّاقَةُ الدَّائِمَةُ الغُزْرِ وَالقَلِيلَةُ اللَّبَنِ ضِدٌّ ، أَوْ هَذِهِ مِنْ أَغَالِيطِ اللَّيْثِ . »
في (كَاسَ) : « كَاسَ البَعِيرُ مَشَى عَلَى ثَلاَثِ قَوَائِمَ وهو مُعَرْقَبٌ ... وَقَوْلُ اللَّيْثِ كلمةٌ تُقَالُ عِنْدَ خَوْفِ الغَرَقِ رَجْمٌ بِالْغَيْبِ . »
في (خَرَصَ) : « الخَرِيصَةُ كَسَفِينَةٍ الجَارِيَةُ الحَدِيثَةُ السِّنِّ الْحَسَنَةُ البَيْضَاءُ التَّارَّةُ

(١) الجاسوس ص ٧٢ .
(٢) الجاسوس ص ٧٢ .

عَنِ اللَّيْثِ ، ولعلَّ الصَّوابَ بِالصَّادِ . »

في (شدف) : « الشَّدَفُ مُحَرَّكَةً الشَّخْصُ وَوَهِمَ اللَّيْثُ فَذَكَرَهُ بِالسِّينِ . »

في (سبن) : سَبَنُ مُحَرَّكَةً ة بِبَغْدَادَ مِنْهَا الثِّيَابُ السَّبَنِيَّةُ ، وَهِيَ أُزُرٌ سُودٌ لِلنِّساءِ وَقَوْلُ اللَّيْثِ ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ بِيضٌ سَهْوٌ . »

وليس معنى هذا إسقاط عدالة الليث في كل ما روى من اللغة ، معاذ الله ، فإنه كان إماماً مشهوراً ، وعنه نقل الأزهري أُلوفاً من الروايات ، فلا يكاد يذكر مادة إلاَّ ويصدرها برواية عنه كما ذكر الشدياق [١].

وإنما أردنا أن نشير إشارة خاطفة إلى شيء مما غلطه فيه الفيروزابادي ، وهو يسير هيِّن ، لا يقدح في عدالة الليث ، ولا يحط من مكانته .

الجوهري :

وَهَّمَ الجَوْهَرِيَّ في مسائل كثيرة ، خَطَّأَهُ بها ، ذاهباً إلى أَنَّهُ ركب خلاف الصواب في أشياء نَبَّهَهُ إليها في قاموسه « من غير ما طعن ولا تجريح » ، حيث قال : « ونبهت فيه على أشياء ركب فيها الجوهري خلاف الصواب غير طاعن فيه . » [٢]

لكن أنصفه بعض النقاد كبدر الدين القرافي وأبي زيد عبد الرحمن صاحب الوشاح وأحمد فارس الشهير بالشدياق وابن الطيب الفاسي ، وغيرهم .

ويجدر بنا أن نضع أمام القارئ بعض المواد التي حكم الفيروزابادي بأن أبا نصر أخطأ فيها ، على أن نتبع كل لفظ دفاع أولئك النقاد اللغويين ، ثم نستخلص من ذلك حكماً عدلاً ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

وهذه المواد ضروب شتى :

أ – ضرب وَهَّمَ فيه الجوهريَّ ، تعنتاً وتحاملاً .

ب – ضرب وَهَّمَهُ فيه ، ثم تابعه عليه .

---

(١) الجاسوس ص ٨١ .

(٢) خطبة القاموس ص ٤ .

جـ — ضرب لم يُوَهِّمْهُ فيه ، مع مخالفته له .
د — ضرب حكم فيه بخطأ اللفظ أو تصحيفه ، وهو صحيح دون أنْ يُوَهِّمَهُ.
هـ — ضرب ناقض فيه نفسه .
و — ضرب وَهَّمَهُ فيه وهو[1] الواهم .
ز — ضرب وَهَّمَهُ فيه ، وهو صاحب الحق .

فمن الضرب الأول : الغرقئ . القندأو .

١ — في باب الهمزة : الغِرْقِئُ كَزِبْرِجٍ الْقِشْرَةُ الْمُلْتَزِقَةُ بِبَيَاضِ الْبَيْضِ أَو الْبَيَاضُ الَّذِي يُؤْكَلُ وَغَرْقَأَتِ الْبَيْضَةُ خَرَجَتْ وَعَلَيْهَا قِشْرُهَا الرَّقِيقُ وَالدَّجَاجَةُ فَعَلَتْ ذَلِكَ بِبَيْضِهَا . وفي غرق : وَالْغِرْقِئُ هَمْزَتُهُ زَائِدَةٌ وَهَذَا مَوْضِعُهُ وَوَهِمَ الْجَوْهَرِيُّ وَغَرْقَأَتِ الدَّجَاجَةُ بَيْضَتَهَا بَاضَتْهَا وَلَيْسَ لَهَا قِشْرٌ يَابِسٌ .

ذكر الشدياق أن : « في الموضع الأول المصنف ذكره هنا غير منبه عليه ، فأوهم أن الهمزة أصل وأعاده ثانياً في غرق للاعتراض المحض على الجوهري تحاملاً »[2]

٢ — في المهموز : « القندأو عَلَى فِنْعَلْوٍ السَّيِّئُ الغِذَاءِ والسَّيِّئُ الخُلُقِ والغَلِيظُ القَصِيرُ ... » ثم قال : « وَوَهِمَ أَبُو نَصْرٍ فَذَكَرَهُ فِي الدَّالِ . »
وفي قند ، قال : القندأو فِي الهَمْزِ وَسَمَرْقَنْدُ فِي الرَّاءِ .

وجاء في الجاسوس ما يفيد أنه لا وهم من أبي نصر في هَذَا اللَّفْظِ ، فقد اختلف فيه العلماء ، فأورده طائفة في الدال ، وأخرى في الهمز ، على أصالة هذه أو تلك ، وجزم ابن عصفور بأن أصله (قند) فذكره الجوهري في حرف الدال وقال الزبيدي ان أصله (قدأ) على رأي بعض الصرفيين .[3]

وما دام في الأمر خلاف فتوهيم الجوهري تحامل عليه .
ومن الضرب الثاني : أشأ . ألأ .

---

(١) أي الفيروزابادي . (٢) الجاسوس ص ٣٦ .
(٣) الجاسوس ص ٣٦ .

١ – في أشأ : الأَشَاءُ كَسَحَابٍ صِغَارُ النَّخْلِ قَالَ ابْنُ القَطَّاعِ هَمْزَتُهُ أَصْلِيَّةٌ عَنْ سِيبَوَيْهِ فَهَذَا مَوْضِعُهُ لاَ كَمَا تَوَهَّمَ الْجَوْهَرِيّ .

قال الشدياق إن الذي توهمه الجوهري هو التحقيق عند أكثر اللغويين ومشى عليه المصنف فتبعه في ذكره في المعتل غير منبه عليه ، حيث قال : « (أَشَى) الكَلاَمَ كَرَمَى أَشْياً اخْتَلَقَهُ ... وَأَشَاءُ النَّخْلِ صِغَارُهُ أَوْ عَامَّتُهُ الْوَاحِدَةُ أَشَاءَةٌ . » ، وهناك ذكره الإمام القزاز في كتابه جامع اللغة فقال : الأشاء صغار النخل الواحدة أشاءة وهو واوي ويائي . وقرر ابن سيده في المحكم أنه يائي ، وحكى كونه مهموزاً عن بعضهم تبعاً لسيبويه مقابلاً لرأي الأكثرين وقال ابن الأثير في النهاية : همزتها منقلبة عن الياء ، لأن تصغيرها أُشَيٌّ ولو كانت مهموزة لكان أُشَيْءٌ وأصل كلامه في الصحاح واستدل على ذلك بقول الشاعر :

وحبذا حين تمسي الريح باردة وادي أُشَيٍّ وفتيان به هضم

قال ولو كانت الهمزة أصلية لقال وادي أُشَيْءٍ وهو واد باليمامة فيه نخيل .[١]

٢ – في ألأ : الْأَلاَءُ كَالْعَلاَءِ وَيُقْصَرُ شَجَرٌ مُرٌّ وَأَدِيمٌ مَأْلُوءٌ دُبِغَ بِهِ وَذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي الْمُعْتَلِّ وَهْماً .

ذكر الشدياق أن مجد الدين تابع الجوهري فذكره في المعتل ولم ينبه عليه ، إذ قال : « الْأَلاَءُ كَسَحَابٍ وَيُقْصَرُ شَجَرٌ مُرٌّ دَائِمُ الْخُضْرَةِ وَاحِدَتُهُ أَلاَءَةٌ وَأَلاَءٌ أَيْضاً وَسِقَاءٌ مَأْلُوءٌ وَمَأْلِيٌّ دُبِغَ بِهِ . » ، بل أورده هناك مسلماً به ، وهو كذلك في أفعال ابن القوطية وأفعال ابن القطاع والجمهرة لابن دريد وغيرها ولم يعرجوا على الهمز وهو الصواب ولا سيا والمصنف غير مستند في هذه المادة إلى نقل يعتمد عليه[٢] .

روى صاحب الوشاح أَنَّ الْأَوْلَى ذكر هاتين المادتين في باب المعتل لأنهم

---

(١) الجاسوس ص ٣٥ . (٢) الجاسوس ص ٣٥ .

قالوا ان الهمزة لا صورة لها وإنما تكتب بما تسهل إليه ، وَأَنَّهَا إِمَّا أَنْ يعلم ما هي مبدلة منه فتذكر في بابه أو لا يعلم فتلحق بالألف المجهولة ، لأَنَّ العرب ألحقت الألف المجهولة بالمنقلبة عن الواو كما هو مقرر في باب الجمع والتصغير والنسب، وأنَّ لغة القصر في الْأَلاَء ، ترجح ذكره في المعتل وقد ذكره المجد في باب المعتل وجعل همزته مبدلة من الواو ، وجاء في النهاية الأشاء همزته منقلبة من الياء لأن تصغيرها أُشَيٌّ ولو كانت أصلية لقيل أُشَيْءٌ ، وقال الزبيدي الأشاء مقلوب الشيء ، هذا وقد ذكر ابن فارس هذين اللفظين في باب المعتل ، وكفى بذلك حجة ، والعلم عند الله .[1]

ومن الضرب الثالث : سفر . سبل .

١ – **في سفر** : قال الجوهري : ويقال سفرت أسفر سفوراً خرجت إلى السفر فأنا سافر وقوم سَفْر مثل صاحب وصَحْب .

وقال الفيروزابادي : « والسَّافِرُ الْمُسافِرُ لاَ فِعْلَ لَهُ » .

٢ – **في سبل** : ذكر الجوهري السنبل في سبل على اعتبار أن النون زائدة تبعاً لمذهب البصريين . وأوردهما الفيروزابادي في مادتين على حدتهما ولم يخطئه . وكذلك الحال في القنطرة والجندل والصنوبر .

ومن الضرب الرابع : النموذج

« النَّمُوذَجُ بفتح النُّونِ مِثَالُ الشَّيْءِ مُعَرَّبٌ ، وَالْأُنْمُوذَجُ لَحْنٌ »

قال الصغاني في العباب : الأنموذج والنموذج مثال الشيء الذي يعمل عليه تعريب نموده والثاني هو الصواب .

وفي المصباح المنير : الأنموذج بضم الهمزة ما يدل على صفة الشيء وهو معرب ، وفي لغة نموذج بفتح النون والذال معجمة مفتوحةفيهما .

وقد جاء في الجاسوس : أنموذج قال في القاموس إنه لحن والصواب نموذج بدون ألف وهو مثال الشيء معرب نموده أو نمودار وأصل معناه صورة تتخذ

---

(١) الوشاح ص ٦ – ٧ .

على مثال الشيء ليعرف منه حاله ولم تعربه العرب قديماً ولكن عربه المحدثون وما ذكره القاموس مردود كما يشير إليه قول صاحب المصباح ... وأنكر الصَّغاني انموذج لأن المعرب لا يزاد فيه ، وليس بشيء . ألا تراهم عربوا هليلة فقالوا هليلج أو اهليلج ونظائره كثيرة[1] .

وقال ابن الطيب الفاسي : قوله (الأنموذج لحن) تعقبوه وردوه وقالوا هذه دعوى لا تقوم عليها حجة فما زالت العلماء قديماً وحديثاً يستعملونه من غير نكير حتى أن الزمخشري وهو من أئمة اللغة سمى كتابه في النحو الأنموذج ، والنووي في المنهاج عبر به في قوله أنموذج الْمُتَمَاثِلِ ولم يتعقبه أحد من الشراح[2] .

ثبت لدينا إذاً أن الأنموذج كلمة صحيحة لا لحن فيها ، بل هي أفصح ، لقول صاحب المصباح ، ولأن الصحاح ولسان العرب أهملا (النموذج) ، ولما ذكره الخفاجي والفاسي ، ولما يبدو من اضطراب في عبارة العباب ، فقوله (والثاني هو الصواب) بعد شرح الكلمتين فيه شيء من عدم التثبت ، وإلاَّ فما ألجأه لعرضهما وتفسيرهما قبلاً ؟

ومن الضرب الخامس : مرقس .

- مَرْقَسٌ كَمَقْعَدٍ لَقَبُ شَاعِرٍ طَائِيٍّ وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحَدُ بَنِي مَعْنِ ابْنِ عَتُودٍ .
- مَرْقَسٌ كَجَعْفَرٍ لَقَبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِيِّ الشَّاعِرِ وَزْنُهُ فَعْلَلٌ لاَ مَفْعَلٌ لِعَوَزِ ر ق س ، والمَرْقَسِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو امْرِئِ الْقَيْسِ .

قال الزبيدي : قَوْلُهُ أحد بني معن بن عتود هذا غلط ، قلد فيه الصغاني ، وصوابه عبد الرحمن بن مرقس ، وضبطه الآمدي كما ضبطه المصنف .

وقال الشدياق : مرقس بالفتح وضم القاف وقيده الآمدي بفتحهما والد عبد الرحمن الشاعر الطائي لا لقبه وغلط الفيروزابادي وميمه زائدة لا أصلية كما توهمه الفيروزابادي فذكره أولاً هنا ثم أعاده في فصل الميم قائلاً ووزنه فَعْلَلٌ لا مَفْعَلٌ وهو خلاف قول الصرفيين أن الميم إذا وقعت أولاً وبعدها ثلاثة

---

(١) الجاسوس ص ٤٣٥ . (٢) حاشية القاموس لابن الطيب .

أحرف مقطوع بأصالتها فزائدة وإن لم يُعْرف اشتقاق ما وقعت فيه كمنبج ومأسل نص عليه أبو حيان في الارتشاف[1] .

إذَنْ ، قد ظهر أن ميم (مَرْقَس) زائدة لا أصلية كما ذكر أولاً ، ولو كان متثبتاً ما أعادها ثانياً أصلية حتى لا يوقع نفسه في التناقض .

ومن الضرب السادس : التَّخْرَبُوب . اكْلأَزَّ .

١ – التَّخْرَبُوبُ بِالفَتْحِ الخِيَارُ الفَارِهَةُ مِنَ النُّوقِ هَذَا مَوْضِعُهُ لِأَنَّ التَّاءَ لاَ تُزَادُ أَوَّلاً وَوَهِمَ الْجَوْهَرِيّ[2] .

ذكر أبو زيد أن الجوهري لم يذكر هذه اللفظة في صحاحه ، وأن قول مجد الدين « لأن التاء لا تزاد أولاً » عدم دراية بمواضع الزيادة ، أَمَّا زيادتها في الأَفعال فأمر ضروري كتاء المضارعة وتاء المطاوعة ، وفي المصادر كذلك كالتكرار والتطواف ، وأما في الأسماء فكثير أيضاً كتجوب وتجيب وتنضب[3] .

وَقَدْ رَجَعْتُ إلى الصحاح فتبين لي صدق أبي زيد من حيث أن الجوهري لم يذكر هذه اللفظة في صحاحه .

٢ – في (ك ز ز) : « وذَهَبٌ كَزٌّ صُلْبٌ جداً وأَكَزَّهُ اللهُ تَعَالَى رَمَاهُ بالكَزَازِ واكْتَزَّ تَقَبَّضَ وذِكْرُ الْجَوْهَرِيِّ اكْلأَزَّ هُنَا وَهْمٌ لأنَّ لاَمَهُ أَصْلِيَّةٌ وَالصَّوابُ ذِكْرُهُ في ك ل ز . »

وجاء في الجاسوس : أن الحكم بوهمه غير صواب فإنه حَكَمَ بزيادة اللام لتحقق الاشتقاق ووضوحه كما حكموا بزيادتها في ازْلَغَبَّ[4] وادلهمَّ وجعلوهما من الزغب والدهمة ولهما نظائر ، وهذا دقة نظر من الجوهري رحمه الله تفرد بها دون اللغويين :

إذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر[5]

(١) الجاسوس ص ٥١٣

(٢) التخربوب ، في باب التاء فصل التاء من القاموس . (٣) الوشاح ص ٢٩ .

(٤) ازلَغبَّ الشعر : نبت بعد الحلق (قاموس) . (٥) الجاسوس ص ٥١٠ – ٥١١ .

ومن الضرب السابع : اللجأ .

« اللَّجَأُ مُحَرَّكَةً الْمَعْقِلُ وَالْمَلاَذُ كَالْمَلْجَأِ وع وَجَدُّ عُمَرَ بنِ الْأَشْعَثِ لاَ وَالِدُهُ وَوَهِمَ الْجَوْهَرِيُّ . »

قال صاحب الوشاح : عبارة الجوهري : « وعمر بن لجأ الشاعر التميمي » . وليس فيه ذكر والد ، وقولهم فلان بن فلان يريدون بذلك الجد وإن علا أمر شائع لا خلاف فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . وقال الأعرابي : أيكم ابن عبد المطلب؟ وأهل الحديث يجعلون هذا الباب وهو من نسب إلى جده قسماً برأسه ، وذكروا أسماء كثيرة منهم أبو عبيدة ابن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح ، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل فهو الإمام أحمد بن عبد الله (وقيل ابن محمد) بن حنبل ، وعمر بن لجأ هذا كان شاعراً ماجداً ، مات بالأهواز ، وكان يهاجي جريراً[1] .

وعندي أن معجم اللغة ، ينبغي أن يكون دقيقاً في معناه ومبناه ، حتى لا تنفد نحوه الشكوك ، ولا ترقى إليه الأوهام .

ولعل فيما سقناه من هذه المواد ما يكفي لإحقاق الحق في المخاصمة بين أبي طاهر وأبي نصر ، فقد أكثر الأولُ من توهيم الثاني الذي دافع عنه طائفة غير قليلة من النقاد وحاولوا إقناع القراء بأنه على حق في كثير من المسائل التي كانت موضع التوهيم .

ومما ينبغي أن نشير إليه أن الفيروزابادي اضطرب في نقده اضطراباً واضحاً ، يبدو في تلك المسائل التي خَطَّأَ الجوهريَّ بها تخطئة لا تستند إلى دليل ولا تقوم على سبب معقول وإنما ظهرت فيها روح التعنت والتحامل كما في مادتي : الغرقئ ، القندأو .

كذلك يظهر اضطرابه في تلك الألفاظ التي خطأه بها ، ثم تابعه عليها ، كما في أشأ ، والأءومرهم ، ورهم .

وقد خالفه في بعض الكلم ، ولكنه لم يخطئه بها ، كما في مادة (سفر) كما

---

(١) الوشاح ص ١٩ .

خالفه في اعتباره النون زائدة في مثل (السنبل والصنوبر والجندل والقنطرة) جرياً على مذهب البصريين ، واعتبرها هو أصلية فأورد الكلمات في (سنبل وصنبر وجندل وقنطر) مع أَنَّهُ لم يُوَهِّمه فيما فعل .

على أنه حكم على بعض الكلمات بأنها لحن أو تصحيف دون أن يُوهِّم الجوهريَّ أو غيرَهُ ، وهي صحيحة ، فجاء حكمه بعيداً عن الصواب ، كما في الأنموذج .

وربما يذكر اللفظة في موضعين مناقضاً نفسه كما في (مرقس) التي اعتبرها زائدة الميم أولاً ، أصيلتها ثانياً ؛ فضلاً عن خطئه في نسبة الشاعر .

وانتهى به الأمر إلى أن وَهَّمَ الجوهريَّ في مسائل ثبت لعلية القراء أنه هو الواهم فيها كما في التخربوب ، واكْلأَزَّ .

أَمَّا التوهيمُ الذي وجهه للجوهري في مادة (اللَّجَأ) فأرى أنه على حق فيه ، على أن الضعف ظاهر في دفاع صاحب الوشاح ، مما يحتمل معه أن يكون الفيروزابادي صاحب حق في توهيم الجوهري في بعض كلمات أخرى ، وهو قليل .

ويغلب على الظن أن الفيروزابادي كان ينافس الجوهريَّ ويحسده على شهرة صحاحه بين الطلاب والمدرسين ، ويرغب في أن يستأثر لنفسه بمكانة صاحبه ، وأن يكون له كتاب ألمع شهرة من كتابه ، وأن يحتل قاموسه الأوج بين كتب اللغة ، فاعترف للصحاح بالفضل ، ثم أذاع في الناس أنه فاته نصف اللغة ، أو أكثر بإهمال المادة ، أو بترك المعاني الغريبة النادرة ، ووضح أن قاموسه هو الفرد الذي ينبغي أن تتطلع إليه الأنظار ، وتلتقي عنده الآمال ، ويرجع إليه محبو اللغة وآدابها في كل مكان ، لأنه جامع لها ، شامل لمادتها وما نَدَّ من معانيها ، أو أهمل من كلماتها الكثيرة ، محرراً ما زاده بالحمرة وذلك حيث يقول في المقدمة : « ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري وهو جدير بذلك ، غير أنه قد فاته نصف اللغة أو أكثر اما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادة ، أردت أن يظهر للناظر بادئ بدء فضل كتابي هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه ، وفي سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه إليه ،

ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر ، بل إذاعة لقول الشاعر كم ترك الأول للآخر »[1] .

والظاهر أن الفيروزابادي فاز بما أراد ، فقد طبقت شهرة كتابه الآفاق وعظمت حتى أتت على ما كان منها للصحاح ، ولاذ به الباحثون ، وأقبل على اقتنائه والرجوع إليه الطلاب والمدرسون . قال صاحب كتاب البلغة في أصول اللغة : « ولما جعل المجد ما زاده على الصحاح في قاموسه مميزاً ظاهراً بحيث لو أفرد لجاء قدر الصحاح ، كان ذلك مدعاة لتنافس الناس فيه كتابة وشراء ، وقرئ على مؤلفه غير مرة ، وكانت النسخة الرسولية التي قرئت عليه سنة ٨١٣ هـ آخر ما قرئ عليه وأشهره »[2] .

وقصارى القول ان نقد الفيروزابادي للجوهري بهذه الصورة لا يسلم من الطعن ، لأنه لم يكن بريئاً ، بل كان ابتغاء شهرة قاموسه على حساب الصحاح ، وان حقق نفعاً عاماً في ميدان الثقافة العربية عن هذا الطريق .

والناقد ينبغي أن يتجرد من نزعات الهوى ، ويتصف بالنزاهة التامة ، حتى يكون نقده مرآة صافية تكشف عن محاسن الناس ، ومساوئهم ، كشفاً دقيقاً ، لا تشوبه شائبة ، لأنه يكتب للتاريخ الذي يسجل للأجيال ، ويحرر للعلم واللغة على وجه الإجمال .

موازنة بين الكتابين :

يكاد جمهور النقاد يجمعون على أن القاموس المحيط امتاز على الصحاح بفضائل ، أهمها : اشتمالُه على ضعف ما في الصحاح من لغات ، وإكثاره من معاني الألفاظ بالنسبة إليه في حسن إيجاز ، وسلامة تعبير ، وتخليصه الواويَّ من اليائي ، وتعيينه الأوزان من الأفعال والأسماء كلها سوى القياسية بالعبارة أو الإشارة من غير اعتماد على نقوش الحركات ، وتمييزه الرباعيَّ عن الثلاثي وذكره الأوهام التي زعم أن الجوهري وقع فيها .

كل هذا على ما ذكروا جعله يفوق الصحاح ، وينال الإعجاب ، حتى مدحه

---

(١) خطبة القاموس ص ٤ . (٢) البلغة ص ١٤٥ .

غير واحد من الأدباء ، كما سنرى في موضعه من هذا الكتاب [1] .

وذهب بعضهم إلى تفضيل الصحاح على القاموس كالشيخ المحدث العلامة عبد القادر بن أحمد اليمني صاحب الفلك ، وبينوا أن شهرة القاموس واكتفاء الناس به ، راجعان إلى أمور ثلاثة :

أولها – جهلهم بأن الصحاح أصح كتب اللغة ، وأن ما فيه من تصحيف لا يخفى على ذي الفكر الحصيف ، على أنه تصحيف يسير لا يخلو منه إلّا كتاب الله تعالى .

وثانيها – جهلهم بعيوب القاموس ، وتغاليهم في تصديقه ، واعتبارهم كل ما جاء فيه قطعياً .

وثالثها – جهلهم بمحاسن الصحاح ، فأوهامه يسيرة ، بدليل اعتماد أئمة اللغة عليه ، ودفاعهم عنه في كثير من المناسبات .

وقد أبان كثير من العلماء كالشيخ الإمام محمد بن الطيب صاحب شرح القاموس ، والشيخ أبي الوفا نصر الهوريني ، وجمع من علماء اليمن الميمون ، أن جل ما ادعى الفيروزابادي وغيره أن الجوهري وهم فيه ، إنما هو صحيح لا يمت إلى الوهم بسبب [2] . قال الشدياق : « لا جرم أن للصحاح مزية على القاموس في وضوح العبارة ، والاستدلال بالآيات والحديث والشواهد من كلام العرب والقواعد الصرفية والنحوية واللغوية ، وكثيراً ما ينحو مؤلفه منحى تعليم المركب من الكلام فضلاً عن تعريف المفردات ، كقوله مثلاً : ويقال سن للناس الندى فندوا ؛ وقوله : ما كنت عماً ولقد عممت عمومة ، وبيني وبين فلان عمومة . [3] »

وأنشد الإمام أبو منصور الثعالبي لأبي محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري :

هذا كتاب الصحاح سيد ما ... صنف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أبوابه ويجمع ما ... فرق في غيره من الكتب [4]

---

(١) ص ٣٩١ وما بعدها . (٢) البلغة ص ١٥٢ . (٣) الجاسوس ص ٨١ .
(٤) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٧ .

والصحاح (كما نعلم) من أجمل ما ألف في اللغة ، وأوفاه جمعاً للصحيح والشواهد ، وأحسنه وضعاً وتنسيقاً .

فاق كثيراً مما تقدمه من المصنفات ، وهو من كتب اللغة بمثابة الصحيحين من كتب الحديث ، وقد أكثر الفيروزابادي من نقده ، كما فعل الدارقطني مع البخاري ومسلم .

والجوهري عالم لغوي ضليع ، له في النحو والصرف قدم راسخة ، وقدرة فائقة ، شافه العرب العاربة ، ونقل عنهم اللغة ، وجمع ما صح لديه منها .

وهو مقدم في عالم اللغة على الفيروزابادي الذي على صحاحه تخرج وعرف الصناعة ، ثم تصدى له ، ونقده في مسائل كثيرة ، غض فيها من قدره ليخمله ويرفع من شأن كتابه ، وقد دافع عنه صاحب الوشاح في نحو ثلثمائة مسألة ، ويقال: إنّ الجواب عنها يحاكي جواب الصحيحين من كون الجوهري أنحى اللغويين ، وأعلم بعلم الصرف ، وآثر لما صحت روايته لديه [١] .

قال صاحب فلك القاموس : « إن في تلقي الناس للقاموس سلفاً عن خلف وترك ما عداه من كتب اللغة تقليداً لا يليق بنبيه ، والذي يحسن بمن أراد اللغة أن يشتغل بالصحاح وتكملته للصغاني ، فإن فيهما من اللغة أكثر مما في القاموس ، بعبارة واضحة ، وشواهد عربية يميز بها غير المقلد صحيح الأقوال عن ضعيفها ويضم إلى ذلك من المختصرات مثل فقه اللغة للثعالبي أو كفاية المتحفظ أو نظمها فإن هذه المختصرات تجمع في الباب الواحد ما هو مفرق في المطولات ، لأن المطولات مرتبة على حروف المعجم بحيث يتعذر أو يتعسر استخراج جميع ذلك الباب أو أكثره من المطولات » [٢]

لكان قوله « فإن فيهما من اللغة أكثر مما في القاموس » يجعلنا نشك في أن أحدهما وهو الصحاح مثلاً أكثر من القاموس لغة ، وإن كان بعبارة واضحة وشواهد عربية يميز بها غير المقلد صحيح الأقوال من ضعيفها .

---

(١) الوشاح ص ٣ .

(٢) فلك القاموس ص ٢٣ – ٢٤ .

وقال الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني: «الصحاح أحسن ما صنف في كتب اللغة والأدب ، مع تصحيف فيه في عدة مواضع أخذها عليه المحققون ، وتتبعها العاملون :

من ذا الـذي مـا ساء قـط ومن لـه الحُسْنَى فقـــط

فإنه رحمه الله غلط وأصاب ، وأخطأ المرمى ، وأصاب كسائر العلماء الذين تقدموه ، وتأخروا عنه فإني لا أعلم في الدنيا كتاباً سلم إلى مؤلفه ولم يتعقبه بالتتبع من يليه . »[1]

والفيروزابادي بعد كل هذا مقصر عن الجوهري في مادة اللغة ، فقد أولى أسماء المحدثين والفقهاء والبقاع ومنافع الأدوية ومناقع الأودية ونحوها عنايته الفائقة حتى شغله ذلك عن استيعاب الألفاظ اللغوية ، وظهر بجانب أبي نصر بمظهر المقصر في حق لغته التي أراد أن يجمعها ، فجعل مواده جعباً مليئة بضروب الأعلام ومسائل الطب وشئون الباه .

قال الشدياق : « نعم إن قاموسه أجمع للشوارد . وحوشي الكلام من الصحاح إلا أن الأخير أوضح منه عبارة ، وأكثر شرحاً وبياناً ، وأروى رواية . أما من حيث الفوائد اللغوية والنحوية والصرفية فلا مناسبة بين الكتابين البتة ، فإن القاموس يكاد يخلو منها إلا ما ندر فكان فيه كنغب الطائر وقد نذر بالخطر . وقد شهد المحشي للجوهري بالإمامة في العربية في مواضع عديدة من تعليقه كما شهد على المصنف بالقصور . »[2]

ولما قام الفيروزابادي بحملته العنيفة لتوهيم الجوهري في صحاحه ، محاولاً أن يبني على أنقاضه للقاموس شهرة ذائعة وقوة أدبية فائقة ، يكتسح بهما كل ما عداه من المعاجم وبخاصة الصحاح ، وقف الحق في وجهه ، وهرع كثير من العلماء يردون ويشرحون ، حتى أدرك العقلاء أن الفيروزابادي كان في حملته متعنتاً متحاملاً إلى حد كبير متجاهلاً ما للصحاح من ميزات شهد بها الناقدون .

---

(١) شرح خطبة القاموس ص ٢٠ – ٢١ . (٢) الجاسوس ص ٣٣٧ .

وأخيراً ، يُوَفِّقُ صاحب كتاب البلغة في أصول اللغة بين الكتابين ، فيذكر أن الحق الذي لا محيد عنه أنه لا فضل لأحدهما على الآخر في كل باب ، لأنه لا ينكر فضل القاموس بالوجوه المتقدمة ، كما لا ينكر فضل الصحاح من حيث صحة اللغات ، وإسنادها إلى أربابها من أعيان أهل اللسان ، ووقوعها في أشعارهم ومحاوراتهم .

أما الأغلاط والأوهام فقد وقعت في الصحاح والقاموس معاً ، ولكنها وقعت فيهما بمقتضى البشرية أو من الناسخين ، لا من المؤلفَيْن .[1]

وهذا الرأي (في نظري) سديد ، لأن كلاً من الكتابين له مكانته وله ميزاته ، إذا ما أغضينا عما نسب إليه من هفوات ، ولا زال الكتابان يرن صداهما في الآفاق ، ويشع ضياؤهما للناطقين بالضاد في كل الجهات ، وسيظلان كذلك إلى ما شاء الله تعالى .

---

(١) البلغة ص ١٥٢ .

الفصل الثامن

تحامل النقاد

يظهر أن رجال اللغة قد أتى عليهم حين من الدهر كانوا فيه بين قادح للقاموس ومادح ، اختصموا حوله ، كما اختصم رجال الأدب على قصائد المتنبي من قبل ، وذهبوا يؤلفون الكتب والشروح والحواشي ، يسجلون فيها أخطاءه ، كما يريدون ، ويحسبون هفواته كما يحسبون ، وربما لا يتورعون أن يرسموا له امام الأنظار صورة مشوهة تسوىء سمعته ، وتهوي بقيمته اللغوية إلى الحضيض ، وهو بريء مما نسبوا إليه .

ويبدو أن حركة النقد التي دارت حول القاموس بدأت تظهر في مستهل القرن العاشر الهجري على يد بعض العلماء كابن الشحنة الحلبي الحنفي (محب الدين أبي الوليد عبد الباسط بن محمد) المتوفى سنة ٩٠٣ هـ وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ صاحب الإفصاح في زوائد القاموس على الصحاح ، وعبد الباسط بن خليل الحنفي المتوفى سنة ٩٢٠ هـ صاحب القول المأنوس ، وعبد الله ابن شرف الحسني المتوفى سنة ٩٧٣ هـ ملك اليمن صاحب كسر الناموس ، وسعدي جلبي (سعد الله بن عيسى) المتوفى سنة ٩٨٣ هـ في الحاشية .

وفي القرن الحادي عشر الهجري اتسعت هذه الحركة اتساعاً ظاهراً ، ومن أشهر النقاد الذين قاموا بها : بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ ، ونور الدين علي بن غانم المقدسي المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ في الحاشية ، وبدر الدين القرافي المصري المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ صاحب القول المأنوس بتحرير

القاموس والقول المأنوس بشرح مغلق القاموس وبهجة النفوس في المحاكمة بين الصحاح والقاموس ، وملا علي بن سلطان القاري الهروي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ صاحب الناموس ، ومحمد بن مصطفى الداودي المعروف بداود زاده المتوفى سنة ١٠١٧ هـ صاحب الدُّر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط ، ومحمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ صاحب شرح الخطبة ، والقاضي أويس ابن محمد المعروف بويسي المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ صاحب مرج البحرين ، وعبدالله ابن المهدي الحميري المتوفى سنة ١٠٦١ هـ صاحب البحر ، وأحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ صاحب كتابي فتح القدوس وإضاءة الأدموس ، ومحمد بن يوسف الدمياطي الحنفي صاحب الزهر اليانع على قول صاحب القاموس ولا مانع .

وتزعم هذه الحركة النقدية في القرن الثاني عشر الهجري علم من أبرز أعلامها هو الإمام أبو عبد الله بن محمد بن الطيب الفاسي المتوفى سنة ١١٧٠ هـ صاحب إضاءة الراموس ، ومن تلاميذه السيد مرتضى الزبيدي والشيخ عبد القادر اليمني .

أما في القرن الثالث عشر الهجري فكانت أشد عنفاً منها في القرون الثلاثة السابقة ، ومن أشهر علمائها : السيد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ صاحب تاج العروس والتكملة أو التكميل ، والشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ صاحب فلك القاموس ، ومحمد صديق حسن خان صاحب البلغة في أصول اللغة ، والشيخ محمد سعد الله المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ صاحب القول المأنوس في صفات القاموس ، والشيخ نصر الهوريني المتوفى سنة ١٢٩١ هـ ، والشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي صاحب الوشاح ، وزين العابدين ابن محسن الأنصاري الحديدي .

على أنها في القرن الرابع عشر الهجري قد بلغت غايتها القصوى بزعامة أحمد فارس الشدياق صاحب الجاسوس وسر الليال ، وأحمد تيمور باشا صاحب تصحيح القاموس المحيط .

والغريب أن هذه الحملات القاسية ، لم تخفض من منزلته ، أو تحط من

قدره كما كان منتظراً ، بل ازداد بها شهرة ، وعلا قدراً ، وعظمت ثقة الناس به ، حتى ملأ القلوب والآذان ، وهرع إليه كل قاص ودان .

ولعل السبب في ذلك كما يبدو لي ، أن الوعي اللغوي كان ناضجاً بحيث لم يدع مجالاً لطغيان الباطل أن يفت في ساعد الحق ، ولم يصدق القول إلاَّ ممحصاً قائماً على أدلة ثابتة ، وبراهين قاطعة ، وعسى أن يكون قد وجد في القاموس ما يدعو إلى الاطمئنان إليه ، فأشعر الناس بفضله ومآثره حتى أقبل عليه الطلاب والعلماء هذا الاقبال الذي لا يزال إلى اليوم .

ولست أريد أن أقول إن القاموس منزه من كل عيب ، فتلك صفة الكتاب المقدس ، ولكني أرى أن ما وجه إليه من أنواع النقد ، لا يعتبر شيئاً مذكوراً ، بالنسبة لما اشتمل عليه من ميزات ، ثم لا أراه بعد ذلك يقدح في المعجم نفسه ، ويغض من قيمته .

وقد نظرت إلى القاموس فيما كتبت عنه آنفاً نظرة مجردة من كل هوى ، رجاء أن أصفه بما هو فيه ، وأضعه في موضعه الذي هو جدير به ، فحاولت جاهداً أن ألتزم نهج الإنصاف ، ما استطعت إليه سبيلا ، فتبين لي أن كثيراً من النقاد أسرفوا في مذمته ، وتحاملوا عليه ، ومن أشهرهم :

١ – **أحمد فارس الشدياق اللبناني** – المتوفى سنة ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ) : [١]

في كتابة (الجاسوس على القاموس) : كان الشدياق يعيب المعاجم العربية ويعتبرها سبباً في رمي اللغة بالتأخر والانحطاط وعدم ملاءمة العصر وتخلفها عن اللغات الأجنبية .

ولما كان القاموس المحيط أشهر معجم بين يدي الناس فقد وجه إليه النقد ، متخذاً منه مثالاً لعيوب المعاجم العربية عامة ، وهاجمه بعنف ليبين أن العيب

---

(١) ولد فارس في عشقوت بلبنان سنة ١٨٠٤ م ، وأصله ماروني من عائلة عريقة ، تعلم العربية ونبغ فيها وتنقل في كثير من البلاد ، فحرر في الوقائع المصرية ، ثم صحح مطبوعات المرسلين الأمريكان في مالطة ، ثم ساعد في ترجمة التوراة بلندن ، ثم اتصل بباي تونس فأكرمه ، فأسلم وسمي أحمد ، وانتقل إلى الآستانة فأصدر الجوائب سنة ١٨٦٠ م (١٢٧٧ هـ) وعرف بالشدياق وكان متبحراً في علوم اللغة ممتازاً بمعرفته الواسعة لموادها ومن أهم مؤلفاته سر الليال والجاسوس (تاريخ آداب اللغة ٤ : ٢٢٥) .

منه ومن أمثاله لا من اللغة ، واتخذ من هذا الهجوم وسيلة للإبانة عن حاجة أهل الضاد إلى معجم حديث ، يسهل البحث فيه ، ويسير على نمط جديد في الترتيب والتوضيح والشرح .

وإليك ألواناً من نقده :

الأول : ذكر مقابل اللفظ العربي بالفارسية :

عرض الفيروزابادي في قاموسه ألفاظاً عربية لمسميات كثيرة ، وذكر ما يقابل كل لفظ بالفارسية ، فعابه صاحب الجاسوس على هذا المسلك حيث قال :

« فياليت شعري هل كان مراده بهذا أن يعلم العرب لغة العجم أو أن يظهر معرفته بها فإن كان الأول فقد خالف جميع أئمة اللغة وإن كان الثاني فنفس عبارته تدل على عجمته . » [1] في التعقيب على نصوص أخذها من القاموس ، منها :

الصَّرِيفُ الفِضَّةُ الخَالِصَةُ وصَرِيرُ البَابِ ... وَمَا يَبِسَ مِنَ الشَّجَرِ فَارِسِيَّتُه خُذْخُوش .

الرَّشِيدِيَّةُ طَعَامٌ م فَارسِيَّتُهُ رَشْتَهْ .

الدِّفْلَى كَذِكْرَى نبتٌ مُرٌّ فارسيَّتُهُ خَرْزَهْرَه .

النَّخْبُ الشَّرْبَةُ العَظِيمةُ وَهِيَ بَالْفَارِسِيَّةِ دُوْستَكَاني .

العَبْهَرُ النَّرْجِسُ وَاليَاسَمِينُ وَنَبْتٌ آخَرُ فَارِسِيَّتُهُ بُسْتَانُ أَفْرُوزَ .

الشَّمَّامُ كشَدَّادٍ بَطِّيخٌ ... فَارِسِيَّتُهُ الدَّسْتَنْبويَه .

الزُّمَّجُ كَدُمَّلٍ طَائِرٌ فَارِسِيَّتُهُ دُوبِرَادَرَانْ .

وفي نظري أن هذا النهج ، لا غبار عليه ، فقد ربط كلمات العرب بما يقابلها من كلمات الفرس ، وبين لقراء معجمه أن هذه الكلمات العربية هجرت أوكادت تهجر مع وجود مدلولاتها مسماة باسماء فارسية مشهورة ، كأنما يقول للعرب إن هذه الكلمات استعملت للدلالة على مسميات شاعت لها اسماء فارسية ، أوكأنما يخاطب الفرس فيقول لهم إن هذه الاسماء أطلقها العرب على مسميات تطلقون عليها انتم انفسكم اسماء أخرى معروفة في لغتكم .

---

(١) الجاسوس ص ٣١١ .

وهو نهج مفضل في الدراسة المعجمية الحديثة ، ويكاد يكون متبعا في تأليف المعجمين الوسيط والكبير اللذين يقوم بوضعهما الآن مجمع اللغة العربية بالقاهرة(١).

والعبارة بعد ذلك مستقيمة سليمة لا غموض فيها ولا التواء ، وليس فيها ما يدعو لوصمها بالعجمة .

واذن ، فلا محل لما قاله صاحب الجاسوس ، ولا أساس لهذا القدح إلاَّ أنه تحامل ظاهر .

الثاني : **التذكير والتأنيث** :

غَلَّطَ الشدياقُ القاموسَ في معاملة الاسم من حيث تذكيره وتأنيثه ، وذكر أنه لم يراع فيها القواعد العربية الصحيحة ، لأنه وضع مع الواحد منهما ما ينبغي أن يكون للآخر من الدلائل والميزات ، أي أنه أتى بما يدل على تأنيثه وهو مذكر ، أو ما يدل على تذكيره وهو مؤنث ، وعلق على بعض نصوص منه بما يفيد ذلك ، كما نرى في قوله :

١ – في (شقأ) : « شَقَأَ نَابُهُ طَلَعَ » .

« نص المجد على أن الناب مؤنثة فكان ينبغي أن يقول شقأت وطلعت »

٢ – (رقب) : « الرَّقَبَةُ مُحَرَّكَةً العُنُقُ أَوْ أَصْلُ مُؤَخَّرِهِ » .

« قلت الصواب مؤخرها » .

٣ – (نكب) : « انْتَكَبَ كِنَانَتَهُ أوْ قَوْسَهُ أَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبِهِ » .

« قلت صوابه ألقاها » .

٤ – (هدب) : « هَدِبَ الشَّجَرُ كَفَرِحَ طَالَ أَغْصَانُهَا وَتَدَلَّتْ » .

« قلت الأولى طالت » .

٥ – (ملح) : « مَلَحَ القِدْرَ طَرَحَ فِيهِ الْمِلْحَ » .

(قلت الصواب فيها) .

---

(١) تم طبع المعجم الوسيط ، وظهرت له طبعة ثانية سنة ١٩٧٢

٦ – (سود) : « السَّهْمُ الأَسْوَدُ المُبَارَكُ يُتَيَمَّنُ بِهِ كَأَنَّهُ اسْوَدَّ مِنْ كَثْرَةِ مَا أَصَابَهُ الْيَدُ » .

« الشارح الأولى ما اصابته اليد ، ونص التكملة ما اصابه دم الصيد » .

٧ – (نسك) « ... وَكَأَمِيرِ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ وكَسَفِينَةٍ الْقِطْعَةُ الغَلِيظَةُ منه » .

(الشارح الصواب منها أي من الفضة) .

٨ – (رمض) « شَفْرَةٌ رميضٌ بَيِّنُ الرَّمَاضَةِ » .

. « قال الشيخ نصر كان المناسب بينة الرماضة بالتأنيث ليوافق لفظ الشفرة ».

« قلت لو قال كان الصواب بدل الموافق لكان أولى » .

٩ – (السَّفَطُ) : « ... وَسَفْطُ ... سبعة عشر قرية بمصر . »

(المحشي صوابه سبع عشرة . قلت وسيأتي له نظير ذلك في اليم حيث قال وهي دون المدينة وسط الشرق من مكة على ستة عشر مرحلة من البصرة وصوابه ست عشرة ، فإعادته هذا الغلط دليل على عدم مبالاته بقواعد العربية .)[1]

وقد وقفنا أمام هذه الأمثلة ، نمعن النظر فيها ، فتبين لنا أن المؤلف ذهب فيما قاله مذهبا صحيحاً :

١ – ذلك انه عامل الناب (في شقأ نابه طلع) معاملة المذكر ، لأنها وردت مذكرة ومؤنثة فقد قال فيها : « الناب السن خلف الرباعية مؤنث ج أنيب وأنياب ونيوب وأناييب جج » وقال صاحب المصباح المنير « الناب من الاسنان مذكر ما دام له هذا الاسم والجمع أنياب وهو الذي يلي الرباعيات ، قال ابن سينا : ولا يجتمع في حيوان ناب وقرن معاً » .

ويمكن أن نعتبر عبارة الفيروزابادي الأولى نصا منه على أن الناب تذكر على هذا النحو الذي سلكه كما يمكن أن تؤنث وفقا لنصه الآخر

---

(١) الجاسوس ص ٥١٣ – ٥١٧ .

على تأنيثها . وقد أيده صاحب المصباح في النص الأول الذي نرجح أنه أتى به على هذه الصورة لحكمة هي اثبات حال التذكير هنا للناب كما اثبت له حال التأنيث هناك . فالناب عنده إذَنْ مؤنثة ومذكرة ، واستعمالها على الحالين جائز .

٢ – وأعاد الضمير في كلمة (مؤخره) بالتذكير على أقرب مذكور وهو العنق الذي فسر به الرقبة وهو صواب .

٣ – واختار أن يعيد الضمير (في القاه) مذكرا على القوس التي تذكر وتؤنث ، كما يستفاد من قوله (القوس م وقد تذكر تصغيرها قويسة وقويس) وما دام التذكير يساوي التأنيث فلا ضير عليه في استعمال أحدهما .

٤ – ثم جعل الفعل (طال) مذكرا مع فاعله (أغصان) وهو جمع تكسير لأن تأنيث الفعل جائز مع الفاعل إذا كان جمع تكسير .

٥ – وأعاد الضمير في كلمة (فيها) مذكرا على القدر باعتبارها مذكرة ، لأنها لفظة تذكر وتؤنث حيث قال : القدر بالكسر م أنثى أو يؤنث .

٦ – أما تذكير الفعل هنا في (أصابه اليد) فجائز لأن الفاعل اسم ظاهر مجازى التأنيث وقد فَصَلَ الضمير بينه وبين فعله .

٧ – وليس هناك مانع فيما أرى من إعادة الضمير في كلمة (منه) على الذهب . نعم يحسن إعادته على أقرب مذكور وهو الفضة ، لكن لا خطأ في إعادته أحياناً على لفظ غير قريب .

٨ – وأظن أن كلمة (بيِّن) على وزن (فعيل) الذي هو وصف يستوي فيه المذكر والمؤنث ، كرميض ، ولذا وافق أن يصف به لفظ الشفرة ، ولا خطأ في هذا التعبير .

٩ – أما (سبعة عشر قرية) و (ستة عشر مرحلة) فصوابهما : (سبع عشرة قرية) (وست عشرة مرحلة) وأرجح أن هذا الخطأ جاء من النساخ ولا ذنب للمؤلف فيه .

ومن هذا يتضح لنا أن المؤلف لم يكن (كما وصفه الشدياق) غير مراع للقواعد

العربية الصحيحة ، في تذكير الاسم أو تأنيثه ، بل هو يسير عليها ، فإننا لم نجده حاد عنها في تلك الأمثلة التي كانت موضع حديثنا ، اذا استثنينا (سبعة عشر قرية) ، و(ستة عشر مرحلة) اللتين عزونا الغلط فيهما إلى النساخ .

ومن السهل أن نوجه الأساليب الأخرى التي عابه عليها بعض النقاد توجيها سليما على نحو ما فعلنا في هذه الامثلة التي عرضناها .

ويبدو أن كثيراً من المسميات التي وردت في القاموس على نمط ما في الأمثلة الآنفة الذكر مؤنثات مجازية ، أو الفاظ تذكر وتؤنث ، وقد عاملها الفيروزابادي معاملة المذكر حينا ، ومعاملة المؤنث حينا آخر .

وهو على حق فيما يفعل ، لأنه لم يخرج على ناموس اللغة ، ولم يخل بشيء من قواعدها الأصلية .

والواقع أن ما أورده الشدياق في هذا الموضوع من باب واحد ، والامثلة التي ناقشناها هنا كافية في التدليل على أنه لم يعتمد في نقده على أساس صحيح في الغالب ، مما لا يدع له أو لغيره مجالا في التشهير بالمؤلف من هذه الناحية .

الثالث : **عنايته بالاعلام أكثر من مادة اللغة :**

قال الشدياق : « ترك كثيراً من ألفاظ القرآن العزيز والحديث الشريف وكلام العرب البلغاء واجتزأ عنها بأسماء البقاع والحصون والقلاع والجبال والأنهار والأبواب والأسواق والقباب وأسماء أعلام ما أنزل الله بها من سلطان خلافا لسائر اللغويين [1] » .

لا أظن الفيروزابادي أقل حرصاً على مادة اللغة في معجمه من أي عالم قبله من أصحاب المعاجم اللغوية ، فالمعروف لنا أن قاموسه غزير المادة ، وأنه خلاصة كثير من كتب السابقين .

وهو مع هذا حريص على جمع ما استطاع من أشهر أسماء الأعلام في ميدان الثقافة العربيـة .

---

(١) الجاسوس ص ٣٤٩ .

وَإذَنْ فهو يمتاز بحرصه على اللغة والأعلام جميعاً .

أَمَّا أَنَّه « ترك كثيراً من ألفاظ القرآن العزيز والحديث الشريف وكلام العرب البلغاء » .

فأمر لم يستطع الشدياق أن يأتي بأدلة كافية على صحته ، لأنه لم يذكر إلا قليلاً من تلك الألفاظ التي يدعي أن الفيروزابادي أهملها كلفظي الرحمن والرحيم مع أنه ذكر في مادة (رحم) بعض أسماء الأعلام كرحمويه .

وعندي أن الفيروزابادي له العذر في الأمرين معاً : فقد ترك كلمتي (الرحمن والرحيم) ونحوهما من ألفاظ القرآن والحديث وكلام البلغاء ، اكتفاء بأن جميع رجال العلم والأدب يعرفون معنى كل منها . أما تعرضه لضبط الأعلام كرحمويه فسببه أن قليلا من المثقفين يعرفون ضبطها ومنزلة كل من المسمين بها في الثقافة العربية .

فليس إذاً في القاموس « أعلام ما أنزل الله بها من سلطان » ، وكل ما فيه (على ما أرى) أعلام لأشخاص يعَدُّون في الطليعة من رجال العلم والأدب والحرب والطب والسياسة وغيرهم من الأشخاص البارزين الذين تدور أسماؤهم على ألسنة المحدثين وأقلام الكاتبين . فإذا كان الشدياق يريد بعبارته المذكورة [1] أن الفيروزابادي أكثر من ذكر أعلام الأعاجم ، فإنا نستطيع أن نرد عليه بأن ذلك هو ما قضت به الضرورة وحكم به الواقع ، لأن الكثرة الساحقة من حملة لواء العلوم والمعارف الإسلامية حتى ما اتصل منها اتصالا وثيقا بشئون الدين كالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام كانت من الأعاجم .

وإذا كان الأمر ، كما وصفنا ، فقد بات الفيروزابادي بعيداً عما رماه به صاحب الجاسوس في هذا الصدد .

الرابع : **القصور والابهام** :

قال الشدياق [2] « ويعلم الله اني كثيراً ما فكرت فيا وقع في القاموس من

---

(١) أي اعلام ما أنزل الله بها من سلطان .   (٢) الجاسوس ٧١ .

القصور والإيهام والإيجاز المؤدي إلى الإبهام ومن الحشو المخل والفضول الممل واللغو المعل فكنت كلما زدت فيه تفكيراً ازددت تحيراً لأن مؤلفه اختار كتاب الصحاح لإظهار أوهامه واعتمد في النقل على العباب والمحكم ففاته منهما بيان العبارة ووضوح التعريف ونسق المعاني وشأن المتأخر إذا تحدى من تقدمه أن يبذل أقصى ما عنده من الجهد والطاقة والتروي والاستطاعة في اتقان عمله ومجانبة تفريط سلفه » .

إن الذي يقرأ عبارة أحمد فارس « اني كثيراً ما فكرت فيما وقع في القاموس من القصور والإيهام والإيجاز المؤدي إلى الإبهام ومن الحشو المخل والفضول الممل واللغو المعل فكنت كلما زدت فيه تفكيراً ازددت تحيراً » يشعر بأن هذا نوع من المبالغة في الذم ؛ فيه تحامل ظاهر .

لكني حاولت أن أعرف الدافع إليه ، أو ظلاً من الحقيقة يعتمد عليه ، فطلبت إلى الناقد أن يبين لي مواضع القصور والإبهام والحشو والفضول واللغو في القاموس ، فذكر أن القصور والإيهام والإبهام ترجع إلى أمور منها[1] :

١ ـ أن المؤلف « كثيراً ما يستغني عن ذكر الفعل بذكر المصدر أو اسم الفاعل أو المفعول أو اسم المكان وكثيراً ما يذكر المصدر ويعطف عليه أسماء جامدة فيعز على المطالع أن يميز ذلك فيظن أنه اسم والاسم لا يستلزم أن يكون له فعل بخلاف المصدر فكان الأَوْلَى أن يعبر بالفعل لأنه لا يلتبس بصيغة أخرى وهو الذي يعبر به أئمة اللغة غالباً فخالفهم هو في ذلك كما خالفهم في تعريف الألفاظ » .

٢ ـ و« تخليط المصدر باسم المصدر» .

٣ ـ و« تعبيره بالواو بدلاً من أو» .

٤ ـ و« أنه تارة يذكر صيغة فعيل وفعول وتارة يهملهما » .

٥ ـ و« أنه لم ينص أحياناً على المعرب » .

---

(١) الجاسوس ص ١٨٨ وما بعدها .

٦ ـ و« انه يذكر للكلمة معنى من معنييها فيوهم بذلك أن المعنى الذي أهمله غير وارد » .

٧ ـ و« انه يفسر الكلمة بكلمة أخرى لها معان مختلفة فلا يعلم المتعين منها »

أما الأمر الأول فكلام على شيء من الوجاهة لأن التعبير بالفعل فيه وضوح ، وبعد عن اللبس ، لكن التعبير بغيره (كما فعل الفيروزابادي) لا يلتبس على أولي الألباب . على أن ذكر المصدر أو اسم الفاعل أو المفعول أو المكان أو نحوها من المشتقات تدل على فعلها بالضرورة فكأنه موجود ، كما أنا لا نتصور أن يلتبس الأمر على القارئ الذي تذوق اللغة فيعز عليه التفريق بين المصدر والاسم الجامد لمجرد الجمع بينهما بالعطف . فمخالفة المؤلف هنا لبعض الأئمة كمخالفته لهم في تعريف الألفاظ ، كلتاهما تدلأن على حسن التصرف مع الاعتماد على النفس .

وَأَمَّا التفرقة بين المصدر واسم المصدر فهي من اختصاص الصرفيين ولا تعني اللغوي في شيء لأن مهمته جمع مواد اللغة وترتيبها وشرحها لا تصريف ألفاظها .

وكل مطلع يعرف أن الأمر الثالث ، وهو التعبير بالواو بدلاً من أَوْ من اصطلاحات[1] صاحب القاموس أحياناً ، وغني عن البيان أن الواو كثيراً ما تستعمل بمعنى أَوْ كما جاء في الكتاب العزيز. قال تعالى « فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » . وقال أيضاً : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

أَمَّا عدم ذكر (فعيل وفعول) أحياناً ، فربما كان مرده ، أنه لم يصادفه مواد على وزنهما ، وإن كانت صادفت غيره ، وانه ليس من الضروري أن يذكر أي مؤلف للمعاجم جميع صيغ الاشتقاق ، وبخاصة ما كان منها قياسياً أو شائع الاستعمال ، وانما يجدر به أن يذكر ما هو نادر الاستعمال للتدليل على صحة استعماله ، وذلك هو ما اتبعه صاحب القاموس وغيره . والحق أنه لا لوم عليهم في ذلك لأننا لا ننتظر منهم أن يشحنوا مؤلفاتهم بجميع المشتقات القياسية أو الشائعة .

---

(١) أنظر ص ١١٨ من هذا الكتاب .

وقد يشفع له في عدم النص على المُعَرَّب أحياناً كثرة تداول اللفظ ، واعتقاده أنّ من المسلم به الذي لا يحتاج إلى نص أنه مُعَرَّب . أما نصه على المعرب من الألفاظ فيرجع في الغالب إلى سببين :

الأول : أن اللفظ جديد مستحدث في اللغة ، فرأى الفيروزابادي أن من واجبه أن يذكره كمادة من المواد اللغوية ، وينص على أنه معرب .

الثاني : أنه حين يذكر بعض الألفاظ التي نص السابقون على أنها معربة ، فإنما يذكر ذلك ليبين أصلها الذي أخذت منه . أَمَّا ذكره لأحد معنيي اللفظ دون الآخر ، فربما يكون ذلك من قبيل الاكتفاء بأشهر المعنيين ومراعاة الإيجاز ، وهي الخطة التي اتبعها في تأليف القاموس .

وَأَمَّا تفسيره اللفظ بلفظ آخر له عدة معان ، فالغالب أن يريد بالكلمة المفَسَّرة معناها المشهور المتبادر إلى الذهن دون غيره من المعاني غير المألوفة .

وإذنْ ، يكون في حملة الشدياق على الفيروزابادي بهذه الأمور ، شيءٌ من الغلو والمبالغة في التشهير . وتِلْكَ نَزْعَةٌ كثيراً ما يلجأ إليها الشدياق في نقده للفيروزابادي .

ثُمَّ انَّ الشدياق يعزو ما في القاموس من (الفضول والحشو واللغو) إلى كثرة ما جاء به من أسماء الأعاجم والأعلام والأماكن والبقاع والعقاقير والقصص الخيالية والحوادث التاريخية ونحوها .

والأسماء (فيما أرى) من اللغة ، بالأصالة أو بالتعريب ، وقد سيقت القصص والحوادث ونحوها لتفسير المادة وإن كان عليها ظل من الخيال ، أو فيها لون من الاختراع .

وكل هذا ، ان لم يكن سبباً للتقدير ، فانه لا يدعو إلى المذمة .

٢ ـ الامام محمد بن الطيب الفاسي [1] المتوفى سنة ١١٧٠ هـ :

---

(١) هو الشيخ اللغوي أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي : ولد بفاس سنة ١١١٠ هـ ، واشتغل بعلوم اللغة ، واشتهر بالتعمق فيها ، وذاع فضله محاضراً ومؤلفاً ، في فاس والمدينة المنورة وتوفي بالأخيرة سنة ١١٧٠ هـ .

نقد القاموس في كتابين أحدهما : إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على أضاة القاموس[1] والآخر حاشيته على القاموس[2] .

كان الإمام أبو عبد الله بن الطيب الفاسي يرمي في كتابه الأول إلى الرد على الفيروزابادي فيما وجهه إلى الصحاح من نقد وإلى شرح غوامض القاموس واصطلاحاته ، وقد التمس الناس منه هذا التأليف لشدة حاجتهم إليه ، فاستخار الله وصنَّف هذا الكتاب ، قال في مقدمته : « . . . فاستخرت الله تعالى وجددت النظر فيما فيه بحث المجد ونظر ووقفت أثناء مطالعته على أغلاط له واضحة ، وأوهام ارتكبها مخالفاً للجم الغفير فاضحة ، وتقصيرات أوجبها ادعاء الإحاطة بالأسماء فجمعت ذلك أبدع جمع وأودعته من التحقيقات ما تقر بتقريره العين ، ويصغي إلى صوغه السمع » . وتناول أكثر مواد القاموس في كتابه متبعاً ترتيبه ، بخلاف القرافي الذي كان يلتقط منها فحسب . وكتاب الفاسي ضخم الحجم تقتنيه دار الكتب المصرية ويقع في ثلاثة مجلدات ضخام ، أولها ٣٣٠ ورقة من الحجم الكبير ، وثانيها ٥٣١ ورقة من الحجم الصغير ، وثالثها ٤٤٥ ورقة من الحجم الصغير تقريباً ، ورقم الكتاب في الدار ٥٠٠ لغة . وذكر ابن الطيب في مقدمة كتابه أنه ألَّفه معتمداً على حفظه في زمن اندثر فيه العلم وضاع الفضل ، وبيَّن أن علم اللغة مفتاح العلوم كلها ، وأنه نبغ فيه كالفيروزابادي . وأقام شرحه على كتابي المحب بن الشحنة والبدر القرافي فتتبع أقوالهما وأتى بها معلِّقاً عليها وخاصة أقوال البدر القرافي ، ورجع إلى غيرهما مثل الشيخ أبي الصدى عيسى بن عبد الرحمن وابن عبد الرحيم . وكان ابن الطيب يرى أن القاموس يشتمل على أهم الأغراض التي تُؤلَّف الكتب لها ، وهي ثمانية : الابتكار وجمع المتفرق وإكمال النقص وتفصيل المجمل وتهذيب المسهب وترتيب المختلط وتعيين المبهم وإبانة الخطأ ، وقد عرض في مقدمته لحد اللغة وأقوال اللغويين والأصوليين فيها ، والاختلافات الكثيرة حول

(١) هذا الكتاب ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلدات ضخمة مخطوطة بخطوط مختلفة : الأول ٣٣٠ صفحة من القطع الكبير والثاني ٥٣١ صفحة من القطع المتوسط ، والثالث ٤٤٥ صفحة من القطع المتوسط لغة خط ٥٠٠ بدار الكتب المصرية) .

(٢) هذه الحاشية في مجلدين موضوعها الانتصار للجوهري .

توقيفيتها واصطلاحيتها ، وتعرض للمعاني والصيغ التي تركها صاحب القاموس وخلافات الشراح لألفاظه ورواياته ، وعاب عليه نسيانه آدم عليه السلام ، واستحسن منه طلبه إلى القراء إصلاح الخطأ وسؤاله الله الثواب . ويقوم كتاب ابن الطيب على أمرين : أولهما الإضافة ، وثانيهما النقد . وأقصد بالإضافة ما أضافه لشرح عبارة القاموس أوما زاده عليه من صيغ ومواد وأحكام وغيرها . وتتمثل الإضافة في الأمور التالية[1] :

١ ـ بعض المراجع التي أخذ منها القاموس أقواله ، أو بالأدق المراجع التي استقى منها المرجعان الأصيلان للقاموس وهما المحكم والعباب .

٢ ـ ذكر بعض الروايات الأخرى في التفسير أو الخلافات التي أتى بها اللغويون أوما شابه ذلك .

٣ ـ توضيح التفسيرات والأقوال الواردة في القاموس .

٤ ـ زيادة بعض الشواهد .

٥ ـ بيان اختلاف نسخ القاموس .

٦ ـ زيادة التعريف بمن يذكرهم من الأعلام .

٧ ـ إيضاح الضبط والإعجام .

أما النقد فأخطر من الإضافة وأكثر عند ابن الطيب ، ويتمثل في الأنواع الآتيـة[2] :

١ ـ خروج صاحب القاموس على منهجه في الشرح والضبط .

٢ ـ كتابته المواد غير الواردة في الصحاح بالحبر الأحمر لأن التحمير لا فائدة منه ما دام قصد المؤلفين مختلفاً غير متحد .

٣ ـ ادعاء الإحاطة اللغوية ، فقد ادعى الفيروزابادي الإحاطة في ميدانه

---

(١) المعجم العربي ٢ : ٦١٤ .

(٢) المعجم العربي ٢ : ٦١٧ .

مع أنه أغفل كثيراً من الصيغ والمعاني والأقوال .

٤ ـ القصور في التفسير والخطأ فيه والغموض .

٥ ـ الأمور الطبية فإنها عند ابن الطيب من فضول القول وكثيراً ما كان يذكرها في استدراكاته في آخر المواد خاصة .

٦ ـ الخلط بين الحقيقة والمجاز ، فقد نقده ابن الطيب في مواضع كثيرة بخلطه الحقيقة بالمجاز والاصطلاحات ، قال معلقاً على شرحه التثويب بالاستصراح : « الظاهر أن هذه المعاني كلها مجازات ليست من اللغة في شيء ، وإنما هي حقائق شرعية كالصلاة ونحوها ، فذكرها في الدواوين لا بد له من ضرب من المجاز » .

٧ ـ الخطأ في بعض المواد للخلاف في أصالة الحروف وزيادتها وفي الهمز والإعلال .

٨ ـ التناقض في مواضع مختلفة ، فهو يحكم على المادة في باب حروف العلة بأنها معتلة ، ويوردها في باب الهمزة تبعاً للجوهري بغير تنبيه ، ومعظم أمثلة هذا التناقض بين بابي الهمزة والمعتل .

٩ ـ التصحيف والخطأ في القول فقد أخذ عليه ابن الطيب أموراً صغيرة كالتصحيف والخطأ مثل إطلاق الجمع على اسم الجمع وحذف الفوائد النحوية والصرفية التي أوردها الجوهري .

وكان ابن الطيب في هذه المآخذ يتعرض لموقف المجد من الجوهري ، ولكنه كان عادلاً يؤيد قول الجوهري حين يتبين له صوابه أو وضوحه ، كما يؤيد الفيروزابادي ويوافقه عند إحقاقه ، أيَّد الجوهري في مادة (حديد) ووافق المجد في مادة (بأبأ) وغيرهما من المواد .

وهاك ضروباً من نقده :

الأول : قال قبل شرح الخطبة في الكتاب الثاني وهو الحاشية :

« إن كثيراً ممن ترجموه وصفوه بالتهور في العبارة وعابوه بذلك فإن أرادوا

بالتهور ما يرتكبه من التبجحات في كلامه وإظهار الاحاطة وتغليط أصحاب المصنفات القديمة كما يرشد إليه قولهم فهو أمر ظاهر وكان يمكنه أداء ذلك بأسهل من تلك العبارات الهائلة وإن أرادوا ما فهمه السخاوي من عدم التثبت والانفراد بشيء ، لم يقله أحد الأئمة فبعيد ، لكن في كلامه ما يقتضيه ، فانه أحياناً يرد على الناس قاطبة في بعض الألفاظ ويشرحه بما لم يقله أحد من الأئمة ولم يؤيد ذلك بنقل يعضده كما قال في شامة ان المحدثين قاطبة غلطوا فيه وإن صوابه شابه بالباء الموحدة فإن مثل هذا مصادرة والاقدام على تغليط المحدثين كلهم مع عدالتهم وثقتهم وجلالة قدرهم أمر تأباه النفوس لو وجد دليل عليه فما بالك وهو مجرد عن الدليل »[1] .

لست أرى في عبارة القاموس تهوراً ولا تبجحاً ولا إظهار إحاطة ، ولكني أرى فيها جرأة في الحق ، لرجل يعتقد صحة العلم واصالة اللغة في شيء فيجاهر به في أسلوب يظنه محققاً غرضه .

ولا ضير على صاحب الحق إذا واجه المخطئ بخطئه ، ما دامت حرية الرأي مكفولة .

وإذا كان لكل مقام مقال ، فمقام النداء بالحق اللغوي يتطلب مقالاً كمقال صاحب القاموس .

ويمكن أن نفهم من (أنه أحياناً يرد على الناس قاطبة في بعض الألفاظ ...) انه يدين بالحرية الأدبية والعلمية والبعد عن التقليدالممقوت ، والرغبة الأكيدة في التجديد ، مع الاعتداد بالنفس ، فَجَدَّ في إظهار رأيه الشخصي دون أن يعمد فيه إلى ما يسنده ، اعتقاداً منه بقوته منفرداً ، فهو رجل مجتهد في اللغة ، ومن كان مثله ، يلق حسداً من المحافظين وأنصار المحافظين .

ولا عبرة (عندي) بنقد الحاسدين .

الثاني : وقال في كتابه الأول (اضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القا موس):« قد تكرر من المصنف رحمه الله تعالى مدحه لكتابه

---

(١) الجاسوس ص ٦٥ — ٦٦ ومقدمة حاشية القاموس لابن الطيب ص ٣ .

ولنفسه المدح البالغ تصريحاً وتعريضاً كما مر وقد أشرنا أولاً
إلى أن العلم النافع شأنه تهذيب النفس وهضمها واتهامها وطرح
الدعوى التي شأنها أن تنقلب في الحال بلوى وقال الله تعالى
فلا تزكوا أنفسكم كما سبق تقريره في الحديث لا يزال الرجل
عالماً حتى يقول أنا عالم فهو جاهل وسبق أن قيل لبعض الحكماء
ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً فقال مدح الإنسان نفسه »[1].

لم يكن الفيروزابادي كاذباً فيما تحدث به عن نفسه وعن كتابه :

وليس يعيب المرء يمدح نفسه إذا لم يكن في قوله بكذوب

على أن تحدث الإنسان عما وهب له الله من نعمة العلم ، وحباه من فضل التوفيق في التأليف ، شيء ممدوح مثاب عليه ، قال تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث » .

وفي الاعتراف بفضل الله تهذيب للنفس ، منبعث عن علم نافع ، وليس تزكية كاذبة مشوبة بالغرور كما تشير إليه الآية الكريمة : « ولا تزكو أنفسكم » أو كما يفهم من الحديث الذي يدل على أن الرجل عالم حتى يقول على سبيل الغرور الكاذب (أنا عالم) فقد استحق أن يوصف بالجهل ، وهذا هو المدح الذي لا يحسن عند بعض الحكماء .

وسلك مسلك الفيروزابادي كثير من العلماء ، فقد « ترجم غير واحد من الأئمة أنفسهم في تواريخهم وذكروا أسماءهم وكناهم في أوائل كتبهم لتعرف نسبتها إليهم فيحصل بها كمال الاعتناء »[2] .

وإذَنْ فليس لنا أن نوجه إلى الفيروزابادي مذمة على تحدثه بنعمة الله تعالى .

الثالث : عابه ابن الطيب على تعرضه لداء الذئب في مادة ذأب ، فقال :

« تعرض المصنف لداء الذئب الذي هو الجوع مع شدة قبحه مضافاً
مجرداً وترك ضده مما هو مشهور بين الأدباء واللغويين منها داء

---

(١) إضاءة الراموس ج ١ ص ٨٨ .

(٢) إضاءة الراموس ج ١ ص ٨٩ .

الملوك وهو معروف بين الناس ويقال له داء الأكابر وليس المقصود ما يتوهمه الناس من الفاحشة وإنما المراد أنهم في غاية الترفه والتنعم » .

ربما كان تعرض المؤلف لداء الذئب دون داء الملوك يرجع إلى أنه رأى أن الأول غير معروف لكثير من الناس مع أن الثاني معروف لهم كما هو واضح من كلام ابن الطيب ، فأراد أن يحيطهم علماً بما لم يعلموا ، وأن يوفر على نفسه وعليهم مئونة التعريف بما عرفوا ، فذكر الأول في معجمه وترك الآخر ليكون ما جاء في كتابه مطابقاً لمقتضى الحال .

ومن ثم أرى أن ما فعله الفيروزابادي لا غبار عليه ، ولا يحسن أن يعاب عليه .

ويضاف إلى ما تقدم أن المؤلف قد ذكر بعض الأدواء الأخرى التي يصاب بها بعض أنواع الحيوان ، وتنتقل إلى الإنسان ، كداء الكلب ، فقصر اعتراض الفاسي على ذكر داء الذئب دون غيره من أدواء الحيوانات الأخرى لا مبرر له .

٣ ـ أشهر النقاد غير هذين العالمين :

ولا يتسع المقام ، للإفاضة في ذكر ألوان أخرى من النقد الذي وجهه للقاموس سائر العلماء ، فنكتفي بأن نشير إشارة سريعة ، إلى أشهرهم :

١ ـ بدر الدين القرافي المالكي المصري[١] ، في كتابه (القول المأنوس بتحرير ما في القاموس)[٢] : وهو يتضمن تعليقاً على شرح القاموس لمواده بما يوضحه أو يوجهه أو يُخرِّجه ، وما فيه من اختلاف في الرأي قليل جداً، على أن هذا الخلاف يمكن تخريجه بسهولة على وجه صحيح لكل من

---

(١) هو العلامة محمد بن يحيى بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين القرافي المالكي المصري من علماء القرن الحادي عشر الهجري (توفي ١٠٠٨ هـ) .

(٢) هذا الكتاب مخطوط بخط رديء تصعب قراءته ، ولم توضع أرقام مسلسلة لصفحاته ، ولم يبين عليه اسم الناسخ ، ولا تاريخ النسخ ، ولا تاريخ التأليف ، وهو بدار الكتب المصرية (لغة خط ٤٣) .

المؤلف والناقد بحيث لا نجد صاحب القاموس في النهايةمقصراً ، وكذلك في كتابه (بهجةالنفوس في المحاكمة بين الصحاح والقاموس) .

أما كتابه (القول المأنوس بشرح مغلق القاموس) [1] فهو شرح له على خطبة القاموس ، ابتدأها بمقدمة في ترجمة صاحبه وبيان مؤلفاته ، وما قيل فيه من المدح .

٢ ـ الإمام أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي المغربي ، في كتابه (فتح القدّوس ، في شرح خطبة القاموس) وذيله (إضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح صاحب القاموس) [2] وليس في هذا الكتاب ما يستحق التقدير ، فمعظمه يدور حول شرح كلمة لا يبعد أن يكون لها أو لما جاء عنها بالقاموس وجه أو تخريج لعود ضمير أو نحو ذلك . وقد نظمه الكردودي قاضي طنجة سنة ١٢٦٨ ه في كتابه المسمى (حلية العروس ، نظم إضاءة الأدموس) .

٣ ـ أحمد تيمور صاحب كتاب (تصحيح القاموس المحيط) الذي طبع سنة ١٣٤٣ هبالمطبعة السلفية بالقاهرة ، وكان المؤلف يرمي إلى تصحيح الأخطاء ، التي وقعت في مطبوعة بولاق سنة ١٣٠٣ ه من القاموس فدوّن التصويبات على هامش نسخته وضم إليها ثلاثة تعليقات منشورة في مجلتي الضياء ولغة العرب ، رداً على موضع أخذه محمد سعد الله من القول المأنوس على القاموس . واهتم المؤلف بالأخطاء الكبيرة والتافهة لأن الناس يثقون بالمعاجم وبالقاموس ثقة كبيرة . واعتمد في تصويباته على ثماني نسخ من القاموس غير نسخته المدمجة في تاج العروس ووصف كل واحدة من هذه النسخ في مقدمته وصفاً موجزاً .

---

(١) هذا الكتاب بدار الكتب المصرية في مجلد واحد (لغة خط ١١ م) وهو مخطوط سنة ١٠٥٨ ه .

(٢) هذا الكتاب ضمن مجموعة مخطوطة بخط رديء يتعذر قراءته ولم ترقم صفحاته ، وقد خطه التركزي سنة ١٢٩٧ ه (لغة خط ٢٤ ش و٨٦٩ لغة بدار الكتب المصرية) ولم يبين عليه صاحبه التاريخ الذي ألفه فيه . وقد توفي الإمام أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السجلماسي المغربي سنة ١٠٧٠ ه(أي في القرن الحادي عشر الهجري) .

ورتب كتابه على ترتيب القاموس كما فعل في لسان العرب لأنهما توءمان في نهجهما ، فقدم المادة فالجزء فالصفحة فالسطر بين قوسين كبيرين لتمييزها عن الكلام ، ثم ذكر عبارة القاموس وبيّن ما فيها من خطأ ويختم بالصواب ومصادره أو شواهده في بعض الأحيان .

بقي أن نذكر من بين نقاد القاموس :

١ ـ الشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني صاحب فلك القاموس [1] الذي علل في كتابه هذا إعجاب الناس بالقاموس وظروف تأليفه وتأليف الصحاح ، وتتبع فيه ما ادعى المجد وغيره أن الصحاح وهم فيه ودافع عنه معتمداً على شيخه محمد صديق صاحب البلغة .

٢ ـ بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول [2] .

٣ ـ الإمام محمد بن عبدالرءوف المُنَاوي المتوفى سنة ١٠٣١ هـ [3] في كتابه شرح خطبة القاموس المخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦ م لغة .

٤ ـ الإمام العلامة أبو الوفا نصر الهوريني المصري المتوفى سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) وهو من تلاميذ الإرساليات المصرية في زمن محمد علي . تفقه في فرنسا وأقام بها مدة ثم عاد إلى مصر [4] .

٥ ـ الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي الملقب بالقاري صاحب الناموس . [5]

---

(١) هو عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب اليمني ولد في سنة ١١٣٥ هـ بكوكبان ، وكان من خيرة العلماء وتوفي سنة ١٢٠٧ هـ (البدر الطالع ١ : ٣٦٠) .

(٢) هو محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الملقب بهاء الدين ، ولد في بعلبك واستقر في أصفهان ، وألف في علوم اللغة والشريعة والفلك والحساب ، وتوفي سنة ١٠٠٣ هـ (تاريخ آداب اللغة ٢ : ٣٢٩) .

(٣) قيل مات سنة ١٠٢٩ هـ أو التي بعدها وليس له ترجمة مبسوطة (البدر الطالع ١ : ٣٥٧) .

(٤) تاريخ آداب اللغة ٤ : ٢٢٥ .

(٥) ولد بهراة ، واستقر بمكة ، وأخذ عن جماعة من المحققين وتوفي سنة ١٠١٤ هـ (البدر الطالع ١ : ٤٤٥ - ٤٤٦) .

٦ ـ السيد علي خان صاحب كتاب طراز اللغة وكتاب السلافة وكتاب أنوار الربيع في علم البديع وغيرها[١]

٧ ـ السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس من شرح جواهر القاموس[٢].

٨ ـ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز التادلي ، في كتابه (الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح) ، وواضح من عنوان الكتاب أن مؤلفه يهدف إلى الرد على نقد الفيروزابادي للصحاح ، وقد اتبع في ترتيب كتابه ، ترتيب الفيروزابادي والجوهري واعتذر عن عدم توسعه في القول بقلة المراجع بين يديه مشيراً إلى آداب القدماء في النقد ليعيب الفيروزابادي ويسير هو عليها . ويظهر أن من مراجعه المجمل لابن فارس ومختصر العين للزبيدي والمغرب للمطرزي والمصباح المنير وحواشي ابن بري وأدب الكاتب لابن قتيبة والمشارق لعياض وغيرها من كتب اللغة والنحو والصرف والعروض والأدب والتاريخ . وكان دفاعه منصباً على تبرئة الصحاح مما وجهه إليه الفيروزابادي فيما يتعلق بالتصحيف وسوء التفسير والخلط بين المهموز والمعتل وبين الواوي واليائي والخطأ في القواعد الصرفية والنحوية واللغوية وفي وضع الألفاظ وفي الآثار ونحوها حتى كاد ينتهي إلى أن المجد في توهيمه الصحاح ركب الشطط فجانبه الصواب .

أعمال أخرى دارت حول القاموس :

على أنه قد دارت حول القاموس المحيط دراسات أخرى كثيرة متنوعة ، ظهرت فيها رسائل شتى ، لكن ما زال بعضها مفقوداً[٣] .

---

(١) الجاسوس ص ٤٦٢ .

(٢) هو أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي ولد سنة ١١٤٥ هـ ونشأ باليمن وارتحل إلى مصر وسطع نجمه فيها واستمر بها إلى أن مات سنة ١٢٠٥ هـ .

(٣) المعجم العربي ٢ : ٦٠٣ .

ومما هو مذكور في شرح خطبة القاموس :

١ ـ كتاب أبي الروح عيسى بن عبد الرحيم الكجراتي ، أشار إليه صاحب التاج ، وهو متوسط الحجم .

٢ ـ كتاب ميرزا علي الشيرازي ، أشار إليه صاحب التاج أيضاً .

٣ ـ كتاب أحمد بن مسعود الهركامي الهندي ، متوسط الحجم .

ولم نعرف من كتب التهذيب إلاّ كتاب منتهى الأرب ، قال محمد صديق صاحب البلغة : « ومن جملة عنايتهم به أن بعضهم رتبه على نمط المصباح باعتبار الأول والثاني والثالث وسماه منتهى الأرب ولم يتعد ما أورده المجد »[1] .

ومن أسماء كتب الاستدراك :

١ ـ كتاب المناوي ، مجلد لطيف ، ذكره صاحب التاج .

٢ ـ كتاب رجل الطاووس لمحمد بن رسول البرزنجي ، ذكره صاحب التاج .

٣ ـ كتاب علي بن محمد معصوم الحسيني الفارسي ، ذكره صاحب التاج.

٤ ـ كتاب كان السيوطي ينوي تأليفه ، قال : « ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للنواد والشواذ فقد فاته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة حتى هممت أن أجمعها في جزء مذيلا عليه » .

٥ ـ كتاب ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس ، المنسوب إلى العلامة والحبر الفهامة الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي رحمه الله ، كما هو مذكور في صفحة العنوان ولكن مالكه أنكر ذلك . وتقتني دار الكتب المصرية نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب برقمي ١٢٢ و٣٠٥ لغة .

واهتديت من الحواشي إلى الأسماء التالية :

١ ـ القول المأنوس لعبد الباسط بن خليل الحنفي المتوفى ٩٢٠ هـ .

---

(١) البلغة ١١١ .

٢ ـ حاشية سعد الله بن عيسى المعروف بسعدي حلبي وهي تقييدات كتبها في هوامش نسخته من القاموس ثم جمعها ودوّنها في كتاب عبد الرحمن ابن علي الأماسي المتوفى سنة ٩٨٣ هـ .

٣ ـ حاشية نور الدين علي بن غانم المقدسي المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ وهي متوسطة الحجم .

٤ ـ حاشية أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الفيلالي . قال صاحب التاج : « شرحه شرحاً حسناً ، رقي به بين المحققين المقام الأسني ، وقد حدثنا عنه بعض شيوخنا » .

٥ ـ حاشية ابن الأمير ، ذكرها محمد سعد الله .

ويظهر أن السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس هو ، وحده ، الذي شرح القاموس المحيط ، إذا أغضينا عما قيل عن كتاب ملا علي القاري الهروي الذي إختلف العلماء بشأنه ، وعما قيل عن حاشية أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الفيلالي التي لم نستطع العثور عليها بشتى المحاولات .

هذه خلاصة موجزة لألوان من النقد الذي وجه إلى القاموس ، ذكرناها ، لنعطي القارىء فكرة عامة عن مدى دقة الناقدين في نقدهم ومبلغ تحاملهم على الفيروزابادي .

ولعلك قد رأيت ، أنها من باب النقد الخفيف الذي لا يكاد يمس جوهر الموضوع ، فهي لذلك ـ كما ذكرنا ـ لا تغض من قيمة القاموس باعتباره معجماً عربياً ، يعتمد عليه في حل كثير من المشكلات اللغوية ، ويعتد به في تفسير ما غمض من ألفاظ اللغة العربية .

ونحن نرى أن هذه حقيقة واقعية ، إذ أن القاموس المحيط ، لا يزال على الرغم من ذلك النقد على اختلاف أنواعه وضروبه ، يعد في مقدمة معاجم اللغة النافعة الجليلة القدر العظيمة الشأن .

الباب الخامس

نظرات عامّة

١ – مكانة القاموس المحيط بين معاجم اللغة العربية
٢ – نتائج البحث

١ ـ مكانة القاموس بين المعاجم العربية

صنف القاضي مجد الدين الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، جامعا لمواد اللغة ، وكان فخوراً به ، فقد أطراه في خطبته ، وبيّن أنه انتقاه من ألفي كتاب من خير الكتب ، وذلك حيث يقول :

« وكتابي هذا بحمد الله تعالى صريح ألفي مصنف من الكتب الفاخرة ، وسنيح ألفي قلمس من العيالم الزاخرة »[1].

ويستطرد فيقول مبينا مدى استعداده لتأليف المعاجم :

« واني قد نبغت في هذا الفن قديماً ، وصبغت به أديما ، ولم أزل في خدمته مستديما »[2] حتى أَلَّفَ كتابه ، وأخرجه للناس أفضل معجم في لغة عدنان « ففاق (في نظره) كل مؤلف في هذا الفن » وصار جديراً بأن يهدى إلى العظماء ، لعلو مكانته ، فقدمه إلى السلطان الملك الأشرف اسماعيل احد سلاطين آل رسول في بلاد اليمن .

عرف أئمة اللغة والأدب قيمة هذا الكتاب ، وكانت له بينهم منزلة سامية ، يقول صاحب الجاسوس :

« وقد جرت عادة الناس غالبا انهم لا يفتحون القاموس إلاَّ إذا احتاجوا إلى البحث فيه عن كلمة جهلوا معناها ، وعزب عنهم مغزاها ، فإذا وجدوها

---

(١) خطبة القاموس ص ٧ .   (٢) خطبة القاموس ص ٣ .

هللوا وكبروا ، وزادوا في تعظيمه وأكثروا ، وتمكن اعتقادهم أنه جامع لجميع اللغات فلا حاجة إلى غيره من المؤلفات ، وإلا شكّوا في صواب بحثهم أو في صحة نقل راويها ، وقالوا لوكانت كلمة لغوية لما ضن بشرح معانيها ، حتى أنهم سموا كل كتاب الف في اللغة قاموساً »[1] .

وعندي أن لا خير في هذا الاعتقاد الذي يُعَوِّقُ البحث العلمي الحر ، ويحول بينه وبين الحقيقة المنشودة ، فلا أظن معجما لغويا جمع لغات العرب كلها ، بل المعروف أن المعاجم يكمل بعضها بعضا ، وتتعاون جميعاً في الاحاطة بمادة اللغة ، فربما لا يفوت بعضها ما فات البعض الآخر .

وقد أَدرك صاحب الجاسوس ما لهذا الاعتقاد من ضرر ، فقال « وهو أضر شيء بطلبة العلم لأنه اذا رأى أحدهم كلمة في بعض الدواوين مثلا ولم يجدها في القاموس وهو معتقد أنه بحر محيط أنكرها ورمى قائلها بالتغليط »[2] .

لكني استطيع أن أقول ان هذا الاعتقاد الآنف يعرض أمام الانظار صورة لمكانة القاموس المحيط بين معاجم اللغة ، ويدلنا على أنه كان ملء القلب والسمع والبصر ، يجله العلماء ، ويحبه الطلاب ، ويعتبره أهل اللغة في الصف الأول من معاجم اللغة التي يوثق بها إلى حد بعيد جداً .

روى صاحب الجاسوس أنه « جرى أيضاً مذ عهد قريب ذكر كتب اللغة بحضرة عالم من علماء الشام الأعلام ، فقال : قد وجدت القاموس أجمع للغة من لسان العرب ، فاني طابقت ما بينهما في معاني لفظة العجوز فوجدت القاموس قد زاد على اللسان بخمسة معان »[3]

وهاك معاني تلك اللفظة في المعجمين :

في القاموس :

« أَيَّامُ العَجُوزِ صِنٌّ وصِنَّبْرٌ وَوَبْرٌ والْآمِرُ والْمُؤتَمِرُ وَالمُعَلِّلُ ومُطْفِئُ الجَمْرِ أَوْ مُكْفِئُ الظَّعْنِ وَالعَجُوزُ الإِبْرَةُ وَالْأَرْضُ وَالْأَرْنَبُ وَالأَسَدُ وَالْأَلْفُ مِنْ كُلِّ

---

(١) الجاسوس ص ٥٣ . (٢) الجاسوس ص ٥٣ . (٣) الجاسوس ٥٣ – ٥٤ .

شَيءٍ ، وَالْبِئْرُ وَالْبَحْرُ وَالْبَطَلُ وَالْبَقَرَةُ وَالتَّاجِرُ وَالتُّرْسُ وَالتَّوْبَةُ وَالثَّوْرُ والجَائِعُ وَالجَعْبَةُ وَالجَفْنَةُ وَالْجُوعُ وَجَهَنَّمُ وَالْحَرْبُ وَالْحَرْبَةُ وَالْحُمَّى وَالْخِلاَفَـةُ وَالْخَمْرُ وَالْخَيْمَةُ وَدَارَةُ الشَّمْسِ وَالدَّاهِيَةُ والدِّرْعُ للْمَرْأَةِ وَالدُّنْيَا وَالـذِّئْبُ وَالذِّئْبَةُ وَالرَّايَةُ والرَّخَمُ والرَّعْشَةُ والرَّمَكَةُ وَرَمْلَةٌ م وَالسَّفِينَةُ وَالسَّمَاءُ وَالسَّمْنُ وَالسَّمُومُ والسَّنَةُ وشَجَرٌ م وَالشَّمْسُ وَالشَّيخُ والشيخةُ وَلاَ تَقُلْ عَجُوزَةٌ أو هي لُغَيَّةُ رَديئَةٌ ج عَجائِزُ وَعُجُزٌ وَالصَّحِيفةُ والصَّنْجَةُ وَالصَّوْمَعَةُ وَضَرْبٌ مِنَ الطِّيبِ وَالضَّبُعُ وَالطريقُ وَطَعَامٌ يُتَّخَذُ مِنْ نَبَاتٍ بَحْرِيٍّ وَالعَاجِزُ والعَافِيَةُ وَعَانَةُ الْوَحْشِ وَالْعَقْرَبُ وَالفَرَسُ وَالفِضَّةُ وَالقِبْلَةُ وَالْقِدْرُ وَالْقَرْيَةُ وَالْقَوْسُ وَالْقِيَامَةُ وَالْكَتِيبَةُ وَالْكَعْبَةُ وَالْكَلْبُ وَالمَرْأَةُ شَابَّة كَانَتْ أو عَجوزاً والمُسَافِرُ وَالمِسْكُ وَمِسْمَارٌ في قَبْضَةِ السَّيْفِ وَالَمِلكُ وَمَنَاصِبُ القِدْرِ وَالنَّارُ وَالنَّاقَةُ وَالنَّخْلَةُ وَنَصْلُ السَّيْفِ وَالْوِلاَيَةُ وَالْيَـدُ اليمنى . »

وفي لسان العرب :

أيام العجوز عند العرب خمسة أيام صِنّ وصِنَّبْرٌ وأخيهما وَبْرٌ ومُطْفِيءُ الْجَمْرِ ومُكْفِيءُ الظَّعَن .. وقال أبو الغوث هي سبعة أيام .... العجوز والعجوزة من النساء الشيخة الهرمة الأخيرة قليلة .... قال الأزهري ، والعرب تقول لامرأة الرجل وإن كانت شابة هي عَجوزة ، وللزوج وان كان حدثا هوشيخها ... ويقال للرجل عجوز وللمرأة عجوز ... ونوى العجوز ضرب من النوى هَشٌّ تأكله العجوز للينه ... العجوز الخمر لقدمها قال الشاعر :

لَيْتَـــهُ جَـــامُ فِضَّـةٍ من هدايا سوى مـا بـه الأميرُ مُجيـزي

إنمـا أَبْتَغِـيهِ للْعَسَلِ الْمَمْـزوجِ بالمـاءِ لا لِشُرْبِ الْعَجُـوز

في التهذيب يقال للخمر إذا عَتقت عجوز .. والعجوز القِبْلَة ...

والعجوز البقرة ... والعجوز نصل السيف ...

وهي في الأول تزيد على الثاني بأكثر من خمسة معان .

ويظهر أن معاني هذه اللفظة كثيرة جداً ، أحصي الفيروزابادي منها حوالي خمسة وثمانين ، ورتبها على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول لمعناها .

أما صاحب تاج العروس فقد تتبع كلام العرب ، واستدرك على الفيروزابادي بضعة وعشرين معنى ، وهي المنية والنميمة وضرب من التمر وجرو الكلب والغراب واسم فرس بعينه ويقال لها كحيلة العجوز والتحكم والسيف والكنانة واسم نبات والمؤاخذة بالعقاب والمبالغة في العجز والثوب والسنور والكف والثعلب والذهب والرمل والصحفة والآخرة والأنف والعرج والحب والخصلة الذميمة .

وقد أكثر الأدباء من جمع هذه المعاني في قصائد كثيرة حسنة ، ذكر منها السيد مرتضى الزَّبيدي مؤلف تاج العروس قصيدة للشيخ يوسف بن عمران الحلبي يمدح قاضياً وهي في حوالي ستين بيتاً :

أولها :

لحاظ دونها غول العجوز وشكت ضعف أضعاف العجوز (الأولى المنية والثانية الإبرة)

لحاظ رشالها أشراك جفن فكم قنصت مثالي من عجوز (الأسد)

ولم أصمت ولم تعرف محباً كما الكسعيّ في رمي العجوز (حمار الوحش)

وآخرها :

ركبت إلى المعالي طرف عزم حماه الله من شين العجوز (العرج)

وذكر الزَّبيدي قصيدة أخرى كهذه للعلامة جمال الدين محمد بن عيسى ابن أصبغ الأزدي اللغوي ، أولها :

ألا تب عن معاطاة العجوز ونهنه عن مواطأة العجوز

ولا تركب عجوزاً في عجوز ولا روع ولا تك بالعجوز

وهي طويلة ، والعجوز الأول الخمر ، والثاني المرأة المسنة ، والثالث الخصلة الذميمة ، والرابع الحب ، والخامس العاجز .

وقال صاحب الجاسوس انه « جرى يوماً بحضرة بعض أمراء الآستانة ذوي القدر والمكانة ذكر القاموس فجعل يطنب في مدحه ، وزعم أنه جمع اللغة بأصولها وفروعها فقلت له ليس الأمر كذلك فقد فاته ألفاظ كثيرة وردت في

القرآن العظيم وفي الحديث وفي أشعار العرب وناهيك أنه أهمل الرحمن والرحيم واجتزأ عنهما بذكر رحمويه وغيره من أسماء الأعلام ، فقال يا غلام عليَّ بالأقيانوس وهو ترجمة القاموس للعلامة النحرير السيد أحمد عاصم أفندي الشهير فأتاه به فبحث فيه فوجد الكلمتين في الترجمة فقال قد وجدتهما ، فكيف أنكرتهما ، فقلت إن ما بين المتن والشرح نحو خمسة قرون ، فكيف تجعل الترجمة متناً ؟

فهذا الاعتقاد في إحاطة القاموس قد تمكن في الكبير والصغير ، والجليل والحقير من العرب والعجم » . [1]

وقال صاحب الفلك : « انه لا يستغنى عن القاموس لما فيه من الزيادات النفيسة التي لا توجد في سواه منها : ذكر رجال الحديث وغيرهم مع ضبطهم ، ومنها : تخليص الواو من الياء ، ومنها : زيادات لا توجد في الصحاح ، وتكملته ، وإن كانت يسيرة كدارات العرب » [2].

ومدحه كثير من الشعراء :

قال أحدهم :

أيا طالبا لكلام العرب	ومبتغياً فيه نيل الأرب
عليك بهذا الكتاب الذي	ترقى من الفضل أعلى الرتب
وأجمع كل الورى أنه	أجل تصانيف أهل الأدب
ولو أنصفوه إذا نمقوه	لما خُطَّ إلاَّ بماء الذهب [3]

وقال عبد الله الفيومي :

لله قاموس يطيب وروده	أغنى الورى عن كل معنى أزهر
لَفَظَ الصِّحَاحَ بلفظه والبحر من	عاداته يلقي صحاح الجوهري [4]

وقال عبد الله بن علي الوزير :

لمجد الدين في القاموس مجد	وفخر لا يوازيه موازي

---

(١) الجاسوس ص ٥٣ – ٥٤ . (٢) فلك القاموس ص ٢٤ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٣٠٦ . (٤) البلغة في أصول اللغة ص ١٥٠ .

أصح من الصحاح بغير شك وإن خلط الحقيقة بالمجاز [1]

ولم يكن الاهتمام بالاطلاع على القاموس مقصوراً على الرجال فحسب ، بل إنه شمل النساء أيضاً ، فقد استطرفت أديبة عصرها زينب بنت أحمد بن محمد الحسنية المتوفاة بشهارة سنة ١١١٤ هـ إذ كتبت إلى السيد موسى بن المتوكل تطلب منه القاموس :

مولاي موسى بالذي سمك السما وبحق من في اليم ألقى موسى
أمنن علي بعارة مردودة واسمح بفضلك وابعث القاموسا [2]

ويمكن أن نطمئن إلى أقوال أولئك النقاد ، بعد أن نغض الطرف عما قد يشوب بعضها من مبالغات .

ويكفينا أن يكون هناك إجماع تقريباً على ما كان للقاموس من سمو المكانة ، وعلو المنزلة ، وعلى أنه معجم متدفق حيوية ونشاطاً ، غزا القلوب ولا يزال يعمرها ، وهو إلى يومنا ، يفيض جدة وقوة ، ويبعث في أوساط المتعلمين أضواء لامعة .

وقد تُمْسِي المعاجم القديمة مراجع تاريخية ، ومراحل أثرية ، في سير الحياة اللغوية العربية ، وهو باق على شبابه ونضارته ، قادر على أن يحيا حياة غير أثرية ، ويقيّم غير تلك القيمة التاريخية ، جرياً على سنة البقاء للأصلح .

والواقع أنهجدير بذلك ، فقد اختص بميزات جعلته موضعاً لكل تقدير ، أشار إليها صاحبه في خطبته حين قال : وإذا تأملت صنيعي هذا وجدته مشتملاً على فرائد أثيرة ، وفوائد كثيرة ، من حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ... والجمع ومعروف » [3].

فالقاموس بهذا الصنيع الذي وصفه مؤلفه يقدم لنا عناصر واضحة من خصائصه : كحسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وتخليص الواوي من اليائي ، والضبط ، والرموز الحرفية ، والتعريب ، والتعرض

(١) البلغة ص ١٥١ . (٢) شرح خطبة القاموس للهوريني ص ١٦ .
(٣) خطبة القاموس ص ٣ – ٤ .

لمسائل طبية نافعة ، وذكر أعلام الثقافة العربية ، وغيرها على نحو ما فَصَّلْنَا في الباب الثالث .

ولست أرى واحداً من المعاجم التي ظهرت إلى عصره يزاحمه فيما ائتلف به من هذه الميزات مجتمعة ، والذي سبقه إلى شيء منها لم يكن ناضجاً في استغلال ما سبق به تمام النضوج كالمحكم في الإيجاز وتخليص الواو من الياء مثلاً .

فهو إذَنْ معجم له فضله ومآثره في صون العربية للناطقين بها في جميع بقاع الأرض . وقد قَدَرُوهُ قدره ، فآثروه بحبهم ، وجعلوا له الصدارة بين كتبهم .

ولا يقدح فيه ، أو يؤثر في منزلته ، ما أشرت إليه من نقد في الباب الرابع من هذا الكتاب ، فتلك هنات لا يعتد بها ، بالنسبة لما امتاز به من خصائص .

غير أني لا أستطيع أن أنكر ما لِسُنَّةِ التطور من أثر في حياة معجم اللغة العربية . ففي هذا العصر ظهرت نهضة معجمية مباركة ، تزعمها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأخذ يبتكر المناهج ، ويتدبر أحدث الوسائل لوضع معجم شامل يفي بالمطالب اللغوية العصرية ، ويواجه المخترعات الجديدة ويساير هذه الأزمنة النابضة المتجددة ، ويجعل الضاد حية نامية ، يتحرك فيها الدم الحار إلى أن يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات .

حاجة اللغة العربية إلى معجم مطول حديث :

لو كان الفيروزابادي حيّاً ، وأراد أن يضع معجماً حديثاً مطولاً ، لبناه على المبادئ العامة الآتية :

أ ـ في مواده :

١ ـ ذكر الألفاظ اللغوية التي وردت في جميع معاجم اللغة العربية التي ظهرت قبله محررة مما أصاب بعضها من تصحيف . وكذلك الألفاظ التي وردت في غيرها من أمهات كتب اللغة والأدب ودواوين الشعر وكتب العلوم والفنون وما وضعه المحدثون من ألفاظ ومصطلحات وتلقاها الناس بالقبول ، مع ذكر الشواهد التي وردت فيها من آيات

قرآنية وأحاديث نبوية وشعر صحيح منسوب لقائليه على أن تخرج الأحاديث وترقم الآيات وسورها .

٢ ـ الإشارة بقدر الإمكان إلى المراحل التي قطعتها الكلمة من حيث تطورها ودلالتها على معناها في مختلف العصور فبعض الألفاظ كانت شائعة مألوفة في عصر ما ثم هجرت أو تغيرت دلالتها في عصر آخر وكانت حقيقة لغوية ثم أصبحت مصطلحاً من المصطلحات كالألفاظ الدينية الإسلامية ومصطلحات العلوم العربية وغيرها ، فيجب أن يشار إلى ذلك كله .

٣ ـ إيراد ملخص موجز جامع لكل حرف من حروف المباني والمعاني وأدوات الاستفهام والجزم والنصب والشرط وغيرها ، كما فعل دوزي وفيشر .

٤ ـ العناية بإيضاح معاني الكلمات المراد شرحها إيضاحاً يذهب بكل غموض ولا تلتزم الشروح القديمة إذا لم تكن كذلك ، مع تحديد هذه المعاني تحديداً دقيقاً جامعاً مانعاً يقضي على كل خلاف وتردد ، ويعنى بإيراد كل ما له علاقة بتفسير اللفظ من نوادر العرب وأخبارهم وأنسابهم .

٥ ـ لا يجوز أن نفسر اللفظ تفسيراً قاصراً ، كتفسير النوم بالنعاس ، بل يجب شرحه شرحاً علمياً كأن نقول في تفسير النوم انه فقد الشعور بالعالم الخارجي من ركود الحواس أو هو ركود الحواس وفقد الشعور بالعالم الخارجي .

٦ – ولا يكتفى بالرموز المبهمة مثل م (معروف) ، ع (موضع) ، ويمكن استبقاء بعض الرموز التي لا يشوبها غموض في الشرح مثل (ج) للجمع ، (و) أو (ي) للدلالة على أصل حرف العلة في الكلمة. (ة) للدلالة على المؤنث .

٧ ـ ينبغي تحديد معاني أسماء النبات والحيوان والمعادن والأحجار والنجوم والآلات على وفق الشروح العلمية الصحيحة مع التصوير ، ولا يكتفى

بالقول .

٨ ـ يذكر من أسماء البلاد والمواضع ما ورد في جميع المعاجم ثم ما ورد في الأدب العربي شعره ونثره محدوداً ظاهر الدلالة ، كما ينبغي ذكر أسماء القارات والعواصم الكبرى والأجزاء الشهيرة من الكرة الأرضية وأسماء الرجال منسوبة إلى بلادهم ، وأسماء أشهر الآلهة والأدباء في العالم العربي .

٩ ـ تقديم المعاني الحقيقية على المعاني المجازية كما فعل الزمخشري في الأساس والراغب في المفردات مع بيان هذه وتلك .

١٠ ـ تقديم ذكر المعاني العامة على المعاني الخاصة ، والمعاني الحسية على المعاني العقلية ، لأن هذا هو طبيعة اللغة وهو منطقها الفني مع بيان كل منها ، فالأصل في المعاني العموم والحس ثم الانتقال إلى الخصوص والعقل ، كما في القواعد النحوية وغيرها[١] .

١١ ـ إدخال ألفاظ الحضارة الحديثة التي أقرها أئمة العلماء ، على نحو ما يفعل مجمع اللغة العربية الآن .

١٢ ـ عرض ما يتصل بالغريزة الجنسية في أسلوب أدبي مألوف .

١٣ ـ عدم التعرض للمشتقات القياسية للكلمة إلاَّ إذا كان المشتق له معنى جديد .

١٤ ـ عدم إهمال ما في المعجمات من خرافات وأباطيل ما دامت ذات صلة بالألفاظ ، بل تدون في صيغة تدل على أنها زعم خرافي باطل .

١٥ ـ لا يكتفى في ضبط الألفاظ الرئيسة المراد شرحها بالشكل المطبعي بل لا بد من ضبطها بالتمثيل . وعندي أن الضبط بالتمثيل خير من الضبط بالنص على الحركة ، ما دام المثال معروفاً .

١٦ ـ ذكر مصطلحات العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم والفنون

---

(١) المعاجم العربية ١٤٢ .

التي وضعت في القرون الأربعة الأولى ، وما أجمع عليه العلماء من قبل .

١٧ ـ توضيح المعاني بالرسوم والصور وتجنب إحالة معاني الكلمات بعضها على بعض .

١٨ ـ ذكر الحي والميت من الألفاظ أو الفصيح وغير الفصيح والغريب والحوشي والمتروك والمهمل والمذموم مع النص على كل ذلك ليتميز بعض الكلام من بعض .

١٩ ـ العناية بمسائل النحو والصرف التي لا بد منها لبيان المراد من بعض الألفاظ والأساليب على نحو ما في المعجمات الكبرى مثل (سَفِهَ . وقى) [1]

٢٠ ـ النص على غير القياسي من تصاريف الأفعال والجموع وغيرها .

٢١ ـ تخريج القراءات الواردة في ألفاظ القرآن الكريم المطرد منها والشاذ .

ب ـ في تنسيقه :

ينبغي تنسيق هذا المعجم كما يلي :

١ ـ ترتيب المواد ترتيباً هجائياً [2] حسب أول حروفها الأصلية ، فإن اتحدت في الأول روعي الثاني ، وإن اتفقت فيه نظر إلى الثالث وهكذا ، كما في أساس البلاغة للزمخشري .

٢ ـ تقسيم المادة قسمين : أولهما لشرح أفعالها ، والآخر لشرح الأسماء .

٣ ـ وضع المادة الفرعية بعد المادة الأصلية في الفعل ، أي وضع الفعل المزيد بعد المجرد مرتباً حسب أوله على أن يكون المزيد بحرف قبل المزيد بحرفين وهذا قبل المزيد بثلاثة أحرف ، ويراعى الترتيب الهجائي في كل نوع منها على حدة ، على أساس الحرف الأول ومزج الحروف الأصلية بالزائدة كالقواميس الإفرنجية .

---

(١) انظر في هاتين المادتين ونحوهما لسان العرب والقاموس وتهذيب اللغة وغيرها من المطولات .
(٢) المختار لذلك هو الترتيب الهجائي المشرقي المعروف .

وبعد الانتهاء من شرح الفعل المجرد ثم المزيد من المادة ، يشرح الاسم مراعى فيه أن يسبق المجرد مزيده ، والذي فيه حرف زائد واحد قبل ما يكون فيه حرفان ، وهكذا كالفعل .

وإن كان للفعل الثلاثي المجرد وزنان بالنظر لحركة عينه في الماضي ، قدم الأشهر ، كما يقدم المبني للمعلوم على المبني للمجهول .

ويمكن جعل النسق الآتي أسَاسًا لترتيب المادة الثلاثية الأصول :

أ ـ **المجرد** ١ ـ فعَل (بفتح العين) : يفعل : نصر ينصر

يفعل : جلس يجلس

يفعل : ذهب يذهب

٢ ـ فعِل (بكسر العين) : يفعل : فرح يفرح

يفعل : حسب يحسب

٣ ـ فعُل (بضم العين) : يفعل : كرم يكرم

ب ـ **المزيد** ١ ـ بحرف واحد : (١) أفعل (٢) فاعل (٣) فعّـل

٢ ـ بحرفين : (١) افتعل (٢) أفعلّ (٣) انفعل (٤) تفاعل (٥) تفعّل .

٣ ـ بثلاثة حروف : (١) استفعل (٢) أفعالّ (٣) افعوعل (٤) أفعوّل

كما يمكن اتخاذ الترتيب الآتي أساساً لتنسيق المادة الرباعية الأصول :

أ ـ **المجرد** : فعلـل : دحرج

ملحقاته : ١ ـ فعــلى : سَلَقَى أي اسْتَلْقَى

٢ ـ فعنل : قلنس

٣ ـ فعــول : رهوك أي أسرع

٤ ـ فعيـل : شريف أي قطع

٥ ـ فوعـل : جورب

٦ ـ فيعـل : بيطر أي أصلح

ب ـ المزيد : ١ ـ بحرف : تفعلل : تدحرج

٢ ـ بحرفين : ١ ـ افعللّ : اقشعر

١ ـ افعنلل : احرنجم

ملحقاته : ١ ـ بحرف : تفعلى : كتسلقى

تفعول : كترهوك

تفوعل : كتجورب

تفيعل : كتشيطن

تمفعـل : كتمسكن

٢ ـ بحرفين : ١ ـ افعنلل : كاقعنسس

٢ ـ افعنلى : كاسلنقى

ثم تذكر أسماء كل مادة مشروحة عقب الانتهاء من شرح أفعالها كما أسلفنا .

٤ ـ يذكر مضاعف الرباعي بعد الثلاثي المجرد من مادته ، فالفعل زلزل بعد زل ، وقلقل بعد قل ، وهكذا .

٥ ـ ذكر أسماء الأصوات ، إن وجدت ، فأسماء الأعيان ، على أن يقدم من هذا وذاك ما يظن أنه أصل مادته ، ويذكر معه ما يشبهه لفظاً ومعنى من الأسماء السامية وغيرها من اللغات الأخرى ليتيسر الاهتداء إلى أصول الكلمات .

٦ ـ الألفاظ الرباعية الأصول والخماسية الأصول يعتبر كل منها مادة مستقلة ، وترتب أبجدياً إلى الرابع والخامس .

٧ ـ يكتب اللازم من أفعال المادة الواحدة في حيز واحد ، والمتعدي منها في حيز آخر بعده .

٨ ـ الكلمة الأعجمية المعربة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية

في ترتيب المعجم في مراعاة المجرد والمزيد ، ان تصرف العرب فيها بالاشتقاق . أما ما لم يتصرف فيه العرب بالاشتقاق فتعتبر حروفه كلها أصلية ، ويراعى في وضعها حرفها الأول فالثاني فالثالث وهكذا بالترتيب . فكلمة استبرق مثلاً معربة لم تصرفها العرب فتعتبر حروفها كلها أصلية .

٩ ـ الكلمة الأعجمية التي لا يعرف أصلها تذكر في مكانها حسب ترتيب حروفها الهجائية بغير إرجاعها إلى أصل ، قال الشدياق : (إن اعتبار زيادة الحروف في الألفاظ الأعجمية أمر غريب لأن شأن المزيد أن يستغنى عنه بالأصل الذي زيد عليه وهنا ليس كذلك)[١] .

١٠ ـ إذا وردت كلمة جامدة في مادة ، ولا يمكن إرجاعها إلى معنى أصلي فيها تعتبر مادة قائمة بذاتها .

١١ ـ جعل كل كلمة جديدة في أول السطر مع كتابتها مضبوطة بالشكل بحروف كبيرة ووضع خط تحتها يميزها .

١٢ ـ وضع علامة كالنجمة مثلاً قبل كل مادة جديدة ، مع كتابتها بحروف ظاهرة .

١٣ ـ وضع رموز للدخيل معربة ومولدة ، وذكر الأصل الأجنبي للكلمة ، إذا كان معروفاً .

١٤ ـ إذا اختلف اللغويون في اشتقاق كلمة ، يرجح أحد الاشتقاقين ، وتذكر الكلمة إصالة مع شرحها في مادة الاشتقاق ، ثم تذكر وحدها في المادة الثانية ، مع الإحالة في الشرح على المادة الأولى .

١٥ ـ الرمز للكلمة عند ذكر معانيها المختلفة بما يدل عليها كالشرطة مثلاً ، أو على مضارعها ، إن كانت فعلاً كالشرطة عليها حركة عين المضارع (كما في المعجم الوسيط[٢]: المواد : يسر ، بشر ، بصر ، مع تعديل

---

(١) الجاسوس ص ٢٨ .
(٢) وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة مختصراً .

في الترتيب بين الأسماء) .

١٦ ـ القلب : الكلمة التي يدخلها القلب في جميع تصاريفها مثل أستن[1] مقلوب اسنت يذكر مقلوبها في مادة مستقلة . أما إذا جاء القلب في بعض تصاريف الكلمة فقط مثل يتامى وأيامى وآسار وأسآر فإنها تذكر في المادة الأصلية .

١٧ ـ الإبدال : إذا ورد في المعجمات أن كلمة ما دخلها إبدال مثل[2] سِتّ وستة وتعرضت لبيان أصلها وهو سدس وسدسة ، ذكر كل ما يتعلق بهذا الإبدال وأصل الكلمة .

١٨ ـ المضاف : في الكلمات المضافة مثل بيت الابرة وبنت عرس ينظر في خصوصية المعنى فإذا كان الأصل المقصود هو المضاف إليه ، والمضاف جاء تبعاً ذكر في مادة المضاف إليه ، أو الموصوف ، فتذكر مثلاً كلمة بيت الإبرة في مادة أبر وهو المضاف إليه ، وبنت عرس في مادة عرس على أنها الأصل ، ثم تذكر الكلمة وحدها أي بدون شرح في مادة بيت وبنت وهو المضاف ، ويحال الشرح على المادة الأصلية .

---

(١) أَسْتَنَ دخل في السنة ، قَلْبُ أسْنت (انظر مادة الأستن ـ قاموس) .

(٢) مادة الست (قاموس) .

٢ ـ نتائج البحث

انتهيت من دراسة القاموس المحيط على النحو الآنف الذكر إلى النتائج الآتية :

١ ـ أن معجم اللغة العربية ولد في العصر العباسي الأول واكتمل نموه في القرن الرابع الهجري .

٢ ـ أن الخليل بن أحمد هوأول من فكر في عمل معجم كبير مطول بوضعه كتاب العين .

٣ ـ أنه قبل الفيروزابادي ، اشتهر للمعجم أربع مدارس :
الأولى ، مدرسة الخليل بن أحمد صاحب العين .
الثانية ، مدرسة ابن دريد صاحب الجمهرة .
الثالثة ، مدرسة الجوهري صاحب الصحاح .
الرابعة مدرسة ابن فارس صاحب المجمل والمقاييس ، والهروي صاحب الغريبين .

٤ ـ أن القاموس المحيط سار في ترتيب مواده على طريقة مدرسة الجوهري .

٥ ـ أن الفيروزابادي اعتمد في تصنيف كتابه على ألوان من المراجع الثقافية المتنوعة ، أهمها كتب اللغة، وكتب الطب ، وكتب التاريخ ، وكتب الجغرافية .

٦ ــ أن تصنيف هذا المعجم ، تم خلال فترة من الزمن ، تمتد من سنة ٧٦٨ هـ إلى سنة ٨٠٣ هـ أي حوالي خمس وثلاثين سنة ، كان الفيروزابادي في أثنائها يتنقل في البلاد من العراق إلى الشام إلى الحجاز إلى مصر إلى اليمن .

٧ ــ أن هذا المعجم يشتمل على ستين ألف مادة ــ والمقصود بالمادة في الغالب ، الفعل أو المصدر وما تصرف منه أو التحق به .

٨ ــ أن الفيروزابادي ، بعد أن انتهى من تصنيف معجمه ، كتب له بخطه ثلاث نسخ ، امتازت كل نسخة عن سابقتها بزيادات مفيدة ، وقرئت عليه نسخة شهيرة خطها أبو بكر بن يوسف بن عثمان المغربي الحميدي (في عشرين رجب سنة ٨١٤ هـ) ، وهي النسخة الرسولية الصلاحية الناصرية التي لا تزال موجودة بمكتبة الكوبرلي بالآستانة إلى اليوم ، في حالة جيدة ، وهذه النسخة نقلها الشيخ محمد محمود الشنقيطي بخطه ، وعلى نسخته هذه المحفوظة بدار الكتب المصرية اعتمدت أغلب المطابع في نشر القاموس .

٩ ــ أن المؤلف قدم كتابه هدية للسلطان الملك الأشرف إسماعيل بن عباس صاحب اليمن الذي صاهره وولاه قضاء البلاد اليمنية .

١٠ ــ أن الفيروزابادي اتبع في شرح مواد القاموس الطريقة التي اتبعها أغلب المعجميين من قبله من حيث ترتيب ألفاظ كل مادة تناولها بالشرح ، وإن كَانَ قَدْ خَالَفَهُمْ في التزام الإيجاز والاختصار في التفسير .

١١ ــ أن له فيه اصطلاحات مبتكرة مثل الرموز الحرفية ، وإيثار القياس ، وتحديد استعمال كاف التشبيه ، وأو العاطفة ، واصطلاحات تقليدية مثل الضبط ، والإشارة إلى المنصرف وغيره ، والعَلَم ، والمذكر والمؤنث .

١٢ ــ أنه أشهر من ضبط الكلمات بالنص أو بالوزن أو بهما ، وأول من وضع رموزاً حرفية في الشرح .

١٣ ــ أنه قد توافرت في قاموسه خصائص لم تجتمع في غيره من معاجم اللغة كالضبط ، وحسن الاختصار ، وغزارة المادة ، والتعريف بأشهر أعلام الثقافة العربية ، وأسماء الأمكنة والبقاع .

١٤ ــ أنه عني عناية بارزة بذكر الدخيل ، والتحدث عن العقاقير والأدوية والأمراض ، والأمور الجنسية .

١٥ ــ أن بعض النقاد وجه إليه مآخذ ، ناقشتها في الباب الرابع ، لأحق الحق ، وأبطل الباطل ، وانتهيت في أغلبها إلى أن كثيراً من أولئك النقاد تحاملوا عليه .

وما أصابوا فيه لم يكن شيئاً مذكوراً ، ولعله لا يقدح في هذا الكتاب القيم .

وقد ختمت البحث باقتراحات ، لتأليف معجم مطول حديث ، يكون مسايراً للحركة العلمية الحاضرة ، مؤازراً للضاد في مواجهة التطورات المعاصرة ، ويعتبر المعجم اللغوي الذي يواكب النهضة الحديثة للعالم الإسلامي .

١٦ ــ أن القاموس معجم قيم ، عمت شهرته مشارق الأرض ومغاربها ، وقويت ثقة الناس به قوة ظاهرة ، ولا زال مرجعاً خصباً لأهل اللغة إلى يومنا ، محاسنه واضحة أمام العيون ، تجذب الأنظار ، وتستهوي العقول .

وقد قَدَرَهُ الأكثرون ، ووضعوه على رأس المعاجم الشهيرة . وفي الحق أنه عند حسن ظن الباحثين جميعاً ، لما اختص به من ميزات عظيمة ، لها أثرها في رفعة شأنه ، وبقائه إلى ما شاء الله أن يبقى .

(١) ص ٣٩٧ من هذا الكتاب .

أهم المراجع

١ ـ المراجع المخطوطة

٢ ـ المراجع المطبوعة

٣ ـ المراجع الافرنجية .

١ ـ المراجع المخطوطة :

١ ـ ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس .
مجهول المؤلف (لغة خط رقم ١٢٢ دار الكتب المصرية) .

٢ ـ أبنية الأسماء والمصادر لابن القطاع ، مصورة دار الكتب المصرية (لغة ٦١١)

٣ ـ أرجوزة في الطب لابن سينا (طب خط ٧١ دار الكتب المصرية) .

٤ ـ إضاءة الراموس وإفاضة الناموس على إضاءة القاموس
تأليف الإمام اللغوي أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي المغربي (لغة خط رقم ٥٠٠ دار الكتب المصرية) .

٥ ـ الأضداد لابن السكيت ولأبي حاتم (لغة تيمور خط رقم ٣٣٢ دار الكتب المصرية) .

٦ ـ أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن .
تأليف الإمام عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد الرزاق الحنبلي (خط تاريخ رقم ١٣٤٧ دار الكتب المصرية) .

٧ ـ الانتصار لسيبويه من المبرد (نحو تيمور خط رقم ٦٠٥ دار الكتب المصرية) .

٨ ـ البارع في اللغة .
تأليف أبي علي القالي البغدادي (لغة خط مصور رقم ٨٢٧ دار الكتب المصرية) .

٩ ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان . مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٦٠١٧ هـ

١٠ ـ تقويم الأبدان في تدبير الإنسان .
لابن جزلة : أبي على يعقوب بن عيسى بن جزلة . (طب خط رقم ١٢٣٨ دار الكتب المصرية) .

١١ ـ التكملة والذيل والصلة في اللغة .
تأليف الإمام رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (لغة خط رقم ٣٧ دار الكتب المصرية) .

١٢ ـ تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لابن خروف (نحو تيمور خط رقم ٥٣٠ دار الكتب المصرية) .

١٣ ـ تهذيب اللغة .
تأليف أبي منصور الأزهري .
(لغة خط رقم ٩ دار الكتب المصرية) .

١٤ ـ ديوان الأدب للفارابي اللغوي : أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم المتوفى ٣٧٠ هـ . (لغة خط رقم ٣٨٣ دار الكتب المصرية) .

١٥ ـ رسالة في معاني حروف المعجم في كلام العرب (لم يعلم مؤلفها) .
(لغة خط رقم ٧٩٣ مجاميع ـ دار الكتب المصرية) .

١٦ ـ ري الصادي في ترجمة الفيروزابادي .
تأليف الشيخ رمضان بن موسى العطيفي . (تاريخ تيمور خط رقم ١٢٦٤ دار الكتب المصرية) .

١٧ ـ الزهر اليانع على قول صاحب القاموس في الديباجة (ولا مانع)
تأليف العلامة محمد بن يوسف الدمياطي الحنفي (لغة خط رقم ٤١٧ دار الكتب المصرية) .

١٨ ـ شرح ألفية ابن معطي لابن الخباز (مصورة دار الكتب المصرية ١٨٢٣ نحو) .

١٩ ـ شرح الجمل لابن عصفور (نحو تيمور خط رقم ٣٣٢ دار الكتب المصرية) .

٢٠ ـ شرح خطبة القاموس .
للإمام تاج الدين عبد الرءوف بن علي زين العابدين الملقب زين الدين الْمُنَاوِي الحدادي القاهري .

(لغة خط ٦ م دار الكتب المصرية) .

٢١ ـ شرح كفاية المتحفظ لابن الطيب الفاسي (لغة ش خط رقم ١٤ دار الكتب المصرية) .

٢٢ ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر .
تأليف الإمام رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (لغة خط رقم ١٤١ دار الكتب المصرية) .

٢٣ ـ الغريبين غريبي القرآن والحديث .
تأليف أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي .
(لغة تيمور خط رقم ٥٥ دار الكتب المصرية) .

٢٤ ـ الغريب المصنف ، لأبي عبيد (لغة خط ١٢١ دار الكتب المصرية) .

٢٥ ـ فتح القدوس في شرح خطبة القاموس .
وذيله : إضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح صاحب القاموس .

تأليف الإمام أبي العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي المغربي .
(لغة خط رقم ٢٤ ش دار الكتب المصرية) .

٢٦ ـ فلك القاموس .

للشيخ عبد القادر بن أحمد اليمني .
(نسخة خاصة مصورة مشتراة من قسم المخطوطات بجامعة الدول العربية) .

٢٧ ـ قرة العيون في أخبار اليمن الميمون .
تأليف الإمام وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني .
(خط تاريخ رقم ١٣٥٥ دار الكتب المصرية) .

٢٨ ـ القول المأنوس بتحرير ما في القاموس .
تأليف العلامة محمد بن يحي بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين

القرافي المالكي المصري .
(لغة خط رقم ٤٣ دار الكتب المصرية) .

٢٩ ـ القول المأنوس بشرح مغلق القاموس .
تأليف العلامة محمد بن يحي بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين القرافي المالكي المصري .
(لغة خط رقم ١١ م دار الكتب المصرية) .

٣٠ ـ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية .
تأليف الإمام محمد بن إسماعيل بن محمد الحميري الحسني
(خط تاريخ رقم ٤١٦٣ دار الكتب المصرية) .

٣١ ـ المجمل في اللغة .
تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس الرازي
(لغة خط رقم ٣٨٢ دار الكتب المصرية) .

٣٢ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني (قراءات خط ٢٥٢ ذار الكتب المصرية) .

٣٣ ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة أو (المحكم في لغة العرب وجمل من غريب الكتاب والحديث وفنون من النحو والأدب) .
تأليف الإمام ابن سيده الأندلسي
(لغة خط رقم ٥١ دار الكتب المصرية) .

٣٤ ـ المحيط في اللغة .
تأليف الصاحب ابن عباد
(لغة خط رقم ٤٢ دار الكتب المصرية) .

٣٥ ـ مختصر العين .
تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ
(لغة خط رقم ٤٠٦ دار الكتب المصرية) .

٣٦ ـ مختصر القاموس المحيط .

للعلامة الشيخ علي بن أحمد الهيتي .
(لغة خط رقم ٦١٤ دار الكتب المصرية) .

٣٧ ـ المسائل والأجوبة لابن قتيبة (لغة تيمور خط رقم ٣٣٢ دار الكتب المصرية) .

٣٨ ـ معاني القرآن للفراء (تفسير ، ش ، رقم ١٠ خط . دار الكتب المصرية) .

٣٩ ـ مقدمة الأدب للزمخشري (مخطوطة دار الكتب المصرية) .

٤٠ ـ منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان
لابن جزلة : أبي علي يعقوب بن عيسى بن جزلة .
(طب خط رقم ١٠٧ دار الكتب المصرية) .

٤١ ـ موطئة الفصيح لابن الطيب الفاسي (لغة خط ١٧٩ دار الكتب المصرية) .

٢ ـ المراجع المطبوعة :

١ ـ أخبار الدول وآثار الأول للقرماني
(الطبعة الأولى) . القاهرة .

٢ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي ـ نشر كرينكو (طبع بيروت) .

٣ ـ أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث .
تأليف بطرس البستاني .
(الطبعة الثانية) مطابع صادر ـ ريحاني ببيروت سنة ١٩٤٤ .

٤ ـ الأدب الفارسي في العصر الغزنوي للدكتور علي الشابي ـ طبع تونس ١٩٦٥ م .

٥ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض .
تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني .

ضبط وتحقيق الأستاذ مصطفى السقا (وآخرين) .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤٢ .

٦ ـ أساس البلاغة
للزمخشري : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر .
طبعة (محمد نديم) بالقاهرة سنة ١٩٥٣ .

٧ ـ أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي
مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٢ م .

٨ ـ الأضداد للأصمعي ـ بيروت ١٩١٣ م .

٩ ـ أطلس الجغرافية القديمة .
طبعة أفريمان بانجلترة سنة ١٩٢٨ .

١٠ ـ إعجاز القرآن للباقلاني . تحقيق السيد أحمد صقر . طبع دار المعارف القاهرة .

١١ ـ الأغاني .
تأليف أبي الفرج الأصفهاني .
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣١

١٢ ـ الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي (حيدر أباد) سنة ١٣١٠ هـ

١٣ ـ أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد .
تأليف سعيد الخوري الشرتوني اللبناني .
مطبعة ـ اليسوعيين ببيروت سنة ١٨٨٩

١٤ ـ إنباه الرواة . للقفطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٠

١٥ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (طبع القاهرة) سنة ١٩٥٥ م

١٦ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
تأليف إسماعيل باشا بن محمد أمين .

مطبعة وكالة المعارف باستنبول سنة ١٩٤٧ م ـ ١٣٦٦ هـ

١٧ ـ البحر المحيط لأبي حيان ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ

١٨ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للقاضي شيخ الإسلام محمد ابن علي الشوكاني
طبعة القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ

١٩ ـ البديع في الشواذ لابن خالويه ـ طبع القاهرة سنة ١٩٣٤ م

٢٠ ـ البستان
تأليف الشيخ عبد الله البستاني اللبناني .
المطبعة الأمريكانية ببيروت سنة ١٩٢٧ .

٢١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .
مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ والطبعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٥ .

٢٢ ـ البلغة في أصول اللغة .
تأليف السيد محمد صديق حسن خان بهادر ملك مملكة بهوبال بالهند .
مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٦ هـ

٢٣ ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية .
تأليف العلامة السيد جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين المعروف بالبرزنجي .
طبع لبسك ١٨٦٢ م

٢٤ ـ تاج العروس من شرح جواهر القاموس
تأليف أبي الفيض محمد بن محمد الشهير بالسيد مرتضى الحسيني الزَّبيدي .
المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ .

٢٥ ـ تاج اللغة وصحاح العربية .
لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري .
طبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٢٨٢ هـ

٢٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية .
تأليف جورجي زيدان .
مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٩٣٠ .

٢٧ ـ تاريخ الأدب العربي ـ تأليف بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار إلى جانب الأصل الألماني .

٢٨ ـ تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية .
(مجموع المحاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية المغفور له حفني بك ناصف في السنة الدراسية ١٩٠٩ ـ ١٩١٠) طبع بمطبعة الجريدة بسراي البارودي بغيط العدة (الطبعة الأولى ـ القاهرة) .

٢٩ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن .
(طبعة القاهرة .

٣٠ ـ تاريخ التمدن الإسلامي .
تأليف جورجي زيدان .
مطبعة الهلال بالقاهرة سنة ١٩٠٦

٣١ ـ تاريخ ملوك وأمراء الدول الإسلامية .
للدكتور زكي محمد حسن .
طبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٥٤ .

٣٢ ـ تصحيح القاموس المحيط .
تأليف أحمد تيمور باشا .
المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ

٣٣ ـ تهذيب اللغة للأزهري تحقيق مجموعة من العلماء ـ طبع القاهرة .

٣٤ ـ تهذيب الصحاح للزنجاني تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الصبور العطار .

٣٥ ـ الجاسوس على القاموس .
تأليف أحمد فارس أفندي الشهير بالشدياق (صاحب الجوائب) .
مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .

٣٦ ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .
لابن البيطار : ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن البيطار .
طبعة القاهرة سنة ١٢٩١ هـ .

٣٧ ـ جمهرة اللغة
تأليف الشيخ الجليل أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (الطبعة الأولى) ببلدة (حيدر أباد الدكن) بالهند سنة ١٣٤٥ هـ

٣٨ ـ خزانة الأدب للبغدادي . طبع بولاق بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ والطبعة التي حققها الأستاذ عبد السلام هارون .

٣٩ ـ الخصائص
تأليف أبي الفتح عثمان بن جني .
مطبعة الهلال بالفجالة بالقاهرة سنة ١٩١٣ .

٤٠ ـ خطبة القاموس المحيط .
للفيروزابادي
المطبعة المصرية (الطبعة الثالثة الملحقة بالقاموس) القاهرة سنة ١٩٣٥ .

٤١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي للدكتور مهدي المخزومي . بغداد سنة ١٩٦٠ م

٤٢ ـ دائرة المعارف
تأليف المعلم بطرس البستاني .
مطبعة المعارف ببيروت سنة ١٨٨٤ م

٤٣ ـ دائرة المعارف الإسلامية .
(الطبعة الأولى) طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ .
٤٤ ـ دائرة المعارف البريطانية .
(الطبعة الحادية عشرة) .
٤٥ ـ دراسات في علم النفس الأدبي .
تأليف الأستاذ حامد عبد القادر .
المطبعة النموذجية بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .
٤٦ ـ دراسات في علم النفس التعليمي .
للأستاذ حامد عبد القادر .
مطبعة نهضة مصر بالفجالة القاهرة سنة ١٩٥٦ .
٤٧ ـ دراسات في اللغة للدكتور إبراهيم السامرائي ـ بغداد ١٩٦١ .
٤٨ ـ دراسات نقدية في النحو العربي للدكتور عبد الرحمن أيوب ـ القاهرة ١٩٥٧ .
٤٩ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
لابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد) .
طبعة حيدر أباد الجزء الأول سنة ١٣٤٨ هـ والثاني سنة ١٣٤٩ هـ والثالث والرابع سنة ١٣٥٠ هـ .
٥٠ ـ دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ـ طبع القاهرة سنة ١٩٦٣
٥١ ـ الدولة الإسلامية (تاريخها وحضارتها) .
تأليف الدكتور محمد مصطفى زياده وزملائه
طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤ .
٥٢ ـ الدولة الخوارزمية والمغول .
للأستاذ حافظ أحمد حمدي .
مطبعة الاعتماد بالقاهرة سنة ١٩٤٩
٥٣ ـ الدولة العباسية (قيامها وسقوطها)

تأليف الأستاذ حسن خليفة .
(الطبعة الأولى) المطبعه الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٣١

٥٤ ـ ديباجة القاموس
للعلامة نصر الهوريني .
المطبعة المصرية (الطبعة الثالثة الملحقة بالقاموس) القاهرة سنة ١٩٣٥

٥٥ ـ الرد على النحاة لابن مضاء الأندلسي ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف
القاهرة ١٩٤٧ .

٥٦ ـ رسالة الكلمات الغير العربية الواقعة في القرآن الكريم للشيخ حمزه
فتح الله .
المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٠٢ .

٥٧ ـ سر صناعة الإعراب لابن جني تحقيق مصطفى السقا وآخرين .
القاهرة ١٩٥٤ .

٥٨ ـ سر الليال في القلب والإبدال .
تأليف أحمد فارس الملقب بالشدياق .
طبعة المطبعة العامرية السلطانية بالآستانة سنة ١٢٨٤ هـ

٥٩ ـ سيبويه إمام النحاة للأستاذ علي النجدي ناصف ـ القاهرة ١٩٥٣ م

٦٠ ـ الشافية لابن الحاجب .

٦١ ـ شذا العرف في فن الصرف .
تأليف الأستاذ الشيخ أحمد الحملاوي .
(الطبعة الخامسة) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٧ .

٦٢ ـ شرح الألفية للأشموني

٦٣ ـ شرح خطبة القاموس .
للعلامة نصر الهوريني .
المطبعة المصرية (الطبعة الثالثة الملحقة بالقاموس) القاهرة سنة ١٩٣٥

٦٤ ـ شرح خطبة الكافي في اللغة لطاهر بن صالح بن أحمد الجزائري .

طبع القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

٦٥ ـ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي بتحقيق محمد محيي الدين وزميليه . طبع القاهرة .

٦٦ ـ شرح المعلقات للقاضي الزوزني . نشر المكتبة الأسوية بدمشق ١٩٦٣

٦٧ ـ شرح مفصل الزمخشري لابن يعيش (طبع المنيرية بمصر) .

٦٨ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل .
تأليف شهاب الدين أحمد الخفاجي .
طبعة مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٣٣٥ هـ

٦٩ ـ الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس . طبع القاهرة ١٩١٠ م

٧٠ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا
تأليف الشيخ ابي العباس أحمد القلقشندي . المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٥

٧١ ـ الصحاح للجوهري (بطبعتيه) .

٧٢ ـ صحيفة المعلمين : عدد فبراير ويونيه سنة ١٩٢٣ م
[مقالان للأستاذ مصطفى السقا]

٧٣ ـ ضحى الإسلام .
للأستاذ أحمد أمين .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة الجزء الأول سنة ١٩٣٣ م والجزء الثاني سنة ١٩٣٥ .

٧٤ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
تأليف المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي
(مكتبة القدسي) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

٧٥ ـ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم . طبع القاهرة .

٧٦ ـ العربية ليوهان فك . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . طبع دار

الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٥١ .
٧٧ ـ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية
تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي .
مطبعة الهلال بالفجالة بالقاهرة الجزء الأول ١٩١١ والثاني ١٩١٤ .
٧٨ ـ العلامة اللغوي ابن فارس الرازي للدكتور محمد مصطفى رضوان .
طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
٧٩ ـ علم اللغة للدكتور محمود السعران ـ طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢ .
٨٠ ـ العين
للخليل بن أحمد : الجز الأول تحقيق الدكتورعبد الله درويش طبع بغداد سنة ١٩٦٧ و(قطعة من الجزء الأول) طبع بغداد سنة ١٩١٤ نشرها الأب أنستاس الكرملي .
٨١ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء
لابن أبي أصيبعة (أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي)
(الطبعة الأولى) بالمطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ م
٨٢ ـ الغيث الساجم في اللغة والمعاجم
تأليف طاهر بن خير الله الشويري اللبناني .
طبعة لبنان سنة ١٩٠٧ .
٨٣ ـ فقه اللغة
تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي
(الطبعة الثانية) مطبعة الاعتماد بالقاهرة سنة ١٩٤٤ .
٨٤ ـ فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره
للأستاذ حامد عبد القادر
مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة سنة ١٩٥٠ .

٨٥ ـ الفهرست
لابن النديم
المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ

٨٦ ـ في اللهجات العربية
تأليف الدكتور إبراهيم أنيس
(الطبعة الثانية) مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٢ .

٨٧ ـ القانون في الطب للرئيس ابن سينا .
(أبي الحسين بن عبد الله بن سينا)
(طبع حجر) بفارس سنة ١٢٨٤ هـ

٨٨ ـ القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة (الطبعة الأولى) القاهرة ١٩٤٨

٨٩ ـ قصة الأدب الفارسي .
للأستاذ حامد عبد القادر
مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة سنة ١٩٥١ .

٩٠ ـ قصص الأنبياء
للمغفور له الشيخ عبد الوهاب النجار
طبعة مصر سنة ١٩٣٣ .

٩١ ـ القلب والإبدال لابن السكيت . بيروت ١٩٠٣ م .

٩٢ ـ القول المأنوس في صفات القاموس .
تأليف شيخ الإسلام الشيخ محمد سعد الله الهندي
طبع المطبعة الحسينية ببلدة رام فور بالهند

٩٣ ـ القياس في اللغة للشيخ محمد الخضر حسين ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ

٩٤ ـ الكتاب لسيبويه . طبع بولاق بالقاهرة سنة ١٣١٧ والطبعة التي حققها عبد السلام هارون .

٩٥ ـ كتاب في أصول اللغة ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ .
٩٦ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
للمؤرخ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي .
طبعة اسطامبول سنة ١٩٤٤ .
٩٧ ـ كفاية المتحفظ لابن الأجدابي ـ طبعات متعددة .
٩٨ ـ لحن الخاصة ـ أبو هلال العسكري ـ طبع القاهرة .
٩٩ ـ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة للدكتور عبد العزيز مطر ـ القاهرة ١٩٦٦ .
١٠٠ ـ لسان العرب لابن منظور
طبعة بولاق بالقاهرة وطبعة بيروت .
١٠١ ـ اللغة لفندريس
ترجمة للأستاذين عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص
مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة سنة ١٩٥٠ .
١٠٢ ـ مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف القاهرة .
١٠٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
طبعة القاهرة الأول سنة ١٩٣٣ والثاني ١٩٣٤ والثالث ١٩٣٥ والرابع ١٩٣٦ .
١٠٤ ـ مجلة المجمع العلمي العربي . الأجزاء (٩ ـ ١٢) من المجلد ١٦ عام ١٩٤١ م
[أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ للأستاذ يوسف العش] .
١٠٥ ـ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (مجموعة القررات العلمية) ـ القاهرة ١٩٧١
١٠٦ ـ محاضرات في التحليل النفسي تأليف سجمند فرويد
ترجمة الدكتور أحمد عزت راجح (الطبعة الثانية) مكتبة الأنجلو المصرية .
١٠٧ ـ مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي

(الطبعة الأولى) طبعة بولاق القاهرة .
١٠٨ ـ المخصص لابن سيده الأندلسي
المطبعة الكبرى ببولاق ـ القاهرة سنة ١٣١٦ هـ
١٠٩ ـ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي . طبع مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة .
١١٠ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها
للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . مطبعة صبيح بالأزهر بالقاهرة والطبعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم .
١١١ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير
للفيومي
طبع بولاق القاهرة سنة ١٢٨١ هـ .
١١٢ ـ المطالع النصرية للعلامة الشيخ نصر الهوريني .
١١٣ ـ المعاجم العربية
للدكتور عبد السميع محمد أحمد ـ طبع القاهرة ١٩٦٩ .
١١٤ ـ المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش .
مطبعة الأنجلو المصرية بالقاهرة بسنة ١٩٥٦ .
١١٥ ـ المعتمد في الأدوية المفردة .
تأليف السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول الغساني صاحب اليمن .
مطبعة دار الكتب العربية الكبرى القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ
١١٦ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي
طبعة أحمد فريد رفاعي بالقاهرة سنة ١٩٣٢ .
١١٧ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي .
(الطبعة الأولى) ـ القاهرة سنة ١٩٠٦ .
١١٨ ـ المعجم العربي بين الماضي والحاضر للدكتور عدنان الخطيب ـ طبع القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ .
١١٩ ـ المعجم العربي للدكتور حسين نصار . طبع القاهرة ١٩٥٦ .

١٢٠ ـ المعجم الكبير ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
١٢١ ـ المعجم اللغوي التاريخي لفيشر ١٩٦٧ .
١٢٢ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
١٢٣ ـ المعرب من الكلام الأعجمي .
لأبي منصور الجواليقي .
طبعة ليبسك سنة ١٨٦٧ .
١٢٤ ـ المفردات في غريب القرآن
للراغب الأصفهاني
المطبعة اليمنية القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ
١٢٥ ـ مقاييس اللغة
لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
ضبط وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون
(الطبعة الأولى) مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ
١٢٦ ـ مقدمة البستان تأليف الخوري بطرس البستاني
المطبعة الأميركانية ـ بيروت سنة ١٩٣٠ م
١٢٧ ـ مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور العطار .
١٢٨ ـ مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد
تأليف الأستاذ عبد الله العلايلي
(أدب رقم ١٩٥١ مكتبة وزارة التربية والتعليم بالقاهرة) .
١٢٩ ـ مقدمة مد القاموس تأليف ادوارد وليم لين ، المتوفى عام ١٨٧٦ .
١٣٠ ـ مقدمة معجم فيشر تأليف فيشر الألماني المتوفى عام ١٩٤٩ م
١٣١ ـ الملحق المئوي لمجلة الجمعية الأسيوية الملكية عام ١٩٢٤
[بواكير المعاجم العربية حتى عصر الجوهري مع الاهتمام بمعجم ابن دريد للاستاذ كرينكو]
١٣٢ ـ مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان ـ القاهرة ١٩٥٥
١٣٣ ـ من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ـ القاهرة ١٩٦٦

١٣٤ ـ منتخب جامع المفردات للغافقي : أبي جعفر أحمد بن محمد بن أحمد . (الطبعة الأولى) طبع جامعة القاهرة (كلية الطب) .

١٣٥ ـ نظرات في اللغة عند ابن حزم ـ للأستاذ سعيد الأفغاني ـ طبع بيروت ١٩٦٩ .

١٣٦ ـ نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها للأب انستاس ماري الكرملي المطبعة العصرية بالفجالة القاهرة سنة ١٩٣٨

١٣٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر
لابن الأثير المعروف بمجد الدين
مطبعة مصر القاهرة سنة ١٣١١ هـ

١٣٨ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي . طبع القاهرة ١٣٢٧ هـ

١٣٩ ـ الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح .
للشيخ العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي
طبعة بولاق القاهرة سنة ١٢٨١ هـ

١٤٠ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
تأليف القاضي أحمد الشهير بابن خلكان .
وبهامشه (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)
مطبعة بولاق القاهرة سنة ١٨٨٦ م

١٤١ ـ يتيمة الدهر
تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
(الطبعة الأولى) مطبعة الصاوي بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م

٣ - المراجع الافرنجية

1 — Bloomfield, L., «*Language*», London, 1962.

2 — Ferguson, Charles, A., «*The Arabic Koine*», Published in «*Language*», 1959.

3 — Gray, L. H., «*Foundation of Language*», New York, 1958.

4 — Greenberg, J. H., «*Essays in Linguistrics* » Chicago, 1958.

5 — Heffner, R. M. S., «*General Phonetics*» Wisconsin, 1949.

6 — Jespersen, Otto, «*Language, Its Nature, Development and Origin*», London, 1959.

7 — Rabin, C., «*Ancient West Arabian*», London, 1951.

8 — Sapir, Edward, «*Language*», New York, 1921.

9 — Vandryes, «*Language*», (English Translation) London, 1959.

محتويات الكتاب

مطابع الشروق ـ بيروت ـ ص. ب. : ٨٠٦٤ ـ ت ٣١٥٨٥٩ ـ برقيا : داشروق